العدد الأول

منبر الإسلام

السنة ٢٦ • المحرم ١٣٨٨ • مارس ١٩٦٨

عدد ممتاز

الثمن ١٠ قروش

مع العدد هديتان • كتاب عن الهجرة • ملحق عن معالم الطريق

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
في غرة
كل شهر
عربي

العدد الأول - السنة ٢٦ المحرم ١٣٨٨

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ
إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ
اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

صدق الله العظيم

من محتويات العدد

* يا أمة القرآن
للسيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الأوقاف
* **السيد بوبكار كاسى سفير مالى بالقاهرة يتحدث عن زيارة وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى برئاسة السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الى مالى**
* **تفسير القرآن الكريم**
* **السنة النبوية الشريفة**
* التخطيط الاسلامى الكامل لتربية الشباب
فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
* من توجيهات النبوة
فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* وقفة بروضة الفاروق
الدكتور أحمد الحوفى
* سورة العلق
الأستاذ أحمد حسين
* أوائل الشهور القمرية
المستشار على على منصور
* القصد الجنائى فى جريمة القتل العمد بين الشريعة الاسلامية والقانون
المستشار أحمد موافى
* بنو اسرائيل فى ميزان القرآن
الأستاذ البهى الخولى
* ما قيمة الهيئات والمواثيق الدولية ؟
الدكتور محمد ضياء الدين الريس
* أولياء الله بين الموالين والجافين
فضيلة الشيخ كمال عون
* ما أخذ بالقوة لا يرد الا بالقوة
الدكتور عبد العال سالم مكرم
* من التراث الفنى الاسلامى
الدكتور حسن الباشا
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى
الدكتورة عنايات الطحاوى
* أعظم من يوم الزينة « قصة العدد »
للكاتب الشعبى زكريا الحجاوى

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه الغلة فى البلاد الأخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين
الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان

٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة

تليفون ٢٨١٥٦

يا أمة القرآن ...

انه الشوق الى البيت العتيق.. والشوق الى زيارة الروضة الشريفة .. شوق يأخذ بقلب كل من حج واعتمر وزار .. كلما أقبل موسم الحج كل عام .. وتكاد أن تنقله الذكريات كله الى الكعبة وعرفة والمناسك .. وذلك المرعى الخصيب لكل قلب مضيء

وسط هذه الموجة من الذكريات التي جرفتني طول موسم الحج الاخير ، عدت مع الاحداث الى موسم عام ١٩٥٤ ، وقد كنت فيه من حجاج بيت الله الحرام ، وأذكر أنني قد رأيت في طريقي بين مكة ومنى ، جبلا عظيما استحوذ على كل مشاعري ، وكلما سرت بجواره شعرت بأنه يجذبني اليه .. حتى جاء اليوم الذي صعدت فيه هذا الجبل الشاهق (جبل النور) هذا الجبل الذي طالما تشرف بصعود سيد البشر وخاتم الانبياء .. صعدته لكي أستوحي هذا المكان الطاهر .. غار حراء القائم حتى الآن في قمة جبل النور .. صعدت الى هذا الغار أستوحيه فكرا يقربني من ربي وحبيبه

فلما كنت في داخل الغار المبارك ، رأيت مكة على سطح الأرض صغيرة كأنها خريطة ، وتصورت حينما كانت تشرق الشمس على مكة ، كانت تشرق أولا على هذا الغار العالي ، تبشر أم القرى بمولد فجر جديد ودين جديد .

وطافت بذهني يومها صور اعتكاف رسول الله وتعبده الايام والليالي الطوال ، حتى صفت روحه ، وأشرقت نفسه ، وجعله التأمل الروحي على الموجة المناسبة للاستقبال العظيم .. استقبال رسالة الرحمة للعالمين .

وذكرت يومها كيف ترددت فوق جبل النور أصداء الوحي الأول ، حينما جاء به جبريل الى محمد في هذا الغار ، وأخذه بكل شدة وعنف ، وراح يضمه الى صدره ويضغطه حتى كاد قلب النبي أن ينخلع .. ذلك لكي يحس بأنه أمام حدث كبير وخطير ، حدث ليس بالهين أو اليسير ، وانما هو القرآن العظيم ، دستور بناء البشرية وميثاق الرحمة للعالمين

ان هذا الحدث الضخم الذي هز مشاعر النبي وارتجف له قلبه ، ليطرح نفسه بيننا اليوم ، ونحن نعيش هذه الشدة ، نعيش أحداثا هزتنا هزا عنيفا ، وزلزلتنا زلزالا شديدا ، لكي نتأسى برسول الله ولكي نشعر بحاجتنا الى صدق الايمان بالله ، ولكي نذكر موقفنا في المعركة ، يوم خرجنا في العاشر من

السيد حسين الشافعى

نائب الرئيس ووزير الأوقاف

يونية الماضى ، نقول لجمال عبدالناصر : انك أنت أنت القائد أنت الرائد ؛ لا أحد غيرك ، ونحن من خلفك ، والله غايتك وغايتنا ؛ فهو الذى جمع من حولنا كل الخلائق ليس فى الوطن العربى فحسب، بل فى الوطن الاسلامى كله .

لقد أحسسنا منذ وقوع العدوان الصهيونى الاستعمارى على أرضنا المقدسة فى الخامس من يونية ١٩٦٧ ، أننا مطالبون بالثبات فى الشدة ، مطالبون بالثبات بحشد كل قوانا السياسية والاقتصادية والعسكرية .. وأحسسنا أكثر من هذا كله ، وقبل هذا كله ، بحاجتنا الى تعبئة قوانا الروحية ، **فان قوانا الروحية لايمكن أبدا أن تغلب ، وان عزتنا الاسلامية ـ بحق القرآن ـ لا يمكن أبدا أن تهون .**

كل ما نحتاج اليه هو أن نتدبر أمرنا مع القرآن ، هذه الثروة التى لا تعدلها ثروة ، نريد أن نتدبر ماذا يمكن للقرآن أن يصنعه ، وهو بين أيدينا رسالة ، وهو فى أعناقنا أمانة .

كل مانحتاج اليه هو أن نعرف كيف نجنى ثمرات القرآن ، وهى ليست فى الترتيل والتطريب ، ولكنه التشريع الامثل، وهو التصميم المنزل لقواعد راسخة من العلم ، يبنى بها أمة القرآن ، صامدة لا تلين ، جادة لا تهزل ، أمة تعرف طريقها الى الله ، فلا تضل أبدا .

(الرحمن علم القرآن)

والقران ميثاق الرحمة للعالمين ، أنزله على قلب نبى الرحمة ، نورا وهدى وشفاء ، وهو كتاب الله سبحانه القائل لنبيه :

(انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) .

وهو سبحانه القائل للناس :

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)

وهو جلت حكمته الذى علم القرآن لمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وانتقل صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الأعلى ، وبعد ان بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. فكيف الطريق الى مواصلة التبليغ وأداء الأمانة ؟ يجيب القرآن :

(خلق الانسان علمه البيان)

ومادامت للانسان قدرة على البيان والافصاح فرسالة الرحمة ستجد من يبلغها ، وأمانة القرآن ستجد من يؤديها . حتى يرث الله الارض ومن عليها .

ولكن هذا الانسان مطالب بمعرفة دوره فى الحياة ٠٠ مطالب بمعرفة واجبه كمسلم ومؤمن ٠٠ مطالب بأن يعرف أن دينه دين الجهاد ٠٠ الجهاد المتواصل من أجل تحقيق الرحمة بالفرد ، والرحمة بالمجتمع ، والرحمة بالبشرية ٠

والجهاد من أجل تحقيق الرحمة للناس كافة ، يتطلب اعداد الأفراد المجاهدين؛ والمجتمعات الصادقة الايمان ، والبشر الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله٠

اننى ما ادعيت يوما أننى من علماء الاسلام ، ولا من فقهاء هذا الدين ، ولكنى أتحدث كمسلم من واقع حى ، ألمسه فى عقيدتى وتصورى ٠

اننى أومن بأن الجهاد هو الركن السادس فى الاسلام ٠٠ فقد كتب الله علينا القتال كما كتب علينا الصيام ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والحج ، وكلها فرائض تعد الاجيال لحمل الرسالة وأداء الأمانة ٠

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا)

كيف نسمع أو نقرأ هذه الاية ثم لا نخشع ، ثم لا نشعر بالرهبة ، ازاء هذه المسئولية ، مسئولية القرآن التى تتصدع أمامها الجبال ؟

لنتدبر أمرنا مع القرآن الكريم فى موقف نجعله مثلا ٠٠ لننظر موقف القرآن من المجتمعات الظالمة ٠٠ انه يقول :

(وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها) ٠

لماذا ؟

انه سبحانه يجسم معنى الظلم والتناقض فى نفس الآية :

(وبئر معطلة وقصر مشيد)

كيف تكون هناك عدالة أو رحمة ، وهناك قصر مشيد ، وبجانبه بئر معطلة ؟

الماء ٠٠ ألزم مايكون لحياة الإنسان ٠٠ نضب معينه ٠٠ وبجواره هذا القصر المشيد ٠٠ كيف يستقيم الأمر ؟

ان الله تعالى يريد أن يبين لأمة القرآن أن الاسلام فى حقيقته وجوهره دين اجتماعى ٠ فان تصور أحد انه بصلاته وصيامه قد وجد طريقه الى الجنة ، فهذا اسلام ناقص ، واسلام عاجز ، ولابد أن يكتمل هذا الدين بتطبيقه الاجتماعى ، وذلك الذى يجعل من الفرد المسلم قوة وسندا لأخيه المسلم ؛ فاذا كانت الحرب فكلهم اخوة فى الميدان ، وان كان الجهاد فكلهم صف واحد ، لا يتصورون الجهاد وقفا على فرد أو جماعة ، وانما يعنى جميع المسلمين فى ديار الاسلام ٠٠ وبهذا لا تستطيع أية قوة مهما كبرت ، أن تفت فى عضد المسلمين ، أو تنال من عزة العرب ، فاذا عز العرب عز الاسلام ، واذا ذل العرب ذل الاسلام ٠

واننا لنعلنها من هنا ، من قاهرة المعز ، عالية مدوية ، أنه لن تقف فى طريقنا قوة ، اذا نحن أعلينا راية القرآن ، وتخلقنا بخلق القرآن ، ودعونا العالمين الى القرآن ، وكنا جديرين بحمل رسالة القرآن ٠

علينا فقط أن نعود الى قرآننا ، والى أحكام ديننا لندرك أنه خطة البناء لأفضل مجتمع ٠٠ أمة الصدارة خير أمة أخرجت للناس ٠

ولذلك أعتقد أن علينا فى الأزهر مهمة كبرى ، هى قيادة الدعوة الى القرآن ، وتنسيق جهود المنظمات الاسلامية فى هذا الميدان ، على الأزهر أن ينقل الى الناس أحداث وأسباب نزول القرآن ، لكى ننفعل فى كل موقف الانفعال الواجب ، الذى دعاه المسلمون الأوائل ، حينما نزل عليهم القرآن ، مجيبا على كل سؤال ، ومقدما الحل لكل مشكلة ، فكان ذلك الانفعال ٠٠ **بل كان الايمان الذى هد الجبال ٠**

كان ذلك الايمان الذى جعل فئة قليلة من المؤمنين ، تنطلق انطلاق الصواريخ ، فتفتح الأمصار وتمد رقعة الاسلام الى أطراف الأرض ،حتى ارتفعت من الأندلس الى الصين راية التوحيد ، وحتى أصبح **تعداد المسلمين اليوم سبعمائة مليون أو يزيدون**

كلهم سيكونون معنا فى المعركة ، لو أعلينا ذكر القرآن ، وتخلقنا بخلق القرآن ،وكنا جديرين بحمل أمانة القرآن ٠

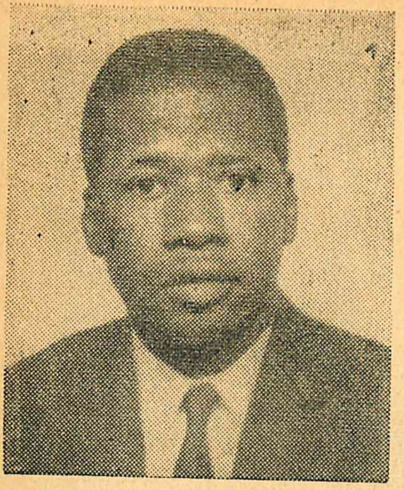

السيد بوبكار كاسى سفير مالى بالقاهرة

يتحدث عن زيارة وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى إلى مالى

في الفترة من ١٦ - ٢٠ يناير ١٩٦٨

فى خلال شهرى يناير وفبراير الماضيين قام وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى برئاسة الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بزيارة ودية وثقافية لعدة دول اسلامية افريقية وآسيوية هى : مالى وموريتانيا والسنغال وغينيا وسيلان والهند وكمبوديا .. لدعم وتوثيق العلاقات الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين هذه البلاد .

وكان الوفد قد قام فى العام الماضى بزيارة مماثلة لبعض البلاد الآسيوية الإسلامية مثل ماليزيا، واندونيسيا وباكستان والفلبين والصين .

والواقع أن هذه الزيارات قد أحدثت انتعاشا وتجددا فى العلاقات الثقافية الدينية بين هذه البلاد وبين الجمهورية العربية المتحدة .

الرئيس موديبوكيتا رئيس جمهورية مالى يستقبل الوفد العربى الاسلامى برئاسة السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وذلك اثناء الرحلة التى زار خلالها الوفد بعض دول غرب افريقيا وجنوب شرقى اسيا فى مطلع العام الحالى .

كما أنها تركت صدى عميقا لدى الشعوب الاسلامية هناك والتى استقبلت الوفد استقبالا رسميا وشعبيا حافلا فى كل بلد وصل اليه .

وكان وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى فى مالى فى الفترة من ١٦ - ٢٠ يناير الماضى - وفى سفارة مالى بالقاهرة رأيت صحف مالى الناطقة بالفرنسية قد أفردت صفحاتها للحديث عن هذا الوفد ووصف مشاعر الحماسة والترحيب التى قوبل بها هناك من شعب مالى الصديق .

فقد نشرت جريدة (النهضة) استقبال رئيس جمهورية مالى موديبوكيتا للوفد والكلمات التى ألقاها زعماء الدين هناك فى حفلات الاستقبال والترحيب .

وفى لقاء مع سفير مالى بالقاهرة السيد بوبكار كاسى . قال لى سيادته :

– رغم أن وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى ليس وفدا رسميا ورغم أن الرئيس موديبو كيتا رئيس الجمهورية ورئيس اللجنة القومية للدفاع لا يقابل الا الوفود الرسمية فانه قد استقبل وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى **تعبيرا عن التقدير الخاص للوفد ولشعب الجمهورية العربية المتحدة ورئيسه جمال عبد الناصر وللتعبير أيضا عن مدى أهمية هذه الزيارة لشعب مالى المسلم .**

وقد قدم اليه الوفد تحية أعضاء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وشكرهم للحفاوة البالغة التى قوبلوا بها منذ وصولهم الى مالى وعبروا عن نمو العلاقات بين شعب مالى وشعب الجمهورية العربية المتحدة .

السيد عثمان با وزير خارجية مالى يستقبل السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس الوفد العربى الاسلامى .

وقد بحث الرئيس موديبوكيتا مع الوفد تطورات الموقف فى أزمة الشرق الأوسط وأعلن ضرورة انسحاب اسرائيل فورا من الأراضى العربية التى احتلتها كضمان وحيد لعودة السلام الى منطقة الشرق الأوسط .

ثم اجتمع الوفد بالسيد وزير الخارجية عثمان با والتقى بجميع المهتمين بالشئون الدينية وزعماء الاسلام هناك وكانت المحادثات خاصة بنشر الثقافة الاسلامية ودعمها وقد كان الوفد يحمل معه الكثير من الكتب الدينية والمصاحف لتوزيعها هناك على الهيئات الاسلامية .

وقد اهتم شعب مالى اهتماما بالغا بهذه الزيارة وقد خرج لاستقبال الوفد فى حماس أخوى معبرا عن الصداقة والحب للشعب العربى عامة ولشعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة والمشاركة فى مشاكله .

وقد أعلن الجميع حكومة وشعبا تأييدهم للرئيس جمال عبد الناصر فى كفاحه . كما طالبوا بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية التى احتلتها فورا وبدون شروط .

وأصدر رئيس اللجنة السياسية فى حزب الاتحاد السودانى للتجمع الديموقراطى الأفريقى وهو أيضا عضو فى اللجنة القومية للدفاع وهى اللجنة المسئولة الوحيدة هناك - أصدر تصريحا أعلن فيه : **ان شعب مالى يقف بجانب الشعوب العربية والاسلامية صفا واحدا يساندهم ومستعد لكل تضحية من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى .**

وقال لى سفير مالى أيضا :

ان العلاقات بين بلدينا تمتد الى فجر التاريخ ومثل هذه الزيارة تعمقها وتقويها وتجددها . وهذه أول مرة يزور مالى وفد اسلامى من الجمهورية العربية المتحدة .

ونحن نأمل أن تكون هذه الزيارة بداية طيبة لتبادل الزيارات بين البلدين فيصل الى القاهرة وفد اسلامى من مالى ويصل الى مالى وفد من القاهرة حتى تتوطد العلاقات بين البلدين وحتى يكون الوفد الزائر بمثابة نافذة نطل منها على بلدينا ثقافيا ودينيا وأخويا لنتعرف على مشاكلنا واحتياجاتنا ، فهذه الزيارات تحقق مزيدا من الفهم العميق لتقاليد وظروف وحياة كل من الشعبين وأملهم فى المستقبل .

وأحب أن أشيد بهذه المناسبة بالجهود التى يبذلها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية من أجل الاسلام والمسلمين فى العالم من اهداء للمكتبات الاسلامية بمختلف اللغات على جميع الهيئات والمراكز الاسلامية فى العالم ومنح الطلبة المسلمين فرصة التعليم فى معاهد وجامعات القاهرة .

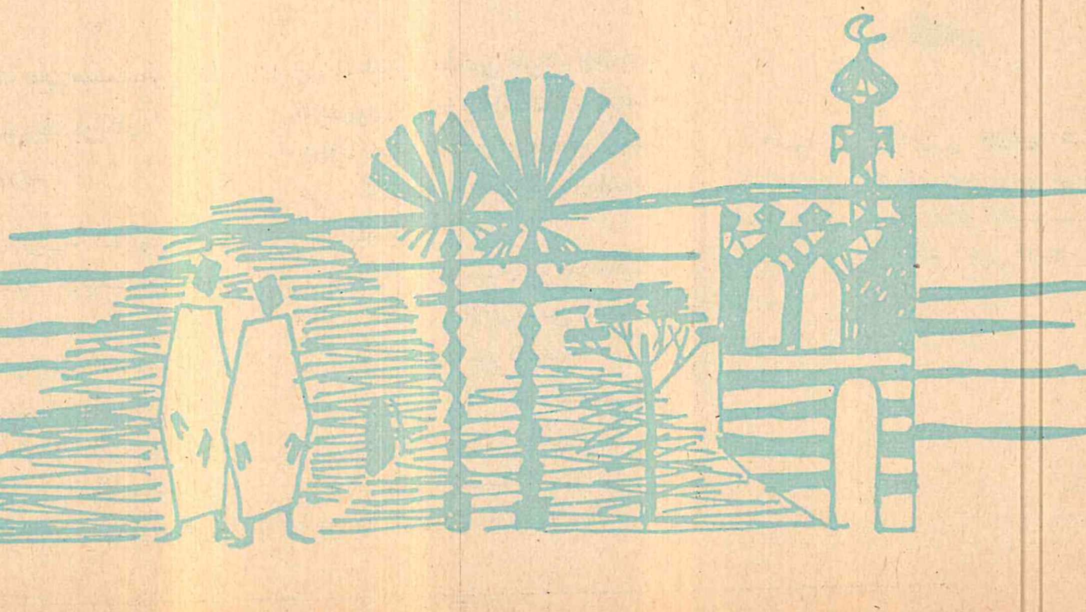

تفسير القرآن الكريم

تابع تفسير

سورة البقرة

من أول الآية ٥٠ الى آخر الآية ٨٤

٥٠ ـ واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر ـ وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه ـ فتتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده وبفضلنا نجوتم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فأغرقناهم أمام أبصاركم ـ فأنتم ترونهم وهم يغرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه ·

٥١ ـ واذكروا حين وعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته ، فلما ذهب الى ميعاده ، وعاد ، وجدكم قد انحرفتم واتخذتم العجل الذى صنعه السامرى معبودا لكم ، وكنتم ظالمين باتخاذكم شريكا لله الذى خلقكم ونجاكم ·

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ
ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ
بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ
لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ
بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا
سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ
فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ

كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ
وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ
مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ
أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا
يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)

٥٢ ـ ثم عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتم واستغفرتم من اثمكم ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

٥٣ ـ واذكروا حين أنعمنا عليكم فأنزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة ، وهو الذى يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحرام ، لكى تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبير ما فيها .

٥٤ ـ واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى يا قومى ، لقد ظلمتم أنفسكم باتخاذكم عجل السامرى معبودا ، فتوبوا الى ربكم خالقكم من العدم ، بان تغضبوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها، لتتجدد بنفوس مطهرة ، فأعانكم الله على ذلك ووفقكم له ، وكان ذلك خيرا لكم عند خالقكم ، ولهذا قبل توبتكم وعفا عنكم ، فهو كثير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

٥٥ ـ واذكروا قولكم لموسى : اننا لن نقر لك بالايمان حتى نرى الله جهارا عيانا بحاسة البصر لا يحجبه عنا شىء ، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون حالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب فى الصاعقة .

٥٦ ـ ثم أيقظناكم من غشيتكم وهمودكم ، وعلمناكم لكى تشكروا نعمتنا فى ذلك ، وتؤيدوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

٥٧ ـ ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد ، وأنزلنا عليكم المن ، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس ، كما أنزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسمان ، فهو يأتيكم بأسرابه بكرة وعشيا لتأكلوا وتتمتعوا ، وقلنا لكم كلوا من طيبات رزقنا ـ فكفر هؤلاء بالنعمة ، ولم يكن ذلك بضائرنا ، ولكنهم يظلمون أنفسهم لأن ضرر العصيان واقع عليهم (١)

٥٨ ـ واذكروا يا بنى اسرائيل حين قلنا لكم ادخلوا المدينة الكبيرة التى ذكرها لكم موسى نبيكم، فكلوا مما فيها كما تشاءون ، كثيرا واسعا ، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع ، من الباب الذى سماه لكم نبيكم . واسألوا الله عند ذلك أن يغفر لكم خطاياكم ، فمن يفعل ذلك باخلاص نغفر له خطاياه ومن كان محسنا مطيعا زدناه ثوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة .

٥٩ ـ ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم فقالوا غير ما أمرهم بقوله ، استهزاء وتمردا ، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم ، جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم .

---

(١) فى قوله تعالى : « وانزلنا عليكم المن والسلوى » ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهى أن المواد البروتينية التى تكون من أصل حيوانى كلحوم الحيوانات والطيور ، ومنها السمان (السلوى) أفضل فى تغذية الانسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوى واستفادة الجسم ، كما أن المن أساسه مواد سكرية تعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الانسان

٦٠ – واذكروا يابنى اسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش فى التيه ، رحمناكم وقلنا لموسى : اضرب بعصاك الحجر ، فانفجر الماء من اثنتى عشرة عينا فصار لكل جماعة عين وكانوا اثنتى عشرة جماعة؛ فعرفت كل قبيلة مكان شربها ، وقلنا لكم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه ، ولا تسرفوا فى الافساد فى الأرض بل امتنعوا عن المعاصى .

٦١ – واذكروا أيها اليهود أيضا يوم سيطر البطر على أسلافكم ، ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى: اننا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كى يخرج لنا مما تنبت الارض من بقولها وقثائها وعدسها وثومها وبصلها ، فتعجب موسى من ذلك ، وأنكره عليهم فقال لهم : اتفضلون هذه الأصناف على ما هو أفضل وأحسن ، وهو المن والسلوى، فانزلوا اذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فانكم ستجدون فيها ما تريدون . وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقر والخنوع واستحقوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان ، وما جروا عليه من الكفر بآيات الله وبقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر ، وقد جرأهم على ذلك الكفر وهذا القتل، ما ركب فى نفوسهم من التمرد والعدوان ومجاوزة الحد فى المعاصى .

٦٢ – ان الذين آمنوا من الأنبياء من قبل ،واليهود والنصارى ، ومن يقدسون الكواكب والملائكة .ومن آمن برسالة محمد بعد بعثته، ووحد الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة ، وعمل الأعمال الصالحة فى دنياه ، فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم ، ولا يلحقهم خوف من عقاب ، ولا ينالهم حزن على فوات ثواب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

٦٣ – اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطور ، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم من هدى وارشاد بجد واجتهاد ، واذكروا ما فيه ذكر من يستجيب له ويعمل به كى تصونوا بذلك أنفسكم من العقاب .

٦٤ – ثم انكم أعرضتم بعد ذلك كله ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخيره العذاب عنكم لكنتم من الضالين الهالكين .

٦٥ – وأنتم بلا ريب قد عرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم فى يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه مع أنه يوم راحة وعيد ، والعمل محرم فيه ، فمسخ الله قلوب المخالفين ، وصاروا كالقردة فى نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبعدين من رحمة الله ، مطرودين كالكلاب ينفر الناس من مجالستهم ويشمئزون من مخالطتهم .

٦٦ – وقد جعل الله هذه الحال التى آلوا اليها عبرة وتحذيرا لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم . جعلها عبرة لمعاصريهم ومن يأتى بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

٦٧ – واذكر حين قال موسى لقومه وقد قتل فيهم قتيل لم يعرفوا قاتله : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحا لمعرفة القاتل ، ولكنهم استغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة ، قائلين . أتسخر منا ياموسى ، فرد عليهم قائلا : انى أعتصم بتأديب الله لى أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده .

٦٨ – هنا قالوا لموسى مترددين فى أمر البقرة : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة . فقال لهم : ان الله أخبرنى بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة بل هى وسط بين الكبر والصغر فنفذوا ما أمركم الله به .

٦٩ – ولكنهم استمروا فى ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة

فأجابهم موسى : بأن الله يقول : انها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تعجب الناظر اليها لصفاء لونها ووضوحه ٠

٧٠ ــ ثم لجوا فى أسئلتهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة ، لأن البقر تشابه علينا ، وسنهتدى اليها بمشيئة الله ٠

٧١ ــ فقال لهم : ان الله يقول : انها بقرة لم تذلل بالعمل فى حرث الأرض وقلبها للزراعة ، ولا فى سقى الأرض المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبات ،وهى بريئة من العيوب سالمة من الآفات ، لا لون فيها يخالف سائر جسدها ، فقالوا له الآن جئت بالبيان الواضح ، وبحثوا عن البقرة المتصفة بهذه الأوصاف فذبحوها وقد قاربوا الا يفعلوا ذلك لكثرة اسئلتهم وطول لجاجهم ٠

٧٢ ــ واذكروا يوم قتلتم نفسا وتخاصمتهم وتدافعتم الجريمة ، فاتهم بعضكم بعضا بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو كاشفها ومظهرها مع كتمانكم لها ٠

٧٣ ــ فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة ، ففعلتم ، فأحيا الله القتيل وذكر اسم قاتله ، ثم سقط ميتا وكانت معجزة من الله لموسى (١) لأن الله قادر على كل شيء ،وبقدرته هذه يحيى الموتى يوم القيامة ٠ ويريكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها وتعتبرون بها ٠

(١) ذكر بعض الكتاب فى عصرنا الحاضر ، وهو المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار أن قوله تعالى : « اضربوه ببعضها » المراد به بعض أجزاء القتيل ، والمراد باحيائها القصاص له ، لأن الضرب ببعض أجزاء المقتول يحمل القاتل على الاعتراف ، وكثيرا ما تكون رؤية القتيل باعثة على الاعتراف ، وتكون هذه القصة منفصلة عن الأمر بالذبح ، وأمر الله تعالى بالذبح قصة أخرى وان أمر الله تعالى لهم بان يذبحوا بقرة كان ليأكلوها ، وفى ذلك تربية نفسية لهم ، لأنهم كانوا مع المصريين الذين يقدسون البقر، وكانت فيهم بقية من هذا التقديس بدليل أنهم عبدوا تمثال العجل من بعد ذلك . فكان لابد لاقتلاع هذه البقية من نفوسهم بتكليفهم ذبح البقرة ، فكان لذلك الأمر بالذبح ، وكان لذلك المجادلة والتلكؤ منهم ، فذبحوها وما كادوا يقومون بالذبح .

٧٤ ــ ثم انكم بعد هذه الآيات كلها لم تستجيبوا ولم تستقيموا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها وجفوتها ، فهى كالحجارة الصلبة فى قسوتها ، بل انها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثيرة فتجرى انهارا ، وهناك أحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيونا فوارة ، ومنها مايتأثر بقدرة الله وينقاد لمشيئته فيتردى من اعلى الجبال انقيادا لما أراده الله تعالى به ، أما قلوبكم أيها اليهود فانها لا تتأثر ولا تلين ولكم الويل على ذلك ، فالله ليس بغافل عن أعمالكم وهو سيؤدبكم بألوان النقم ، اذا لم تشكروا أنواع النعم ٠

٧٥ ــ ما كان ينبغى لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا فى أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقداجتمعت فى مختلف فرقهم أشتات الرذائل التى تباعد بينهم وبين الايمان بالحق ، فقد كان فريق منهم (وهم الأحبار) يسمعون كلام الله فى التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون انه الحق وان كتب الله المنزلة لا يجوز تغييرها ٠

٧٦ ــ وكان فريق من منافقيهم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم : آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو النبى الذى جاء وصفه فى التوراة ، واذا خلا بعضهم الى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم، اذ تنزلق السنتهم فى اثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولا يستدعيها الخداع فيذكرون لهم ماورد فى التوراة من أوصاف محمد ويعطونهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة ٠

٧٧ ــ وهل غاب عن هؤلاء وأولئك أن الله ليس فى حاجة الى مثل هذه الحجة لأنه يعلم ما يخفون وما يبدون ٠

٧٨ ــ ومن اليهود فريق جهلة أميون لايعرفون عن التوراة الا أكاذيب تتفق مع أمانيهم ، لفقها لهم أحبارهم وألقوا فى ظنهم أنها حقائق من الكتاب

٧٩ - فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأحبار الذين يكتبون كتبا بأيديهم ثم يقولون للاميين هذه هى التوراة التى جاءت من عند الله ، ليصلوا من وراء ذلك الى غرض تافه من أغراض الدنيا فيشتروا هذا التافه بثمن هو الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما تقولوه على الله وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .

٨٠ - ومن اختلافاتهم هذه ما يتلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهوديا مهما ارتكب من المعاصى الا اياما معدودة ، فقل لهم يا محمد ، هل تعاهدتم مع الله على ذلك ، فاطمأننتم لان الله لايخلف عهده ، أم انكم تفترون الكذب عليه ؟

٨١ - الحق أنكم تفترون الكذب على الله، فحكم الله العام نافذ فى خلقه جميعا لا فرق بين يهودى وغير يهودى ، لان من ارتكب سيئة وأحاطت به آثامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

٨٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة لانهم آمنوا وأدوا مايفرضه عليهم ايمانهم من صالح الأعمال ، فهم فيها خالدون .

٨٣ - وان لكم معشر اليهود بجانب هذا كله ماضيا حافلا بالاثم ونقض المواثيق ، وتعدى ما وضعه الله لكم من حدود ، فلتتذكروا اذ أخذنا عليكم فى التوراة ميثاقا ألا تعبدوا الا الله ، وأن تحسنوا الى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ، وتستخدموا فى حديثكم مع الناس القول الطيب الذى يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفرهم منكم ، وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة ، ولتتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق اذ نقضتموه وأعرضتم عنه الا قليلا منكم ممن أذعن للحق .

٨٤ - واذ أخذنا ميثاقا عليكم فى التوراة الا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم من ديارهم ، وهو ميثاق تقرون انه فى كتابكم وتشهدون على صحته .

السنة النبوية الشريفة

مقام السنة وأقسامها

القسم الأول :

تاريخ تدوين الحديث

مراتب الرواية

أقسام السنة

١٧ – السنة هى الأصل الثانى من أصول الاسلام المقررة ، وهى كنز من كنوز الوحى الالهى والاجتهاد المحمدى الذى أقره الله عليه ، وهى فوق ما تشتمل عليه من شرائع وأحكام ، فيها مواعظ ، وعبر وجهاد وسير وأخلاق وآداب ، لأن الذى قالها هو الذى قال فيه ربه – تبارك وتعالى – : « وانك لعلى خلق عظيم »

والسنة لمجموع ما اشتملت عليه من شرائع وبينات ، وحكم وأخلاق ، وتنظيم للمجتمع واقامة لدعائم الفضيلة ، تدل بصدورها عن هذا النبى الأمى الذى نشأ فى بلد أمى وبين قوم أميين ، على أنه كان يخاطب من عند الله العلى الحكيم ، كما قال تعالى :

« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى »

اذا قرأها الضال اهتدى ، واذا قرأها المنكر آمن .. واذا قرأها الممارى أذعن .. واذا قرأها المتعرف لأسرار النفوس انتفع ، ينتجع واديها طالب الهداية ، وطالب الحكمة ، وطالب الأخلاق ، وطالب القدوة ..

الاحتجاج بها :

وقد أجمع فقهاء المسلمين على الاحتجاج بالسنة ، واعتبارها مصدرا للفقه الاسلامى ، ولم ينقض هذا الاجماع وجود شذاذ ظهروا فى الماضى ، ولكن كانوا قوما بورا ، لا يحسبون من العلماء ، بل لا يحسبون بين المسلمين فى شىء ، ولقد طوتهم لجة التاريخ وليس منهم بقية باقية الا ما دس بين المسلمين من ناس أخذوا يزعمون أن الحجة فى الاسلام هو القرآن فقط ، وأنكروا أن تكون السنة مبينة ، والأحاديث واجبة الأخذ كالقرآن !!

وقد رد العلماء فى الماضى على أولئك الجاحدين ولننقل ردودهم وها هى ذى :

أ – ان الله – سبحانه وتعالى – قرن الايمان به بالايمان برسوله – صلى الله عليه وسلم – فقد قال تعالى :

« فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

والايمان بالنبى – صلى الله عليه وسلم – يوجب طاعته ، ويوجب اتباعه، وقد صرحت الآية الكريمة بالأمر بالاتباع ، ومن اتباعه الأخذ بأقواله وطاعته فيها واعتبارها حجة تتبع .

ب – ان الله تعالى فرض على المؤمنين طاعة نبيهم صراحة فقد قال تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

وقال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله »

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »

وان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست الا الأخذ بما أثر عنه من اقوال وأفعال وتقريرات .

ج – ان الله سبحانه وتعالى أمر باجابة دعاء النبى – صلى الله عليه وسلم – اذا دعاهم، وجعله دعاء قريبا لدعاء الله . واعتبر اجابة دعائه دليل الايمان ، فقال تعالى :

« واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون »

د – ان سنة النبى – صلى الله عليه وسلم – هى كمال تبليغ رسالة ربه ، وهى علم علمه لنبيه فما كان ينطق عن الهوى ، وان الله – سبحانه وتعالى – يقول :

« ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

هـ – ان القرآن الكريم فيه مجملات كثيرة .. لا يمكن الأخذ بها الا ببيان : فكلمة الزكاة مجملة لا تعلم الا ببيان مفصل ، والحج كلمة مجملة لا تعلم الا ببيان مفصل ، والصلاة كلمة مجملة لا تعلم الا ببيان مفصل .

وليس هذا البيان واردا فى القرآن ، فلا بد من تعرفه ممن نزل عليه القرآن ، ومن كلف تبليغه وشريعته ، وهو محمد – صلى الله عليه وسلم – ..

أقسام السنة :

١٨ – تنقسم السنة الى أقسام كثيرة من نواح مختلفة ، فمن ناحية حقيقتها تنقسم الى سنة قولية وسنة فعلية وسنة تقريرية .

١ – فالسنة القولية : أقوال النبى – صلى الله عليه وسلم – مثل قوله عليه الصلاة والسلام :

« انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » ..

ومثل قوله – عليه الصلاة والسلام – :

« لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » .

والصحاح مملوء بذلك النور من أقوال النبى – صلى الله عليه وسلم – .

٢ – والسنة الفعلية هى أعمال النبى – صلى الله عليه وسلم – كحجه وصلاته وكل ما كان يقوم به من أعمال هى بيان للاحكام الشرعية مثل أعماله فى الغزوات وغيرها .

٣ – والسنة التقريرية هى اقراره لما يفعله بعض صحابته ويراه أو يعلمه كاقراره للتيمم فى حال البرد الشديد وعدم وجود وقود .

وأقوال النبى – صلى الله عليه وسلم – تسمى أحاديث ، وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم قد يضيفها النبى صلى الله عليه وسلم الى نفسه ، وقد يضيفها الى ربه ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه فى الصوم : « الصوم لى وأنا أجزى به » .

ويسمى هذا فى عرف علماء الحديث حديثا قدسيا ، لأن الاسناد فيه الى الله سبحانه وتعالى ، ومهما يكن من شأن هذا الاسناد وعلوه ، فان العبارة للنبى – صلى الله عليه وسلم – والاسناد اليه – سبحانه وتعالى – تقوية لمعنى الحديث وتأكيد لما اشتمل عليه . وسواء أسند الكلام الى الله أم أسند الى النبى – صلى الله عليه وسلم – فمعانى كل الأحاديث تنسب الى الشرع ، والى منزله ، وهو الله ، فما كان عليه الصلاة والسلام **ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى**

أقسام السنة من ناحية الرواية :

١٩ – علم الاسلام كما جاءت به السنة ، منه ما ثبت عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ثبوتا

لا مجال لانكاره لمؤمن ، ولا يسع مسلما أن يجهله، ككون الصلوات خمسا ، وعدد ركعاتها وصفاتها ، والوضوء والتيمم والمناسك الأصلية للحج ، وأموال الزكاة ، وغير ذلك مما يقول العلماء عنه أنه علم من الدين بالضرورة ، ويسميه الشافعى : علم العامة ، أى العلم الذى يجب على كل مسلم أن يعلمه ، لا فرق بين عالم وجاهل ، بل الكل فى العلم به على السواء ، ويسمى العلماء هذا النوع : الأخبار المتواترة ، أو الأحاديث المتواترة ، ولذلك يقسمون السنة الى قسمين : متواترة واحاد ..

فالمتواترة هى الأخبار التى يرويها جماعة يؤمن تواطؤها على الكذب ، عن جماعة مثلها ، حتى يصل السند الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقسم الثانى أخبار الاحاد ، أو سنة الاحاد ، وهى التى لا يرويها جماعة عن جماعة ، ولا ينطبق عليها ما وجب انطباقه فى السنة المتواترة .

وبعض العلماء يقرر أن السنة اما أن تكون متواترة ، واما أن تكون أخبار أحاد ، ولا وسط بينهما ، وعلى هذا أكثر المحدثين .. والحنفية يفرضون أن بين أخبار الأحاد والأخبار المتواترة قسما وسطا ، وهو الأخبار المشهورة أو لمستفيضة فالسنة عندهم على أقسام ثلاثة : متواترة ، ومشهورة ، وأحاد .. والمشهورة عندهم هى التى تروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - بطريق الاحاد ، ولكن تشتهر فى عصر التابعين أو تابعى التابعين ، لأن اشتهارها فى هذا العهد - وهو قريب من عهد النبوة - يجعل لها منزلة فى الثبوت ليست للاخبار التى لم تشتهر فى ذلك العهد ، والاشتهار بعد ذلك ليس له هذه القوة لأن كل الأحاديث اشتهرت بعد أن دونت فى كتب موثوق بها .

والمتواتر يفيد العلم الضرورى الذى لا يكون فيه مجال للتكذيب فمن ذا الذى يستطيع أن يكذب الناس فى أن الكعبة هى ذلك البيت المعروف بمكة ومن ذا الذى يستطيع أن يكذب أن الصلوات خمس ، ومن ذا يستطيع أن يكذب أن النعم من الابل والبقر والغنم والفضة والزرع والثمار هى أوعية للزكاة .

ولذلك يقرر العلماء أن العلم بطريق التواتر يشبه العلم بطريق الحس ، من حيث أنه لا مجال فيه للمخالفة وقد تكلم الناس فى وجود سنة متواترة ..

ونقول فى هذا المقام : أن السنة العملية المتواترة ثابتة بلا مماراة ولا انكار فكل أركان الاسلام تواتر العمل بها جيلا بعد جيل ..

انما الكلام فى وجود التواتر فى السنة القولية ونقول فى هذا المقام أيضا أن التواتر بالمعنى ثابت قائم ..

فحديث « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى » تواتر معناه بلا ريب ولا شك فهو من الحقائق المقررة الثابتة التى لا يستطيع أحد انكارها . بقى بعد ذلك الأحاديث التى تواتر لفظها ، ولا شك أنها ليست بكثيرة وان كانت موجودة .. وافادة المتواتر العلم الضرورى ليس موضع اتفاق بين العلماء ، فمن العلماء من قال انه يفيد العلم القطعى ولكن لا بالضرورة كالحس ، بل بالنظر والاستدلال ، ومنهم من قال انه يفيد الاطمئنان .. والحق فى هذه المسألة أن التواتر قسمان : تواتر فيما علم من الدين بالضرورة .. كأصول الفرائض التى بنى عليها الاسلام ، كالصلاة والزكاة والحج ، وتفصيلات كثيرة فيها ، فان العلم بهذه المتواترات كعلم الضرورة الذى لا يحتاج الى نظر والاستدلال ولذلك طولب به العامة والخاصة ، وقال الشافعى : ان هذه المتواترات لا يسع مسلما أن يجهلها أما غير هذه الاصول التى بنى عليها الاسلام ، فان العلم الناجم عن التواتر فيها من قبيل علم الخاصة ، فيحتاج الى نظر واستدلال .

٢٠ - والمشهور أو المستفيض الذى يعتبره الحنفية وسطا بين المتواتر وأخبار الأحاد ليس فى تقديرهم كالمتواتر ، لأن التواتر يفيد الجزم واليقين عندهم ، ولذلك تثبت به العقائد والأحكام الشرعية العملية ، كأحكام البيوع وغيرها ، وأما المشهور أو المستفض الذى لم يبلغ حد التواتر ، فانه عند الحنفية تثبت به الأحكام العملية كالبيوع والنكاح والطلاق وغيرها . وعلوه عن أخبار الأحاد فى أنه يخصص عام القرآن ، واذا تعارضت ظواهر القرآن مع المشهور من الأحاديث عندهم فسرت ظواهر القرآن على مقتضاه ولا ترتفع أخبار الأحاد الى هذه المرتبة .

وغيرهم من جمهور الفقهاء لا يفرقون بين مشهور وغير مشهور ، ما دامت الرواية ليست بالتواتر من أسباب الاستفاضة والشهرة قد تكون سببا من أسباب التقديم وان لم تكن نوعا قائما بذاته .

في الإسلام

التشريع • الفقه
الأبحاث والدراسات
الصوفية

التخطيط الاسلامى الكامل

لتربية الشباب

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

(٣)

بينا فيما سبق عناية الاسلام بتحقيق منهج كامل لتربيــة الشباب ، وانه قد وضع لذلك تخطيطا منسقا يصاحب الولد منذ كان أملا يجول فى خاطر والديه ، الى أن أصبح فردا له حقوق ، وعليه واجبات

ولكى يعطينا القرآن الكريم أمثلة عملية من منهجه فى تربيــة الشباب ، نراه يعرض علينا صورا مختلفة :

يعرض علينا صورة جذابة رائعة لأب يرشد ابنه ويهديه الى الصراط المستقيم فى الحياة ، هى صورة لقمان وهو يعظ ابنه :

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » « يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات او فى الارض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير ، يابنى أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير »

وصية جامعة اشتملت على العقيدة ، والعمل ، والسلوك :

— فيها التنزه عن الاشراك بالله تعالى

— وفيها الثقة بكمال قدرته تعالى وكمال علمه .

— وفيها التوصية باقامة الصلاة تحقيقا للصلة الدائمة بالله .

— وفيها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اسهاما فى الخير ، ودفعا للفساد والشر

— وفيها الصبر على مايصيب الانسان فى نفسه ، او فى ماله ، او فى ولده

— وفيها عدم التبجج والتوقح فى معاملة الناس ، **وهو الذى أشير اليه بقوله تعالى « ولا تصعر خدك للناس »**

— وفيها عدم الكبر والغرور والخيلاء

ـ وفيها القصد فى المشى ، بحيث يكون الانسان معتدلا ، وئيد الخطو ، لا منتفخا ولا أهوج فى سيره

ـ وفيها الغض من الصوت ، وتجنب الصياح وازعاج الناس بالصوت العالى الكريه الذى يشبه صوت الحمير

هذه صورة جامعة من التأديب والتهذيب ، يعرضها القرآن ليغرى بها الشباب ، ولتكون للاباء نموذجا ومثالا يحتذونه

وصورة أخرى يتغير فيها موقف الاب والابن ، فيكون الابن هو الذى ينصح أباه ، ونرى فيها مناشدة قوية مهذبة رائعة :

انها صورة ابراهيم عليه السلام ، وهو فتى فى ريعان الشباب ، يحطم الاصنام ويجادل من يعبدونها ، ومن بينهم أبوه !

« واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ، اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، ياأبت انى أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال : أراغب انت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى

ان هذه المناشدة تقوم على أساس متين من الادب العالى ، ومن القوة الخلقية ، ومن الايمان العميق ، وكل جملة من جملها تحمل توجيها قويا ، ومعانى شريفة .

وهى مع هذا كله مثال رائع لنضال صاحب المبدأ ، المؤمن به فى عفة قول ، وصدق حديث ، وأدب جدال .

وصورة ثالثة يعرضها القرآن الكريم ايضا فى سبيل ضرب المثل للشباب ، انها صورة فتية الكهف :

« انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض ، لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا »

ـ آمنوا بربهم : تلك اول صفة وصف بها هؤلاء الفتية ، والايمان بالله قوة دافعة موجهة تملأ القلوب ثقة وقوة ، وتهدى الى الرشد ، وتدفع مختلف عوامل اليأس .

ـ وزادهم الله هدى ، وتلك سنته فى خلقه « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »

ـ وربط على قلوبهم ، اى شدها بالعزيمة الصادقة التى لا تتزلزل ، ولا يضعف اصحابها

ـ وقد سبق قيامهم قولهم : « اذ قاموا فقالوا » ـ أى انهم فتية عمليون ، وليسوا مجرد قوالين دعائين .

ـ لاحظوا أن قومهم يتخذون من دون الله آلهة يؤثرونها على الله ، قد تكون أوثانا ، وقد تكون أموالا ، وقد تكون شهوات حقيرة وقد تكون جاها أو مناصب دنيوية فتركوا بيئتهم المنحرفة ، وفضلوا عليها سكنى الجبال والكهوف !

تلك أوصاف فتية الكهف الذين صور الله لنا أمرهم بهذه الصورة الرائعة من اعتناق القيم والايمان بالمثل .

وصور القرآن الكريم لنا صورتين أخريين متقابلتين أتم التقابل ، لصنفين من الشباب :

احداهما : الصورة المثالية التى يبتغيها الاسلام للشباب .

والأخرى : الصورة الممقوتة التى ينفر منها ، ويعمل على الا يبتلى المجتمع الاسلامى بها .

فتعالوا معى ـ أيها القراء ـ نعرض القرآن الكريم البليغ المتلىء بالاشارات والتوجيهات فى كل صورة من هاتين الصورتين

الصورة الأولى :

« ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين ، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون »

هذه هى الصورة الأولى :

وصية من الله للانسان باسم انسانيته أن يحسن بوالديه احسانا ، وتخصيص للام بالذكر لأنها أعظم فضلا عليه ، وأشد حاجة اليه ، والى أن تتمتع بحسن المعاملة منه ، وقد حملته كرها ، ووضعته كرها ، وقضت فى حمله وارضاعه ثلاثين شهرا .

بعد هذا يبدأ عرض القرآن لصورة الشاب اذا اكتمل ، وبلغ أشده ، ووصل الى ريعان شبابه - وهو سن الاربعين - فما شعوره فى تلك الحال ، وماذا يكون سلوكه ؟

انه يعرف ان له ربا ، ويعرف أنه يعيش فى نعمة هذا الرب العظيم ، ويتجه اليه فى دعاء خالص ، طالبا منه أن يبعثه على شكر نعمته ، وان يعينه على هذا الشكر - فهو مقر بنعمة الله عليه فى حياته ، وبنعمته على والديه من قبله - وان يبعثه كذلك الى العمل الصالح الذى يرضيه ، وان يصلح له ذريته فيرزقه بالأبناء والبنات الذين يكونون قرة عين له حين يراهم رجالا عاملين ، ونساء عاملات ، فى معترك الحياة ويعلن مع هذا انه منيب الى الله، مستمسك به على سبيل الاذعان والتسليم .

مثل هذا الصنف هو اللبنات القوية الصالحة التى يقوم عليها المجتمع الصالح وبهم تكون قوة الامة وعزيمتها ، ويكون صلاح أمر الاسلام ، وانتصار كلمة الحق .

والله تعالى يتقبل من هؤلاء أحسن ما عملوا ، ويجعله هو الميزان والمقياس الذى يزن به أجرهم ، **كما قال تعالى فى آية أخرى « ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون »** ، كما انه تعالى يتجاوز عن سيئاتهم لأن احسانهم غلب وغمر ، وقانون الرحمة الالهية يقول **« ان الحسنات يذهبن السيئات »**

الصورة الثانية :

« والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى ، وهما يستغيثان الله ، ويلك آمن ، ان وعد الله حق ، فيقول : ما هذا الا أساطير الأولين ، أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين »

شاب متعجرف ، يظن انه على شىء من العلم ، وأن والديه لا يعلمان ما يعلم ، فهما فى نظره مستمسكان بعقيدة قديمة بالية هى عقيدة البعث ليوم الحساب ، أما هو فمفكر حديث لا يسعه أن يقبل هذا القول ، ولا أن يؤمن به، وقد مرت القرون والاجيال من قبله، فهل هؤلاء جميعا سيبعثون فيلحان عليه بالنصح ، ويطلبان منه الايمان ، فيتضجر منهما ، ويتأفف ، وهما يستغيثان الله من جحوده وانكاره ، ويناديانه قائلين: ويحك أمن ان وعد الله حق فيقول مجيبا لهما فى سخرية واستهزاء ما هذا الا أساطير الأولين .

مثل هذا الصنف من الشباب هم الذين تبتلى بهم المجتمعات ، وتشقى بهم الأمم ، وليس جحودهم للبعث ، وانكارهم لقدرة الله الا وبالا عليهم وعلى مجتمعاتهم ، لأنهم بهذا الانكار والجحود سيتحللون فلا يعرفون حراما ولا حلالا ، ولا خيرا ولا شرا ، ولا يخشون عاقبة فعل فعلوه ، او اثم ارتكبوه ، وبذلك ينطلق منهم على الأمة جيش افساد ومنكرات ، وتتحطم بهم القيم والمثل .

وهذا الصنف هم الذين حق عليهم القول فى أمم التاريخ الخالية كلها : أنهم لا يؤمنون ،ولا يصلحون ، لان فى آذانهم وقرا ، وفى قلوبهم كبرا ، فهم جامحون ملتوون خاسرون

هذه صورة يضربها القرآن الكريم مثلا للشباب ، واننا لنجد فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مثلا عليا ما أجدرنا أن ندرسها وأن نقيس عليها امر الشباب فينا ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شبابه كما كان طول حياته مثلا أعلى للفضيلة ، والهمة ، والشجاعة ، والجود ، والتضحية والجهاد ، والغيرة على الحق ، والانكار للباطل، وكان عزيزا أبى النفس ، أقسم ذات يوم ألا يذوق طعاما ولا يشرب شرابا حتى يعمل بكد اليمين وعرق الجبين ، وكان ذلك فى موقف يقتضى منه الحفاظ على كرامته واتجر ، وسافر فى سبيل التجارة، وأخلص للمال الذى يتجر فيه ، وكان أمينا عليه،وعلى الناس فى شأنه ، حتى عجب غلامه ميسرة من أمانته **وكريم خلقه ، وسمعت بذلك خديجة فأحبته وخطبته هى لنفسها - على غير عادة النساء - فمن شاء ان يجد المثل الصالح للشباب ، والقدوة الكريمة التى يقتدى بها، فليلتمس ذلك فى سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى سيرة من رباهم محمد صلى الله عليه وسلم من آله وأصحابه ،**

في هذا الوقت العصيب ، الذى يوجب على كل مخلص لدينه ووطنه أن يكون كله يقظة تامة لكل ما يجرى حوله ، وأن يعمل جاهدا على محاربة كل ما يثبط العزائم ، أو يحاول نفث سموم تبلبل الأفكار ، وتغمز مقدساته الدينية بأسلحة متنوعة ، بين ظاهر مكشوف ، وخفى مستور ، وكذا من كل ما يساعد هؤلاء من جهل يوقع صاحبه فى شباك خصوم بلده من حيث لا يشعر ، فيروج معوقات الدفاع باسم الدين ، أو الاتكال على الأولياء ، والصالحين ، وغير ذلك من كل مفسد ، مهما كان صاحبه حسن النية ، فان الله لا يغفر له تضليل بنى وطنه عن سبيل الجهاد الصحيح، الذى طلبه سبحانه من عباده المؤمنين بكتبه ، ورسله •

ألم نسمع فى هذه الايام المشحونة بالمخاطر الحديث عن امرأة تقيم بالقاهرة الآن ، وتدعى الصلاح • والولاية ، تشيع بين الناس أنها رأت النبى – صلى الله عليه وسلم – فى المنام وأنها مدت يدها لتسلم عليه ، فمد لها يده اليسرى ، فلما سألته عن سبب ذلك ، قال لها – صلى الله عليه وسلم – **ان يدى اليمنى مشغولة باخراج اليهود من بيت المقدس ؟**

هكذا ، والله سمعتها فى القاهرة ، تدور فى شوارعها وأزقتها ، وبعد بضعة أيام ، ذهبت الى القناطر الخيرية ، فسمعتها من فضيلة الأستاذ الباقورى – مدير جامعة الأزهر – يقولها **وهو يضحك ويقول : انها غزتنا هنا منذ أيام • ولعلها الآن وصلت البحر الأبيض ، وتغلغلت فى أقاصى الصعيد•**

نعم ، والله حصل هذا فى هذا الوقت بالذات وأنا على يقين من أن اشاعة مثل هذا التخريف الفاتك بالأمة فى هذا الوقت ، **ما هى الا خدعة صهيونية ، لتحمل كثيرا من بسطاء المسلمين على عدم الاهتمام بالاستعداد لقتالهم ، اتكالا على أن النبى – صلى الله عليه وسلم – سيتولى اخراجهم ، وكفى الله المؤمنين القتال •**

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

رويدكم أيها الاوغال ، التى تحاول تحطيم شم الجبال الراسيات ، فلا ترجع الا بهشيم قرونها الواهيات

نقول فى هذا الوقت العصيب ، الذى يوجب على كل مؤمن أن يستعد أولا ، ثم يلجأ الى الله ثانيا ليعينه على عدوه ، والله سبحانه واسع الكرم ، يغيث من يلجأ اليه مخلصا له الدين ، ولو كان قبل شدته مشركا ، بل وهو تعالى يعلم أنه سيرجع الى شركه بعد انقاذه ، ما دام عند ضراعته اليه سبحانه نسى كل ما كان فيه ، وقصر دعاءه لربه ، قال عز وجل فى ذلك مخاطبا المشركين : « **ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما • واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا** » آيتى ٦٦ ، ٦٧ من سورة الاسراء ، وقال : « **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعو الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق ..** » آيتى ٢٢ ، ٢٣ من سورة يونس •

رب كريم ، هذا عطفه على من يلجأ اليه مخلصا له الطاعة ، يقول رجل طيب فى هذا الوقت العصيب : « انه يطلب من المتقرب الى الله أن يستحضر شيخه ، عند دخوله فى عمل من أعمال الآخرة ، كذكر ، أو قرآن ، أو عمل صالح » ؛ وأعمال الآخرة ، والعمل الصالح يشملان الصلاة طبعا ، ان لم تكن فى مقدمتهما •

يا لله للمسلمين .. !! حتى فى الصلاة التى أمر الله سبحانه المؤمنين أن يكونوا فيها خاشعين له وحده ، يخاطبونه فى خنوع وتذلل ، راجين رحمته ، راهبين عذابه ، ضارعين اليه أن يكشف عنهم ما نزل بهم •

عبادة هذه حالها ، يقول رجل طيب : انه يطلب فيها أن يستحضر المصلى شيخه .. !

عليك رضوان الله يابن ابى طالب ، ياسيد من عرف مقام ربه ، فقال : « **اذا أردت أن أناجى ربى فزعت الى الصلاة ، واذا أردت أن يناجينى ربى قرأت القرآن** » ، رضى الله عنك ياأمير المؤمنين ، يا من عرف مقام ربه ، ومن كانت روحه تذوب من عظمة خالقه ، ومع ذلك كان فى الحروب فارسها المغوار ، وأسدها الهصور ، لا يعتمد على أحد من دون الله •

فيا للعار للمسلمين اذا جهلوا سبيل هؤلاء المؤمنين ، وتواروا تحت جدران الجبن والكسل ، **متكلين على أن النبى - صلى الله عليه وسلم - هو الذى سيتولى اخراج اليهود من أرض الوطن السليبة،** أو منتظرين أن يتولى الدفاع عنهم الشيخ فلان ، والشيخ فلان من المقبورين ... !!

وهل يطمع الخصم الماكر الشرير فى أحسن من هذا الوهم والتخريف ؟ وكأننا لم يكفنا ما سجله **الجبرتى** بقلم ينطف ألما وحسرة على بعض آبائنا المصريين من الخزى والعار ، عند ما عولوا فى مقاتلة نابليون ، وقت أن دهم مصر ، ووصل الى ضفة النيل الغربية عند بولاق ، واذا بالمصريين يحشدون على ضفة النيل الشرقية أرباب الطرق ، يحملون أعلامهم ويدقون طبولهم ، ويجأرون بالذكر ، ظانين أن ذلك سيرد نابليون وجيشه على أعقابهم ، فلم يغنهم ذلك شيئا ، ودخل نابليون ، واحتل مصر ، **وما ذلك الا لأنهم تنكبوا الطريق الذى بينه لهم رسولهم الأكرم بأعماله فيما كان يخوض الحروب مظاهرا بين درعين ، (أى لابسا درعا فوق درع)** •

أيها المسلمون ، هكذا يحارب العدو ، لا كما فعل أجدادكم أمام حملة نابليون ، فاستمعوا الكلام ربكم : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » **ولا تتركوا هذا الارشاد السليم ، وتلجئوا الى أصحاب القبور ، بل فالجئوا الى الله القدير باخلاص ، فانه سبحانه يفرح برجوع عبده اليه ، كما يفرح الانسان بضالته اذا وجدها** ، وقد كرر على أسماعكم طلب الضراعة اليه ، فمن ذلك قوله مخاطبا نبيه الكريم ، صلى الله عليه وسلم : « **ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون • فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** » آيتى ٤٢ و ٤٣ من سورة الانعام •

فارعوا أيها المسلمون تعاليم دينكم ،وأتوا البيوت من أبوابها ، لا من ظهورها ، فان من لم يأتها من أبوابها كما أمره ربه لا يستطيع أن يلجها مهما حاول، ومهما أشقى نفسه •

ولهذه المناسبة أحببت أن أسجل هنا ما سبق أن كررته مرارا ، مما قد يساعدنا الآن على أن نرجع الى الله وحده ، مخلصين له الدين ، لعله سبحانه يكشف عنا هذه الغمة ، فأقول : من أدلة صدق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فى رسالته عن ربه ، عز وجل ، أن كل مطلع على كتاب الله الكريم وعلى سنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، يدرك بوضوح عنايتهما بعقيدة « التوحيد » وحرصهما الشديد على أفراد الله بالكمال فى عالم الوجود ، واستحقاقه وحده دون غيره من الموجودات تقديس المخلوقين له وعبادتهم اياه ، ولتفرده فى الكمال كانت ذاته الحق ، وقوله الوحى ، لا يشوبه خطأ ولا وهم .

وقد ظل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يجاهد جل حياته الشريفة فى سبيل عقيدة التوحيد، حتى أرسى أصولها ، ودعم بناءها ، وأحاطها بسياج قوى من قوله وعمله ، ولم يشغله شاغل عنها طول حياته ، ولم يصرفه عن تذكير المؤمنين ، والناس بها كافة ، صارف مهما عظم شأنه ، وأخذ من نفسه مأخذا قويا .

ذلك أن عقيدة التوحيد ، وحمل البشر على عبادة اله واحد ، أولى دلائل الصدق على أن صاحب الدعوة بها رسول الله حقا ، وعلى ان الدين القائم عليها دين الله صدقا ، فما كانت تقدسه البشرية أيام سيطرة الجهل ، والبدائية عليها ، من آلهة متعددة لم يكن الا وليد المصادفة أو انقيادا لعصبية تتصل بالبيئة أو الجنس بصلة . وما كان الشرك بعد ارسال رسل الله الا نتيجة لعناد الانسان ، أو غروره أو حرص بعض الخلق على استغلال بعضهم بعضا ، ممن يتملكه ضعف الشخصية ، أو يستهويه بعض متع الدنيا ، وكانت دعوة التوحيد أمارة صدق الداعى اليها ، على أنه رسول الله ، ودليل صدق الدين المؤسس عليها ، وانه دين الله لما تنطوى عليه من جملة مظاهر .

اولا ــ أن الداعى لذلك على هذا النحو لا يطلب لنفسه ميزة خاصة ، غير انه رسول الله ، ولا يطلب لنفسه تقديسا من التابعين لدعوته ، كما لا يطلب لقوله فى غير حدود الرسالة التى أمر بتبليغها الى الخلق عصمة مطلقة ، ولتصرفاته فى غير دائرة هذه الرسالة تنزيها عاما .

فعناية الداعى متركزة فى تبليغ رسالة الله ، ليس له وراء هذا التبليغ مطمع شخصى ، ولا هدف يجلب من تحققه له زخرف الحياة الدنيا ، من جاه ، ، أو مال ، أو سلطان .

وثانيا ــ ان حمل الجماعة البشرية على الاعتقاد باله واحد ، هو صاحب التدبير المطلق فى الوجود ، وعلى قصر العبادة عليه ، والطاعة له ، رفع لهذه الجماعة من ظلمة خرافات المصادفة ، وأساطير الزعماء ، الانسانيين فيها ، وتوجيه سديد لها فى الحياة تعمل على تثبيت فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاعائق لها من جهل بالواقع ، أو من تغرير انسان يحول بينها ، وبين أن تهتدى بنور الله الله فى عالمه .

وثالثا ــ ان هذا الاعتقاد نفسه يؤدى الى شعور الفرد المؤمن بحريته الفردية ، وكرامته الانسانية فى حدود وصايا الله ، من اوامر ونواه .

ووصايا الرب المعبود وحده ، الكامل كمالا مطلقا ، لا تنطوى الا على خير الفرد ، وخير الجماعة .

فرسالة الله الحقة تتجه اذن الى تعريف الافراد بقيمهم الذاتية ، وكراماتهم الشخصية ، ودفع استغلال الناس ، بعضهم لبعض ، وذلك لا يكون الا عن طريق نقل التقديس والعبودية من دائرة الانسان وعالمه ، الى من هو أرفع من الانسان ، ومن عالمه الى الذى خلقه فسواه ، وبالتالى عن طريق خلق روح المساواة بالكرامة الانسانية فى الجماعة البشرية .

ولان محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، كان رسول الله حقا ، لم يستهوه أن يرى من المؤمنين به ، وبدعوته ، نوعا من الاكبار لشخصه ، يسمو به عن منزلة الانسان ، وبعدم انقياده ــ لذلك كان وفيا

لدينه ، ولكتابه الكريم ، وآياته التى ينطق بعضها بقول الله العظيم :

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » آية ١١٠ من سورة الكهف .

كما كان شديد الحذر من كل خاطر يزين له متع الدنيا ، وكان يستغفر الله ، ويستعيذ به كل يوم مائة مرة ، كما جاء ذلك فيما رواه مسلم واحمد ، وغيرهما عن الأوزاعى ، فارجع اليه ان شئت فى تفسير ابن كثير لآيتى ٢٠٠ ، ٢٠١ **من أواخر سورة الاعراف .**

وكان يمقت هذا الاكبار غير العادى لشخصه ، ويدعو الى تجنبه ، خشية أن يؤدى الى ثغرة فى دين الله ، ينفذ منها الى هـذا الدين الحنيف **ما نفذ منها من قبل الى دين بعض الانبياء عليهم السلام ، مما خرج برسالته عن أن تكون رسالة الله الخالدة .**

لذلك بصر عليه السلام أمته بأمر هذه الثغرة ، وحذر وشدد فى التحذير من أن يجر تعظيمه الى الوقوع فى الشرك .

دخل عليه يوما رجل يرجف خوفا ، وهم بالوقوع على قدميه ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « رويدك يا هذا ، انما أنا بشر ، ابن امرأة اعرابية كانت تأكل القديد » (والقديد : هو اللحم المجفف يحفظ ليؤكل عند عدم وجود الطرى) ، يريد أنها كانت غير مترفة .

وروى البخارى عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : **« لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم ، فانما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله » .**

قال ابن حجر : وسبب قوله صـلى الله عليه وسلم هذا ، ما وقع من معاذ بن جبل ، فقد روى احمد فى مسنده عن معاذ بن جبل ، انه لما رجع من اليمن ، قال : **يارسول الله ، رأيت رجالا باليمن ، يسجد بعضهم لبعض ، أفلا نسجد لك ؟ » فقال ما تقدم .**

وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يكرر قوله : **« انما انا بشر »** كلما شعر بمبـالغة المؤمنين فى تعظيمه ، ولم يشغله عن التنبيه على خطر ما تؤدى اليه هذه المبالغة شاغل ما ، **وكيف يشغله شاغل عن ذلك ، وهو رسول الله ؟ لا يبغى الا أن يعيش لله فى حدود الرسالة ، ونطاقها ، لا يحتمل تعظيم موجود آخر سواه ، ربما يؤول تعظيمه الى الاعتقاد بمساواته به ، جل جلاله ، لذا كان ، صلى الله عليه وسلم ، حتى وهو فى سكرات الموت يؤكد بشريته ، ويحدد تبعا لذلك منزلته من الله الواحد ، الذى لا رب غيره .**

روى مسـلم عن جنـدب بن عبد الله ، قال : **« سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبل ان يموت بخمس يقول : « ان من كان قبلكم ، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك » .**

وفى رواية البخارى عن عائشـة ،وابن عباس ، قالا : **لما نزل** برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بهـا كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، (**ونزل**) الواردة فى حديث عائشة وابن عباس السالف ، بالبناء للفاعل والفاعل محذوف ، أى الموت ، والمراد : مقدماته ، وفى رواية بالبناء للمجهـول ، ويكون نائب الفاعل الجار والمجرور .

ذلك حال الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع نفسه ازاء ربه ، وجمـاعة المؤمنين به ، لم يدع شائبة غموض تعتور علاقته بخالقه ، فوضح أنه رسول الله ، وهو مع ذلك انسـان ، لا يسمو به

اختيار الله له الى أن تصـــير له قدسية الله ، وعظمته ، وقوله تعالى :

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ؟ »

آيتى ٧٩، ٨٠ من سورة آل‌عمران ، قوله تعالى هذا : من آيات رسالتـــه – صلى الله عليــه وسلم – التى حملها للناس كافة ، وكما أكد هذه العلاقة فى حياته الشريفة ، طلب أن يرعاها المسلمون بعده حتى لا يكون مصيرهم مصير النصارى واليهود ، بسبب ما حرفوا فى دين الله ، مما يتعلق بمنزلة أنبيائهم ، فاتخذوا قبورهم أمكنة للعبادة .

لكن المؤمنـون بدين ما ، من الاديان ، لا يبقى ايمانهم به على حال واحــدة ، ولا فهمهم له على نمط واحد .

ولو بقى ايمان الجماعة فى أصول الدين على حال واحدة ، وفهمها للدين على نمط لايتغير ، لما احتاج دين الله الى رسل يأتى الواحد منهم اثر الواحد ، ولما احتاج دين خاتم الانبياء والمرسلين الى تجديد الدعوة اليه ، كما نصح القرآن الكريم بقوله : **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »** آية ١٠٤ من سورة ال عمران .

فالدين فى أساسه واحـد لا يتغير ، وافهام المؤمنين به هى التى تتبدل ، وتتغـير ، حسب العوامل التى توحى بذلك من بيئـة ثقافيـة ، واجتماعية ، ومواطن جغرافية ، الى غير ذلك مما يؤثر فى اختلاف الناس ، باختلاف ميولهم ، واتجاهاتهم ، وقد ينكر الدين فى أساسه فهم بعض المؤمنين به بمبادئه ، أو لمهمتــه الرئيسية ، اذا اتسعت الفجوة بينهما ، ومقياس ذلك ان يبدو انحراف هذا الفهم عن أصول الدين ، التى بشر بها الرسول ، الذى اختاره الله لتبليغ رسالته ، صلى الله عليه وسلم ، واتباعه الذين صاحبوه فى المحن ، وضحوا بأنفسهم ، وأموالهم ، وأولادهم ، فى سبيل نصرته ، واعزازه .

فالمسلمون الذين يؤمنون بأن علم اللوح والقلم من علم الرسول الكريم ، ويرون أن الدنيا والآخرة من فضـل جوده ، صلى الله عليـه وسلم ، أو يعتقدون أنه كان يعـلم كل ما كان ، وما يكون ، يعكسون آية رسالته ، ويضعونه فوق الرسول ، ويشبهونه بالله ، أو يجعلونه شريكا له . وليس ذلك مما دعا اليه الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، فى تحديد منزلته ، كما أمره ربه ، وليس ذلك مما يستقيم مع مثل هذه الآية الكريمة « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

لكن هذا الذى يتنافى مع مثل هذه الآية الكريمة ، آمن به بعض المسلمين اليوم ، وبالامس ، وربما فى الغد أيضا ، وايمانهم به لا يزيد فى قدسية الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فحسب ، بل يجعل لقوله وعمله العصمة ، حتى ما كان منهمـــا خارجا عن دائرة رسالة ربه ، ويصبح محمد بن عبد الله بناء على ذلك ، ليس ذلك الانسـان المصطفى الذى اختاره الله لتبليغ رسالته ، بل يؤول أمره الى ما آل اليه أمر غيره ، حينما نظر اليه بعض اتباعه ، على أنه انسان حلت فيه روح الاله ، وأن له طبيعـة فوق طبيعة الانسان .

ومن الدعوة الى الخير التى طلبها القرآن الكريم : أن يكون فى كل جيل انسانى من يبين لخاصة المؤمنين قبل عامتهم ، أهداف الاسلام الرئيسية ، وفى مقدمتها علاقة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بالله جل جلاله ، وتحديد هذه العلاقة بالذات كما جاء بها القرآن ، كانت من الآيات الواضحة كما أسلفنا ، على أن الاسلام دين الحق لا دخل لانسان فيه ، ووجودها واضحـة فى جيل من أجيال المسلمين أمارة على أنهم لم ينحرفوا عن الاسلام الذى هو دين الله ، كما أن وجودها مشوهة فى جيل آخر علامة على أن هذا الجيل له من الاسلام اسمه فحسب .

(للبحث بقية)

من
توجيهات النبوة

الأمانة في العلم
ب
الحيطة في الفتوى

فضيلة الشيخ
عبد اللطيف السبكى

« ان أخوف ما أخاف على أمتى العلمـــاء المضلون » .

أجرأكم على الفتـوى أجرأكم على النار » .

(١)

١ ـ أحسب : أن النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ لايقصر كلامه على خصوص علماء الدين ، كمـا هو المتبادر شأننا من كلامه ..

ولكن الغرض الأعمق من هذا فى مقـاصد النبوة أنه يريد أهـل العلم عامة ـ سواء : أكان العـلم دينيا ، أم كان دنيويا .. فان العلم ـ على اختـلاف أنواعه ـ نعمـة موهوبة من الله لأناس من عباده .. فعلم الدين من طريق الوحى الى رسل الله ، ثم هو تراث عنهم بين علمـاء الدين فى أمتهم « العلمـاء ورثة الأنبياء » .

وعلم الدنيا كذلك نعمة موهوبة لأناس من خلقه : من طريق المواهب التى آتاهم ، وهيأهم بها للممارسة والمحاولات ، وابراز ما فى الطبيعة من أسرار مكنونة ، وان لم يكن هؤلاء الموهوبين أهل دين سماوى فانه علم يراد للدنيـا ، والدنيـا تتسع للبر والفاجر .

وكيفما كان العلم ، فهو نعمة فى ذمة أهله .. والنبى ـ صلى

الله عليه وسلم – يقف بنا أمام هذه النعمة موقف الهادى الى تقديرها ، وما ينبغى فى شأنها من أمانة فيها ، والتزام لهذه الأمانة فى تحصيل العلم وفهمه ، وفى تطبيقه ، وتبليغه .

لذلك جعل الله صفة الأمانةمن خصائص الرسل، كطبيعةلايمكنهم التحول عنها ، كما اختصهم بالصدق فى كل ما يبلغونه ، أو يتحدثون فيه .

وهذه الخصائص التى تتحقق فيهم على وجه الكمال ، دون سواهم من عامة الناس ، هى مضمون العصمة التى يكفلهم بها ربهم .. وهى مناط عقيدتنا الدينية فى رسل الله عامة .

فاذا قلنا بعصمة الأنبياء والرسل .. أو قلنا ان الامانة شعار من شعارات النبوة ، والرسالة – كان القصد تقرير الايمان بتنزيه الرسل عن مجاوزة الامانة فى قول ، أو عمل، أو توجيه للغير : من المؤمنين بهم ، ومن غير المؤمنين .

وما دمنا نؤمن ونعتبر المرسلين قدوة للامم ، وللافراد ، ونعلم ان الله فرض علينا أن نتابعهم فى كمالهم الخلقى وفى هديهم لنا ، فلنكن على وعى بأن الامانة شعار لنا ، وتكليف لايقبل الهوادة من ناحية التشريع ، ولا يأذن الله بالتسامح فيه من ناحية التطبيق فى مسالكنا .

٢ – وان كان حديثنا هذا جانحا الى الجانب الدينى : فما قصدت حبس الامانة على ناصية الدين وحدها وانما الحديث مفتوح .. وهو عالق بكل مايكون علما .. أو عملا .. أو معاملة .. وعالق بكل مايدور الانسان فى فلكه من شئون الدين ، أو الحياة . أو الاتجاهات التى تذهب بنا الى ناحية الدين ، أو الحياة عامة ..

واذا كان عنوان الحديث هو – الامانة فى العلم – فلان العلم هو المقود ، الذى يجذب الناس الى الصواب فى وجهاتهم، وأهدافهم .. وسلامة هذا المقود من الوهن تكفل حسن المتابعة له ، وتعصم من الحيرة فى سبل متعددة ، وأما من غير علم .. أو من غير أمانة فى العلم : فلا يكون شأنا يقام له وزن ، ولا نعتبره سبيلا ننحو نحوه فى مثل هذا الحديث .

ويكون ذلك النقص موتا أدبيا ، ونحن نتحدث عن الحياة ، لا عن الموت .

٣ – ولكيلا يتسع بنا القول نقف عند الحديث عن الأمانة ، ونقتطف من آيات القرآن ، ومن أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ما يزيدنا معرفة ، وتقديرا للأمانة فى تقويم الحياة الانسانية .

يقول الله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون))

فهذا خطاب ، ينهى عن الخيانة فى الامانات لله ، ولرسوله ، وهذه هى أمانات التكاليف الدينية التى شرعها الله ، وبلغها الرسول : من أحكام ، وآداب ، وما ينطوى فى ثنايا القرآن ، والسنة من تعاليم فكلها أمانات فى عهدتنا ، والقيام بها طاعة مأجورة .. والتقصير فيها خيانة مأزورة .. والنهى عن الخيانة فيها تبصير لنا بما وراء ذلك من جزاء وكذلك ينهى خطاب الله لنا عن الخيانات فى أماناتنا .. وهى مايكون بيننا من أموال ، أو عهود فى أعمال الخير ، أو مسئوليات تتعلق بالحكم ، أو السياسة ، أو نحو ذلك من شئون جماعية يتولاها المرء بحكم عمله فى الأمة .. مهما يكن عمله مطلق السلطان ، أو محدودا فى أضيق الأفق .. ولا جرم أن الامانة سياج الوقاية فى كل شأن .. فالخيانة غير مغتفرة عند الله .

وان زعمها الانسان هينة فى نظره فقد يكون لها من سوء العاقبة مالا يهون ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .. ويكون خطر الخيانة أشد بغضا عند الله اذا صدرت عن قصد . ففى هذا القصد جرم آخر .

وصيانة الأمانات شعار اسلامى فيما بين المسلمين ، وفيما بين المسلم ، وغير المسلم اذا كانت الأمانة عندنا لاتمس سياستنا ، ولا تجرح ديننا ، ولا يكون من ورائها أى هزر محتمل ، وحينئذ تكون أمانة مصونة عندنا كأمانات المسلمين ..

وديننا ينهانا عن الخيانة فيها، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم **((ان ديننا يأبى الغدر))** .

بل يحكم علينا الدين أن نؤدى الامانة الى صاحبها اذا حان موعدها ، أو نحتفظ بها حتى يحين موعدها ، والا نخون فيها ، ولو وجدنا من صاحبها خيانة لنا .. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم **((أد الامانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك))** لان

الامانة كما قلنا شعار اسلامى نحافظ عليه كمسلمين، ولانجارى غيرنا فى مسالك الخيانة .

والخطاب الذى معنا يتجه الى المؤمنين وحدهم – يا أيها الذين آمنوا – لأن المؤمنين هم المستجيبون لدعوة الله ، وهم الذين يتقبلون تكاليفه ، وهم الأولى بالتوجيه الى الكمال ، دون الكافرين المعرضين كذلك يقول الله تعالى **« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها »** .

فذلك تأكيد من جانب الله فى أمره لنا بتأدية الامانات الى أهلها .. وأهلها هم أصحاب المال : ان كانت مالا .. وأصحاب السلطان ان كانت أمانة مسئوليات فى الاعمال .. وهم أصحاب الحقوق من الرعية ان كانت شئونا مصلحية تناط بعمال الدولة فى وظائفهم .

فما يليق من موظف مؤتمن على عمله فى اطار الوظائف أن يتلكأ فى الانجاز ، أو يتطلع الى نفع ذاتى لشخصه من وراء قيامه بعهدته ، وما يليق كذلك بزوج أو زوجة أن يخون صاحبه .

وهكذا تجد رعاية الله تعالى للامانات بالغة مبلغها من الكمال ، وذلك لصيانة الحياة من المفاسد بوجه عام .

وأنت تجد للامانات تفاوتا فى خطرها ، وعظيم شأنها .. وكلما عظمت المسئولية كانت الخيانة أفحش عند الله .. ولأن الأمانة على وجه العموم من القواعد التى ينهض عليها شأن الامة .

جعل الله الانسان أهلا للتكليف بها فيما عهد اليه .. وعلمنا أن السموات والارض والجبال لم تكن أهلا لحمل الامانات ، لانها لا تعقل ، ولا تتصرف ، كما يعقل الانسان ويتصرف .

٤ – فاذا كان الانسان مكرما عند ربه بما ميزه من عقل، وادراك، فحق عليه أن يراعى الامانة فى كل شىء .. ولكن الانسان كان ظلوما لنفسه ، جاهلا بما ميزه الله ، وبما عهد اليه من أمانات **« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »** ذلك تصوير لامتياز الانسان بعقله ومواهبه على تلك المخلوقات العظيمة فى حجمها .. وتصوير لما فى عهدة الانسان من الامانات ، ولتساهله، وعدم اكترائه بصيانة الامانات ،

وعلى وجه الاجمال .. فليس فى الناس رعاية حقة لما بينهم من الامانات .. فلا يكون عجيبا أن تضطرب الحياة ، ويتفشى القلق وتضيق الصدور بما يحدق بنا من المكاره .

ولو رجع الناس الى دعوة الله، واستقاموا عليها فى دينهم ، وفى دنياهم لكان الحال غير الحال .. ولعل ذلك يكون بهداية الله ، وبالعبرة لنا فيما نلاقى من الاحداث التى تقطعت فيها وشائج الامانات، وانفرط فيها الوفاء بالعهود ، ونضب من الوجوه ماء الحياء .

ب – الحيطة فى الفتوى

٥ – ومما يتصل بالأمانة العلمية جانب الفتوى فى الدين

فالفتوى نفسها أمانة ، عهد الله بها الى أهل العلم ، وربما كان ذلك واجبا على أهل الاختصاص فى كل ناحية كالأطباء، والمعلمين والمرشدين فى الصناعات ، والفنون الخ

فكل أناس من هؤلاء يعتبرون أهل الذكر فيما يعرفون .. وقد كلف الله جماعات الناس وأفرادهم أن يرجعوا الى اهل الذكر ليسألوهم **عما يحتاجون (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)** وازاء هذا جعل الله كتمان العلم حراما ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، كاتم العلم ملعون .

وقديما أخذ الله العهد على أهل العلم أن يبينوه للناس ولايكتموه فصارت الفتوى فى كل علم حقا للسائل على المسئول

غير ان كلمة الفتوى راج استعمالها فى الفتاوى الدينية .. واعتاد الناس أن يتجهوا الى علماء الدين ليستفتوهم عن أحكام دينهم فيما لهم أو عليهم ، واثقين ان علماء الدين أمناء ، يرشدونهم الى الخير ويبصرونهم بالصواب ، وهذا مناط المسئولية على رجال الدين ، فان الناس سيركنون الى فتاواهم ، وسيقيمون عليها حياتهم .

لهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاطون كثيرا فى افتاء سائليهم فلا يجيب الواحد منهم الا بما يتأكد من صوابه أو بعد أن يتأكد ، ويتحرى من علم غيره : مضافا الى علمه هو كما كان النبى لايجيب الا بعد نزول الوحى عليه .

ثم جرى سلف العلماء من الأئمة على هذا التحرى فى دقة ، حتى كان بعضهم يحيل السائل على غيره خوفا على نفسه من الزلل فى الفتوى وهكذا كان أصحاب المذاهب يجهدون

انفسهم كثيرا فى البحث ، وفى التماس الحق ، حتى لايضلوا ولا يضلوا غيرهم من الناس بالفتاوى الخاطئة .

هذه ظاهرة عرفناها ، وعرفها التاريخ عن أوائلنا من علماء الاسلام وكم أسرفوا على أنفسهم فى عناء البحث ، والاسناد الى من سبقهم فى مجال التشريع .. وانها لظاهرة اختص الله بها أمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لاتجتمع أمته يوما على ضلالة .. كما دعا لها النبى بذلك ، واستجاب الله له .. وما كانت خلافات الأئمة فى مذاهبهم الا لونا من ألوان النشاط فى تحرير الأحكام ، وتمحيص النصوص ، حين يكون النص محتملا لأفهام متعددة فيجتهد المجتهد ويرجح بوسائل الترجيح ويختار ما يراه راجحا عنده .. وذلك هو الاجتهاد المشروع فى ديننا .

٦ ــ وفى عصرنا الجارى نجد ظاهرتين ــ احداهما : من ناحية الجمهور ــ والثانية : من جانب العلماء المفتين

فالجمهور ينشطون الى الاستفتاء .. ويشجعهم على ذلك أن الاذاعة تستقبل اسئلتهم .. وتوافيهم بالاجابة على السنة العلماء المفتين .. وهذا : الى جانب المجلات ، وندوات المناقشات العلمية الخ

والظاهرة الثانية ــ أن بعض المفتين يفاجئون الناس بأحكام متضاربة .. ولو كان اختلافهم فى الفتوى متابعة للائمة المجتهدين فيما اجتهدوا فيه ، لكان الخطب هينا ومقبولا ولكنها تخمينات شخصية واستباحة للفتوى فى غير تحفظ .

فبينما تسمع الفتوى ــ مثلا ــ بأن الصائم اذا أكل قبل غروب الشمس ثم ظهر له بقاء النهار كان صومه غير صحيح ، وعليه القضاء .. ولا حرمة عليه ، لأنه غير متعمد لهتك حرمة الصوم ، والنبى صلى الله عليه وسلم قال (عفى لامتى عن الخطأ) يعنى عفى عن (ذنب) الخطأ .. وكذلك لو أكل فى سحوره ، ثم ظهر له طلوع الفجر قبل طعامه : فصومه غير صحيح ، وعليه القضاء ولا ذنب عليه

تسمع هذه الفتاوى الصحيحة .. ثم تسمع مفتيا آخر يقول فى الحالتين : ان الصوم صحيح ، لأن المخطىء كالناسى ، فصومهما صحيح ولاذنب ، ولاقضاء .. وهذا خلط فى الأحكام ، وقياس للمخطىء على الناسى ، والناسى فقط هو الذى يصح صومه ولاقضاء عليه .. وكل منهما غير مؤاخذ على ما حصل

وبينما تسمع مفتيا يقول : ان وضع المال فى جهة مالية بفائدة مئوية يعتبر من قبل الربا المحرم : تسمع شيخا آخر يقول : أنا أرى ان هذا ليس من قبيل الربا ــ فذلك تهافت وجرأة ، حيث يفرض الشيخ نفسه مشرعا ، ويقول فى صفاقة: أنا أرى .. وهو يضلل المسلمين بفتواه الخاطئة غير حافل بوزره ..

وكان مما سمعناه أخيرا فى التلفزيون أن المونوكير على الأظافر لايمنع من صحة الوضوء ، لأنه يشبه الحناء ، وهى لاتمنع من صحة الوضوء هكذا .

وهذه أيضا أكذوبة فى الدين ، لايرضاه الله من غيره

فان الحناء لاتترك جرما يغطى الاظافر ، ولا بشرة لجسم ، وانما تترك لونا ، واللون لايتجمع منه شىء ، بخلاف المونوكير ، فانه يكون طبقة عازلة للماء عن الأظافر فلا يتحقق الوضوء

٧ ــ نعم : فى مذهب الامام مالك انه يعفى عن موضع الدبلة أو التسورة ، ويكفى مرور ماء الطهارة عليها وذلك ترخيص له أسبابه ــ وهى : أن مرور الماء من تحت الدبلة أو القسورة مظنون فيكفى هذا الظن ، ولا يكلف المرء بتحريك الخاتم

ومنها : أن تحريك الخاتم الضيق قد يكون فيه ايلام للانسان فدفعا لهذا الألم عفى عن تحريك الخاتم وما فى معناه

ومنها : ان الخاتم يعتبر حلية متعارفة منذ القدم ، يلبسه الكبير والصغير والرجل والمرأة كما تلبس

نرجو من السادة المشتركين سداد اشتراكات المجلة بحوالات بريدية حكومية ، باسم السيد السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ..

النساء التساور للزينة ، وتيسيرا على الناس جاز الاكتفاء بمرور الماء على الخاتم ونحوه .

ومنها أن موضع الخاتم أو التسورة يسير جدا ، فأمكن الترخيص فيه : دفعا للمشقة عن الناس .

وفى مذهب المالكية نفسه ان الحناء اذا تركت جرما يغطى جزءا من البشرة ، وجب ازالة هذا الجرم والا لم يتحقق الوضوء ولا الغسل فى الأحداث التى توجب الغسل

وعلى هذا يظهر الفرق بين الدبلة التى يتسامح فيها ، وبين الطبقة التى تتركها الحناء على الجسم فلا يعتبر المونوكير مقيسا على الدبلة والتسورة .. وانما هو فى بداهة الحق والعقل كالحناء شبها وحكما فقياس المونوكير على الدبلة دون الحناء قياس خاطىء ولو كان للقياس وجه من الصواب لمنع منه أنه قياس فى العبادات والقياس فى العبادات ممنوع شرعا ، مع ملاحظة أى المونوكير يستغرق أظافر اليد عادة فوضعه ليس يسيرا حتى يلحق بموضع الدبلة عند الذين يحاولون القياس برأيهم الشخصى واذا كانت الدبلة معتبره من الزينة الفاشية بين الناس ، فالمونوكير حلية عند أفراد أقلية من نساء المدن : لاعند الجميع ولا فى جميع الطبقات ، فالامر فيه لايستدعى التورط فى قياسه خطأ على غيره.

وتكون الخلاصة بعد هذه الأمثلة أن الجرأة على الفتوى خيانة للعلم وجريمتها كبيرة ، وليس فى اهل العلم الأمناء من يرضى لنفسه هذا الزلل .. بعد ان عرفنا قول النبى صلى الله عليه وسلم **(ان أخوف ما أخاف على أمتى العلماء المضلون)**

اليهود أشد الناس عداوة للمـؤمنين

قال الله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » .

والمعنى : انك اذا قصدت أن تعرف من أشد الناس عداوه للمؤمنين ، وتتبعت أحوال الطوائف طرا ، واحط بما لديهم خبرا ، وبالغت فى تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة ، وسعيت فى تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد عداوة للمؤمنين تينك الطائفتين : اليهود والمشركين - أكد الله هذا المعنى بلام القسم ونون التوكيد .

ولما وصف الله اليهود بتفوقهم فى العداوة لشدة غباوتهم ، وتضاعف كفرهم ، وانهماكهم فى اتباع الهوى ، وقربهم الى التقليد ، وبعدهم عن التحقيق ، وتمرنهم على التمرد ، والاستعصاء على الانبياء، والاجتراء على تكذيبهم والبعد عن مناصرتهم ، وقتل بعضهم ، واستحلال أكل أموال غيرهم بالباطل ، وتخلقهم بالكبر والعتو والاثرة والقسوة وما الى ذلك .

ولقد اشترك المشركون مع اليهود فى بعض تلك الصفات التى اقتضت العداوة للمؤمنين، وان كان اليهود فى عداوتهم أبعد وأشد ، ففى تقديمهم فى الذكر على المشركين تنبيه على تقدم قدمهم فيها ، واشارة الى اصالتهم وتمكنهم فيما وصفوا به وتبريزهم على المشركين فيه ، وأما ما كان من ضلعهم مع المسلمين فى البلاد المقدسة والشام والاندلس فانما كان لاجل أن ينفثوا ظلال عدلهم ، ويستريحوا ممن يضطهدونهم فهم لم يعدوا فى ذلك عادتهم ،ولم يتركوا ما عرف من شنشنتهم وهى الذاتية الجشعة، والانانية البشعة .

وقفة بروضة الفاروق

الدكتور
أحمد الحوفي

وخطوة أخرى يارفيق العمر لنقف امام روضة الفاروق الذى استطاع الاسلام ان يحوله من الد اعدائه الى مخلص حميم من أوليائه .

لكأنى به يمشى فى مكة حاملا سيفه متجها فى ضيق الى رسول الله الذى سفه آلهة قريش، وفرق كلمتها ، لينال منه فلما علم أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن المسيب قد اسلما ، انقلب اليهما حانقا، ولكنها لا تخشاه بل تجهر بالحق ، وتتعالى باسلامها على قوته وجبروته ، ثم لايلبث ان يقرأ من سورة طه حتى تهدأ ثورته ، وينفتح للاسلام قلبه فيسارع الى رسول الله ليعلن اسلامه ، فيفرح النبى والمسلمون ولم لايفرحون ، وقد صار من رجالهم حمزة وعمر ، وهما من صفوة الصناديد فى ذلك الحين .

ولكأنى به وقد هم بالهجرة ، فتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يديه اسهما ، ومضى قبل الكعبة وقريش بفنائها ، **فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على حلقات قريش حلقة حلقة ، وقال لهم : شاهت الوجوه لايرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمة أو يوتم ولده أو يرمل زوجته ، فليلقنى وراء هذا الوادى فما استطاع أن يتبعه احد .**

وقد صدق عبد الله بن مسعود فى قوله : كان اسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصرا ،وكانت امارته رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى فى البيت الحرام ، فلما اسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا .

يارفيق العمر ، هذا حوارى آخر من حواريى رسول الله ، خرجه فى مدرسته ، ورباه بالاسلام ، وقربه الى نفسه وكان يستشيره فى كثير من شئونه ، وكثيرا ما كان يشير عمر بالأمر ، فينزل القرآن الكريم موافقا لما أشار به ، ولهذا أثر عن **رسول الله قوله : عمر منى وأنا من عمر .**

كذلك كان أبو بكر يستشيره أيام خلافته ، ويحيل اليه الفصل فى القضايا .

لقد ناصر عمر الاسلام بدمه وماله كما ناصره أبو بكر ، وقد شارك الرسول فى غزواته كما شاركه أبو بكر .

قال صديقى : وهل كان شديدا حقا ؟

قلت كان شديدا على نفسه وعلى أهله وعلى ولاته وعلى الشعب فيما تجب فيه الشدة ، ولعله قد أدرك ببعد نظره وفراسته ان الحزم والحكمة والغيره على الاسلام تقتضى الشدة فى ارساء دعائم الاسلام ،وحمايته من الاهواء والنزعات والمطامع فى وقت اتسعت فيه الرقعة وانفتحت منافذ الدنيا ، ولهذا **قال بعد مبايعته بالخلافة :** انما مثل العرب مثل جمل أنف **– فى انفه برة يجذب بها – اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق .**

وقد بدأ عمر بنفسه ، فكان اذا أمر بشىء أو نهى عنه بدأ بأهله

فجمعهم وقال لهم : انى نهيت عن كذا وكذا ، وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم ،وأقسم بالله لا أجد احدا منكم فعله الا ضاعفت عليه العقوبة .

وكان يحرص على مال الدولة أشد من حرصه على مـــاله ،

استقرضته هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان أربعة الاف درهـــم فأعطاها ، ثم جاءت تشكوالخسارة فقال لها عمر : لو كان مالىلتركته لكنه مال المسلمين ، وهذه صفقة لم يغب عنها أبو سفيان ،فحبسه عمر - وهو من ســادات قريش ووالد معاوية - حتى ردتزوجته القرض كاملا .

كذلك كان شديدا على ولاته يخشى أن يرهبواالناس ويستذلوهم ويخشى ان يثروا من موارد الدولة ولم تمنعه عظمة بعضهم أو قوته أو سابقته فى الاسـلام من ان يحاسبهم ويعزل من تثبت عليـه الشبهة ويقاسمه ماله ، حاسب **عمرو بن العـــاص وأبا موسى الأشعرى وقاسمهما مالهما وعزل خالد بن الوليد عن امارة حمص، وقال له اخبرنى من أين لك هذا المال ؟ لأنه أجاز الأشعث بنقيس** بعشرة آلاف درهم ، فقال خالد : من الأنفال والسهام ، فقال عمر : والله لاتعمل لى عملا بعد اليوم ، وشاطره ماله ، وكتب الى الأمصار بعزله ، وقال ان الناس فتنوا به ، فخفت أن يعتمدوا عليه ، وأحببت ان يعلموا أن الله هو الصانع . أية عبقرية هذه التى سبقـت الزمن بأربعة عشر قرنا ، فسن عمر قانون (من اين لك هذا ؟) وطبقـه هذا التطبيـق الدقيـق العادل ؟

اننا الآن ياصديقى أمام روضة الفاروق الذى ضرب للناس أروع الأمثال فى العدل والجرأة فى الحق والمساواة بين الناس ، فلم يكن يخشى فى القيام بالحـــق لوما ، ولم يكن يحابى أحدا ، بل كان يخشى الله وحده ، ويتبـع الشرع وحده ، كان يقسم مالا على المسلمين فازدحموا عليه ، وأقبل سعد بن أبى وقاص مدلا بحسبه ومكانته فزاحم الناس حتىخلص الى عمر ، فماذا فعل عمر ؟ علاه بدرته ، وقال له : انـك أقبلت لاتهـــاب سلطان الله فى الأرض فأحببت أن أعلمك ان سلطان الله لايهابك .

وهو الى هذا الحزم متواضـع زاهد فى مظاهر الجاه ، فقـــد كان يدهن ابلالصدقة بالقار بيده وكان يحمل ديوان أعطيات خزاعة حتى ينزل قديدا فتأتيه خزاعة ، رجالا ونساء فيعطيهم فى أيديهم ثم ينزل عسفان فيفعل مثل ذلك.

ولقد أخذ عمر نفسه وأهلـه بالزهادة . والترفع عن اغـراء المادة فزهد فى المال ليزهدالناس فيه ، ولايتكالبوا عليه .

اصاب أرضا بخيبر ورسـول الله حى فتصدق بها على الفقراء وذوى القربى والأرقاء المكاتبين ، وأوصى بألا تباع ولا توهب ولا تورث .

وكان يبدو فى ملبس خشن وزى زاهد ، عجب منه الهرمزان اذ رآه ، فقد اسر المســـلمون الهرمزان قائد الفرس واحضروهالى المدينة فى هيئته وتاجه وكسوته فوجدوا عمر نائما فى جـانب المسجد ، فجعلوا ينتظرون انتباهه فقال الهرمزان : أين عمر ؟قالوا: ها هودا ، قال : فأين حرسـه ؟ قالوا : لاحارس له ولا حاجب ، فقال : ينبغى ان يكون هذا نبيا قالوا : انه يعمل بعمل الأنبياء . فلما استيقظ عمر قال : أهـذا الهرمزان ؟ قالوا : نعم ،فجعـل يكلمه .

فى جنايته وخيانته ، وجعـل الهرمزان يراوغ ويستأمن ،وطلب من عمـر أن يؤمنه حتى يشرب ، ثم ادعى أنه أمنـــه ، فعفا عنه ، فأسلم وأقام بالمدينة .

سلام الله عليك ياعمر ، لقد سمـــاك المصطفى فاروقا . لان اسلامك كان فيصلا بين الحق والباطل ، **بين القـوة والضعف ، وانك فى تاريخك كلـه لفاروق ، فقـد سننت للحـــكام أعظـم مايسنه حاكم من عدالة ومساواة ورحمة ويقظةواجلال للمنصب فى تواضع جم ، ورعاية لحقـــوق الله وحقوق الناس ولكن اليـد الفارسية السوداء نقمت منـك أنك أدلت دولة الفرسوأخضعتهم للعرب ، فكان مقتلك بيد فيروز فاجعة ، ولو أنك امتد بك العمر لحققت قولك : والله لئن بقيت فى الخلافه ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من مال الفئ وهو فى مكانه .**

فى تلك اللحظة كان موعدنا الى البقيع قد حان ، فحيينا رسول الله وصاحبيه ، وخرجنا فاتجهنا الى البقيع .

سورة العلق

عندما أراد الله
أن يفرق بين
النور والظلمة
دعا الرسول
صلى الله عليه وسلم
إلى العلم والقراءة

الأستاذ أحمد حسين

إقرأ باسم ربك الذى خلق
خلق الإنسان من علق
اقرأ وربك الأكرم .
الذى علم بالقلم
علم الانسان مالم يعلم
صدق الله العظيم

بدء نزول الوحي

حدثنا الزهرى عن عروة عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتي (غار) حراء فيتحنث فيه (أي يتعبد) الليالى ذوات العدد . ويتردد لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارىء . قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني ، فقال اقرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت ما أنا بقارىء . قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال :

- اقرأ باسم ربك الذى خلق
- خلق الانسان من علق
- اقرأ وربك الأكرم
- الذي علم بالقلم
- علم الانسان مالم يعلم .

قال فرجع بها ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال : زملوني ، زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال ياخديجة مالي ؟ وأخبرها الخبر ، وقال قد خشيت على نفسي . فقالت له كلا ، أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل . وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق

ثم انطلقت خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل وهو ابن‌عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى (وفى بعض الروايات - العبرانى) وكتب بالعربية (وفى رواية بالعبرانية) من الانجيل ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ، ابن أخى ماترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى . ليتنى جذعا ، ليتنى اكون حيا ، حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الاعودى . وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

بين الظلام والنور

ولاجدال أن نزول الوحى أول مانزل على رسول الله ، هو احدى لحظات التاريخ الحاسمة التى تفصل بين عهد وعهد ، وتختتم صفحة لتبدأ صفحة جديدة وتطرد جيوش الظلام ، ليعم الضياء الباهر يشهد على ذلك الانقلاب الذى طرأ على حياة البشر ، عندما تهاوت معاقل الطغيان ،وجحافل الظلم كما كانت تمثلهما أعتى امبراطوريتين تقاسمتا العالم بينهما وهما امبراطوريتا الروم والفرس ،فما هو ان اشرق نور الاسلام ، حتى كانت اعلامه وتعاليمه تهيمن على أرض الدولتين ، ناشرة مبادىء العدل والسلام والحرية والكرامة الانسانية ، على شعوب الأرض فى ذلك الزمان .

القرآن يشيد بلحظة نزول القرآن

وقد احتفل القرآن العظيم بهذه اللحظة الفارقة بين الظلمات والنور ، وأهاب بالسموات والأرضين ، ان تهتف بذكراها ، وان تحتفل بتاريخها وان تتلفت دائما أبدا صوبها . وهو يظهر لنا عظمة هذه اللحظة ، وخطورة هذا الحادث .

- انا انزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم . (الدخان ٣

ويشوق القرآن المؤمنين الى اجتلاء هذه اللحظة المباركة والتربص لموعدها من كل عام ، مصورا هذه اللحظة من الوجود أروع تصوير ، فى صورة قدسية يشع البهاء من كل حكمة من كلماتها ، وتشيع الموسيقى السماوية فى كل حرف من حروفها واقرأوا ولتقرأ معنا السموات والأرض ، والأزمان والدهور :

- أنا انزلناه فى ليلة القدر

- وما أدراك ماليلة القدر

- ليلة القدر خير من ألف شهر

- تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر .

- سلام هى حتى مطلع الفجر .

شهر القرآن - شهر رمضان

ويصل القرآن بقدسية هذه اللحظة الفارقة بين النور والظلام فيبارك الشهر الذى نزلت فيه .

ويجعل منه عيدا سنويا للمسلمين يتقربون اليه فيه بالصوم والعبادة ومختلف القربات شكرا على ماأنعم به على بنى الانسان :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) البقرة ١٨٥

ولا يعرف موقع ليلة القدر من شهر رمضان ، لكى يطول شوق المتعبدين ويجهدون أنفسهم فى تحريها والتطلع اليها ، وعندما سئل الرسول عنها على ما تروى بعض الأحاديث ، قال لمن سألوه : التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان .

العلم وبابه

وان الانسان الواعى ليكاد يخر صعقا عندما يحاول التعمق فى حقيقة هذه الآيات الخمس من أول سورة العلق ، حيث لخص الله سبحانه وتعالى حقيقة الكون وجوهر الوجود وسره فى كلمة واحدة وهى (العلم) ثم يزود الانسان بمفتاح هذا العلم ليكون خليفة لله على الأرض . وليس هذا المفتاح سوى القراءة

وكلما وصلت الى هذا القدر من التأمل ، لا أملك نفسى من ان أهتف ، أشهد أن الله حق ، وأن القرآن حق وان رسول الله حق ، فما كان لمحمد بن عبد الله اليتيم الأمى ، الذى اشتغل راعيا للغنم فى صباه ، وبالتجارة فى شبابه ، أن يكون هو صاحب هذا القول الكبير ، ان يكون هو الملخص للكون والوجود فى حكمة ، وأن يكون هو الذى لايعلم أكبر داعية

للعلم ، وهو الذى لايقرأ ، اكبر من أمر بنى الانسان بالقراءة

القرآن كله دعوة للعلم

وكما ذكرت من قبل أكثر من مرة ، ان قصار السور هى البذرة التى تفتحت منها سور القرآن الكبرى ، فان هذه الآيات من سورة العلق هى بذرة البذور ، وهى نواة النوى ، فهى اذ تهتف بالعلم تلخص جوهر القرآن كله ، وتعكس منهاجه فى الدعوة الى العلم وتشع بنوره

فما فى وصف لله فى القرآن الكريم يعلو وصف الله بانه عالم وعليم ، وأن هذا الكون والوجود انما خلق ويقوم على علمه ، وأنه ما من شىء فى الارض أو السماء الا وقد احاط الله به علما . وان الانسان لايكون انسانا الا بأن ينال حظا من العلم ولقد أحصيت بعض الآيات التى ورد فيها وصف الله بانه عليم فوجدتها تناهز المائة وخمسا وستين آية . وأحصيت الآيات التى ذكر فيها العلم فوجدتها قرابة اثنين وتسعين آية . ورأيت أن أحصى الآيات التى اشتملت على مادة (علم) ومشتقاتها من مثل أفلا تعلمون ، والعالمون ، فوجدتها تقرب من ٧٥٦ آية .

واذا كان الوحى قد بدأ أول ما بدأ بالدعوة الى العلم ، فان قصة خلق الانسان تبدأ أول ما تبدأ بالعلم كذلك .

(وعلم آدم الاسماء كلها)

والعلم هو أساس قدرة الانسان على الحرية والاختيار والارادة التى لايكون الانسان انسانا الا بها ، على ما بينا ونحن نعرض سورة (الكافرون) . وعن طريق العلم بنى الانسان وعمر وانشا ، وألجم مظاهر الطبيعة ، وروض بعضها الآخر لخدمته واستغل نواميسها لكى يسبح ويطير وينتقل من مكان الى مكان بسرعة الصوت ، وينقل صوته ويستقبل الصور بسرعة الضوء ، وهو يوشك أن يصل الى الكواكب والنجوم ، وهو فى ذلك كله انما يؤكد هذه الحقيقة الخالدة التى تهتف لها هذه الآيات : **الذى علم بالقلم ـ علم الانسان مالم يعلم .**

ولقد احتفى القرآن بالقلم اداة الكتابة كأعظم ما يكون الاحتفال فاقسم به الله وجعله عنوانا على سورة كاملة من سور القرآن :

ن والقلم وما يسطرون .

القرآن يرفع من شأن العلماء واذ كان هذا هو مكان العلم من الانسان ، فلا عجب اذا رفع القرآن شأن العلماء مكانا عليا ، ورفعهم درجات فوق الذين لايعلمون ، وقرنهم باسمه فى بعض الآيات .

ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (الزمر ٩)

ـ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم (يوسف ٧٦)

ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (العنكبوت ٤٣) .

ـ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك (النساء ٦٢)

ـ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط (آل عمران ١٨)

ـ وقل رب زدنى علما (طه ١١٤)

ـ وما أوتيتم من العلم الاقليلا (الاسراء ٨٥)

القراءة مفتاح العلم

وباب العلم هو القراءة ، القراءة بمعناها العام ، أى بالتأمل فى صفحة الكون من حولنا ، وقراءة كتاب الوجود بوجداننا ، والتفكر فى كل مايحيط بنا بعقولنا ، فى الشمس ، فى القمر ، فى الابل كيف خلقت والسماء كيف رفعت والجبال كيف نصبت ، والأرض كيف سطحت فى الليل فى النهار ، فى الرعد فى البرق ، فى المد والجزر ، فى الصحة والمرض ، فى الحياة والموت .

ثم القراءة بمعناها الاصطلاحى ، بمطالعة الخط ، ما خطه السابقون الأقدمون ، على الأحجار والآثار ، والأوراق ، وما يكتبه المعاصرون من ثمار تجاربهم ، وحصيلة معارفهم .

فلا سبيل للعلم بما كان ، وبما يجرى الا من خلال القراءة ومن هنا كان أول دعوة للقرآن نزلت على الأرض ، هى دعوة للقراءة ، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته بعد النبوة لا يحفل بشىء قدر احتفاله بالكتابة فقرب اليه الذين يكتبون ، وأصبحوا يعرفون بكتبة الوحى . وطلب من الصحابة أن يقيدوا بالكتابة ما يتلقونه من القرآن فقط ، حتى لا

يختلط القرآن بسواه من الكلام حتى لو كلام رسول الله نفسه

دعوة رسول الله للملوك بالكتابة

ويصل رسول الله صلوات الله عليـــه الى الذروة فى اظهار خطر القراءة والكتابة ، عندما يتوجه بدعوته ملوك الارض ورؤسائهـا الى الاسلام عن طريق الكتـابة فكانت هذه الرسائل المكتوبة الى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس وكانت هذه الرسائل المكتـوبة شيئا جديدا فى تاريخ العـرب . وفعل الرسول اكثر من ذلك وهو يطلب أن يضع له خاتم ليوقع به على هذه الرسائل ، والختـم أو الخاتم هو الفكرة الأساسية فى الطباعة ناشرة العلم والحضـارة فى عصرنا الحديث .

وعندما قدر لسيدنا محمـــد صلوات الله عليه أن ينتصر علـى المشركين فى موقعة أحد ، ووقـع فى يده عـــدد من الأسرى الذين أذاقوه وأذاقوا أصحابه الأمرين ، أظهر استعداده لإطلاق سراحهـم متى علم الأسير عشرة من أبنـاء الصحابة القراءة والكتابة .

وهكذا كانت حياة الرسـول كلها بعد البعثة ، تجاوبا مع أول مانزل عليه من القرآن وهو الدعوة الى القراءة باعتبارها المفتاح الذى يجعل الانسان انسانا .

ولا ينبغى أن يندهش باحث بعد ذلك أو مؤرخ ، وهو يتـــابع الحضارة الاسلامية وعظمتهـا ، وضخامة التراث العلمى الــذى أضاءت به الدنيا ألف سنة . ولا ينبغى أن يكد باحث نفسه خلف مايمكن أن يعيد المسلمين الى سابق مجدهم ، فما عليه الا ان يلـوذ بهذه الايات ـ العلم والقراءة كمفتاح للعلم .

المفسرون القدامى والعلق

يقول ابن كثير : أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمة . المباركة وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتـداء خلق الانسان من علقة ، وان من كرمه تعالى أن علم الانسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهـو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة . والعلم تارة يكون فى الأذهان ، وتارة يكون فى اللسان وتارة يكون فى الكتابة بالبنـــان (فهو ـ أى العلم) ذهنى ولفظى ورسمى ، والرسمى يستلزمهمـا من غير عكس ، فلهـــذا قـال **(اقرأ وربك الأكرم الذى علـم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم)** وفى الأثر قيدوا العلم بالكتابة وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم .

وهكذا لم يتكلم ابن كثير عن تفسير خلق الانسان من عـلق مكتفيا بترديد الآية على أنه شيء مفهوم .

اما البغوى فيقول فى تفسيره: من علق ، جمع علقة . ويقف عند هذا القدر .

وفى تفسير الجـــلالين : من علق جمع علقة وهى القطعـــة اليسيرة من الدم الغليظ .

حتى اذا وصـــلنا الى الشيخ محمد عبده وجدناه يقول لنا : العلق : الدم الجامد .

العلم الحديث يعلمنا مالم نكن نعلم .

حتى اذا جاء العلم الحديث ، وجاء معه المجهر (الميكرسكوب) كشف لنا مالم يكن يعرفه الاقدمون أو يطوف لهم فى خيال ، فهـذا السائل المنوى الذى نراه بالعين المجردة سـائلا أبيض ، ليس فى حقيقته الا ملايين العلق ، فكـل حيوان منوى يشبه العلقة أو هو العلقة . وهكذا يزيدنا العـلم **الحديث ، اكبارا للقـرآن ، وانه لتنزيل من رب العالمين، فهو وحده خالق الانسان من يعرف أنه يخلقه من علق .**

وتشع الايات الاولى من القرآن بنور جديد وهى تقرع آذاننـــا وتستقر فى وجداننا .

ـ اقرأ باسم ربك الذى خـلق

ـ خلق الانسان من علق

ـ اقرأ وربك الأكرم

ـ الذى علم بالقلم

ـ علم الانسان مالم يعلم

وصدق الله العظيم ، والحمد لله رب العالمين

أوائل الشهور القمرية
هل تثبت بالرؤية أم بالحساب ؟

المستشار على على منصور

تختلف أوائل الشهور الهجرية باختلاف مطالع الهلال فى البلاد الاسلامية وترتب على ذلك فى السنوات الأخيرة ان اختلفت مواعيد الأعياد والمواسم الدينية فهل من سبيل الى توحيد مواقيت العبادات فى جميع البلاد الاسلامية ؟ وما حكم الشرع فى ذلك ؟ سؤال كثر الجدل حوله فلنحاول الاجابة عليه وبالله التوفيق •

"يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج"

صدق الله العظيم

العبادات المفروضة فى الاسلام أربع اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت ولنسارع فنخرج الزكاة عن موضوع الحديث فليس لها موعد محدد وانما هى واجبة على كل من توافر اليه النصاب فائضا عن جميع حوائجه وحال عليه الحول •• فلا محل للخلاف فى وقت اخراجها •

أما الصلاة : فلا يمكن توحيد مواقيت أدائها • ولنضرب مثلا بصلاة الظهرفيبدأ وقتها عند زوال الشمس أى فى منتصف النهار ، أى نصف الوقت بين الشروق والغروب • ومعروف أن النهار فى نصف الكرة الأرضية يقابله نفس الوقت ليل فى النصف الآخر من الكرة الأرضية فمحال أن نفرض على سكانه أن يصلوا الظهر فى منتصف الليل بغية توحيد الميقات •• الشرع والعقل يأبيان ذلك •

أما الصوم والحج : فهما مدار الحديث ومنشأ الخلاف حول مواقيتها راجع الى اختلاف مطالع الاهلة فى مختلف البلاد • فشهر الصوم هو رمضان يبدأ بميلاد هلاله وينتهى بميلاد هلال شوال والخلاف بين مطلع الهلال فى مراكش مثلا وهى فى أقصى الغرب وبين اندونيسيا فى اقصى الشرق لايزيد على تسع ساعات وقد يرى الهلال فى احداهما دون الاخرى أو قبلها تبعا لاختلاف افق كل منهما • وقد يولد الهلال فى بلد ما ولكن تتعذر رؤيته بالعين المجردة أو حتى بالتلسكوب لوجود غيوم وسحاب ولذا أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين فى بقاع الأرض المختلفة الى الطريقة المثلى لتحديد بدء الصوم أى بدء شهر رمضان فقال : **(صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما)** ولذا درجت البلاد الاسلامية المختلفة على التماس رؤية هلال رمضان فى ليلة الثلاثين من شعبان أى فى مساء ٢٩ شعبان •

وفرع فقهاء الاسلام على ذلك انه اذا رأى الهلال اثنان عدلان وناقشهما قاضى البلد أو حاكمها واقتنع بما قالا أعلن بدء رمضان• أما اذا لم يقتنع ولم يحكم فلمن رأى الهلال أن يصوم وكذا من يصدقه •

ونظرا لانعدام وسائل المواصلات فى الماضى حيث لم يكن برق ولا تليفون ولا اذاعة كان كل بلد وكل قطر يصوم ويفطر وفقا لرؤية الهلال فى أفقه • ويروى عن ابن عباس قوله انه قدم عليهم بالمدينة من كان بدمشق وأخبر انهم رأوا الهلال فى اليوم السابق على اليوم

الذى رؤى فيه بالمدينة وصام كل قطر وفق ماثبت لديه من رؤية ولم ير الصحابة فى ذلك شيئا .

أما الآن وأصبح من اليسير نقل أخبار الرؤية من مختلف البلاد الى بعضها البعض فى أقل من ساعة بواسطة التليفون أو الاذاعة فقد كثر الجدل حول امكان توحيد بدء صوم رمضان ونهايته وكذا بدء شهر ذى الحجة بغية توحيد وقت هاتين الفريضتين الصوم والحج ؟ أم لا ؟ وهو ماتحدث فيه الفقهاء قديما .

ومناط البحث أمران لا ثالث لهما :

أولهما : ماحكم الشريعة الاسلامية فى اختلاف مطالع القمر ؟ وهل يعتد بهذا الاختلاف فى اثبات أوائل وأواخر الشهور العربية ومن ثم يترتب على ذلك اختلاف البلاد الاسلامية فى صومها وفطرها وحجها أم أنه لا اعتبار ولا اعتداد لاختلاف مطالع القمر فى اثبات وتحديد الشهور العربية فيمكن توحيد البلاد الاسلامية وجمعها على مواقيت واحدة ؟

ثانيهما : هل يعول على الحساب الفلكي فيجعل مناطا لاثبات الشهور رغم عدم رؤية الهلال أو يؤخذ به كوسيلة مساعدة للتحقق من صدق شهود الرؤية أو أن الحساب الفلكى لايعتد به من الناحية الشرعية فى كلا الحالين ، ولابد اذا من التعويل على رؤية الهلال وحدها سواء بالعين المجردة أو بالآلات المكبرة والمقربة (تلسكوب) ؟

عن الأمر الأول يرى الحنابلة عدم اعتبار المطالع القمرية فى الأحكام الشرعية أى عدم الاعتداد باختلاف تلك المطالع ويقولون أنه اذا ثبت الشهر فى بلد من البلاد الاسلامية عم حكمه سائر البلاد التى نقل اليها بطريق صحيح ، دون حاجة الى حكم يصدر من حاكم البلد التى لم ير فيها الهلال .

وهذا الرأى هو المعمول عليه عند المالكية والحنفية وهو مذهب جماعة من الشيعة الامامية والزيدية أما الشافعية فيعتدون باختلاف المطالع القمرية ، ولكن يوافقون من سبقوا فى حالة ما اذا نقل خبر ثبوت الرؤية فى بلد ما الى قطر آخر فاقر حاكمها أو قاضيها ثبوت الشهر لأن حكم الحاكم يرفع اختلاف المطالع .

والخلاصة أن مذاهب أهل السنة الأربعة ومذاهب بعض أئمة الشيعة متفقة على أنه اذا ثبت الشهر لدى أية حكومة اسلامية ، ونقل هذا الثبوت الى سائر البلاد الاسلامية الأخرى فاقرته حكوماتها ، فانه يعم حكمه رغم اختلاف مطالع الهلال

والرأى عندى أن يجمع المسلمون على عدم الاعتداد باختلاف المطالع توحيدا لمواقيت الصوم والفطر والحج وغيرها من مواسم الأحكام الشرعية اتباعا لقول الله تعالى **(وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون)**

أما عن الأمر الثانى وهو مدى امكان التعويل على الحساب الفلكى فنقول :

أولا : يعتمد التقويم الهجرى على الشهور القمرية وأول المحرم من السنة الأولى للهجرة هو يوم الجمعة الموافق ١٦ يوليو سنة ٦٢٢ وذلك وفقا للتقويم اليوليانى .. والسنة الهجرية اثنى عشر شهرا بنص الآية والشهر القمرى هو الفترة الزمنية بين ميلاد هلالين متتاليين وتبدأ هذه الفترة فى لحظة اجتماع الشمس والقمر على طول واحد عند الاقتران ويمكن معرفة هذه اللحظة بما وصل اليه علم الديناميكا (علم الحركة) من قواعد حسابية حديثة مقررة . وقد تحقق العلماء من ذلك بشأن حركة الأرض والشمس والقمر فى آخر القرن الماضى بفضل المخترعات الحديثة وأصبحت حقائق علمية لايعتورها ادنى شك بحيث يمكن الجزم بوقت ميلاد القمر فى مختلف الآفاق ولسنوات مقبلة .

أما رؤية الهلال بالعين المجردة أو بالأجهزة المقربة (تلسكوب) فانها قد لاتتيسر فى جميع الأحوال والظروف . فقد يحدث أن يغرب الهلال فى وقت غروب الشمس فيطغى ضوء الشمس على القمر وقد يغرب الهلال بعد غروب الشمس بفترة وجيزة وهو مايسمى بفترة المكث القصيرة .

ثانيا : العلوم الحديثة والقديمة تعتمد فى تحديد الشهور العربية الهجرية على طريقتين والفارق بينهما فى متوسط الشهر الهجرى القمرى ٨ر٢ ثانية فى كل سنة بمعنى أن هذا الفارق اذا تراكم لايكون يوما واحدا الا كل ٣٤٠٠ سنة قمرية فى حين أن الحساب فى التقويم الجريجورى الميلادى فى الشمس يجعل هذا اليوم يتكون كل ٤٠٠ سنة ميلادية مما يقطع بأن الحساب الفلكى القمرى أدق وأهدى سبيلا مصداقا لقول الله تعالى **(وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)**

والطريقة الاولى هى طريقة الحساب الفلكى القمرى وقد اعترف به دوليا ومتوسط الشهر القمرى فيها هو ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و ٨ر٢ ثانية وهى تنص على المواقيت الفعلية لميلاد الهلال خلال السنة الميلادية .

والطريقة الثانية : تعتمد على التعداد وتتخذ متوسط الفترة الزمنية للشهر القمرى اساسا لها والفرق بينهما طفيف كما ذكر ويمكن التعويل على احداهما دون التعويل على الحساب الفلكى الشمسى الجريجورى .

ثالثا : النصوص الشرعية الاسلامية فيها الكثير مما يساعد **على التعويل على الحساب الفلكى** القمرى لتحديد الشهور العربية الهجرية الى جانب رؤية الاهلة وفيها مايجيز الاعتماد على الحساب الفلكى وحده .

أ ـ الآية الشريفة : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) .

ولما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم رمضان وكيفية تحديده قال الحديث التالى :

ب ـ الحديث الشريف : (أنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) وفى رواية فى مسلم **(فان غم عليكم فاقدروا له)** فظاهر نص الحديث قد يدل على أن علة الالتجاء الى وسيلة رؤية الهلال هى كون الأمة العربية اذ ذاك كانت امية لاتعرف الحساب (أى علم الفلك) والقاعدة الشرعية ان العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما فاذا ماأجمع علماء الفلك من الطبيعة الجوية وعلم الحركة من المسلمين على أن المخترعات الحديثة وما تعلموه من حسابها يمكنهم من تحديد مواعيد ميلاد الهلال طول العام الهجرى مقدما بل ويمكنهم تحديد ذلك لفترات طويلة متكررة كل منها ثلاثين عاما وجب الأخذ بتلك الوسائل

جـ ـ ولعلّ ما حمل بعض علماء الشريعة فى الماضى على عدم التعويل على الحساب الفلكى فى علم النجوم عدم المعرفة وعدم التحقق من دقته ثم ظاهر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم **(من أتى كاهنا أو منجما فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)** والمقصود من الحديث هو عدم تصديق مايزعمه الكهان والمنجمون من معرفة المستقبل والغيب عن طريق الادعاء بمعرفة أسرار النجوم ، لان القرآن الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ينص صراحة على ان الله سبحانه وتعالى اختص بعلم الغيب وأوحى الى رسوله آيات كثيرة فى هذا الصدد منها **(ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء)** ويذهب الى هذا الرأى الامام تقى الدين السبكى الشافعى حيث قال فى حاشية الطحاوى على كتاب مراقى الفلاح ص ٣٤١ المراد بالحديث من يخبر بالغيب أو يدعى ذلك فمصدقه كافر، أما أمر الاهلة فليس من هذا القبيل اذ معتمدهم فيه الحساب القطعى ، فليس من قبيل الأخبار بالغيب أو الادعاء بمعرفة الاثرى ،قوله تعالى : **وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) .**

د ـ معنى لفظ الرؤية فى الحديث (صوموا لرؤيته) ليس المقصود منه الرؤيا بالعين بل المقصود التحقق من أى طريق وكثير من الآيات القرآنية يورد الرؤية بمعنى العلم واليقين **(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم ....)** والمحقق أن الرسول لم ير بعينه حادثة الفيل لانها كانت عام مولده فالمعنى الم تعلم يامحمد علم اليقين مما سمعته فى عصرك من حادثة الفيل .

ويؤيد ذلك ماورد فى ص ٣٧٤ من حاشية الشروانى على تحفة ابن حجر نقلا عن البصرى مانصه (فان ظاهره الاكتفاء بالعلم ؛ لأن العلم هو المراد بالرؤية فى النص ووجهة المصنف فى ذلك معقولة اذ الرؤية مطلوبة للعلم بالهلال، فمتى حصل العلم بغيرها حصل المقصود شرعا)

هـ ـ والشافعية يأخلون بالوسائل العلمية فى اثبات الهلال فيقولون (الحاسب الذى يحسب للاهلة بحساب الفلك متى اثبت الهلال وجب عليه الصوم وعلى من يصدقه ؛ والحاسب يعتمد على منازل القمر وتقدير سيره) ص ٣٠٧ حاشية الشيراملى وفى الصحيفة نفسها نقلا عن ابن قاسم على تحفة ابن حجر يقول (وعمل الحساب شامل للمجالات الثلاثة ، وجود الرؤية وعدم وجود الرؤية مع امكانها ، وعدم الرؤية مع عدم امكانها .

و ـ ومن الاحناف من قال بذلك أيضا وهو محمد بن سلمة (قول أهل الحساب بعد أن يتفق جماعة منهم على ذلك يعتبر ، وقيل يعمل بقول أهل الحساب مطلقا قلوا أو كثروا) حاشية الطحاوى ص ٣٤١ والثابت الآن أن الحساب الفلكى القمرى بطريقتيه معتمد من جميع الدول وجميع علماء الفلك .

والخلاصة : **ان النصوص الشرعية تجيز التعويل على الحساب الفلكى القمرى فى كل ماذكر وبذا يمكن توحيد مواعيد الصوم والحج وغيرها فى جميع البلاد الاسلامية ووسيلة ذلك أن تتفق الدول العربية والاسلامية على اتخاذ افق بلد معين أساسا للرصد والحساب الفلكى مثل مكة أو المدينة أو القاهرة لتوسط كل منها بقية البلاد الاسلامية .**

القصد الجنائى فى جريمة القتل العمد

بين الشريعة الإسلامية والقانون

القتل العمد جريمة عمدية يلزم لقيامها من الناحية القانونية الى جانب فعل الاعتداء قيام القصد الجنائى لدى المعتدى ومعناه فى فقه القانون انصراف الارادة نحو تحقيق وضع اجرامى معين مع العلم بحقيقته الواقعية وبماهيته الاجرامية وهذا يعنى فى عبارة أخرى أنه يجب أن يثبت كيما يكون الشخص قاتلا عمدا أن يكون ازهاق الروح نتيجة لنشاطه الارادى وانه وهو يباشر هذا النشاط كان عالما بأنه يسعى بفعله الى ازهاق روح انسان حى

فالقصد الجنائى اذن يقوم على عنصرين ، عنصر الارادة وعنصر العلم ـ العلم بالواقعة والعلم بأن القانون يعاقب عليها مع التنويه فى هذا الصدد بأن العلم بأحكام القانون علم مفترض أما الحديث عن الارادة فقد اتجه الفقه القانونى بشأنها اتجاهين : اتجاه يقوم على اشتراط توجيه الارادة نحو ازهاق الروح واتجاه اخر يقوم على فكرة أن مجرد الاعتداء العمد مع تصور حصول النتيجة وهى ازهاق الروح يكفى لتحقيق القصد الجنائى فى القتل العمد وهذا الاتجاه على ماسنرى له أصله الثابت فى الفقه الاسلامى .

أما الاتجاه الاول : ويقوم كما أسلفنا على فكرة توجيه الارادة نحو ازهاق الروح بمعنى أن الجانى يريد الاعتداء ويبتغى به تحقيق نتيجة وهى ازهاق الروح وهذا هو مذهب المدرسة التقليدية ورأى الغالبية من فقهاء القانون فى مصر وعلى مقتضاه تصدر جميع أحكام القضاء ـ فيرون ان الشخص كيما يكون قاتلا عمدا لا يكفى أن يكون قصد مجرد الاعتداء على المجنى عليه بل يجب فضلا عن ذلك أن يكون قصد ازهاق الروح أما الاعتداء العمد مجردا عن قصد ازهاق الروح فلا تقوم به الا جريمة الضرب المفضى الى الموت وهى جريمة أخرى فى القانون يقابلها فى الشريعة الاسلامية جريمة القتل شبه العمد . ومن ثم اذا اعتدى انسان على آخر عمدا بأى وسيلة من وسائل الاعتداء ولم يكن وقت الاعتداء قاصدا ازهاق روحه ومات المعتدى عليه فالجريمة فى القانون تعتبر ضربا أفضى الى موت بغض النظر عن الوسيلة المستعملة فى الاعتداء حتى ولو كانت بطبيعتها قاتلة كالسكين أو البندقية وعلى العكس من ذلك اذا توفرت لدى الجانى نية ازهاق

الروح وقت الاعتداء فهو مرتكب لجريمة القتل العمد بغض النظر عن الوسيلة المستعملة فى الاعتداء حتى ولو كانت بطبيعتها غير قاتلة كالعصا أو حتى مجرد الضرب باليد ، وفى ذلك تقول محكمتنا العليا (انه لما كانت جريمة القتل العمد تتميز عن غيرها من جرائم التعدى على النفس بعنصر خاص هو انتواء الجانى عند مقارفة جرمه قتل المجنى عليه وازهاق روحه وكان هذا العنصر ذا طابع خاص يختلف عن العنصر الجنائى العام كان على المحكمة ان تعنى عناية خاصة فى الحكم بادانة متهم فى هذه الجناية باستظهار هذا العنصر وايراد الأدلة المثبتة لتوافره)

ويعتبر فقهاء القانون نية ازهاق الروح من قبيل القصد الجنائى الخاص وهو يختلف عن القصد الجنائى العام الذى يتحقق بمجرد الاعتداء العمد .

وهذا الاتجاه ــ القول بضرورة

المستشار
أحمد موافى

انصراف النيه وقت الاعتداء الى ازهاق الروح كيما تكون الجريمة قتلا عمدا ــ يرى البعض من شراح الفقه القانونى الاسلامى انه هو مذهب الجمهور من ائمة المسلمين مدللا على ذلك بما ورد فى بعض كتب الحنفية والشافعية والحنابلة من تفرقة بين القتل العمد والقتل شبه العمد ذلك أنهم وان خلت ابحاثهم عند الكلام فى جريمة القتل العمد من الكلام فى نية ازهاق الروح الا أنهم عند الكلام عن القتل شبه العمد جعلوا مناط التفرقة بينه وبين القتل العمد فى توفر قصد القتل .

(١) ففى الفقه الحنفى قال الزيلعى بأن القتل العمد هو تعمد الفعل بما يقتل غالبا من وسائل معدة للقتل دون أن يتكلم عن قصد القتل غير انه عندما تكلم عن شبه العمد قال بأنه تعمد الضرب بما لايقتل غالبا وأنه سمى بشبه العمد لأن فيه قصد الفعل لا القتل .

(٢) وفى الفقه الشافعى قال صاحب المذهب بأن القتل العمد هو قصد الاصابة بما يقتل غالبا ثم قال وهو يعرف شبه العمد بأنه قصد الاصابة بما لا يقتل غالبا . واضاف انه لا تجب فى شبه العمد عقوبة القتل العمد لأن الجانى لم يقصد القتل .

(٣) وفى الفقه الحنبلى قال صاحب المغنى بأن القتل العمد يقوم على الضرب بما يقتل غالبا . أما شبه العمد فيكون بالضرب بما لا يقتل غالبا ، ثم عقب بأنه شبه عمد لأن المعتدى قصد الضرب دون القتل .

وكذلك قال صاحب الاقناع فى القتل العمد بأن الشخص يقتل قصدا بما يغلب على الظن موته به

(٤) كذلك أشار الفقهاء فى كلامهم عن العقوبة المقررة للقتل العمد الى شروط القصاص ومن بينها أن القاتل يجب أن يكون متعمدا القتل قاصدا اياه .

وعندى أن هذا الاتجاه ــ الذى يقول باشتراط توافر نية ازهاق الروح لدى الجانى وقت الاعتداء ليس هو رأى فقهاء المسلمين بل الرأى عندهم فى اعتقادى هو ماقال به أصحاب الاتجاه الثانى على ماسيلى البيان .

ذلك ان الاتجاه الثانى ويقول به فقهاء القانون الألمانى كما اعتنقه بعض فقهاء القانون فى مصر يقوم على فكرة التصور فى القصد بمعنى أنه يكفى أن يكون الجانى قد أراد الفعل العمد وتصور نتيجته فيعتدى مثلا بآلة قاتلة وفى موضع قتال من جسم المجنى عليه وهو متصور أن الاعتداء بمثل هذه الآلة وفى مثل ذلك الموضع من الجسم يؤدى الى ازهاق الروح ورغم ذلك يمضى فى اعتدائه .

ويزيد أصحاب هذا الاتجاه بأنه ليس ثمة سند فى القانون يبرر القول باشتراط نية ازهاق الروح عند الاعتداء حتى تتحقق جريمة القتل العمد ذلك أن كلمة عمدا التى وردت فى النص القانونى الخاص بجريمة القتل العمد لاتعنى مطلقا ضرورة توفر تلك النية وانما تعنى مجرد توافر العمد (القصد العام) الذى تتميز به جريمة القتل العمد عن القتل باهمال وكل مافى الأمر أنه يجب النظر الى نوع الاعتداء الحاصل على الانسان وبه يمكن التمييز بين القتل العمد والضرب المفضى الى الموت فالاعتداء فى الحالة الأولى يعتبر اعتداء على الحياة والاعتداء فى الحالة الثانية يعتبر اعتداء على سلامة الجسم . ولتذليل الصعوبة فى هذه الخصوص نضرب مثلا بشخص ينسف باخرة فى عرض البحر وكل غرضه أن يحصل على عوض التأمين أو يحرق طائرة فى

الجو لمجرد الانتقام من شركة منافسة دون أن يبتغى من وراء فعله قتل الركاب والملاحين بل لعله يتمنى وهو يقدم على هذا الفعل لهم السلامة والنجاة بمعنى ان نية ازهاق الروح لم تكن هى التى تدفعه الى الاقدام على فعله غير أنه رغم انعدام هذه النية لديه متصور أن فعله يؤدى اليها .

لاشك أن مثل هذا الشخص يعتبر قاتلا عمدا تجب فيه عقوبة القتل العمد اذا مات احد من الركاب أو الملاحين .

وهذا معناه أن علم الجانى أو بالأحرى تصوره للنتيجة تجعل النتيجة مرتبطة بما أقدم عليه من عدوان ويكون اسناد القتل اليه مرده الى العلم أو التصور وحده مع أنه غير راغب فى النتيجة التى أدى اليها فعله .

وفى تقديرى أن هذا هو النظر السليم لأنه يجب عدالة أن يوضع فى كفتى ميزان من يمارس النشاط من أجل تحقق نتيجة معينة ومن يمارسه وهو متصور أن النتيجة لازمة له فمن يضرب انسانا بسكين ابتغاء قتله مثله تماما من يطعن ذلك الانسان بالسكين فى موضع القلب وهو عالم ومتصور ان هذه الطعنة تؤدى الى موته ولو لم يبلغ هذه النتيجة .

وهذا الاتجاه مصدره فى الواقع رأى أئمة المسلمين (أبى حنيفة والشافعى وأحمد) ذلك أنهم نظروا فى القتل العمد الى الوسيلة المستعملة فى الاعتداء وميزوا بها بينه وبين القتل شبه العمد (الضرب المفضى الى الموت) وقالوا بأنها ثلاثة أنواع نوع يقتل غالبا كالسيف والسكين والبندقية ونوع يقتل كثيرا ولايقتل غالبا كالعصا ونوع يقتل نادرا كاللطمة واللكزة وارتأى الشافعى وأحمد أن القتل العمد لايكون الا بوسيلة تقتل غالبا فان كانت مما لا يقتل غالبا وكانت فقط مما يقتل كثيرا أو تقتل نادرا كانت الجريمة قتلا شبه عمد .

وارتأى أبو حنيفة كيما تكون الجريمة قتلا عمدا أن تكون الوسيلة مما يقتل غالبا وان تكون فضلا عن ذلك مما أعد للقتل وهى عنده كل آلة جارحة أو طاعنة ذات حد وتمرر فى الجسم كالسيف والرمح والسكين او مايعمل عملها كالنار والزجاج والبندقية .

ومن الصعب فى الواقع أن نستخلص من كتب الفقه الاسلامى أن فقهاء المسلمين يشترطون نية ازهاق الروح كيما تكون الجريمة قتلا عمدا لانهم لم يذكروا شيئا من ذلك صراحة فى كتبهم عند الكلام عن القتل العمد وجاءت العبارات التى أشرنا اليها فى الزيلعى والمهذب والمغنى والاقناع عارضة ولو كانت نية ازهاق الروح شرطا عندهم لذكروها صراحة وابرزوها بشكل ظاهر على طريقتهم المعروفة من الايضاح والتدقيق .

وأرى أنه يمكن توجيه فقه هؤلاء الأئمة نحو الاتجاه الثانى الذى يقوم على فكرة تصور النتيجة والذى يقول بالنظر الى فعل الجانى والتسوية فيه بين ممارسة النشاط من أجل تحقيق النتيجة وممارسته مع العلم بأن النتيجة لازمة له ذلك أنهم نظروا حين تكلموا عن الوسيلة كشرط الى طبيعة العمل الذى تحدثه لا الى النية وكلامهم عن الوسيلة يمكن حمله على النشاط الذى يباشره المعتدى – مع اهدار ذات الوسيلة كركن من أركان الجريمة لان من يعتدى بآلة تقتل غالبا – كما قال الشافعى وأحمد – أو بآلة تقتل غالبا وتؤدى الى القتل – كما قال أبو حنيفة – انما يمارس اعتداء يعلم أن الموت من نتائجه وهو استخلاص يؤيده ماقال به صاحب الاقناع فى القتل العمد من أن الشخص يقتل قصدا بما يغلب على الظن موته به وغلبة الظن يدخل فيها فكرة التصور التى يستند اليها أصحاب مذهب الاتجاه الثانى وتكون النتيجة من ذلك هى انعدام أهمية اشتراط نية ازهاق الروح واهدار الوسيلة كركن من أركان جريمة القتل ، القتل العمد واعتبارها مجرد دليل فقط على تصور حصول الموت من استعمالها لايعتبر قولا جديدا فى فى الفقه الاسلامى فهو رأى الامام مالك ذلك أن القتل العمد عنده هو كل فعل يتعمده الانسان بقصد العدوان ويؤدى الى الموت أيا كانت الآلة المستعملة فيه بمعنى أنه يكتفى بتعمد الجانى الفعل على وجه العدوان ويؤدى الى الموت أيا كانت المستعملة ودون النظر الى القصد من الاعتداء .

وتكون النتيجة مما تقدم جميعه ان نظرة الفقه الجنائى الألمانى ومن شايعه من فقهاء القانون فى مصر فى النظر الى ذات الاعتداء وتصور النتيجة والتسوية بين من يعتدى ويبتغى النتيجة بمن يعتدى وهو يعلم أن النتيجة لازمة لاعتدائه هى

فى الواقع النظرة التي يمكن استخلاصها استخلاصا سائغا من الآراء التى قالها أئمة المسلمين .

وينتهى الأمر بامكان النظر الى فعل الجانى من زاويتين :

(١) زاوية شخصية تتصل بتفكيره - بمعنى ان يكون قاتلا عمدا اذا كان يبغى من وراء الاعتداء ازهاق روح المعتدى عليه

(٢) وزاوية موضوعية تتصل بالفعل الذى يأتيه بمعنى أن الفعل اذا كان مؤديا بذاته الى القتل ومارسه الجانى وهو مدرك لهذه الحقيقة ومتصور لها كان قاتلا عمدا ولو لم يكن ازهاق الروح من أغراضه .

وبذلك تكون وسيلة القتل التى أفاض فقهاء المسلمين فى الكلام عنها كركن من أركان جريمة القتل العمد ماهى الا مجرد قرينة قانونية تدل اما على نية ازهاق الروح أو امكان تصور ازهاقها وقت حصول الاعتداء .

ومن ثم اذا وجه انسان الى آخر طعنة فى قلبه بسكين فمات كان قاتلا عمدا ولا يكون له ان يتذرع بأنه لم يقصد الموت لأنه فى الواقع أتى فعلا من شأنه احداث الموت ومضى فيه وهو عالم أو متصور لنتيجته .

اما اذا لم يكن من شأن فعل الجانى احداث الموت كمن يضرب انسانا بعصا فيموت فانه لا يعتبر قاتلا عمدا وانما يعتبر فى القانون مرتكبا لجريمة ضرب أفضى الى موت . وفى الشريعة الاسلامية مثلا شبه عمد .

على أنه يعتبر قاتلا عمدا فى جميع الحالات متى ثبت انه ابتغى الموت من الاعتداء .

وبذلك نكون قد لمسنا فى وضوح تام وبما لايدع مجالا للشك أن الفقه الاسلامى يعتبر فى الواقع مصدر كل فكر جديد فى فقه القانون .

بنو إسرائيل في ميزان القرآن

الأستاذ البهي الخولي

أوشكنا الآن أن نلم بالأصول التاريخية لبنى اسرائيل .. فهم ابناء اسرائيل - يعقوب عليه السلام - ابن اسحاق، بن ابراهيم - عليهما السلام - وقد عرفنا أنهم نشؤوا فى رعاية أبيهم النبى الصالح يعقوب فكان من آيات الله فيهم أنهم برزوا نمطا مباينا كل المباينة للمثال الذى تنميه - عادة - أى نشأة فى بيت نبى صالح يزدان بأكرم التقاليد من اسحاق وابراهيم ، وتتكرر فيه تحت الأسماع والأبصار كل آن ظواهر الوحى تنزل من السماء بأكرم التعاليم .. وكانت تلك المباينة تبدو أوضح ماتكون فى ازورارهم .. بل فى عدائهم لكل شارات الحق والخير وخصائصها، وتجلى ذلك فى بغضهم ليوسف أخيهم منذ أنبأت ملامحه عن النجابة وسيما التأهيل للخير .. وكان أبوهم يعرف ذلك .. ولذا نراه يحذر يوسف حين قص عليه رؤياه المعروفة بقوله « لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين » .

وكلنا يعرف ما كان من كيدهم ليوسف ، وكيف تقلبت به الأقدار بعد ذلك أحداث عجيبة خطيرة حتى صار لملك مصر وزير تموينه وصاحب خزائنه .. الى أن جاءه اخوته يشترون منه قوتا لأهلهم على النحو الذى فصلته سورة يوسف وأشرنا اليه فى المقال الماضى .. الى أن قال لهم :

« اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وائتونى بأهلكم أجمعين » .

ودخل يعقوب وبنوه وابناؤهم ونساؤهم أرض مصر ، ومعهم مواشيهم وأغنامهم وسائر أموالهم واستقبلهم يوسف - عليه السلام - بارض جاسان - على ما تقول التوراة - بأبلغ الحفاوة ويصف القرآن ذلك بقوله :

« ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه - يعقوب وزوجته خالة يوسف - وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ، ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى ، من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ، وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى، ان ربى لطيف لما يشاء ، انه هو العليم الحكيم » ..

- ٢ -

وكان من الطبيعى أن يفكر يوسف - عليه السلام - أين يقيم أهله ؟.. وكيف يعيشون ؟

وكان - عليه السلام - سياسيا كيسا الى أنه نبى ذكى الفؤاد

متعد جوانب النظر .. فترك أكثر أخوته وعامة أهله وماشيتهم بأرض جاسان شرقى فرع دمياط الى الصحراء الشرقية ايذانا بأنه اختارها مقاما لهم ، وأخذ معه أباه وخمسة من أخوته لمقابلة فرعون . وقال لهم : « اذا دعاكم فرعون ، وقال ما صناعتكم ؟ أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبانا الى الآن نحن وآباؤنا جميعا .. لكى تسكنوا فى أرض جاسان .. لأن كل راعى غنم رجس للمصريين » .

سفر التكوين . اصحاح ٤٦ .

فهذا النص يقرر أن رأى يوسف قد استقر - مبدئيا - على اختيار أرض جاسان لقومه ، وأن الوسيلة الى موافقة فرعون على ذلك أن يقولوا له : نحن رعاة أهل ماشية ، وذلك المكان أصلح ما يكون للرعاة .. ويعلل ذلك بقوله: « لأن كل راعى غنم رجس للمصريين » ..

والمصريون أهل زرع وضرع ، ولكن لماذا يكرهون الرعاة ... ويرونهم رجسا ؟

ذلك فيما نرى أن حكام مصر يومئذ لم يكونوا من أهلها ، بل كانوا هم الهكسوس الرعاة الذين غزوا مصر من الشرق فغلبوا أهلها عليها واحتلوهم ، فحق لكل مصرى أن يكرههم ، وأن يكره معهم كل راع يقبل من حيث أقبلوا ، فأراد - عليه السلام - باختيار هذا المكان لقومه أن يجنبهم الاقامة فى العاصمة حول فرعون حتى لا يكونوا مظنة لدعم سلطانه فينالهم نصيب من مقت الشعب للغاصب .. ولا يريد لهم التفرق فى أهل الريف .. فلا يراهم الناس الا بقية من جنس محتل قد أتت لتعيش وتخصب فى حمايته فيكونوا موضع كراهة وازدراء ، وقد يلقون بذلك مختلف الأذى على سبيل التفتيش والانتقام ، فبقاؤهم فى أطراف البلاد بجهة الصالحية قرب التخوم الشرقية يكفل لهم الاستقرار ، ويجنبهم احتمالات الأذى والمقت .

ذلك الى أن اختلاطهم - وفيهم أبوهم - بوثنية مصر ليس مما تحمد عاقبته سياسيا ولا دينيا ، فان يعقوب - عليه السلام - اذا اقام فى الناس ورأى ما هم عليه من وثنية كان بين أمرين : اما أن يدعوه مقامه من النبوة الى أن يقوم فيهم مندداً بدينهم داعيا اياهم الى التوحيد ، وتلك ثورة على معتقداتهم تهيج فيهم الغضب على الدخيل المحتل الذى لم يكتف بأن يسلبهم استقلالهم حتى طمع فى هدم معتقداتهم ، وذلك ما لا يفكر فيه الهكسوس ولا يجعلونه من سياستهم ، اذ حسبهم ما يبذلون من جهد لضبط البلاد فى قيد الاحتلال ، وليس فى طاقتهم أن يفتح عليهم باب من الشر يضاعف عليهم عبء هذا الضبط .. واما أن يقيم على مخالطة الوثنية ، وليس هذا من هدى ابراهيم وتجاربه التى اثرت عنه ، فقد كان - عليه السلام - يرى اعتزال الشرك على مثل ما فعل بأرض كنعان اذا أقام بأطرافها لما يخشى من مخالطتهم على عقيدة أتباعه .. ذلك الى أن لابراهيم مع مصر تجربة خاصة أقنعته بعدم جدوى الدعوة فيها ، وليس من الحكمة تكرار ما لا جدوى له ..

تلك فيما نرى الاعتبارات السياسية والدينية التى نظر اليها يوسف - عليه السلام - وبنى عليها اختيار أرض جاسان لتكون مقاما لقومه ، ولعله ذكر ذلك كله أو بعضه لأبيه ولأخوته الخمسة الذين اختارهم لمقابلة فرعون وهو يقول لهم : « اذا دعاكم فرعون ، وقال ماصناعتكم؟ أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبانا الى الآن ، نحن وأباؤنا جميعا .. لكى تسكنوا فى أرض جاسان ، لأن كل راعى غنم رجس للمصريين » .. وأرض جاسان - فيما يقول أستاذنا العلامة المحقق الشيخ عبدالوهاب النجار - رحمه الله - فى قصص الأنبياء « فى شمال بلبيس ، من بلادها سفط الحنة الآن ، ويقول العلماء انها نواحى الصالحية .. وهى أرض مراع ، وهم رعاة ماشية » .

ودخل يعقوب وبنوه الخمسة على فرعون ، وسألهم وأجابوه بما اتفق يوسف عليه السلام معهم ، فقال فرعون - موجها الكلام ليوسف : « أبوك واخوتك جاءوا اليك .. أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك واخوتك ليسكنوا فى أرض جاسان » .. ويزيد الملك معنى له دلالته العميقة فيقول : « وان علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى » .. سفر التكوين : اصحاح ٤٧ .

والجملة الأخيرة اذا دلت على مدى تكرمة الملك ليوسف ، لها دلالتها على احساس الملك بأنه دخيل يحكم بلدا غير بلده ، فهو

يريد أن يتقوى بالغرباء ولاسيما من يفد عليه من بدو الشرق ورعاته اذ استبانت كفايتهم ، فيسند اليهم المناصب الرئيسية لأنه لا يأمن عليها أبناء البلاد .. ويؤيد ذلك أن هذا الملك نفسه لم يتردد أن يسند الى يوسف أكبر المناصب لديه، ويجعله من خاصة حاشيته مع علمه أنه غريب وعبد رقيق من نزلاء السجون ، وليس ذلك من أصول السياسة .. ولا شارات الملك ، ولكن الفرية - مع ما استبان للملك من علو مواهبه وتعدد آفاقه - كانت جامعـــة بينهما فى أصل النشأة والموطن ، فلم يتردد فى اختيـــاره لأخطر المهمات فى أخطر ظـرف مجاراة لاحساس الثقة بأبناء الشرق .. دون أبناء مصر الأصلاء « فلماكلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين » وهو «كلام » عرف به قدرمواهبه وأصل أسرته وموطنه .. ولعل قوله ليـوسف : « أرض مصر قدامك، فى أفضل الأرض أسكن أباك واخوتك » يدل على صدق ترحيبه وارتياحه « للرعاة » الوافدين من أصل الموطن ..

وأقام يعقوب وبنوه رعاة بأرض جاسان فى مراعيها الخصبة .. وجوهـــا اللين ، بأقرب مكان ينشقون فيه عبير الوطن الأصلى من كل قادم منه أو راحل اليه . أقاموا فى رعاية من مجد يوسف وعزة منصبه ، وحفاوة فرعون ورضاه عن مكانهم، فلم يكن أحد من رجال الدولة يعرض لهم الا بما يحبون .. ومضى ليعقوب على ذلك سبعة عشر عاما - على ماتقول التوراة - ثم أحس بدنو أجله ، فجمع بنيه اليه ، واستدعى يوسف ، وأوصاهم ونصحهم بما أجمله القرآن الكريم بقـوله :

أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبـدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ، ونحن له مسلمون» « يا بنى ان الله اصـطفى لكم الدين فلا تمـوتن الا وأنتـم مسلمون » .

وكان الحنين ينازعه الى أرض الوطن حيث يرقد أبواه ابراهيم واسحاق وسائر من مات من قومه فأوصى يوسف قائلا :

« ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك ، فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفا وأمانة .. لا تدفنى بمصر ، بل اضطجع مع آبائى فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم » ..

وما لبث أن مـــات ، ووفى له يوسف بما أوصى به حيث أمر الأطباء بتحنيط جثمانه .. ثم مضى به الى أرض كنعان ومعـــه جمع كبير من بيت فرعون .. ورجال الدولة وأعيان مصر .. حيث دفنه فى أفخم مشهـــد وأروعه .. ثم عاد ..

.. واستأنف القوم عيشهم بمصر محفوفين بالتكرمة وصنوف الامتيازات ، حتى توفى يوسـف - عليه السلام- فحنطوه وجعلوه فى تابوت بمصر انتظارا به لموعد خروجهم منهـا على ما أخبرهم ابوهم ، ليحملوه معهـم الى أرض الآباء ، أرض المعاد .

وطاب العيش لبنى اسرائيـل فى مصر ، وواصل فرعون حفاوته بهم تكرمة ليوسف ، وارتياحا اليهم ، ولعـله كان يـرى فى مقامهم بشرق الدولة قوة وحماية لها، اذ ارتبطوا بها برباط المصلحة ورباط الأصل الجامع بينهما فى الغربه .. وواصل الفراعنـة - فراعنـة الهكسـوس - خطة فرعون يوسف فى رعـاية بنى اسرائيـل ودعم ما لهـم من امتيازات « فتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جدا » .. **على ماتقول التـوراة فى سفر التكويـن بالاصحاح السابع والأربعين .**

- ٣ -

ماذا كان بعد تلك النعمـة والجاه الزاهر لبنى اسرائيل ؟

تقول التوراة فى الاصـحاح الأول من سـفر الخـروج : « ثم قام ملك جديد لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنـو اسرائيل أكثر وأعظم منـا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فمن هذا الملك الجديد ؟.. ولماذا ساء ظنه ببنى اسرائيـل حتى افترض فيهم الخيانة والانضمام الى العدو اذا قامت بينهم وبين غيرهم حرب؟

لم تبين التوراة ذلك ، وكذلك القرآن ، لم يشر الى شىء منه .. لأنه لا يدخل فى منهجـه الذى يتقصى العبر ويركز على النواميس العامة فى مواطنها .. لم يذكر القرآن شيئا عن بنى اسرائيل فى مصر منذ أن دخلها بامامة يعقـوب - عليه السلام- واجتماع يوسف بهم جميعا وقوله :

« رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تأويـل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » ..

الى أن أشار الى مجمل حالهم عند ظهور موسى عليه السلام .. واذ لم تذكر التوراة شأن ذلك « الملك الجديد » ولا دواعى سوء الظن باسرائيل وهم أعوان الدولة الراغدون فى نعمتها وامتيازاتها، فان التاريخ قد أفصح عن ذلك فقد سقط الهكسوس بعد أن حكموا البلاد حوالى أربعة قرون، تبدأ من حوالى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد تقريبا .. اذ قام أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فجمع اليه رجال مصر الأقوياء جموعا حاشدة ، حرر بهم البلاد وطرد الهكسوس وشردهم كل مشرد ..

وقد ذكر صاحب قصص الانبياء مقالا للعالم الاثرى (النرو) مدير بعثات متحف جامعة بنسلفانيا الى مصر وفلسطين.. نقتطف منه قوله :

« وأرى قبل البحث فى اكتشافاتى هذه أن أصف حجرا عموديا من معالم القبور ورد على المتحف المصرى منذ عهد قريب ، **وترجع أهميته الى اتصاله بعهد يوسف الصديق الوارد فى التوراة اليهودية ..** قبل عهد الحفريات العلمية فى مصر وفلسطين ، كانت **الاكتشافات الخاصة باليهود وتاريخ اقامتهم فى مصر نادرة جدا** ولكن الأعمال التى قامت بها البعثات الخاصة الحديثة أخذت لحسن الحظ تبدو شيئا فشيئا ذاك الضباب القائم الذى كان مخيما على هذا القسم المهم من رواية التوراة .. فالثابت اجمالا كما يبين أكثر الخبراء أن العبرانيين - بنى اسرائيل - **دخلوا مصر فى عهد الهكسوس ،** وهو العهد الذى يمثل الأسرتين المصريتين الخامسة عشرة .. والسادسة عشرة .. والذى بدأ حوالى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد.. وقد كان الهكسوس - أو الملوك الرعاة فى عرف الكتاب المحدثين - من الشعوب الأسيوية بلغت سلطتهم أوجها الى شمال مصر وأرض كنعان .. ثم طردهم من مصر أحمس الأول ، أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة حوالى عام ١٥٨٠ قبل الميلاد .. وقد خرج العبرانيون الاسرائيليون من مصر فى ذلك الوقت أو بعده **بقليل** .. أما الملك الذى قالت التوراة أنه لم يعرف يوسف الصديق ، فقد كان أحمس الأول أو غيره من الملوك الذين عادوا الى حكم مصر الشمالية بعد طرد الهكسوس منها » .

ويرجح بعضهم أن أحمس لم يعرض لبنى اسرائيل ، فقد كان مشغولا بتطهير البلاد من آثار الهكسوس ، فلما قام رمسيس الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشرة التفت الى تذمر الاسرائيليين حيث لم تعد لهم امتيازاتهم التى كانت لهم أيام الهكسوس .. وفقدوها فى الحكم الجديد طيلة أيام الأسرة الثامنة عشرة وتحولت حالهم من فئة مدللة الى مجرد رعاة لا شأن لهم .. فدخلهم من الغيظ وبوادر التمرد ما لفت اليهم الأنظار .. وزاد من التوجس منهم انطواؤهم على أنفسهم وعدم الانصهار فى الشعب على مدى القرون التى أقاموها فى مصر.. ويذهب بعض الباحثين الى ان حنينهم الى أيام الهكسوس تحول الى تفكير فى الخيانة ، بل الى محاولة للخيانة فعلا ، فسخط عليهم الشعب لكل ذلك ، وأخذ رمسيس يكلفهم من الأعمال ما يتكلفه عامة المصريين من حرث الأرض ، وصناعة اللبن ، واقامة المبانى ، لا أن يقتصروا على التجارة وصياغة الذهب والفضة وتنمية الماشية بالرعى الذى لا يتكلف مشقة ما .

.. ومنذ ذلك الحين تكدر عيشهم .. وتقول التوراة فى ذلك أن حكام العهد الجديد جعلوا على بنى اسرائيل« رؤساء تسخير لكى يذلوهم بابقائهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيتنوم ورعمسيس .. فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف .. ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل » .. وكان مما نزل بهم من البلاء ان فرعون بعد ان سامهم هذا العذاب أمر بقتل كل مولود ذكر لهم واستحياء مواليدهم من الأناث ، استئصالا لهم ، على نحو ما بين القرآن الكريم من ذلك بقوله « واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، وما زال أمرهم كذلك حتى ظهر موسى - عليه السلام - وكانت نجاتهم مما هم فيه على يديه .. فكيف قابلوا هذه النعمة وماذا كان شأنهم معه ؟.. هذا ما سنفصله فى المقال التالى ان شاء الله .

الصوفية

باسم ربى احييك بالسلام سلام الروح الخالية من الخيال ، ومن الحيلة والاحوال ، الا من الله الواحد ذى الجلال ، سلام من عبد السلام ، عبد يفخر ويزيد تيها وعلوا بأنه عبد الله ، الواحد ، الاحد ، الفرد الصمد ، هنيئا له ، لانه خلقه الله .

« أسألك يا رب حيث خلقتنى من عبيدك ، منتسبا اليك ، ان تجعلنى من فريق الجنة ، وما اطلبها الا لانها مكان قربى منك ، ولا تجعلنى من فريق السعير ، لانها تبعدنى عنك ، وان كان قدرك قد سبق ، ولكنى أسألك اللطف فيه ، انت المسيطر ولك حضرة الاطلاق تفعل ما تشاء ، سبحانك لا اله غيرك ، ولا معبود سواك ، يا حى ، يا قيوم .

هذه بداية رسالة بعث بها شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى، كرمه الله، الى تلميذه الصالح التقى النقى الصديق السيد / سالم جمعة ، زاده الله فضلا ونعمة ، وهى كما يرى القارىء العزيز سطور من نور ، دلت على توحيد الصوفية الخالص من الاكدار والاغبار ، ومن دعوى الحلول والاتحاد الذى ينسب للصوفية حسدا أو سوء فهم من خصوم التصوف ، وحاشا ان يتلوث توحيد السادة الصوفية ، وقد اعتصموا بالكتاب والسنة والجماعة ، وهم الذين تأخذ عنهم فى هذه المقالات ، أما غيرهم من الضالين المضلين ، فلا شأن لنا بهم ، مهما ادعوا انهم صوفية ، وهل ذهب صرف يساويه بهرج .

واليكم تفسير ما يقول سيدى الشيخ ، لا من كلامى ، وانما من كلام أئمة التصوف ، الذين خلا توحيدهم من الشوائب والاوحال، وصفا فلم يجعل المخلوق متصفا بصفات ذات الحق سبحانه وتعالى ، وأين العبد من ربه ، وأين المخلوق من خالقه ، وأين الحادث من القديم ، وأين الفانى من الباقى الذى يبقى بعد فناء خلقه ، فها هو ذا سيدى الامام القشيرى ـ رضى الله عنه ـ يعلمنا كيف يكون توحيد المؤمن خالصا فيقول فى مناسبة شرحه لمعنى اسمه سبحانه الباقى الوارث :

« مما يجب أن تشتد به العناية **ان يتحقق العبد ان المخلوق لا يجوز ان يكون متصفا بصفات ذات الحق سبحانه ، فلا يجوز** أن يكون بعلم الله عالما ، ولا يجوز أن يكون العبد بقدرة الله قادرا ، وأن يكون سميعا وبصيرا بسمعه وبصره تعالى ، ولا ان يكون حيا بحياته ولا باقيا ببقائه تعالى لان الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة .

« **وحفظ هذا الباب أصل التوحيد ، فان كثيرا ممن لا تحصيل له ولا تيقن زعموا ان العبد يصير باقيا ببقاء الحق ، وأن يكون سميعا بسمعه ، بصيرا ببصره ، حيا بحياته ، وهذا خروج عن الدين وانسلاخ عن الاسلام بالكلية .**

« وهذه البدعة توازى قول الحيلولية حيث جوزوا على ذات الحق سبحانه الحلول فى الاشخاص المحدثة ، كذلك هؤلاء جوزوا قيام الصفة القديمة بالذات المحدثة ، وربما تعلقوا فى نصرة هذه المقالة

فى إلهامهم

الاستاذ
حسن كامل الملطاوى

الشنيعة بما روى فى الخبر عن الله تعالى اذ قال : « فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر » .

« ولا احتجاج لهم فى ظاهره ، لانه ليس فيه أنه يسمع بسمعى ويبصر ببصرى، بل قال بى يسمع وبى يبصر ،

« فالاتفاق ان ذاته لا يجوز ان تكون لاحد سمعا ولا بصرا ، فاذا تركوا الظاهر لم يبق الا التأويل،

« فالواجب الاشتغال بالتأويل الصحيح دون الباطل ، وانما حملنا على المبالغة فى شرح هذا الفصل ما رأينا من الواجب علينا فى نصرة الدين ، ونحن فى زمان يناظر فيه من ليس له تحقيق ولا تحصيل ،

« قال النصراباذى رحمه الله تعالى : الحق باق ببقائه والعبد باق بابقائه ،

« وأما الوارث فهو الباقى بعد فناء الخلق ، يفنى الاولين والآخرين من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين ثم يقول (لمن الملك اليوم) ويجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار)

وفى مناسبة شرح اسمه تعالى: ذو الجلال والاكرام ، قال الامام القشيرى رضى الله عنه :

« قيل الاجلال ان ترى مادونه بعين الاقلال ، وجلاله وكبرياؤه وعلوه وبهاؤه ، سبحانه ، كونه بالوصف الذى يحق له العز ،

« أما الاكرام فقريب من معنى الانعام الا انه أخص ، لانه ينعم على من لا يقال اكرمه ، ولكن لا يكرم الا من يقال انعم عليه ،

« أما ترى كيف أكرم موسى عليه السلام ، حيث سلمته اليه أمه ، كيف رباه فى حجر عدوه ، وكيف صرف عنه كيده ، اسلمته الى البحر ، متوكلة على الله بالغداة، فرده اليها قبل الظهر ،

« واذا سلمت اليه ولدها فرباه فى حجر عدوه، وصرف عنه كيده ، فمن سلم اليه قلبه ؟ حفظه ، كما فى الخبر : القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، أى بين نعمتين من نعمه ، ترى أنه يضيعه ولا يحفظه حاشا لله .

أما فى مناسبة شرحه لاسمه تعالى السلام فقد قال الامام القشيرى رضى الله عنه :

« السلام اسم من اسمائه تعالى ورد به نص القرآن ، واختلفوا فى معناه ، فمنهم من قال انه ذو السلام ، والسلام ، بمعنى السلامة ، كالرضاع بمعنى الرضاعة ، ومعناه يعود الى تنزه الرب سبحانه عن الآفات ، وتقدسه عن سمات المخلوقات ، وهو بمعنى القدوس .

« وقيل معناه ذو السلامة أى منه السلامة لعباده ، ولهذا قيل ان معنى السلام انه سلم المؤمنين من عذابه ،

« وقيل انه السـلام أى ذو السلام على أوليـائه ، قال الله تعالى :

(قل الحمد لله وسـلام على عباده الذين اصطفى) .

« واذا قلنا انه ذو السـلام أى السلامة من الآفـات كان من صفات ذاته ، واذا قلنا ان المؤمنين يسلمون من عذابه كان من صفات فعله .

« ومن آداب من عـرف انه السلام ، ان يسلم منه المؤمنون ، كما ورد فى الخبر عن سيد البشر صلوات الله عليه ان المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،

« وقيل لبعضهم من البر قال الذى لا يضمر الشر ولا يؤذى البر ، وحكى عن بعضهم انه رأى انسانا يغتاب رجـلا فقال هل غزوت العام الروم فقال لا ، قال وكيف تسلم منك الكفار ولايسلم منك أخوك المسلم ؟

وفى مناسـبة قوله تعـالى **(ليس كمثله شىء)** قال الامام القشيرى رضى الله عنه :

« التشبيه يكون بأحد شيئين ، اما بالكاف ، واما بالمثل ، فجمع بين حرفى التشبيه ، ونفى بهمـا عن نفسه التشبيه ، فكأنه قال ليس مثله شىء ، وليس كهو شىء وهذا غاية نفى التشبيه ،

« ولما كان المعبود سبحـانه ، لامثيل له ، حق للعـابدين الا يذروا مقدورا فيه الا بذلوه ، ولا يغادروا ميسورا فى طلبـه الا تحملوه ، فحق للدموع ان تتقطر على فوات قربته ، كما حق للقلوب ان تتعـطر بنسيـم محبتـه ، وكما حق للارواح ان تتفطـر من خوف فرقته ، وانشدوا :

سهر العيون لغير وجهك باطل

وبكاؤهن لغير هجرك ضـائع

وقال الامام كذلك فى ضـعف الانسـان :

« قال تعـالى : (أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) .

وقال تعـالى (ولقـد خلقنـا الانسان من سـلالة من طين) ذكره سبحانه وتعالى نفسـه لئلا يعجب بحالته ، وجرده من كل فضيلة ، ولهذا قال المشـايخ غرفهم مقدارهم لئـلا يتعدوا أطوارهم ،

وقال الله تعالى (والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا) ثم قال تعالى (الرحمن . عـلم القرآن) ثم قـال (وما بكم من نعمة فمن الله) .

جردك أولا وعراك ، ثم اخبرك بما عرفك من العلوم والفهـوم وأعطاك ، ثم ذكرك عظيم ما انعم به عليك وأولاك .

وفى مناسـبة شرحه لاسمه تعالى الصمد ، قال الامام رضى الله عنه :

« بمعنى انه لا يطعم ، ومن علم ذلك علم انه يطعم ، قال تعالى (وهو يطعم ولا يطعم) فتتوجه رعايته عند مآربه اليه ويصدق توكله فى جميع حالاته عليه .

وفى مناسـبة شرحه لاسمه تعالى الحى القيوم ، قال الامام رضى الله عنه :

« هما اسمان من اسمائه تعالى **قال الله سبحانه (الله لا اله الا هو الحى القيـوم)** فأما الحى فهو الذى له حياة ، واما القيوم فهو المبالغة من القـائم بالامور يقال فلان قائم بهذا الامر وقيم وقيام ، وقيوم فى وصفه تعالى ، قرأ عمر بن الخطـاب رضى الله عنه الحى القيام ، ومعنى القيوم فى وصفه تعالى انه المدبر والمتولى لجميع الامور التى تجرى فى العالم **قال الله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) .**

« واذا علم العبد انه سبحانه حى ، وعلم انه تعالى حى لايموت وقديم لا يجوز عليه العدم ، صح توكله عليه ، ولهذا قال تعالى : **(وتوكل على الحى الذى لايموت)**

« فمن علم انه سبحـانه حى أبدا علم أن نفسه لا بد من فنائها وهلاكها وان طالت مدة بقائهـا وملكها ، وقيل الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب ، وانشدوا :

أنت تبقى والفناء لنا
فاذا أفنيتنا فكـن

« ومن عرف انه القيوم بالامور عاش براحة التفويض فلم يجعل

فى قلبه للدنيا كبير قيمة ، واستراح من كد التدبير .

وقال الامام فى مناسبة اسمه تعالى الواحد الاحد ، هما اسمان من اسمائه تعالى ، قال سبحانه (والهكم اله واحد) وقال سبحانه) قل هو الله أحد) فأما الواحد فهو الذى لا قسم له ولا استثناء منه ، أما غيره فاذا وصف بأنه واحد فعلى المجاز ، كما يقال دار واحدة ودرهم واحد ، واما الفصل بين الواحد والاحد فمن الناس من لم يفرق بينهما ، ومنهم من فرق فقال الواحد اسم لمفتتح العدد لانه يقال واحد واثنان واحد اسم ينفى ما يذكر معه من العدد .

وتقول قد جاءنى واحد ، ولا يقال قد جاءنى أحد ، ويقال لم يأت أحد بمعنى انه لم يأت واحد ولا اثنان ولا ما فوقه ، وقيل الاحد انما يذكر فى وصفه تعالى على جهة التخصيص ، يقال هو الله أحد ولا يقال رجل أحد ويقال فى وصف غيره وحيد وواحد ، ولا يقال ذلك فى وصفه تعالى لعدم التوقيف ، وقال الجنيد رضى الله عنه : التوحيد أفراد يقدم عن الحدث ، وقيل التوحيد ان تعلم ان كل ما يخطر ببالك مما ترتقى اليه كيفية ، أو تنتهى اليه كمية ، او تنتمى اليه ماهية ، أو تليق بوصفه أينية ، فالله جل جلاله بخلافه .

ولا شك ان ما نقلته للقارىء الفاضل من تفسير الامام القشيرى رضى الله عنه للاسماء الحسنى التى وردت فى الفقرة الاولى من كلام سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه ، يزوده بمعلومات طريفة ، هى الدر بل أغلا والشهد بل أحلى ، لانها صادرة عن قلوب تقية ، وسرائر نقية ، يعلمها الله ويلهمها ما شاء من كلماته التى لاتنفذ ، ويشير اليها استاذى العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه فى الهامه الذى نقلناه عنه :

كل شىء ينتهى فى موته
غير سر الله عندى مانفد
لى خليل كلما أملته
جاءنى الفيض اذا سح المدد
كلما قد زاغ قلبى قال لى
يا معنى قل هو الله أحد

وقال ايضا الهاما لوقته :

فؤادى قد أبعدت عن مشهد الورى
فطهر فى نجواك من ظلمة الرجس
وقد شاهدت روحى جلالك وارتقت
تجردت عن معناى فى عالم الحس
وأعدمنى فى الحب علمى بقدره
فليس غرامى فيه يدرك عن قيس
تعشقت نور الله وهو بصيرتى
وقد وضح البرهان من آية الكرسى
وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة
أصون به نفسى عن الزيغ والدس
وان شرب الناس الطلا وتصببوا
فسنة خير الخلق فى شربها كأسى

أما الفقرة الثانية من كلام سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه فيشير فيها الى انه انتسب بالعبودية لله تعالى ، ويسأله سؤال العبد لسيده ، والفقير للغنى عنه ، ان يجعله من فريق الجنة ، لانها مكان المقربين ، وليس قربهم قرب مكان ، بل قرب انس ومحبة ، وصفوة ونشوة ، باصطفاء من الله ورحمة ، ورضوان من الله أكبر ، واستعاذ رضى الله عنه من النار ، لانها مكان المبعدين المطرودين من رحمته ، المعذبين بغضبه ، المحجوبين بسخطه ، اعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

واذا ذاق المؤمن العبودية لله ، قدس الربوبية ، واعطى لمولاه حقه من الهيبة والاجلال ، وخلت روحه من الخيال والحيلة والاحوال ، اى كان خالص التوحيد ، منكسر القلب ، وكان الله عنده ، لانه تعالى يقول فى الحديث القدسى : (انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى) ، الست تراه تعالى يقول لاهل بدر (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة) تقربوا الى الله بالمسكنة ، ونظر الله تعالى الى قلوبهم المنكسرة ، فرضى عنهم ، وأيدهم بنصره ، فأنزل ملائكة قاتلت معهم ، حتى تمت لهم الغلبة على اعدائهم .

ويفسر العالم العارف الحجة سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه ، الحديث القدسى المتقدم فيقول فى تفسير المنكسرة قلوبهم من أجلى أى الذين كسرت ارادتهم البشرية ، وأزيلت شهواتهم الطبيعية ، واستؤنفت لهم ارادات ربانية ،

فهم دائما تحت قهر ارادتى، طوعا منهم ، لا ينجبر لقلبهم كسر أبدا حتى يلقونى ، ويقول سيدى الامام عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ،انكسرت قلوبهم أى على الكشف منهم والشهود والا فهو تعالى عند كل عبد انكسر قلبه أم لم ينكسر .

ويستطرد الامام الشعرانى رضى الله عنه فيقول : فعليك يا أخى بالقناعة والاشتغال بالله تعالى ، عن نعيم الدارين ، فانه هو النعيم المطلوب للاكابر الباقى، كما قال تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

ويحدثنا سيدى الامام الشعرانى رضى الله عنه ، عما وقع له فى صغره مع والده رضى الله عنه، فقد قال له : ما ثم شىء ابرزه الله تعالى الى هذا الوجود الا وفيه حكمة بالغة ، وامره يوما بالوقوف على حداد يقوم الرماح على النار ، قال فوقفت ، فقال لى ما رأيت ، فقلت ما رأيت شيئا، فقال ياولدى أما تنظر انه لايعرض على النار الا المعوج، وأما المستقيم فلا يعرضه على النار ، قال: فأخذت من ذلك العبرة .

ويعلمنا سيدى الامام الشعرانى رضى الله عنه ، العبادة الخالصة لوجهه تعالى فيقول انه سمع شيخه سيدى عليا الخواص يقول : من اقبح الذنوب عند الله تعالى القيام بين يديه فى الاسحار بالمتملق والخداع على نية انه تعالى يعطيه مقاما فوق ما هو فيه ، وقد قال تعالى **(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)** فذكر تعالى شيئا ، فشمل كل شىء من جميع المخلوقات ، حتى الارادة والهوى والشهوة ، فانها من خلقه تعالى بيقين فلا يريد ولا يهوى شيئا دون الله تعالى فيكون شركا .

ويقول سيدى الامام الشعرانى كذلك : مما انعم الله به على ، عدم اشتغالى بالنعمة عن المنعم سبحانه وتعالى ، وذلك من اكبر نعم الله عز وجل ، فقل من لا تشغله النعمة عن المنعم ، والمعين لى على ذلك شهودى عدم ملكى لما خولنى الله تعالى فيه من الاطعمة والملابس ، انما انا عبد آكل من مال سيدى ، وأسكن فى داره .

ويقول أيضا ، رضى الله عنه : وفى كلام سيدى عبدالقادر الجيلى رضى الله عنه ، احذر ان تشتغل بما اعطاك الله من المال عن طاعته، فيحجبك بذلك عنه دنيا واخرى، وربما سلبك ذلك المال ، وافقرك وغيرك ، عقوبة لك ، واعلم انك ان اشتغلت بطاعته تعالى عن ذلك المال فهو موهبة من الله تعالى لك ، وليس هو من المال المذموم .

ونقل سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه ، عن سيدى ابو الحسن الشاذلى ، رضى الله عنه ، انه قال : كنت فى بدايتى أعبد الله تعالى أنا وصاحب لى ، واقول غدا يفتح علينا ، بعد غد يفتح علينا ، فمكثنا على ذلك الحال زمانا ونحن فى تعب عظيم ، فدخل علينا رجل مهيب المنظر ، فقلنا من أنت فقال: عبد الملك ، فعلمنا انه من أولياء الله تعالى ، فقلنا له ما حاجتك، فقال جئت انصحكما لله تعالى ، ان تعبدا الله تعالى لله تعالى ، ولا تقولا غدا يفتح علينا ، بعد غد يفتح علينا ،

قال فكشف لنا عن أمر كنا عنه غافلين ، فعبدنا الله لله ، ففتح علينا فى ثانى يوم .

ويقول سيدى الشعرانى تعقيبا على الكلام المتقدم : فعلم ان من اتخذ عباداته وسائل لتحصيل غرض من الاغراض طالت عليه الطريق ، وربما رجع من أثنائها ، كما هو حال غالب المريدين فى هذا الزمان .

ويذكرنى هذا الكلام المفيد ، بما قاله فى الهامه الفورى استاذى الشيخ على عقل طيب الله ثراه :

لا تذكر البارى لقصد ولاية
أو أن تكون على السماالاتنطفى
اذكر لوجه الله جل جلاله
من رام غير جنابه لم يشرف
ليس التصوف بالكلام وانما
صدق الفعال قرارة المتصوف

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين الذين أغنيتهم بك عن غيرك وقلت فيهم (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) آمين .

أولياء الله بين الموالين والجافين

فضيلة الشيخ كمال عون

(٢)

حب الصالحين

وحب الصالحين أمر آلهى أودعه الله قلوب عباده تحقيقا لمضمون وعده الكريم فى قوله تعالى : ((ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)) فقد فطرت القلوب السليمة على محبة الخير وأهله ، للشعور بأنهم أهل الله ، وانهم أهل الامن والايمان ، ينفعون عباد الله ولا يضرون ، ويحسنون اليهم ولا يسيئون .

وقد جعل الله سبحانه حب الناس وثناءهم بشرى للصالحين ، وقال تعالى عقب الآية السابقة : ((فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا)) فلا يضر المخلصين شقاق الالداء والمجادلين .

وفى حديث مسلم عن أبى ذر قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : تلك عاجل بشرى المؤمن)) .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : انى أحب فلانا فأحبه، قال فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض))

وروى مسلم عن أنس قال : ((قال رجل يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير أحمد عليه نفسى – وفى رواية ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة – ولكنى أحب الله ورسوله . قال فأنت مع من أحببت)) – وروى أيضا عن عبدالله قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : كيف ترى فى رجل أحب قوما ولما يلحق بهم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب » – ويقول انس بعد روايته السابقة ((فما فرح أصحاب رسول الله بعد الاسلام بشىء فرحا أشد من قول النبى صلى الله عليه وسلم : فأنت مع من أحببت – ويقول : فانا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم وان لم أعمل بأعمالهم))

وروى البخارى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغضهم)) والانصار فى الذروة من الصالحين ((يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)) .

فكيف يسوغ لمؤمن أن يقول ان حب الصالحين انصراف أو انتقاص من حب رب العالمين ، وهل حبهم الا شعاع من نور الله وأثر من آثار نعمته ، حيث تفعل القدوة الصالحة فعلها فى النهوض الى الله والفرار اليه .

الامامة فى الصلاة وغيرها :

وهل حالت امامة الصلاة الحاضرة بين المصلى خلف امام وبين مولاه ؟ وهل قطعته – وهو يأتم بمن يرى فى قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه عن امامه رسول الله ؟ أليست الجماعة فى كثير من العبادات أفضل عند الله وأبر وأكثر ثوابا ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا)) .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم حاضر بمعناه فى قلوب المؤمنين ، والرجل الصالح سنا من ضياء النبوة فى رسول الله . وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((ان الهدى الصالح والسمت الصالح ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة)) رواه أحمد وابو داود .

ورسولنا صلى الله عليه وسلم هو القدوة الكاملة والأسوة الحسنة والتطبيق العملى لأخلاق القرآن الكريم ، وهو صلوات الله وسلامه عليه معجزة انسانية فريدة فى بابها ، جعلت أفذاذ الرجال وكبار القادة من أصحابه وأعرف الناس به لا يملئون عيونهم منه مهابة واجلالا ، فاذا حاولوا تقليده فى أمر فوق طاقتهم ترفق بهم قائلا : لستم مثلى خذوا من العمل ما تطيقون .

والرجل الصالح صورة مصغرة من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض نواحيه أو جل نواحيه ، وانه يعطى هذه الصورة لمحبيه حاضرة منظورة بمقدار تأسيه برسول الله ، وحسن فقهه وذوقه فى دين الله ، وعلى حد قول القائل يخاطب الرسول :

انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء

ورسولنا صلى الله عليه وسلم أجل قدرا وأرفع ذكرا : وصالحو المؤمنين تمثلت قلوبهم من أنوار رسول الله أجل مما مثل الماء نجوم السماء .

التبرك بالصالحين أحياء ومنتقلين :

والتبرك بالصالحين أحياء وبآثارهم بعد انتقالهم ليس بدعا من الأمر ولا هو من انشاء المتصوفين ، بل هو على نحو التبرك بآثار الأنبياء السابقين ، وبرسول الله فى حياته وبآثاره بعده وبما مسه بيده أو بجسمه ، وبأحفاده كذلك، واليك طرفا من البيان .

ورد فى الصحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر رضى الله عنه وقال : هذا مقام أبينا ابراهيم ، فقال عمر : أفلا نتخذه مصلى ؟ قال : لم أومر بذلك ، فلم تغب الشمس حتى نزلت : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ويقول سبحانه : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم »

ومقام ابراهيم فى رأى كثير من العلماء هو الحجر الذى قام عليه فى رفع القواعد من البيت ، واسماعيل يناوله الحجارة للبناء . وبعضهم يفسر مقام ابراهيم بانه الحج كله

وفى الحج الدليل كل الدليل لمن أراده بقلب سليم ، فالى كونه أحد أركان الاسلام الخمسة فيه مشاهد وذكريات ، وفى كل مشاهده اقتفاء لآثار الصالحين السابقين واللاحقين - وفى حديث البخارى عن اسكان ابراهيم ولده اسماعيل وأمه هاجر بمكان البيت الحرام ، وما صنعته أم اسماعيل فى بحثها عن الماء من التردد بين الصفا والمروة مرات قبل أن تظهر زمزم لها باذن الله يقول ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فلذلك (أى لعمل أم اسماعيل) سعى الناس » .

كذلك فى استلام الحجر الاسود وتقبيله أروع المشاهد والمعانى ، انه مبايعة لله ، ومبايعة لرسول الله ، حيث وضع الرسول الكريم يده وفاه كما وضع الأنبياء السابقون ، وتبعه الصحابة ومن جاء بعدهم الى ما شاء الله ، وكان الحاج حينما يستلمه ويقبله انما يسلم قلبه مبايعة لله والرسول ، فان لم يصل اليه بفيه أشار بيده علامة البيعة والتسليم .

بل الحج كله اقدام تنقل على آثار الصالحين ، مشاها الخليل أبو الأنبياء ، ومشاها من بعده ألوف الأنبياء ، وأتم المناسك رسول الله وقال لأصحابه خذوا عنى مناسككم ، والمسلمون يبادرون البيت الحرام يجددون عهدهم بالدعوة الاسلامية فى مواطنها المقدسة ، ويشهدون بقاعا شهدها رسول الله ، ووطئت ثراها أقدامه المباركة وترددت فى سمائها أنفاسه الطاهرة ، ومن حوله صحب كرام ضربوا فى الجهاد أروع الأمثال ، وذلك ليحيا المؤمن فترة من عمره فى جو هذه الذكريات ويقتبس من روحها زادا لروحه بقية محياه .

التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبرك الصحابة بماء من وضوء رسول الله ، ودعاهم الى ماء بورك فيه من يده قائلا : البركة من الله ، ودفعوا آنيتهم بالماء ليضع فيها يده ، وتبركوا بشعرات أخذها الحلاق من رأسه ، وبقطرات من العرق سالت منه فى نومه ، وفى كل هذا يوافق عليه ويصوبه - وتبركوا بثيابه من بعده ، وبمواضع يده فى منبره ، وببعض أحفاده من بعده كذلك - واليك من عشرات الأحاديث الصحاح جملة يسيرة تشير الى ما نريد :

روى البخارى فى كتاب الوضوء ، وكتاب بدء الخلق من صحيحه عن أبى جحيفة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون .. ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه .. وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم فأخذت بيده فوضعتها على وجهى فاذا هى أبرد من الثلج ، وأطيب رائحة من المسك .

وروى مسلم فى صحيحه مثل ذلك فى كتاب الصلاة ، وعلق النووى فى شرحه قائلا : وفى الحديث التبرك بآثار الصالحين وفضل طهورهم وطعامهم وشرابهم ولباسهم .

وروى البخارى عن جابر قال : رأيتنى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل فى اناء فاتى النبى صلى الله عليه وسلم به فأدخل يده فيه ، وفرج بين أصابعه ، ثم قال : حى على أهل الوضوء ، البركة من الله ، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا ، وجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه - قيل لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال ألفا وأربعمائة . « كتاب الأشربة من صحيحه - باب شرب البركة والماء المبارك » وفى باب « قربه صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به وتواضعه لهم » روى مسلم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم ، فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها ، فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها .

وروى فى الباب عن أنس كذلك قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا فى يد رجل - وفى باب الحج ذكر عدة روايات، وفيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع دعا بالحلاق - عند التحلل - فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك «من الحلق» ثم قال ههنا أبو طلحة فدفعه اليه ، وفى رواية قال : أقسمه بين الناس .

وفى كتاب الوضوء للبخارى عن ابن سيرين قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال : لأن تكون عندى شعرة منه أحب الى من الدنيا وما فيها .

وتبركوا بقطرات من عرقه وهو نائم كما فى حديث أم سليم عند مسلم ولما قالت نرجو بركته لصبياننا قال لها : أصبت. وتبركوا بجبة له كانت عند عائشة رضى الله عنها ثم عند أختها أسماء بعد وفاتها وقالت أسماء هذه عندنا نغسلها للمرضى رجاء الشفاء « الحديث بطوله فى مسلم » ومثل هذا فى خضخضة شعرات من لحيته فى الماء رجاء البركة والشفاء كانت عند أم سلمة ، والحديث فى البخارى .

وتبرك جابر بقطعة نقد زادها النبى صلى الله عليه وسلم له فى ثمن جمل ،

فقال جابر لاتفارقني زيادة رسول الله ، وظلت في كيسه أكثر من نصف قرن حتى أخذ الكيس أهل الشام في وقعة الحرة عام ثلاثة وستين « الحديث بطوله فيمسلم باب البيوع » .

ونقل ابن تيمية عن القاضي عياض فيبعض كتبه ماروى أن ابن عمر رؤى واضعا يمينه موضع النبي من المنبر ثم وضعها على وجهه - وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي تلقى القبر بميامنهم ثم استقبلو القبلة يدعون « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٦٣ طبعة رشيد رضا »

وفي حديث مسلم وابي داود عن حجة الوداع من رواية محمد بن علي بن حسين قال : دخلنا علي جابر بن عبدالله « وكان مع محمد بن علي فتية منشباب المسلمين» فسأل عن القوم ثم انتهى الى فقلت : أنا محمد بن علي بن حسين ، فاهوى بيده الى رأسي فنزع زرى الأعلى ثم نزع زرى الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي فقال : مرحبا بك يا ابن أخي سل عما شئت وهو أعمى ... الخ .

وذكر النووي في شرحه أنهذا من باب اكرام أهل البيت وملاطفة الزائر ، وأقول ان تبرك جابر الصحابي الجليل بحفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح جلي .

ونكتفي الآن بهذا الايجاز ، وفي بعضه - والحمد لله - بلاغ ، لننظر هل يمكن أن يكون التبرك الصادق بالصالحين أحياء وأمواتا تماوتاوضعفا ؟ وهل تعظيم الأولياء واجلالهم عبادة واشراك ؟ على حد ما يحلو لبعض الناس من ادعاء ومن ولوع بالأذى ، غير فاقهين شيئا من وجوب ابتناء الدعوة الى الله على البصيرة والفهم ، ثم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فنقول عن الجزء الاول : هل كان الذين يطيفون برسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يأخذ من شعره - ما يريدون أن تقع شعرة الا في يد رجل ضعفاءمتماوتين، أو كان الذين بايعوه في الحديبية على أن يناجزوا المشركين بعد أن أشيع قتلعثمان وهم حوله - كما شهد أعداؤهممعجبين - ما يريدون أن تقع قطرة من وضوئه على الأرض ، وماتنخم تخامة الا تلقاها واحد منهم ودلك بها وجهه وكفيه ، هل فيهؤلاء شبهة ضعف ؟

أو كان خالد بن الوليد ضعيفا وهو يضع شعرة من رسول الله في عمامته يخوض بها معارك اليرموك ، ويدك معاقل الروم ، ويفرق جموعهم المسلسلة بالحديد اصرارا على الثبات - وما استطاعوا - أمام ضربات المسلمين ؟ لو عقل المعترضون لرأوا التبرك آصرة تزيد قلب المؤمن ارتباطا بقوة السماء ، ان حبه لعباد الله من حب الله ، انه ما أحب فيهم لحما ودما وصورة ، انه أحب صلاحا وطاعةواخلاصا وتقوى : انه ابتغى قدوة في أئمة متقين ، حملوا شريعة الله ، وورثوا من أنوار رسول الله ليتسلم من بلل أيديهم ، وميراث قلوبهم ما تسلموا وما حملوا كما فعل أصحابه في وضوئه يتبادلون بلل الأيدي ، وليكون المؤمن بحسن الاقتداء اماما للمتقين .

اما أن يقال ان تعظيم الولي حيا أو منتقلا عبادة له ، فذاك عدا أنه أبعد شيء عن الفهم وحسن التقدير - ظلم لعباد الله ، وسوء ظن بالمسلمين .

ان مجرد التعظيم والاجلال أو الطاعة والخضوع ولو بضرب من المبالغةوالافراط ليس هو العبادة بمفهومها الشرعي ، وهل يبلغ ذلك مابلغه تعظيم الملائكة لآدم بالسجود له طاعة لأمر الله ؟ أو سجود يعقوب نبي الله ومن معه ليوسف على خزائن مصر اجلالا لما منحه الله من نعمة؟ وفي التنزيل : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس - ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا »وهل يأمر القرآن بالأول ، ويقر الثاني وفيهما شبهة عبادة لغير الله ؟

ويقول صاحب المنار في التفسير - بعد نقده لما أورد من تعاريف العبادة ، وأنها لفظية أو تقريبية في بيان معنى العبادة « قد يغلو العاشق في تعظيم معشوقه . ويبالغ كثير من الناس في تعظيم الرؤساء والملوك والأمراء .. ولم يكن العرب يسمون شيئا من هذا الخضوع عبادة فما هي اذا ؟

تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشاها ، واعتقاده بسلطة غيبية لا يدرك كنهها وماهيتها وقصارى ما يعرفه أنها محيطة به وأنها فوق ادراكه » ثم يمضي قائلا : فما ينتهي الى أقصى الذل للملك من الملوك لا يقال انه عبده وان قبل مواطيء قدميه ما دام سبب الذل معروفا وهو الخوف من ظلمه المعهود أو الرجاء بكرمه المحدود . اللهم الا بالنسبة للذين يعتقدون ان الملك قوة غيبية سماوية أفيضت من الملأ الأعلى .. فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا حقيقيين وعبدوهم عبادة حقيقية .

ويقول باحث آخر بعد تحقيق معنى العبادة لغة : فالعبادة بمعناها اللغوي الذي هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركا ولا كفرا قطعا ، والا لزم كفر الناس جميعا من لدن آدم الى يومنا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها أحد ، فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخادم والأجير والرعية والجنود باطاعة المولى والزوج والأب والمخدوم والمستأجر والملك والأمراء وجميع الخلق لاطاعة بعضهم بعضا .. وقد أوجب الله طاعة الأبوين وخفض جناح الذل لهما ، وقال لرسوله : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وأوجب طاعة العبيد لمواليهم وسماهم عبيدا .. وإطاعة أولى الأمر .. وورد في الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة فورد أن العاصي عبد الشيطان « في الحديث تعس عبد الدرهم ، وعبد الدينار وعبد الخميصة » .. وهذه الأمور التي سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد ، والا لم يسلم منه واحد والضرورة قاضية بخلافه .

ويقول في معنى الدعاء مخ العبادة .. المراد به نداء الله تعالى وسؤاله والقيام بغاية الخشوع والتذلل بين يديه وانزال حاجات الدنيا والآخرة به على أنه الفاعل المختار ، والمالك الحقيقي لأمور الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشاء - فمن دعا مخلوقا على هذا النحو كان عابدا له « كشف الارتياب للسيد محسن الأمين الحسيني ص ١٠٣ وما بعدها » .

وصفوة القول : أن حب شيء مع الله أو من دون الله شأن المكذبين الضالين ، وان الحب في الله ولله شأن المؤمنين الصادقين .

وبعد : فيلي الحديث عن أولياء الله حديث الموالين والجافين فالى اللقاء ان شاء الله .

تجارة...

كل انسان يحرص على الكسب ويتطلع الى الربح ، ومن الوسائل لتحقيق غرضه التجارة، والتجارة تتقلب بها الأحداث وتتحكم فى مصيرها الظروف، فقد تدر ربحا وفيرا ينعم به صاحبها ، وقد ترزؤه بخسارة فادحة ينوء بعبئها الثقيل فلا يستطيع منه النهوض .

فالتجارة فى حد ذاتها مغامرة لا يدرى مصيرها ، والتاجر قلق مترقب متوجس لا يقر له له قرار حتى يحس بالنجاح وبالنجاح الكبير ، غير أن هناك تجارة لن تخسر أبدا ، فهى تجارة رابحة على الدوام ، وربحها ليس ربحا بسيطا بل هو ربح كثير وكثير ، تلك هى التجارة مع الله فى بضاعة قوامها أوامر تمتثل ونواه تجتنب ، انها تجارة شاملة جامعة تحوى كل خير وتتصل بكل نفع ، وتجارة رابحة رائجة لن تخسر أبدا ولن تبور بحال . وفى آية من آيات الله سبحانه بين لنا أقسامها الرئيسية وشعار كل قسم منها .. وذلك فى قوله تعالى :

« ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » .

أول قسم من أقسام هذه التجارة وهو رأسها وأكبرها تلاوة كتاب الله تعالى ، فهو أولا مصدر من مصادر الثراء فى الثواب ، وذخيرة من الذخائر الكبرى التى تمد الانسان بكل خير ، يكفى لبيان ذلك حديث ابن مسعود عن النبى – صلى الله عليه وسلم – : « ان هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا من مأدبته ما استطعتم .. ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والدواء الناجع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم .. ولا يخلق عن كثرة الرد . اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات . أما أنى لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وتلاوة الكتاب ثانيا تعرف الانسان حقوقه وواجباته .. وتبصره فى دينه وتنظم علاقاته وتهديه الطريق الى الخير فى دينه ودنياه ، والمعرفة هى أساس العمل ، والانسان بدون علم ومعرفة ضال حائر ، أو هو أشبه بالجماد أو الحيوان الأعجم وكلما زاد الانسان معرفة زاد رفعة وزادت فرص الحياة أمامه. والذى يباشر أى عمل من الأعمال على علم وبصيرة يكون رجاؤه فى النجاح كبيرا .

وكتاب الله جامع لكل المعارف شامل لكل أنواع العلو التى تهدى الانسان الى الخير فى كل المجالات والمتفقه فيه، والمتربى على مائدته يتخرج من هذا التفقه ومن تلك التربية علما من الأعلام التى تضىء الطريق للسالكين ، ويضىء هو لنفسه سبيل الخير ، فهو انسان مستفيد ومفيد ، نافع ومنتفع :

لن تبور !

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ..

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

الناس من جهة التمثيل أكفاء
ابوهمو آدم والأم حواء
والفخر الا لأهل العلم انهموا
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

ولعظم هذا النوع من التجارة فى كسب الخير للنفس ، وفى الدلالة للغير على طرق الهدى كان أول مادة فى دستور الاسلام علم به الرسول ..

« **اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » .

والقسم الثانى من هذه التجارة الرابحة قسم عملى هو أثر من آثار القسم الأول .. فالكتاب لم تطلب قراءته لذات القراءة فحسب ، بل للعمل بما فيه بعد التدبر والتفقه فيه ..

ذلك القسم هو العلاقة الوثيقة التى تربط الانسان بربه ، ذلك أن الانسان مخلوق عليه واجبات لغيره وغيره .. اما أعلى منه ، واما مساو له .. فالاعلى منه هو خالقه ومالك امره .. كله ، والمساوى له هم المخلوقون الذين يعيش معهم فى هذه الحياة ، ورأس الواجبات على الانسان لله أو عنوان الرابطة بين الانسان والله ، الصلاة ، فهى صلة بين العبد وربه ، بما فيها من قرآن وذكر ودعاء وحركات عملية يرمز بها الى تطبيق القول على العمل والى وجوب التدليل العملى على القول اللسانى ..

والصلاة كما شبهها النبى - صلى الله عليه وسلم - عمود الدين من أقامها فقد اقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين .. وهى العلامة المميزة والفارق الواضح بين المسلم وغيره كما فى الحديث الصحيح :

« **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** » .

فهى تربط بقوة بين العبد وربه ، وترجعه اليه فى كل شئونه ، يستمد منه العون ويطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم ، وبها تشرق روحه .. وتصفو نفسه ، ويتهيأ لسلوك جماعى تلتزم فيه الجادة وتحترم الحقوق :

« **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » ..

وهى بهذا الوضع تمهد للقسم الثالث من اقسام هذه التجارة .. فهى كما تطلب كواجب لله تطلب كاعداد للحياة الاجتماعية المثالية ..

القسم الثالث من التجارة ، القائم على تنظيم العلاقة بين العبد وبين من يشاركونه الحياة الاجتماعية ، جعل الله عنوانه البارز وواجهته الرئيسية الزكاة والصدقات :

« **وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** » ..

والزكاة لا تكون الا حيث تكون الرحمة وحب الخير للناس .. ورجاء الثواب من الله وخوف العقاب منه ، وتلك آثار من آثار الصلاة ، وهى حين تطبق وتؤدى

تطهر النفس من الاثرة والأنانية، وتنزه القلب عن القسوة والوحشية، وتبعد بالسلوك عن الظلم والعدوان، وتلك هى دعائم المجتمع السليم. والله سبحانه حين يأمر باخراج الصدقات يريدها خالصة لوجهه يستوى عنده أن يعلمها الناس أو لا يعلموا، فلتكن سجية تصدر عن النفس بسخاء ويسر وسهولة: «**سرا وعلانية**» «**أن تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**» «**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**».

هذه هى أصول التجارة الرابحة، ولكن أين ربحها؟ ان ربحها مضمون مضمون.. «ليوفيهم أجورهم».. وقد سمى الله ثوابها وعائدها أجرا، تقريرا لضمانه وتأكده، والا فكل عمل نتقدم به الى الله هو واجب ازاء نعمه الكبرى التى لا تعد ولا تحصى، والثواب محض فضل من الله ان شاء أعطى وان شاء منع ولكن الله سبحانه كريم جواد رحيم رؤوف، عاملك كما يتعامل الناس من قدم جهدا استحق أجرا.. فطمأن قلبك وأدخل الثقة على نفسك بضمان الثواب الذى سماه أجرا، وكذلك زادك طمأنينة بأنه سيدفعه لك كاملا غير منقوص وهو سر التعبير بقوله: «ليوفيهم» فهو سبحانه غنى واسع الغنى وهو ذو الفضل العظيم، يقبل القليل ويعطى عليه الجزيل، يضاعف الحسنة الى عشر حسنات والى سبعمائة ضعف والى أكثر من ذلك لمن يشاء..

والى جانب توفية الأجر العادل يعطى منحة فوق الأجر يدل عليها قوله «ويزيدهم من فضله».. وهل يفعل ذلك الا واسع الفضل الذى لا تنفد خزائنه، والرحيم الذى لا تحد رحمته، واذا كان فضله قد نال من كفر به.. ورحمته وسعت كل شىء فى الوجود، فكيف يكون فضله على آمن به وأطاعه، وكيف تكون رحمته لمن استقام على هديه واستجاب لأمره؟

ولماذا كانت هذه المعاملة من الله لعباده الذين يتاجرون معه فى الخير.. ان ضمان الاجر والزيادة من الفضل نابع من صفات كريمة لله سبحانه.. «انه غفور شكور» انه يعلم أن العبد مهما أفرغ الجهد فى العبادة فهو مقصر لأنه محوط بمغريات ومرتبط بالتزامات.. ومتأثر بعلاقات تأخذ من قلبه جزءا كبيرا لا يفرغ كله لله الذى ينبغى أن يكون كل شىء له، فهو غفور يصفح ويتجاوز، وكم له من مغفرة وتجاوز، قال تعالى: «**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**» «**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة**» «**وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**» وهو سبحانه شكور أيضا.. وهذا التعبير رائع جميل يتنزل به رب العزة الى متعارف الناس فى الشكر على المعروف الذى يقدم لهم من الغير، واذ كنا ونحن عبيد لله، لا نستحق عنده شيئا، فعلينا الامتثال والتنفيذ وحسبنا من ذلك اننا أطعنا وحققنا معنى عبوديتنا له لكنه سبحانه يتلطف معنا ويعبر عن رضاه على الطائعين بالشكر.. انها كلمة لها وزنها ولها قيمتها واذا كانت كلمة شكر يظفر بها الانسان من انسان مثله تكون له فخرا وعزا مدى الدهر، فكيف بشكر من يملك العز كله.. انه شرف لا يعدله شرف.. وفخر لا يطاوله أى فخر.

هذه هى التجارة مع الله بأصولها وعناوينها المميزة لها، وذلك هو ربحها الوفير المضمون بما يتبعه من فضل وزيادة.. وتلك هى المعاملة الكريمة من الله لعباده تقوم على المغفرة والشكر فهل آن لنا أن نستمسك بهذه التجارة «يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم» رأس مالها «تؤمنون بالله ورسوله» وبضاعتها «وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم» وربحها الاجمالى «ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون». وتفصيل هذا الربح منه ربح أخروى وهو أهم وأعظم «يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم».. وربح دنيوى عاجل تحبه النفوس «وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب» فلتعلن يا محمد عن هذه التجارة ذات الربح الوفير «وبشر المؤمنين».

آيات من القرآن الكريم تخطط لحياتنا الدينية والدنيوية، وتضع أيدينا على الحقيقة لنعرف أوضاعنا فى الحياة ونهايتنا الأخيرة منها، وتبين لنا الصراط المستقيم وغايته «صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور».

إباء الضيم خلق المؤمن

فضيلة الشيخ عطية صقر

الفطرة الانسانية تأبى الظلم والهوان ، ضرورة شعور كل انسان بكرامته وحريته ومساواته لغيره ممن يريد أن يفرض عليه سلطاته دون ما يدعو لذلك ، لايكاد يشذ عن هذا الشعور الا انسان متبلد الحس ، فقد اعظم مقومات الانسانية وصار الى الحيوان أو الجماد أقرب كما يقول القائل :

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له احد

ويقول المتنبى فى شدة وطأة الظلم على النفوس

واحتمال الأذى ورؤية جا
نيه داء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل لعيش
رب عيش أخف منه الحمام

والرجل الحر الأبى يؤثر الموت على حياة الذل ويفضل العيش الخشن مع الكرامة على العيش الناعم مع الظلم والأهانة .

يقول الشاعر الحكيم :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة
بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز أطيب منزل

والعرب فى جاهليتهم كانوا يأبون الظلم وينفرون من الذل ويدفعونه بكل ما أوتوا من قوة ، كمايقول قائلهم .

ومن لم يذد عن حوضه بسنانه
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

بل كان بعضهم يرى أنه لابد من البدء بالظلم للغير حتى يرهب جانبه ولا يفكر فى الاعتداء عليه على حد قول بعضهم : (ومن لا يظلم الناس يظلم) . ونجد لهذا الشعور الأبى صدى عميقا فى حياتهم العامة بالمفاخرات والاعتداد بالانساب والأموال والأولاد ، وكان أشد ظلم يقع عليهم هو القتل الذى لايشفيه الا الثأر ، والثأر القوى الذى يرضى نفوسهم حتى لو أخذوا بالكبير منهم عشرات من أسرة القاتل ، ولا يهدأ لهم بال حتى ترتوى النفوس من رؤية دم القاتلين يسيل أمامهم بل كانوا يعتقدون أن طائرا يسمونه الهامة يظل يصيح على قبر المقتول لا يكف عن صياحه حتى يؤخذ بثأره . ولقوة شعورهم بفداحة الظلم كانوا يسرعون الى دفعه عن غيرهم ممن يستنصر بهم خصوصا اذا جمعته بهم جامعة من قرابة أو جوار أو غيرهما .

لايسألون أخاهم حين يندبهم
فى النائبات على ما قال برهانا

جاء الاسلام وهو دين الفطرة يقوى فى الناس شعور الحرية والحفاظ على الكرامة واباء الظلم ورفض الذل ، وقرر أن الأنسان كريم كما أراد الله له بقوله (ولقدكرمنا بنى آدم) وهو كريم باعتناقه للدين الكريم وهو دين الاسلام وبأنه عضو فى أكرم جماعة شرفها الله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وهو كريم بعقيدته فى الله الذى لايذل الا له وحده ، ولا يستعين بأحد سواه ، وهذه المعانى كلها تدعوه الى الأباء والشمم وعزة النفس وكرامة الحياة .

ومن أجل هذا شرع الأسلام دفع الظلم والوقوف ضد المعتدين على الحريات والحقوق ، فقرر فى القرآن الكريم أن من صفات المؤمنين عدم قبول الضيم وعدم الاستسلام للظلم ، قال تعالى (والذين **اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) ومن هنا كان الجهاد فريضة لرد العدوان ودفع الظلم ، قال تعالى ، (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (من قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) ولهذا أمر بأعداد القوة لهذه الطوارىء فقال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم)**
واذا وقع الظلم فالاستسلام له محرم مادام رفعه مستطاعا ، قال تعالى فيمن تخلفوا عن الهجرة ورضوا بالاقامة فى مكة مستضعفين أذلاء وسط

قريش والطواغيت .. (ان الذين توفاهم الملائكه ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنامستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) .

وقال فى الانتصاف من الظالمين ومقاومتهم ، (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) كما شرع الاسلام نجدة المظلوم والتعاون معه على دفع الظلم عنه وازالته اذا وقع خصوصا اذا كان هناك رباط قوى من دين يجمعهم أو عهد يضم جهودهم ، قال تعالى (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وقال (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ، الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) وفى الحديث الشريف فى حق المسلم على المسلم (وان استنصرك فانصره) وفيه أيضا (انصر اخاك ظالما أو مظلوما) قالوا هذا المظلوم فكيف بالظالم ؟ فقال (ترده عن ظلمه) وقد شدد الاسلام فى النكير على من يتخاذل عن نصرة المظلوم ، ففى الحديث الشريف من أذل عنده مسلم فلم ينصره وهو قادر ان ينصره اذله الله على رءوس الخلائق يوم القيامة) وقد اشتهر فى التاريخ ان عمر بن الخطاب لم يرض بالظلم يقع على مواطن قبطى له عهده وذمته ، اعتدى عليه ابن والى مصر فانتصف له وقال كلمته المشهورة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا

ودفع الظلم فرض محتم اذا كان من كافر ، قال تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) وقال فى صفة الرسول ومن معه من المؤمنين (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وموقف الصحابة فى بدر رغم قلتهم وكثرة المشركين الباغين . وموقفهم ايضا فى الأحزاب حين أحاط بهم العدو من كل جانب ورفضهم اعطاء ثمرة واحدة لهم ليرجعوا كما اقترح الرسول عليهم ، وكذلك مواقفهم فى كل الغزوات اندفعوا فيها مجاهدين صامدين كلهم غيرة على الشرف والكرامة وكلهم حماس للنصر واعزاز كلمة الله كل هذه المواقف تشهد بمدى ماعند المسلم من اباء للضيم ورفض للظلم خصوصا اذا كان من كافر لم يشرف بعد بشرف الدين ، واذا كان الله سبحانه يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فان محل ذلك اذا لم يكن فى التهلكه شرف كالشهادة فى سبيل الله ودفع الصائل على النفس والعرض ومشروعية العفو عن المعتدين انما هى للمؤمنين وفى غير مالا يحل بحال قال تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين)

واذا كان المسلمون فى مكة قد صمدوا أمام التحديات فليس ذلك استسلاما بل تحينا للفرصة ، واستعدادا لساعة اللقاء ، وذلك بتقوية العزائم والتدرب على الصمود عند النوائب ، قال تعالى لنبيه **(فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** ولا تستعجل لهم) وكان الرسول يأمر اصحابه بالصبر عندما يشكون اليه شدة الأذى ويعدهم بالنصر وعدا مؤكدا « والله ليتمن هذا الأمر **حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الى الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)**

واذا كان الاسلام يثير فى نفوس المسلمين الحمية حتى يرفضوا الظلم ولا يستسلموا له فان من لوازم ذلك أن يكون سلوكهم متفقا مع الشعور الباطنى بالعزة والكرامة ، ولعل مما يساعد على تقويم السلوك لأباة الضيم الا يتعلقوا بالدنيا ولايتهافتوا عليها تهافت الحريص الطامع الذى ينسى مع تهافته عليها القيم الأدبية والأخلاقية ، وقديما قال الحكماء : أذل الحرص اعناق الرجال ، وعليهم أن يستهينوا بالموت فى سبيل الشرف والكرامة لتوهب لهم حياة خالدة عند الله وذكر حسن فى الآخرين .

ونحن فى حاضرنا نرى الاستعمار دائب العمل لفرض سلطانه على الأمم الناهضة واعادة نفوذه على الدول التى تعيش فى منطقة الشرق الأوسط ذات الحضارة الدينية الأصيلة وذات الكنوز الثمينة والموقع الاستراتيجى الهام ، وبحمد الله يسكن هذه المنطقة كثرة مؤمنة عليها ان تعتز بعزة الله فتحبط كيد الكائدين ولا تمكن المغيرين ، وأذنابهم من بسط نفوذهم على تراث الاسلام وحضارة العرب ، وهم جميعا متضامنون فى هذا الواجب المقدس ، ان فرطوا فيه حقت عليهم الكلمة ، وان صدقوا

العزم كان الله معهم بالنصر والتأييد ، واذكرهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذيقول ، (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها قال قائل ومن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال لا ، بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يارسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)

موقف الإسلام من الإسراف وأثره في التعاون

يلعب المال دورا كبيرا وخطيرا فى حياة البشرية عامة ، فالمال عصب الحياة ، اذ عليه وعلى ما بجانبه من مصادر الثروة التى لا يزيد عددها عن عدد أصابع اليد الواحدة ، يتوقف مصير ما نحاول أن نحققه من مشروعات ، أو نقوم به من أعمال .. ومصادر الثروة الزراعية ، أو الحيوانية ، أو المائية ، أو المعدنية ، سواء فى أداء هذا الدور الكبير والخطير .

وحب المال الناتج من كل هذه المصادر متأصل فى النفس البشرية فهو غريزة طبيعية فى هذه النفس ، وجدت فيها ونمت وترعرعت منذ البداية ، ولقد أشار الله سبحانه وتعالى الى حب المال وما يسببه للانسان من ابتلاء وشدة فى قوله سبحانه :

((فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن، وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن ، كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما)).

فالمال سلاح ذو حدين .. فهو سلاح مفيد ، اذا أحسن استعماله قاد الى الخير والفلاح .. نلاحظ هذا ونشاهده فى حياة الانسان كفرد ، فهو اذا تصرف فيه تصرف العاقل الواعى ، كان سببا فى علو شأنه ، وبناء كرامته ، واحترام الناس وتقديرهم له ، وقد روى عن الطبرانى عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انه قال:

((نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح)) ..

ونشاهده فى حياة الافراد كمجموعات ، اذا وجهته الوجهة الصالحة ارتفعت قيمتها ، واكتسبت تقدير غيرها من المجموعات ،وحققت ما تسعى اليه من رفاهية ، ونشاهده فى حياة الامم ، اذا هى خططت لاستعماله الخطط السليمة ، وقدرت الاستفادة منه التقدير الصحيح ، استطاعت أن تقيم المشروعات ، وتقدم الخدمات وتعمم المنشآت التى تؤدى الى تقوية الامة، وتقدمها ، والنهوض بها الى المكان الذى يجب أن تكون فيه ، واستطاعت بذلك أن تساير ركب الحضارة ، وان تشارك فى بناء البشرية على الاسس القوية الثابتة الدعائم ، المتينة الاركان ، واستطاعت أن تصون حياتها وحياة رعاياها، وان تحفظ استقلالها ، وان تفاخر بنهضتها ورقيها.. والله سبحانه وتعالى يقول :

((وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون)) .

والمال سلاح خطر ، اذا أسىء استعماله والتصرف فيه ذات اليمين وذات الشمال من غير تفكير وبلا روية ، ولمجرد اشباع الغرائز ، وتحقيق ميول النفس ونزواتها ، قاد الى الهلاك. هلاك الفرد الذى لن يجنى فى النهاية غير الفقر والذل والتعاسة ، وهلاك الجماعات التى لن تحصد غير الفشل والسقوط ، وهلاك الامم التى لن تبلغ ما تريد وانما هو الانهيار والدمار .

ومن الاوجه الصحيحة السليمة لانفاق المال ما وجه اليه سبحانه فى قوله :

((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

الأستاذ عبد المنعم حماده

من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب » .

ومن هذه الاوجه كذلك استخدامه فى سبيل نصرة الدين واعلاء شأنه ، ورفعة الأوطان وحماية مقدساتها .. والله سبحانه وتعالى يقول فى ذلك :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

من هذا كله نرى أن المال الذى له هذه المكانة وهذه الخطورة ، والذى يعتبر سلاحا ذا حدين ، يجب أن يوجه الوجهة السليمة ، وأن نتصرف فيه بالقدر الذى يجعل منه سلاح الخير ، وليس من شك فى انه يستطيع ان يلعب هذا الدور اذا نحن اتجهنا فى استعماله واستخدامه الى الاقتصاد وعدم الاسراف .. الاقتصاد الذى لا يصل الى درجة البخل ، والاسراف الذى ينتهى الى السفه .. وهذا يقودنا بالتالى الى الاعتدال ، أو الوسطية ، والمثل يقول : **« خير الامور الوسط »** ولم تكن الدعوة الى الاقتصاد وعدم الاسراف من الدعوات التى نادى بها الناس ، أو ابتكرها علماء الاقتصاد واصطلحوا عليها ، ولكنها دعوة قديمة يبلغ عمرها الف واربعمائة من السنين ، سبقهم اليها الاسلام ، وحث عليها فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم .. والله الحق تبارك وتعالى يقول :

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » ..

فالله يأمرنا فى هذه الآية الكريمة أن نتحلى وأن نتزين ، وان نظهر عند كل مسجد ــ وكل مكان صالح للسجود ــ بالمظهر اللائق الجميل ، وان ننال من الاكل والشراب ما طاب ومالت اليه النفس ، ولكنه يأمرنا فى نفس الوقت بأن لا نسرف سواء فى هذا المظهر ، أو فى هذا الشراب والطعام لانه عز وجل لا يحب المسرفين .

وليس من العسير على الانسان ان يدرك الغاية الحقيقية من وراء هذا كله ، فالله سبحانه يريد لنا الوسط فى كل شىء .. يريد الاقتصاد والاعتدال الذى أوضحه القرآن فى قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »

ولقد امتدح الله تبارك وتعالى عباده الطائعين ، المخلصين ، العاملين باحكام الدين ، المنتهين عما نهى عنه هذا الدين فى كثير من الآيات ، واضفى عليهم كثيرا من الصفات والشمائل التى تستحق هذا المدح ، وهذا الثناء .. من هذه الصفات والشمائل الحميدة التى من أجلها أثنى عز وجل على عباده ، ووصفهم بما يرفع من شأنهم ، ويعز مكانهم .. من هذه الصفات والشمائل القصد والاعتدال وعدم الاسراف ، واتباع الوسط فيما يأتون ومايعملون مما رخص لهم به .. ولقد قدم خالق السماوات والارض هؤلاء العباد بوصف كريم عزيز اذ قال فيهم :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، ثم وصفهم بقوله : **« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »** .

ولقد خلق الله الانسان وفى نفسه كثير من الغرائز والميول التى تدفعه الى أن يشق طريقه فى الحياة ليحقق آماله ومطامعه واحتياجاته ، ومنحه العقل والتفكير ليميز بين الخير والشر ، بين النافع والضار ، بين الثمين والغث ، فيتخذ سبيله لتحقيق الآمال والمطامع والحصول على احتياجاته دون ان يحيد عن الطريق الذى رسمه له ربه والا كان عاصيا .

وحب المال من الغرائز التى تأصلت فى نفس الانسان كما أشرنا من قبل ، فقد جعل الله المال زينة الحياة الدنيا ، وغرس فى نفس الانسان حبه ، وحب تملكه .. وتفنن الانسان فى وسائل جمعه وتنميته ، وفى وسائل صيانته وحمايته ، كما تفنن فى وسائل انفاقه والتصرف فيه ، والله تبارك وتعالى يقول :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

ولما كان الله قد ميز الانسان بنعمة العقل ، وميزه بالقدرة على التفكير ، فقد هداه سبحانه الى ادراك ما قد يعود عليه من ضرر اذا هو لم يكن وسطا بين الانفاق والاقتصاد ، أو بمعنى آخر ، بين رذيلتى الاسراف والبخل .. أدرك الانسان ذلك مما اطلع عليه فى كتابه الكريم حيث الانذار والوعيد للذين يكدسون المال ، فقد انذرهم الخالق عز وجل بعذاب أليم فى قوله :

« والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بهـا جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وفى الوقت الذى يتوعد فيـه الله الذين يكنزون الذهب والفضة يأمر بالانفاق فى سبيل الخير ، والله تعالى يقول :

« لن تنالوا البر حتى تنفقـوا مما تحبون » .

وحين أدرك الانســان ذلك ، حاول بكل جهده ان يكون معتدلا، وأن يكون مقتصدا لايجعـل يده مغلولة الى عنقه فيتهم بالبخل والشح ولا يجعلها مبسوطة كل البسط فيرمى بالاسراف الذى يعود عليه بسوء العاقبة فى الدنيا والخزى فى الآخرة ، ولقد ذم الله المبذرين فى قوله :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

واذا كان ممـا لا شك فيه ، والذى يعتبر فى حكم المسلم به ، والذى لا يرقى اليه أى جدل أو خلاف ، ان الاسلام هو النبـع الصافى لكل الحضارات الحديثة ، والنور الذى استضاء به أصحاب النظريات أو الفلسفات الجديدة، والمنهاج العلمى الذى سـار على هديه أصحاب المشروعات البناءة، فلقد أصبح من المسلم به كذلك أن الحـركة التعاونيـة قد استفادت من تعاليم الاســلام ومناهجه .. وكان الاعتدال وعدم الاسراف أحد هـذه التعاليم التى قامت على أساسهـا الحـركة التعاونية .

ولقد أشرنا فى مقـال سابق الى ما يقوله المؤرخون عن اسباب انتشار الحركة التعاونيـة ذلك الانتشار البعيـد المدى ، والذى يكاد يغطى أكثر من مائة وعشرين دولة، واذا كان المؤرخون يرجعون ذلك الى النظام المحـكم الذى وضـعه الرواد الاول للحـركة التعاونية ، فليس من شك كذلك فى انه كانت هناك أسباب أخرى كثيرة لعل أولهـــا : انها قامت بدافع من شعور الافراد بحاجتهم الى الاخوة والتآزر فيما بينهـم لايجاد القـوة التى تمكنهم من تحقيق حاجاتهم ، والتغلب على الصعاب التى تعترض طريقهـم ، وتمهد أمامهم السبيل الى التقدم والنهوض .. وهنـاك فرق بين العمل الذى يقوم به الفرد بدافـع من شعوره هو نفسه ، وبين العمل الذى يقوم به تحت تأثير الضغط والاملاء .. ففى هذه الحالة ينعدم الشعور بالحافز الذى يدفـع الى العمل ، والى التفانى فى اجادته ، ثم يجىء بعد ذلك ما أشار اليـه المؤرخون من قيـــام الحركة التعاونية على مبادىء ثابتة توصل اليها الرواد الاول نتيجة التجارب العملية التى مارستها الجمعية الاولى بروتشديل .. فالحيــاة القاسية التى كان يحياها العمال على أثر الانقلابات الصـناعية ، وانتشار الصناعة الآلية فى أوائل القرن الثامن عشر ، وما صحب ذلك من بطـالة ، وانخفـاض فى الاجور ، وفسـاد فى الاخـلاق ، وسوء فى الاحوال الصحية ، جعلت أولئك الرواد يفكرون طويلا فى الخطوات التى تحقـق آمالهم العريضة فى التخلص من هـذه المتاعب والآلام .. ولقـد انتهت هـذه الخطوات الى مبـادىء أساسية وأخرى فرعية أشرنا اليها بالتفصيل فى أحاديث سابقة .

وليس من شك فى أن القـاعدة الاولى التى قامت عليهـا فكرة اولئك الرواد من عمال روتشديل كانت مستقاة من تعاليم ذلك النبع الصافى الا وهو الاسلام ، وتتمثل فى الاقتصاد وعدم الاسراف حتى يستطيعوا توفير المـال اللازم لتأسيس مشروعهم التعاونى .. لقد ادرك اولئك الرواد من العمال الذين وقـعوا تحت ضـغط الرأسمالية الطاغية ، فقاســوا آلام الفقر والجوع والحـرمان ، انهم فى حـاجة الى ان يتجمع بعضهم الى بعض ، وان يضـموا جهودهم جهدا الى جهـد ، وان يتعاونوا فيما بينهم لتوفير المـال اللازم لذلك المشروع .. وليس من شك فى ان توفير هـذا المال كان يحتاج من كل عامل أن يقتصد ، وأن لا يسرف حتى يتمـكن من جمع نصيبه فى رأس المال .

هذا من ناحية ، ومن ناحيـة أخرى ، فان الحركة التعاونية فى أساسهـا انما قامت لتـأدية الخدمات لجميع الافراد المنضمين اليها بمحض اختيـارهم ، وتحت تأثير الحاجة الى هذه الخدمات ..

ولم تقتصر الحركة التعاونية على أعضائها فقط ، وانما توسعت فى تقديم خدماتهـــا - بطريقة غير مباشرة - الى المناطق التى تقوم فيهـا المنظمات التعاونيـة .. ولا يمكن أن تتم هذه الخدمات الا اذا تمكنت هذه المنظمات من الاقتصاد وعدم الاسراف فى نفقاتهـا حتى تستطيع ان تقـدم خدماتها من حصيلة ما تقتصده من هـذه النفقات : « ذلك ان كل مبلـغ تقتصده الجمعية التعاونية انمـا هو فى واقع أمره وفر لمجمـوع أعضائها والعكس ايضا صحيح ، فان كل انفـاق زائد تقوم به الجمعية انما هو تبذير فى أموال هؤلاء الاعضاء » .

« ولهذا كان لا بد للجمعيـة

التعاونية التى تلتزم فى سيرها الاسس السليمة للتعاون، وتطبق مبادئه ان تجعل شعارها الاعتدال فى الانفاق سواء فيما يتعلق بمشترياتها او بما تنفقه من مصروفات على تأسيس الجمعية، أو تأثيثها وادارتها » .

ثم ان مبدأ البيع بالنقد، والذى يعتبر من المبادىء التعاونية السبعة، لم تكن غاية الجمعية من اقراره ان تضع العراقيل أمام الاعضاء بقدر ما كان هدفها الاول من ذلك هو حماية هؤلاء الاعضاء من الاسراف، وحملهم على الموازنة بين الايراد والمنصرف حتى لايقع الواحد منهم فى مآزق مالية بسبب الشراء بالاجل ..

لهذا كله كان لا بد للحركة التعاونية ان تقوم أساسا على مبدأ الاقتصاد وعدم الاسراف حتى تستطيع ان تحقق غايتها السامية فى تقديم خدماتها للمجتمعات التى تقوم فيها، وللاعضاء المنتفعين بها .. وهى فى ذلك انما تستنير بنور الاسلام واشعاعه .

واليوم .. ونحن نعبر مرحلة دقيقة من مراحل الكفاح والنضال ووضع جميع الامكانيات لتحقيق النصر الداخلى ببناء الامة بناء قويا ثابتا، وكذلك لتحقيق النصر الخارجى ضد العدو الرابض على الحدود، ندعو جميع المواطنين الى التمسك بتعاليم الاسلام .. تلك الاشعاعات النورانية التى اضاءت للعالم طريقه يوم ان كان لا يزال يسبح فى ظلام دامس، وكان الجهل لا يزال يخيم على عقول ساكنيه ،ثم جاءت الحركة التعاونية بعد حوالى ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم لتقتبس منها مبادىء الاخاء والمساواة والعدل .

الشريعة الإسلامية والأخلاق

لقد أشرنا فى مقالاتنا السابقة الى بعض الحقوق والآداب والتنظيمات الاجتماعية التى سبقت بها الشريعة الاسلامية فى سموها علوم المجتمع الحديث ونظمه ـ واليوم نشير الى ما يؤكد أن الشريعة الاسلامية فى نظمها وأحكامها انما تتخذ فى معيارها الأول الأساس الذى تقوم عليه قواعد تهذيب النفوس وترقية الشعور والوجدان واصلاح الضمائر ذلك لأن علم الأخلاق الذى اعتبر فرعا خاصا من العلوم هو جزء مما تشمله الشريعة فى مدلولها وتهدف اليه أحكامها ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . والله جل شأنه يقول فى شأن رسوله الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » .

اذ قد احتمل أداء الأمانة من قومه الشيء الكثير وكان معهم المثل الأعلى فى سمو الأخلاق منفذا ما أمره به الله جل شأنه فى قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

ولقد قال أهل العلم بالتفسير أن هذه الآية وهى من كلمات ثلاث قد تضمنت القواعد العامة للشريعة الاسلامية فى المأمورات والمنهيات ذلك لأن قوله جل شأنه **(خذ العفو)** يشمل صلة المقاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين .

أما قوله تعالى **(وأمر بالعرف)** فيشمل صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار . وقوله جل شأنه **(وأعرض عن الجاهلين)** فى ذلك الحض على التخلق بالعلم والاعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة .

هذا وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الخصال فى حديثه لجابر بن سليم ـ قال جابر بن سليم أبو جرى ـ ركبت قعودى وطلبت رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأنخت قعودى بباب المسجد ودلونى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس عليه برد من صوف فيه طرائق حمر فقلت السلام عليك يارسول الله فقال وعليك السلام فقلت انا معشر أهل البادية قوم فينا الجفا فعلمنى كلمات ينفعنى الله بها قال (ادن) ثلاثا فدنوت فقال (أعد على) فأعدت عليه فقال (**اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا وأن تلقى أخاك بوجه منبسط وان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى وأن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيئا مماخولك الله تعالى**) قال أبو جرى فوالذى نفسى بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيرا أخرجه أبو بكر البزار فى مسنده بمعناه — وروى أبو سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « **أنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق** » .

فما ورد بالآية الكريمة وما جاء بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من قضايا عامة تضع الأسس الكاملة للمجتمع الفاضل الذى يقوم على سمو الأخلاق ومكارم الأفعال وحسن الصفات وانكار الذات بل أن فيها من الأسس ما يرفق جفوة القلوب ويقرب ما تنافر منها ويهذب ما تجافى فيها

— كذلك هى تدعو الى التعاطف والتراحم بين القوى والضعيف والغنى والفقير والتسامح والعفو عمن أساء ولين الجانب وحسن القول وبشاشة الوجه والبعد عن فحش القول وبذىء الكلام من سب وغيره وليس ذلك فى جانب الانسان فقط بل قد نهى عن ذلك أيضا بالنسبة لما خوله الله للانسان وملكه اياه من حيوان وغيره مبالغة فى تهذيب نفس الانسان وحسه وحتى لا يعتاد لسانه فحش القول مع من يفهمه وغيره حتى قال رجل البادية مع ما فيه من جفوة بعد أن قال له الرسول ولا تسبن شيئا مما خولك الله تعالى » قال : فوالذى نفسى بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيرا — ويبين من النظرة الشاملة لهذه الأحكام وتلك الآداب أن القصد منها هو تنقية المجتمع وأفراده من كل شائبة وازالة كل جفوة تنجم عن فعل لا تقره آداب الشريعة أو لفظ أو صفة لا ترضى عنه أو عنها أحكامها المسطرة . كان ذلك ليتم التعاون والترابط والتكافل . وقد ألقى على ذلك الضوء الكامل حديث المصطفى السابق ذكره « **انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق** » . ذلك لأن بذل المال للمحتاج ليس فى مقدور كل الناس واذا كان الأمر كذلك فقد أوضحت الشريعة أن هناك ما يعادل اعطاء المال بل يزيد عنه ذلك هو بسط الوجه والبشاشة فى وجه المحتاج وان لم تعطه .

واذا كانت الشريعة قد حثت على ذلك فى معاملة الأفراد والجماعات مطلقا فهى أكثر طلبا وأشد حثا على ذلك فى معاشرة الأهل والبيت اذ أن الأسرة هى النواة الأولى للمجتمع فان صلحت صلح المجتمع وارتقى مدارج العزة والسعادة وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « **أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم** » **وفى حديث آخر « خيركم خيركم لأهله »** .

وهذا دليل قاطع على أن من ثبتت له مزية حسن الخلق كان من أهل الايمان الكامل وأن خصلة يختلف حال الايمان باختلافها لخليقة بأن ترغب اليها نفوس المؤمنين . وفى الحديث أيضا اشارة وتنبيه الى أن أعلى الناس رتبة فى الخير وأحثهم بالانصاف هو من كان خير الناس لأهله فان الأهل هم أحق الناس بالبشر والبشاشة وحسن الخلق والاحسان وجلب النفع ودفع الضر

المستشار محمد خاطر

فاذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس وان كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر . ومن الناس من اذا لقى أهله كان متجهما جافا واذا لقى غير الأهل من الأجانب والاصحاب لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه. ومثل هذا الصنف من الناس قد حرمه الله من التوفيق وحاد عن طريق الخير وبعد عن السعادة بين الأهل والأولاد .

هذا وكل حق يقابله واجب فاذا كان المطلوب الى الرجل أن يكون خيرا لأهله في بسط الوجه ولين الجانب والقول الحسن فان على المرأة واجبا نحو زوجها دعت اليه الشريعة الاسلامية وحثت عليه .

ففى الحديث الصحيح عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ورواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح - وكان ذلك لعظم حق الزوج على الزوجة ولما لها هى أيضا من حقوق كثيرة تكفلت ببسطها نظم الشريعة الاسلامية .

وفى مقالاتنا التالية ان شاء الله سنعود الى بسط حقوق كل منهما على الآخر مع بيان آداب الشريعة الاسلامية وسموها فى تنظيم هذه الأحكام بما يسمو على كل نظم الاجتماع الحديثة .

دروس من القرآن الكريم

الوصايا

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون »

قتل النفس التى حرم الله الا بالحق اعتداء رهيب من الانسان على أخيه الانسان !! ..

ولم يخلق الانسان ليكون وحشا ضاريا قاتلا فاتكا ، وانما وجد ليعيش آمنا مؤمنا بأن الأصل فى الحياة أن تكون مطمئنة لاتقبل القلق ولا تقر اثارة البغضاء والعداء والشحناء .. !

والاسلام دين السلام ولا مبرر لديه للبغى والعدوان بسبب العنصرية والعصبية المتمردة الغادرة ! وهو دين المحبة والتراحم والأخوة **« انما المؤمنون اخوة »**

ولئن كان الاسلام دين الامن والسلام لكنه لا يقبل الاستسلام فيرد كل اعتداء ، لانه دين الحق والقوة والهدى ، وهو الذى أقام العدل فى الأرض وبنى الحياة على التعاون والتآلف والبر والتعارف ولذلك حرم الجرائم الرهيبة ، مثل القتل الذى لا يقره شرع ولا يرتضيه وضع .

والقتل هدم لما بناه الله .. هدم لبناء الآدمى الذى خلقه ربه وكرمه وجعله بشرا سويا وفى الاعتداء عليه بالقتل - ترميل لزوجته - وتعذيب لأطفاله - بحرمانهم من عائلهم وحنان أبيهم وهو نكبة على أهله وأقاربه وعشيرته ! .

ولذلك جعل الله جزاءه كبيرا لأنه اعتداء وحشى بسبب القطيعة والفتنة ويفسد الامن ويخل بالنظام المتبع ويجرح الشعور العام ! ! .

ان الانسان تربطه بأخيه الانسان جملة صلات ، صلة الانسانية الوثيقة وصلة القرابة وصلة الدين ، وصلة الجوار ، وقد أمرنا ربنا باحترام هذه الصلات كلها فقال :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لايحب من كان مختالا فخورا »

وفى الحديث « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ولتأكيد تثبيت هذه العلاقات

العشر الخالدة

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

أمرنا ربنا بالصلح بين الناس عند كل خلاف ، واعتبر الصلح بين المتخاصمين من أعظم القربات عند الله وسماه خيرا . فقال : ((**والصلح خير**)) ((**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**)) .

لأن هذا الدين يعمل جاهدا على تهذيب النفس من جميع جوانبها وقد قام الاسلام بالثورة على الجاهلية التى كانت تقاتل لاتفه سبب وتحارب من اجل كبرياء النسب اوالحسب . تقاتل قتالا قبليا عصبيا ، ولما جاء الاسلام أمن الحياة وحمى العقيدة وصحح الاوضاع واكد ما جاءت به الشرائع السماوية من حماية النفس البشرية واعتبر الامن حياة ، ونعمة مزجاة : من الله : لا يعلمهاكثير من الناس ، والامن كالصحة تاج على رءوس الاصحاء لا يراه الا المرضى !

والامن على النفس فى المجتمع المطمئن يجعل الحياة هادئة وهادفة ينصرف كل فرد فيها الى عمله ، متطلعا الى تأدية واجباته مستريح النفس فينتج الخير لنفسه ولاولاده ولوطنه وللناس جميعا — لان الامن كالطعام كلاهما من دعائم .

الحياة .. والامن جزاء للمؤمنين المتقين والله يقول : ((**فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**)) .

((**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**)) .

ويقول عز وجل : ((أولئك لهم الأمن وهم مهتدون))

وهو اسم مشتق من الايمان والامانة كما ان السلام والامن جاءا معا فى قوله تعالى : ((**ادخلوها بسلام آمنين**)) والسلام تحية أهل الجنة ((سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)) ((سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)) وهو وصف لليلة القدر ((سلام هى حتى مطلع الفر)) والسلام اسم من اسماء الله تعالى ، وهو تحية المؤمن للمؤمن حين يلقاه ، ويتلى السلام فى كل صلاة ((السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) ولا يخرج المصلى من صلاته الا بكلمة السلام .

والامن والسلام ركنان مهمان من اركان الحياة فاذا فقدتهما الحياة فقد فقدت جمالها وجلالها لان الاسلام يبهج الدنيا وينشر العمران فى الارض ويحقق الامل بالعمل .

((من بات آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها)) .

وحينما يحمل الاسلام السيف يحمله لغرض نبيل كما يحمل الطبيب الابرة لعلاج المريض أو الجهاز المعد لاجراء عملية جراحية لاستئصال الداء

ولذلك شرع القتال لدفع الأذى عن المسلمين أو لضمان حريتهم وعزتهم لا لاكراه الناس على الدين ((**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**)) .

والذين لا يقبلون الصلح بين الاخوة استكبارا أو استهتارا يستخفون بالقيم والفضيلة لاتصافهم بصفات خبيثة لئيمة تنأى بهم عن التراحم بين الأقارب أو الاخوة أو الجيران وفى هؤلاء يقول رسول الله صلواته وسلامه عليه : (ألا أنبئكم بشر الناس ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال : من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده ، ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ثم قال : الا أنبئكم بشر من ذلك . قالوا بلى يا رسول الله . قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره . ثم قال الا أنبئكم بشر من ذلك . قالوا بلى يارسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه !

وحينما يحدث خلاف بين المؤمنين ترى الناس ينقسمون

الى أقسـام فمنهم من يتدخل للصلح وهؤلاء هم أفاضل الناس وصنف يقف موقفا سـلبيا وهؤلاء منهـم الجبـان الذى حرم الرجولة والقوة التى يواجه بها أعمال الصلح ، أو الشـامت الساكت .. الخبيث . وصنف ثالث أشد خطرا وأعظـم ضررا يسعى بالشر ويوسوس بالوقيعة وهؤلاء هم شياطين الانس . !

ولكن الاسلام يحافظ على حياة الآدمى وكرامته بايقـاظ الوازع الدينى فى ضمير كل غـافل وحس كل متبلد لان خشية الله تمنع المرء من الاعوجاج وتقيه من الشر وتحميه من نفسـه الأمارة بالسـوء التى تهـوى بصاحبها الى أحط الدرجات . فيرتكب الجنايات والموبقات ! . وأما الحق الذى تؤخـذ به النفس قصاصا عادلا ليرتدع المفسدون فى الأرض فقد بينه القرآن الكريم .

« انمـا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصـلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهـم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

وهذا جزاء للذين يهـددون الامن العام ــ تقتيل ــ وتصليب وتقطيـع للأيدى والأرجل من خلاف ــ ونفى من الارض .. ولا بد من عملية بتر للعضو المتعفن الفاسد وفى حالة القصـاص من القاتل يقول القـرآن الكريم :
« ولكم فى القصـاص حياة »
« كتب عليكم القصـاص فى القتلى .. » « وكتبنـا عليهـم فيهـا ان النفـس بالنفس »
وفى حد زنا المحصن المقر المعترف أو بشهادة اربعة راوا الفعل رؤية مؤكدة ومحققة كما هو مدون فى كتب الفقه ويكون « بالرجم » وهذا نادر جدا أن يرى أربعـة هذا العمل المستتر ولذلك شرع حد القذف للملفقين أو الأفاكين وأما غير المحض فيجلد كل مائة جلدة .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليـوم الآخـر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »
وذلك ليرتدع الناس ويبتعـد الشواذ عن الافساد وهكذا جعل الاسلام عقـوبة الزانى (الرجم) اذا كان محصنا . ! ؟ والجلد ان كان غير محصـن .. لأن الزنا جريمة وخيانة وعبث فى المجتمعات وسرقة للأبوة ، وتزوير للبنـوة واختلاط للأنساب ، وهذا ينافى كرامة المؤمن الأمين .. المستعفف والاسلام يأبى أن يقتل الانسـان نفسه ، ويعتبر من قتل نفسـه كمن قتل غيره على حد سواء .

وفى الحديث (من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنـم خالدا مخلدا فيها أبدا)

ومن قتل نفسه بسم فسـمه فى يده يتحسـاه فى نار جهنم خـالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهـو متردٍ فى نار جهنم خالدا مخلـدا فيها أبدا .

وقتـل النفس بغير حـق وحشية وهمجية (من قتـل نفسا بغيـر نفس أو فسـاد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيـا الناس جميعا ..)

« ومن يقتل مؤمنا متعمـدا فجزاؤه جهنـم خالـدا فيهـا . وغضب الله عليه ولعنه وأعـد له عذابا عظيما »

وهكذا يعمل الاسلام جاهـدا بكل الوسـائل لحمـاية الأمن وصيانة السلام وقد اعتبر حياة المرء أمانة فى يده ومن حقـه على نفسه الا يخون الامانة ..

« ذلكـم وصـاكم به لعلكم تعقلون »

ذلكم ماتقدم من الوصايا التى ترشد الضال ، وتهدى الحائر ، وتنبه العقل وتوقظ الغافـل من سباته وسـناته الى وجـوب تحكيم العقـل البشرى فى الدين كله فلا نزاع بين العقل والديـن فى المعارف الاسلامية لأن علـوم القرآن الكريم هى أرقى العلـوم التى تهذب النفس وتقوم الخلق وتبعث الفضيلة وتنشر الطمأنينة والقرآن الكريم هو النور المشرق الـذى ملأ الأرض عـدلا وأمنـا وسلاما ..

وهو الذى شرح صـدور قوم مؤمنين فوطـد دعائم المدنيـة الفاضلة واسس بنيان الحضارة النافعة وحقق الأخـوة الكاملة والوحدة الاسلامية الشاملة

« يا أيها النـاس قد جاءتـكم موعظـة من ربكم وشـفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » « قد جاءكم من الله نور وكتـاب مبين يهـدى بـه الله من اتبـع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمـات الى النـور باذنـه ويهديهم الى صراط مسـتقيم » وكذلك أوحينـا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهـدى به من نشـاء من عبادنا وانـك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصـير الامور »

وهو دستور الأخلاق . وقد كمل الله به الملة وأتم به النعمة وجعل المهتدين به نورا يمشون به فى الناس .

صحبة عن سيرة الرسول الأعظم

سماحة الاستاذ
مبشر الطرازي الحسيني

– ١٣ –

ان هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضى الله عنهم – انما كانت بأمر الله – سبحانه – وتنفيذا لارادته ومشيئته فقد أراد الله العليم الحكيم .. هذه الهجرة لتصبح نصرا عزيزا للاسلام .. وفتحا مبينا ، وذلك بما يتعقبها من فتوحات كبيرة ، ونتائج خطيرة ، فى حياة الرسالة المحمدية ، والشئون الاسلامية ، التى تمت لمصلحة الجزيرة العربية خاصة ، والعالم البشرى عامة .

نعم .. ان هجرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضى الله عنهم – كانت حادثة عظيمة من ارادة الله العلى القدير وتدبيره وحكمته البالغة ، كما أنها كانت تحولا عظيما فى الدعوة الى الدين الاسلامى وانتصارا عظيما لنشره وان هجرته – صلى الله عليه وسلم – كانت من سنه الله – سبحانه – التى قد خلت من قبل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

فقد سبق ان هاجر ابراهيم الخليل – مع هاجر واسماعيل – الى أن استقر مقامه بمكان من مكة أم القرى ، حيث لا ماء ولا زرع ولا شجر .. وقد ترتب على هذه الهجرة انتصار عظيم بقيت آثاره ومعالمه الى تاريخنا ، هذا وستبقى الى يوم القيامة ، وذلك بتفجر بئر زمزم الذى عم ويعم العالمين رواؤه ونفعه كمعجزة باقية لا تنفد بمرور الأزمنة والدهور ، وبعمارة بيت الله حيث يحج اليه المؤمنون .. ويتوجهون اليه – قبلة لهم – فى صلواتهم ، الى انقراض هذه الحياة ، وبتعمير ما حوله من الأرض المباركة ، وبتكوين الأمة العربية باسكان ذرية ابراهيم فى ذلك الوادى كنواة مباركة لها ..

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

الآية ٣٧ – من سورة ابراهيم

كما هاجر موسى من مصر حينما اضطهده أعداؤه .. وهاجر عيسى حينما كذبه اليهود وأرادوا الفتك به .. كما هاجر أنبياء آخرون من ديار لوط وعاد وثمود ، وكانت الهجرة انتصارا لكل منهم كما هو مسطور فى كتب التفسير والتأريخ ، ومما يذكر هنا : أن عيسى – عليه السلام – أشار الى ما فى الهجرة من الانتصار والأجر العظيم فيما روى عنه حيث قال (طوبى للمطرودين من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السموات) .. وقال أيضا : (افرحوا وتهللوا ، لأن أجركم

عظيم فى السموات ، فانهم (اليهود) طردوا الأنبياء قبلكم)

نعم : كانت هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من سنة الله التى قد خلت من قبل ، وكانت فاتحة انتصار عالمى لم يسبق له مثيل فى تأريخ البشرية .. وكانت نقطة تحول عظيم فى تأريخ الاسلام ، ولهذا اتخذ عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - (بعد خلافته) عام الهجرة مبدأ للتأريخ الاسلامى وقرر أوله من محرم ، الأمر الذى كان معتادا من قديم الزمان ، وكان هذا بمشاورة مع الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين .

مدة اقامته بمكة بعد بعثته

أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة المعظمة بعد بعثته ثلاث عشرة سنة ، قضاها بالمجاهدة فى تبليغ الرسالة ، والمثابرة فى تأدية الأمانة ، على أساس الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومجادلة المنكرين بالتى هى أحسن ، واتخاذ العفو والأمر بالمعروف والاعراض عن الجاهلين ، واستطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (فيما بلغه من أمر الله ونهيه) تبليغ أمرين من أصول الدين .

الأول : الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وعدم اشراك غيره معه فى العبادة .

الثانى : الاعتقاد بالبعث والنشور ، وأن هناك يوما (وهو يوم الدين والجزاء) يجازى فيه الانسان على أعماله فى الدنيا .. ان خيرا فخير ، وان شرا .. فشر ..

وقد جاء غالب الآيات التى نزلت بمكة على هذين الامرين .. حيث ترى أكثر السور المكية تحمل ذكرهما والاستدلال عليهما ، بأسلوب أخاذ بالعقل ، وبرهان يتفق مع الضمير الانسانى ويضطره بالاعتراف بهما ، ولا ينكرهما الا من خان نفسه وضل الطريق المستقيم ، جهلا منه أو استكبارا واتباعا لمن سبق من الآباء الأولين الذين كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .. وقد نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة معظم القرآن الكريم .

أما السور التى نزلت بعد الهجرة بالمدينة فهى ثلاث وعشرون سورة منهن كما يلى :

البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والحج والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والمتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم والنصر .

وصوله - صلى الله عليه وسلم الى قباء

وصل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى قباء فى اليوم الثانى من ربيع الأول (٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) على ما حققه المرحوم محمود باشا الفلكى المصرى ، وقد استقبله أهل المدينة فى الحرة (أرض ذات الحجارة السود تحيط المدينة من خارجها) ونزل بأصحابه وكلهم مسلحون فى بنى عمرو بن عوف ، وأقام بقباء ليالى أسس فيها مسجد قباء ، الذى وصفه الله - سبحانه - بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم ، وهو أول مسجد بنى بعد ظهور الاسلام .

الوصول الى المدينة

توجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سائرا الى المدينة وأصحابه الأنصار والمهاجرون يحيطونه ، وكان اليوم يوم السرور والفرح الذى لم يروا مثله ، وخرج الصبيان والولائد والنساء ينشدون أمام محمد بن عبد الله الذى أرسله الله للناس كافة وللعالمين رحمة :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

وأدركته - صلى الله عليه وسلم - صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فنزل وأصحابه ، حيث صلى بهم أول صلاة جمعة ، وألقى أول خطبة بعد ظهور الاسلام ، وهم آمنون مطمئنون فرحون مستبشرون ، ثم سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع من حوله من أصحابه رضى الله عنهم فكان كلما مر على دار من دور الانصار يتضرع اليه أهلها لأن يشرفهم بالنزول عندهم .. ويأخذون زمام ناقته فيقول لهم (دعوها فانها مأمورة) ولم تزل الناقة سائرة حتى أتت فناء بنى عدى بن النجار (وهم أخواله تزوج منهم هاشم جده) فبركت أمام دار أبى أيوب الانصارى ، وهو محل مسجده النبوى الشريف ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ههنا المنزل ان شاء الله ، رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) فأسرع أبو أيوب وحمل رحله ووضعه فى منزله ،

وخرجت ولائد بنى النجــار ينشدن :

نحن جوار من بنى النجار
يا حبذا محمد من جار

وهنا تمسك أسعد بن زرارة فأخذ زمام الناقة فكانت عنده ، كم تنافس الأنصار فى المهاجرين الذين تحول أغلبهم مع رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - .. فأقرعوا بينهــم حتى نزل كل مهاجر على أنصارى بحكم القرعة وكان الانصار يؤثرون اخـوانهم المهاجرين على أنفسهم وفى ذلك قال الله - سبحانه - :

(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هـاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

الآية ٩ - الحشر .

وكان هذا من آثار الاخـوه والمحبة التى لا يمكن أن تحصل بجهود البشر ، وانما هى بفضل الله ورحمته .. فقـد كان من محبـة الانصـار للمهاجرين أنهم أنزلوا المهاجرين وتنافسوا فيهم وأشركوهم فى أموالهم ، حتى ان بعض من له امـرأتان أراد أن يتنازل شرعيا عن احداهما لمهاجر لا زوجة له ، كما أن الانصار لم يحسدوا اخوانهم المـهاجرين حينما خصهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالفىء وغيره ، وآثروهم عـلى أنفسهم ولو كان بهم فقر ، وهكذا توطدت أواصر المحبة بين الانصار والمهاجرين .

وأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه بين الأنصار والمهاجرين وهو يقول : تأخـيا فى الله أخوين أخوين) ..

وكان مجلس المؤاخاة فى دار أنس بن مالك - رضى الله عنه - وعنهم أجمعين - ووحد صفوف المسلمين فكانوا كالبنيـــان المرصوص ، وكنفس واحدة .. يلبون دعوة الرسول ويجاهدون فى سبيل الله ورسوله بأموالهم وأنفسهم .. حتى انتصروا بفتح مكة والقضاء على عبادة الاصنام والشرك ، ثم توالت الفتوحات حتى انتشر الدين الاسلامى من المحيط الى المحيط بادئا من الجـزيرة العربية الى أقصى الشرق بسرعة فائقة لم ير مثلها فى تاريخ أى ديـن من الأديان .. وكان ذلك بفضـل الوحدة الاسـلاميه ، وبملاءمة الاسلام لطبـائع البشر وتجاوبه مع العقل البشرى ، فى جميــع تعاليمه من أصـوله وفروعه ، وبهذا أصبح الاسلام الدين الفطرى ، والديـن الأبدى لعالم الانسانية ، والحمـد لله على ذلك .

وفى الختام أقول : لقـد صدق الشاعر حيث قال :

كرر أحاديثه لا تخش من ملل
فما حديث رسول الله ممأول

وقال الآخر :

كأنه سـكر يحلو مكرره
فكم حديث اذا كررت مملول

اننى لا أخشى من أى مـلل عند القراء الأفاضـل الذين يؤيدون ما قاله الشاعران ، ولو كررت أحاديثـه وأعدت عـلى أسماعهم من سيرة الرسـول الأعظم - صلى الله عليه وسلم صحبة بعـد صحبة .. أكثر وأكثر .

ولكننى فى هذه المرة أكتفى بالصحبة عن سيرته ، بما انتهى اليوم الى رواية هجرته ، وأكرر لافادة الجيل الناشىء :

فى الواقع كان محمـد بن عبد الله رسول الاسلام - عليـه أفضل الصلاة والسلام - رحمة كاملة شاملة على عـالم البشرية كله ، بحيث لا يشك فيـه أى عاقل منصف ، كمـا قال الله - سبحانه - : (وما أرسـلناك الا رحمة للعالمين) .

فقد أحدث فى العالم انقلابـا عظيما مباركا فى جميع الشئون الحيوية ، بما أتى له من قرآن يهدى للتى هى أقـوم ، وسن له سنة سنية وطريقة مستقيمة وأخرج منهما قانونا سماويا .. ودستورا أبديا لجميع النـاس فى ساحة الانسانية ، يعيشـون فى ظل حكمه عيشة مرضية ، ويحيون بفضل اتباعه حيـاة طيبة ، يسعد الفرد تحت ظله الظليل ، ويسعد المجتمع بالتقدم فى الحضارة والرقى الصحيح . والتمدن المعقـول ، وذلك فى حرية مشروعة ومساواة مرغوبة وأمن سـائد ، وأمانى مطلوبة ، التى لم يسـبق لها مثيـل فى تأريخ الأمم السابقة كلها .

نعم .. أعد لهم من كتـاب الله وسنة رسـوله قانونا قدسيا يتمشى مع فطرتهم البشرية .. تتفـق ومقتضيات عقولهـم الانسانية ، ويبقى بقاء الحـق دستورا مقدسا أبديا لشئونهـم الحيوية ، ما دام البقاء فى ساحة الكون الى يوم القيامة .

ذلك القانون السماوى القدسى القانون العالمى ، القانون الخالد

الأبدى ، الذى أصبح باذن الله مصدرا لاجتهاد المجتهدين فى اصدار الأحكام الفقهية ، ومأخذا أصليا لتقنين المقننين فى وضع القوانين الوضعية مما تدعو اليه حاجة الامة المحمدية فى فترات حياتهم الاجتماعية .

اللهم ثبتنا فى حياتنا على دينك الاسلام ، وأمتنا على سنة رسولك - عليه أفضل الصلاة والسلام - .

نعم : أعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته الاسلامية - بل لعامة البشرية - ذلك ، وأسس به دولة اسلامية خالدة أبدية ، لا تزال ما دام فى هذا الكون وجود ، دولة ترفرف رايتها القدسية على العالم الاسلامى فى ساحة الانسانية ، يعيش المسلمون فى ظلها المبارك الى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ثم وجه ضمائر العالم الى ما هنالك فقال : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله)، وأبلغ الى الناس كافة ما أنزله الله اليه آخرا من القرآن الكريم :

(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وتوفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتحق بالرفيق الأعلى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول من سنة ١١ الهجرية ، الموافق لـ ٨ من يونية سنة ٦٣٣ م . راضيا مرضيا مطمئن البال .. بعد أن أعلن فى خطبته للناس :

(ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

من اوامر العليم الحكيم رجاء النصر

قال الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

قلنا فيما سبق ان الصحيح فى معنى انفروا خفافا وثقالا : انفروا على أى حال من يسر أو عسر ، من صحة أو مرض ، من غنى أو فقر ، من قلة عيال أو كثرتهم ، أو غير ذلك بعد الامكان والقدرة فى الجملة ، هذا وقد ذكر العلماء : انه اذا تغلب العدو على قطر من الاقطار وجب على جميع أهل الدار أن ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا شبانا وشيوخا ، كل على قدر طاقته ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، فان عجز أهل تلك الدار عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم على حسب ما لزم أهل الدار ، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم انه يدركه لزمه أيضا الخروج اليهم - المسلمون كلهم يد على من سواهم - حتى اذا قام بدفع العدو أهل الناحية التى نزل عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين ، ولو قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج اليه حتى يظهر دين الله ، وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو - ولا خلاف فى هذا .

أربعة عشر قرناً تحت راية القرآن الكريم

الأستاذ أحمد وافى

٢

خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالدعوة الربانية ، من السر الى العلن ، مبتدئا بقومه وأهل قرابته (وأنذر عشيرتك الأقربين) فاعتلى الصفا هاتفا بهم « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، وراح يذكر الاقرب فالاقرب من قبائل قريش » فاستبقوا اليه ، فقال لهم : « أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، اماكنتم تصدقوننى ؟؟ » قالوا : بلى ، ما جربنا عليك كذبا .. قال : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . » فبهتوا للمفاجأة واستغربوا الأمر (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) .. وانصرفوا عنه وهم يظنون به الظنون ! ..

على انهم ما لبثوا أن رأوا هذا الاستهلال الذى أنكروه منذ قليل ، قد انحسر عن دعوة تتخطى رؤوسهم ، وتخترق حجب الظلام الذى يتغشاهم ، فاستجاب لها كثير ، وجاوزت فى مسارها المستضعفين والارقاء ، الى السراة والشرفاء ، فهذا أبو بكر بن ابى قحافة قد ترك دينه ودين آبائه وتابع محمدا مؤمنا به ، وداعيا دعوته ، ثم لحق به عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابى وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة المخزومى ، وطلحة بن عبيد الله ، الى عشرات من أمثال هؤلاء الذين يقودون ولا يقادون ، ويمثلون عديدا من العشائر والبطون ؟ ..

فالدعوة المحمدية اذن تمتد وتستفيض ، وتقوى بالاتباع والنصراء ، وذلك أمر يهول المشركين ويثير حردهم ونقمتهم ، فأخذوا يتعقبون الرسول وينقضون على أتباعه يعذبونهم ويضيقون الخناق عليهم حتى اضطر كثير منهم الى الهجرة فرارا بانفسهم ودينهم وأعراضهم من أذى المشركين ، تاركين دورهم وأموالهم وأهليهم ، وبقى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ليواجه وحده الطغاة الاشداء المناكير .. ولم يستطيعوا مع فرط قسوتهم ، أن يطفئوا هذا النور العلوى الذى يزداد سطوعا وانتشارا ، حتى الذين هاجروا من مكة ، كانوا فى مهاجرهم البعيدة ، نوابا لرسول الله ، يحملون مشاعل الدعوة ويبذرون هنا وهناك بذورها الطيبة .

وأدرك المشركون انهم مأخوذون وكانوا يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، فى حمى عمه ابى طالب ، فأيديهم لذلك مغلولة عنه ، فأرسلوا الى أبى طالب ليكف ابن أخيه ، والا فانهم مقاتلوه وعرضوا عليه فى ذلك عروضا مغريات ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال مقالته

الخالدة : ((والله ياعمى ، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى،على أن أترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته . »

فلما أخفق سعيهم هذا ، تداعوا الى الاجتماع فى ندوتهم ليتشاوروا ، فقال لهم عتبة بن ربيعة – وهو سيد من ساداتهم : يا معشر قريش .. الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعاله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا ؟! فقالوا : بلى ، يا أبا الوليد قم فكلمه .. وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائما بالمسجد وحده ، فتقدم عتبة وجلس اليه ، وقال له متلطفا : يا ابن أخى ، أنك منا حيث قد علمت من المنزلة الرفيعة فى النسب والعشيرة ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت احلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها .. فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « قل يا أبا الوليد أسمع » قال : يابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر منا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا .. الى آخر ما قال . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ » قال: نعم . قال : فاسمع منى « بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى أكنة . مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ، قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ، أنما الهكم اله واحد ، فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين » . ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ الى آخر آية من سورة السجدة، ثم التفت الى عتبة وقال له : ((**قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك .. فقام عتبة الى أصحابه بوجه غير الذى ذهب به ، فقالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟قال : ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة .. يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله نبأ عظيم .. تحدث اليهم النضر بن الحرث ابن كلده، وكان من شياطين العرب ومن أخبث المشركين لسانا فى رسول الله ، فقال : ياقومى ... والله انى لاشدكم بغضا للذى** يدعو اليه محمد ، ولقد علمتم من أمرى أننى ارتحلت من بلاد الفرس ، وأقمت فيهم زمنا ، فوعيت الكثير من آدابهم وكتبهم وأخبار ملوكهم ، وكنت معكم فى معاداة محمد اجلس الى الناس فى المسجد والندوة وفى غيرهما من المجامع ، فأروى لهم ما قد وعيت من قصص ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسفنديار، وأفتن فى رواياتها ، معارضا دعوة محمد التى يضفى عليها كلاما بليغا يقول أنه أوحى اليه به ، وكان الناس أول الامر يقبلون على الاستماع الى راغبين مستزيدين ، فأقول لهم معجبا بنفسى ، (ألست بهذا أحسن حديثا من محمد ؟! ولكنهم من بعد أخذوا ينقصون ويتقلصون وقالوا لى أنهم يسمعون من محمد من القصص وسير الاولين خيرا وأنصع مقالا مما يسمعون منى ، فأغرانى هذا بالتدسس عليه خلال صلواته بالمسجد أو جلوسه الى الناس ، فسمعت – فى الحق – كلاما عجبا ، يعلو على ما قد عرفنا من كلام الفصحاء المقاويل من العرب ، فلا أكتمكم الرأى : : أنه والله قد نزل بكم امر ما اتيتم له بحيلة بعد ، وقد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا وأعظمكم امانة ، حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر لا والله ما هو بساحر ، وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون) . فقد عرفنا أعراض السحر والكهانة ، وضروب الشعر والجنون ، ولا شيء من هذا او ذاك فيما قد بلونا من أمره ، أنه وهو الأمى الذى لم يؤت من قبل علما ولم يتل كتابا ، ليتحدث اليوم الى الناس بقرآن ينتظم اسرارا ذات قوى بعيدة المدى .. فانظروا فى أمركم ، وانى لعلى ما يشير به عتبة بن ربيعة ، أرى أن تخلوا بين محمد وبين ما هو فيه ؟ ..

وغشى القوم من هذا الحديث ذهول ووجوم ، ثم تفرقوا وبهم ما بهم من الاسى المضنى والغيظ المكتوم ! ..

وتسلل ابو سفيان بن حرب ليلا ليقترب من بيت رسول الله متسمعا اليه وهو يتهجد بالذكر والصلاة ليستطلع ما قد خفى عليه من اسرار القوة فى هذا القرآن الذى يتحدثون عنه ... وظل يستمع الى رسول الله حتى مطلع الفجر ، ثم نهض عائدا الى داره وهو مأخوذ بما قد ملأ أذنيه

من بلاغة الايات القرآنية ، فاذا به يلتقى فى الطريق بأبى جهل بن هشام والاخنس بن شريق الثقفى وكانا قد قدما مثله للغرض نفسه واتخذ كل منهما - منفردا دون علم صاحبه - موضعا قريبا من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلاوموا ، واتفقوا على الا يعودوا لمثل هذا ، ولكنهم عادوا فى الليلة الثانية فرادى وكل منهم يظن أنه وحده ، وكشفهم الطريق فى مطلع الفجر ، فكان التلاوم ، ثم كان العهد بينهم للمرة الثانية الا يعودوا ، وفى الليلة الثالثة كان من أمرهم ما كان فى الاولى والثانية وخشوا الافتضاح فامسكوا ، وحين خلا بعضهم الى بعض ، تصارحوا بأن ما قد سمعوه شىء لا يمل سماعه ، وأن فيه لصدقا وحقا ، ولكنهم لا يستطيعون ان يستسلموا استغراقا فى عصبيتهم وتقاليد جاهليتهم ، واستمساكا بما قد استقر لهم فيها من وثنية وثراء وصدارة فى العرب ، فالدين الجديد ينتزع منهم كل هذا ، ويردهم ناسا كسائر الناس ..

ولقد كان اخشى ما يخشونه أن تتجاوز الدعوة المحمدية نطاق مكة ، فأنها بما قد عرفوا من قوة تأثيرها ، خليقة ان تفشو بين قبائل الجزيرة ، وتجد هناك مؤمنين وانصارا .. فكانوا لهذا يضعون عيونهم الراصدة على كل وافد اليهم ، ويبذلون اقصى ما يستطيعون ليحولوا بينه وبين الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وحدث أن وفد عليهم الطفيل ابن عمرو الدوسى ، وهو من اشراف العرب ، وصاحب رئاسة فى قومه ، وكان الى ذلك شاعرا مقدما وذا علم بفنون الادب ، فالتفوا به وقالوا له محذرين ، انك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وفرق جماعتنا ، وان له لقولا هو السحر الذى يفرق بين الرجل وأبيه وزوجه ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا منه ، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئا !..

قال الطفيل وهو يروى قصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه، فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت الا اسمع منه ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا - قطنا - خشية أن يبلغنى شىء من قوله وغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة ، فقمت منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله ، فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى ، واثكل أمى ، والله انى لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على « الحسن من القبيح ، فما يمنعنى ان اسمع من هذا الرجل ما يقول ؟! فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته .. فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته ، فاتبعته حتى اذا دخل دخلت عليه ، فقلت يامحمد ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا اسمع منك ، ثم أبى الله الا ان يسمعنى قولك ، فسمعت قولا حسنا ، فاعرض على أمرك ، فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه ، فاسلمت ، وشهدت شهادة الحق .. الى آخر القصة كما وردت فى سيرة ابن هشام .

وقد عاد الطفيل الى قومه مسلما ، وأصبح قومه بعد ذلك من المسلمين ، وتحققت هنالك احدى معجزات القرآن الكريم ..

وكان عمر بن الخطاب فى جاهليته - وهو من هو قبل وبعد اسلامه - من أشد مشركى قريش تنكرا لدعوة الاسلام، ومن اضراهم قسوة على من استجابوا لها ، وكانت له جارية اسلمت فيمن أسلم ، فكان يعذبها ، ولا يرفع السوط عنها الى أن تكل يداه ؟ . فلما قد رأى أمر رسول الله يشيع ويكثر أتباعه قرر أن يحسم الامر بنفسه فخرج متوشحا بسيفه ، فلقيه نعيم بن عبد الله فسأله : أين تريد ياعمر ؟! فقال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب آلهتها ، فأقتله فقال نعيم : أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم امرهم ؟! قال : وأى أهل بيتى ؟! قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه ! .. فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت ومعه صحيفة يقرئهما فيها سورة « طه » فلما أحسوا مقدمه اختبأ خباب ، وأخفت فاطمة الصحيفة تحت فخذها ، وسألهما عمر حين دخل عليهما : ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ لقد أخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد فقامت اليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فقالت : نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدالك ورأى عمر الدم فى وجه اخته فاستشعر الندم ، وقال لها : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأونها ، أنظر ما هذا

الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، قالت أخته : انا نخشاك عليها ، قال : لا تخافى ، وحلف بآلهته ليردنها اليها ، فاعطته الصحيفة بعد اغتساله وتطهره كما طلبت منه ، وما أن قرأ منها صدرا حتى قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .. وهنا ظهر خباب من مخبأه وقال والله انى لأرجو أن يكون الله قد خصك ياعمر بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم ايد الاسلام بابى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب » فقال عمر له : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم ، فقال : هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه ، وعمد الى رسول الله وأصحابه ، وهناك أعلن اسلامه ، وحقق الله به رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ما هو معروف ومشهور من اعتزاز الاسلام بعمر بن الخطاب مؤمنا شجاعا وحكيما عادلا ، وبطلا عظيما ، من أبطال التاريخ الخالدين ، رضى الله عنه ..

وقدم مكة فى الموسم جماعة من الخزرج، وكانوا يستعينون قريشا فى الحرب المسعورة التى قامت بينهم وبين الأوس وظلت فيهم طويلا تخبو ثم تشتعل ، وقد ادتهم جميعا وذهبت من الفريقين بالكثير من الضحايا والدماء ،وهم أخوان وبنو عمومة ، ولكن اليهود الذين يجاورونهم بيثرب كانوا ينفثون سمومهم فيهم ويؤرثون الاحقاد بينهم ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم ودعاهم الى الاسلام ففيه السلام والوئام وصلة الارحام وذلك خير مما هم فيه من شرور العدواة والوثنية ، وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم ، فاستجابوا له وبايعوه (البيعة الأولى) وبعث معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ، ويفقههم فى الدين — .. ونزل مصعب بيثرب على أسعد بن زوارة ، فخرج به يوما يريد به دار بنى عبد الاشهل ودار بنى ظفر ودخل به حائطا من حوائطهما فجلسا هناك واجتمع اليهما رجال ممن اسلموا ، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا باجتماع اسعد ابن زرارة ومصعب بن عمير ، ساءهما ذلك ، وقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير ؟ انطلق الى الرجلين فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا .. فأخذ أسيد حربته وأقبل عليهما ، ورآه أسعد ابن زرارة فقال لصاحبه : هذا سيد قومه ، فاصدق الله فيه .. ووقف عليهما أسيد متشتما ، قائلا : اعتزلانا ان كانت لكما بنفسيكما حاجة ! .. فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فان رضيت امرا قبلته ، وان كرهته كف عنك ما تكره.. قال: انصفت ثم زكز حربته وجلس اليهما ، فكلمه مصعب فى الاسلام وتلا عليه الايات من القرآن ، فبدا عليه الاشراق والتسهل ، وقال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ؟ كيف تصنعون اذا اردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، وتصلى ، ففعل .

وقال : ان ورائى رجلا أن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وانى لمرسله اليكما ، وأخذ حربته منصرفا الى سعد بن معاذ وهو وقومه جلوس فى ناد يهم ، فسأله عما قد فعل ، فقال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، فقال سعد مغضبا ، والله ما أراك أغنيت شيئا ، وأخذ الحربة من يده ، ومضى اليهما ليفعل بهما ما لم يستطع أسيد أن يفعل ووقف عليهما شاتما لاعنا ، فدعاه مصعب الى مثل ما دعا اليه أسيدا ، وأخذ يحدثه حديث الاسلام ، ويتلوا عليه آيات القرآن ، فاهتزت مشاعره لما قد سمع وتطامن قلبه الى هذا الكلام الحسن الذى لم يسمع أبدا مثله على كثرة ما كان يسمع من اليهود وهم يتلون كتابهم ، ولم يدع موضعه حتى تشهد وصلى على نحو ما فعل اسيد قبله .. ورجع الى قومه فقال لهم : يابنى عبد الاشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ، قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة ، قال : فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ! .. فما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمه ، ولم تبق بعد ذلك دار من دور الاحياء الاخرى بيثرب الا فيها رجال ونساء قد اسلموا وحسن اسلامهم وتم هذا فى إقل من عام — وقبل البيعة الكبرى — على يد نائب رسول الله مصعب بن عمير .. ثم كانت يثرب بعد ذلك مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومجمع المهاجرين والانصار ، وعاصمة الدولة الاسلامية الاولى

وكان أكثم بن صيفى من حكماء العرب ونصائحهم المرموقين ، وانه ليدخل على كسرى فى هيبة سلطانه فيتحفى به ويعظم قدره ويستمع الى حكمه ومواعظه ، فلما انتهى الى أكثم نبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استشف فيه حدثا جليلا ، وأراد ان يسعى اليه بنفسه ، فأبطأت به الشيخوخة ، فأرسل ابنه حبيشا الى مكةليأتيه منها بالخبر اليقين ، فذهب وعاد اليه بما قد رأى وسمع ، فدعا قومه بنى تميم فاجتمعوا له وخطب فيهم قائلا : يابنى تميم .. ان ابنى حبيشا شافه هذا الرجل مشافهة — يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم — وأتانى بخبره وخبر كتابه الذى يقول انه نزل عليه ، فاذا هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،ويأخذ بمحاسن الاخلاق ، ويدعو الى توحيد الله تعالى ، وخلع الاوثان وترك الحلف بالنيران، وقد عرف ذوو الرأى منكم أن الفضل فيما يدعو اليه وان الرأى ترك ما ينهى عنه ، وان أحق الناس بمعونة محمد صلى الله عليه وسلم ومساعدته على امره انتم ، فكونوا فى أمره اولا ، ولا تكونوا فى امره آخرا .. ان الذى يدعو اليه ان لم يكن دينا كان فى اخلاق الناس حسنا ، انى ارى أمرا لا يجتنبه عزيز الا ذل ، ولا يلزمه ذليل الا عز ..

فهذه — كما قد رأينا — ومضات من نور المعجزة القرآنية الكبرى ، تألقت فى هذا الليل الأليل ، منارا هاديا على طريق الحق ، وبرهانا ساطعا، علىصدق النبوة وبها أيد الله رسوله المختار ، وأظهره على اعدائه ، طواغيت الوثنية وأئمة الكفر والضلال

ولا مراء فى ان هذا الجانب ((البيانى)) من المعجزة قدكان له أقوى وابعد الاثر فيما نالت الدعوة المحمدية من تفتح واقبال وكثرة اتباع وانصار ، خلال المرحلة العسيرة المرهقة التى استغرقت ثلاثة عشر عاما — من وقت الجهر بالدعوة فى مكة الى وقت الهجرة الى يثرب ..

وانما كان ذلك لان العرب على ما عرف فيهم من انفة وغلظة ، واستعصائهم على الانقياد بعضهم لبعض ، كانوا فصحاء وارباب بلاغة وبيان ، اذكانت حياتهم الساذجة المتحررة من قيود الاجتماع ، المنطلقة من كال التكاليف والتبعات المتقلبة بهم فى فساح من صحراء متكشفة مترامية الابعاد والحدود ، كانت هذه الحياة تلهب مشاعرهم بالحرارة وترفد قرائحهم بالصفاء ، وتثرى افكارهم بالخيال،وتصقل السنتهم بالفصاحة .. وتأثلت هذه الخصال وافرخت فى احضان عصبياتهم القبلية القائمة على التقاتل والغلاب ، والمطاولة بالمفاخر والامجاد ، فقد كانوا يتسايرون بما نسميه فى أيامنا ((بالدعايات)) .. ويطلقون الرواة هنا وهناك شادين بما يصطنعون لهم من محامد ، متفننين بما يصورونه لهم من بطولات ،وكانت اداة التعبير ، ولسان الحال ، قصائد الشعراء فى هذا المجال وسجل المحامد والبطولات ،وكان اعزما تعتز به القبيلة ان ينجم شاعر من ابنائها ، تمشى الركبان بشعره ، ويعلو ذكرها بذكره ، ومن هنا قامت للشعر والادب دولة على رمال الصحراء ، فى العصر الجاهلى ، وقد ذهب هذا العصر وباد ، وانطوى فى أعماق الزمان البعيد ، ولم يبق لنا منه الا اسماء شعرائه وما قد خلص من اثارهم ، وثمار ادبهم،فالعرب لهذا كانوا يحتفلون بالفصاحة والبلاغة ويتخلقون بها حتى صارت فيهم طبعا وسليقة ، وبلغ من كلفهم بالشعران كادوا يقيمون له اسواقا فى الاشهر الحرم يتبارى فيها الشعراء بما قد اعدوه لها ، وللمباراة محكمون يختارون الجياد من قصائد الشعراء ويكتبونها بماء الذهب فى القباطى المدرجة ويعلقونها باستار الكعبة كما فعلوا بالحوليات الشهيرةتكريما وتخليدا لاصحابها

فشاء الله سبحانه وتعالى ان يؤيد رسوله اليهم بالمعجزة الموائمة لعقولهم وسلائقهم ولما قد نبغوا فيه من الفصاحة والبيان ، وهى القرآن الكريم، متحديا المنكرين منهم ان يأتوا بسورة مثله : (ام يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين — هود ١٤ — قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا — الاسراء ٨٩ — أم يقولون

افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (يونس ٣٩)

ويقول المسعودى فى مروج الذهب :

((بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ومبشرا للناس اجمعين، وقرنه الله بالايات والبراهين النيرات ، وأتى بالقرآن المعجز، فتحدى بمقوماتهم الغاية فى الفصاحة والنهاية فى البلاغة ، وأولوا العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار فى المكارم ، وفى الحث والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد ، والمدح والتهجين ، فقرع الله به اسماعهم ، واعجز به اذهانهم ، وكبح به انفعالهم ، وذم به آراءهم ،وسفه به احلامهم وأزال به دياناتهم ، وابطل به سننهم ، ثم اخبر عن عجزهم مع تظاهرهم الا ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مع كونه عربيا مبينا ..))

ولكن..هل كانت بلاغة القرآن وقوة بيانه ، هى وحدها عنصر الاعجاز المؤثر الذى جمع العرب الجفاة المفرقين ، الشتى النوازع والاهواء ، تحت لواء الدين الجديد ؟! ام كان هذا عنصرا مؤتلفا مع عناصر اخرى يساعد بعضها بعضا فى فلك هذه المعجزة ، وداخل اطارها ؟؟

ذلك موضوع حديثنا فى المقال المقبل ان شاء الله تعالى

أهداف ...

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفى

يقول الله سبحانه وتعالى :
((فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)) الروم ٣٠

والمراد من الآية فى عمومها أن تكون أمرا من الله للناس جميعا وبالأخص لمن أسلم واتبع دين الله « الاسلام » وآمن بما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب هو القرآن ، وما يتبع ذلك الكتاب من تفسير لنصوصه وتوضيح لتشريعه من السنة المطهرة

فالآية على هذا خطاب من الله لسائر أفراد الانسانية مع تعدد أجناسها وألوانها ، وارشاد لذوى القلوب الكريمة والعقول السليمة والافهام المستقيمة الى طريق الحق والصواب كأهداف للحياة نزلت فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد أنزله الله ووعد بحفظه خلال الدهور والعصور الى أن تقوم الساعة .

ولقد أنزله الله على قلب رسوله نفثا فى روعه أو مشافهة بلسان جبريل مبعوثه الى سائر أنبيائه ورسله .

والمعانى الدقيقة المقصودة من هذه الآية الكريمة تريد أن تقول : آمرك يامحمد انت فى شخصك وأشخاص من اتبعك من المسلمين وسائر أهل الاستعداد للهداية الى الصراط المستقيم من جميع البشر وبالأخص أتباع الديانات التى أنزلت من قبلك كالزبور والتوراة والانجيل .

وتريد الآية بنصها أن تقول : أقم وجهك أى وجهتك ناظرا الى الحق فى معتقدك الناشىء عن ادراكك الصحيح ووجدانك السليم الذى جبلت عليه فطرتك ووجه كل أولئك لفهم الحق الذى أنزل اليك والى سائر الناس فى دين الله حنيفا ، مائلا أو حائدا عن سائر ضروب الشك والشرك، ووجه نظرك العقلى واعتقادك القلبى الى الاسلام بنية خالصة مخلصة « أى اسلام الوجهة الى الله » ومتبعا لرسوله الذى أنزل

..الإسلام

عليه الكتاب الكريم بشرعة الاسلام أصولها وفروعها لان ذلك هو الدين القيم « المستقيم » الذى له القيمة العليا بمضاهاته للحق لا سيما وأنه دين التوحيد الخالص والنهج الانسانى الكريم الوسيع المناحى الميسرة للناس فى منافعهم باطنا وظاهرا وذلك نفسه هو فطرة الله المغروسة فى جبلة كل مخلوق سوى الخلق، وهى الاصل الاول فى ميل الانسان دائما الى الحق ولا سيما الحق المنزل فى هذا الكتاب لما فيه من توحيد للمعتقد، ولما فى هذا الدين الفطرى من سمو الاحكام وتوحيد الغاية وسعة الأهداف وانطباقها على صوالح كل نفس انسانية تريد أن تحيا حياة طيبة قويمة وأن أكثر الناس لايعلمون.

وأما أقلهم عددا مثل أنبياء الله ورسله وخاصة المؤمنين من عباده الذين اتبعوا بذور هذا الحق فى الاديان السابقة على نزول القرآن فانهم يعلمون صحة ما أنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاء به رسلهم فى الماضى وكان ما أنزل اليك يا محمد جامعا مانعا فى الكتاب الحاضر وهو القرآن المعروف لديهم لورود بعض أصوله وأحكامه مندركة فى كتب أديانهم السابقة التى آمنوا بها واتبعوا فيها من أنزلت اليهم من الرسل.

فالله يبين ذلك مخاطبا به محمدا صلى الله عليه وسلم فى القرآن عند قوله :

« شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب »

الشورى (١٣)

وبهذه المثابة وبما جاء من أدلة قرآنية دالة على الحق فى ملة الاسلام يكون الاسلام المنزل فى آخر الكتب « وهو القرآن » على خاتم الرسل « وهو محمد » هو الدين القويم العام الذى كانت تنزل أصوله منجمة بحسب التطور العقلى على قلوب الرسل السابقين من عهد آدم ونوح وابراهيم وغيرهم كموسى وعيسى ليخاطب الله به العقل الانسانى المتدرج رقيا مراتب النضوج والكمال والتهيؤ لقبول الحق بالانخلاع عن جميع صور الوهم والتقليد والجمود والتشيع حتى اذا ماكتمل له الحق وتدرج العقل فى سلم الرقى أنزل الله اليه الدين الكامل أصولا وفروعا فى آخر كتاب له على خاتم رسله

دينا قيما « مستقيما » شاملا لسائر المطالب الروحية والحاجات النفسية فى سائر شئون الدين والدنيا جميعا وبهذا وذاك يكون هو الدين المهىء لسلوك الانسان فى سائر مناحى الكمالات الدنيوية والأخروية .

ثم أن لهذا الدين أهداف وغايات لاتخرج عن تنظيم صوالح الانسان روحا وجسدا وقد أنزله الله بالحق لمن أراد نيل الخير والسعادة والراحة الدائمة فى العيش الحاضر العاجل والمصير الابدى الدائم الخالد .

وأول أصول هذا الدين وقواعده الأساسية التوحيد طبعا وهو توحيد الله الخالق المبدع فى ملكه وملكوته دون شريك أو معين أو وزير، وللعقيدة بالتوحيد من الأثر على قلب الانسان وعقله ونفسه ما للصحة الكاملة السوية على جسد الانسان وجوارحه وشعار عقيدة التوحيد كلمتان جليلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان ميزان الحق والصواب « لااله الا الله محمد رسول الله » فمن قالها معتقدا بقلبه وسريرته اعتقادا صحيحا مطبقا على العمل أصبح رجلا قوى القلب والروح والجسد بحكم هذا المعتقد، ووراء ذلك كله وجود الصلة الخالصة بالله بحيث يرى أن

لا فعال فى الحقيقه الا الله وان لا رازق أو نافع أو ضار سوى الله .

وفى هذا المعنى نسوق الى القارىء الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعه وهو غلام .

قال عليه الصلاة والسلام : « يا غلام : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لاينفعوك بشىء الا ما كتب الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لايضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام ورفعت الصحف » .

وهذا الوارد فى نص الحديث هو ما يجب على كل مسلم أعتقد بقلبه فضلا عن نطقه بلسانه أن « لا اله الا الله » خالصا مخلصا « وأن محمدا رسول الله » اتباعا له وأسوة حسنة به لا شك أنه يتنزل على قلبه حينئذ من النور ما يجعله كالأناس استخداما لشئون الدنيا وكالملائكة فى الوقت نفسه تعلقا بالمنظر الأعلى من شئون السماء فهو ملك وملك ملك لشئون الدنيا يسخر أسبابها للاستعانة على طاعة ربه ، وملك فى عبوديته لله وتوجهه اليه وايثاره أخراه على دنياه وان حظى بالسعادة فيهما جميعا بسبب صلاحه وتقواه .

وأنا لايمكننى فى مثل هذا المقال أن أحصى سائر البراهين الطبيعية والعقلية والروحية الدالة على وحدانية الله وتنزهه عن سائر ما يشاكل خصائص مخلوقاته بل هو يسمو ويعلو فى مجده وسبحات وجهه فوق كل مايخطر ببال أحد من خلقه .

وذلك لأن الكون فى جملته وتفصيله يدل على ذلك التوحيد دلالة واضحة لا تحتاج لشك أو تردد أو حتى أعمال فكر لمن نظر فى آفاق الكائنات وفى نفسه نظرا مخلصا عادلا ، ولا نكران فى بدائه العقل من أن لا خليقة دون خالق ولا طبيعة دون طابع ولا نظام قط دون منظم ، والا فمن بذر بدرة تلك العوالم من نجوم وأفلاك وكواكب ومجرات ؟ من بذرها بذورا محكمة الوضع لتنتج نتائج منظمة معقولة تنبنى عليها عوالم ليس فى قدرة مخلوق احصاؤها مهما كثر عمله واتسعت معرفته بل كلما توغل فى مشاهدتها والتفكير فيها كلما بزغت اليه أسرار وأسرار من القدرة الالهية تكمن وراءها .

هذا من جهة آيات الله فى الآفاق العلوية والسفلية ، وأما من جهة الأنفس وما يبزغ فيها من أنوار وأسرار فحسبك أن ضمنها النبوة والرسالة والحكمة والالهام والشهود للحقيقة تلك الانوار والاسرار المقربة لقلب العبد من بديع السموات والارض ومنشئهما وخالقهما جلت ذاته وتعاظمت قدرته وتنزهت خصائصه وصفاته وعلا عن الشريك والنظير والشبيه والوزير وجوده الأقدس فى ملكوته الأعلى .

هذا وذاك بعض ما تفعله العقيدة الاسلامية فى شخص يعتنقها قلبا وعقلا وروحا وجسدا وسلوكا واستقامة فى الدنيا وسعادة مدخرة فى الآخرة وهناك ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أمثلة

ذكرت فى مقالاتى السابقة أن القاضى فى الاسلام كان يحكم بكتاب الله ، سبحانه وتعالى ، وبسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وذلك اذا كان الحكم واضحا فى الكتاب أو السنة .. والا فان القاضى كان يحكم بما أجمع عليه الصحابة ، رضى الله عنهم ، فاذا لم يجد اجتهد .. ويدخل فى الاجتهاد القضاء بالقياس .. وقد حكم كثير من قضاة المسلمين بالقياس وكانوا يقولون :

« ان نظير الحق حق ونظير الباطل باطل »

وفى مقالاتى السابقة قدمت طرفا من الأمثلة على الحكم بالقياس واليوم أقدم طرفا آخر

عرض على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، موضوع امرأة توفيت عن زوج وأبوين اختلفوا على نصيب كل منهم فى تركتها .. فقضى أمير المؤمنين للزوج بالنصف . وللام بثلث الباقى . وما بقى بعد ذلك للاب .. فقد قاس ، رضوان الله عليه ، وجود الزوج على عدم وجوده ، اذ انه فى حالة عدم وجود الزوج يكون للاب ضعف ما للام فقدر عمر أن الباقى بعد الزوج هو كل المال المتروك عن المرأة المتوفاة

وقد قال ابن قيم الجوزيه فى كتابه « أعلام الموقعين عن رب العالمين » ان ما قضى به الخليفة عمر فى هذا الشأن هو من أحسن القياس .. وهذا هو الحكم الذى أخذ به قانون المواريث الحالى رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ حيث نصت المادة ١٤ منه فى فقرتها الأولى على أنه :

« للأم فرض السدس مع الولد أو ولد الابن ، وان نزل ، أو مع اثنين أو أكثر من الاخوة والاخوات . ولها الثلث فى غير هذه الاحوال . غير أنها اذا اجتمعت مع أحد الزوجين والأب فقط كان لها ثلث ما بقى بعد فرض الزوج »

ومن قضاء الخليفة عمر بن الخطاب أيضا فى امرأة المفقود أن تتربص عودته لمدة أربع سنين .. فان لم يعد ، بعد هذه المدة فلها أن تتزوج .. ولما قدم المفقود

من الأقضية في الإسلام ....

المستشار عبد الستار آدم

بعد ذلك خيره عمر ، بين امرأته وبين مهرها .

وقد قال بعض الفقهاء ان مذهب الخليفة عمر بن الخطاب فى المفقود يخالف القياس .. وقالوا ان القياس انها زوجة القادم على كل حال .

وقال البعض الآخر انها اذا تزوجت بعد مضي الأربع سنين ودخل بها الزوج الثانى فهى زوجته ولا ترد الى الزوج الأول .. وان لم يدخل بها ردت الى الأول .

واذا رجعنا الى القوانين الوضعية المطبقة حاليا فى جمهوريتنا نجد أنها قد اقتبست من قضاء الخليفة عمر فى هذا الشأن مدة الاربع سنين فقد نصت المادة ٢١ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، الصادر فى ١٠ من مارس سنة ١٩٢٩ – والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية – على أنه :

« يحكم بموت المفقود الذى يغلب عليه الهلاك بعد أربع سنين من تاريخ فقده « وأما فى جميع الأحوال الأخرى فيفوض أمر المدة التى يحكم بموت المفقود بعدها الى القاضى ، وذلك كله بعد التحرى عنه بجميع الطرق الممكنة الموصلة الى معرفة ان كان المفقود حيا أو ميتاً »

كما نصت المادة ٢٢ من المرسوم بقانون المشار اليه على أنه :

« بعد الحكم بموت المفقود بالصفة المبينة فى المادة السابقة تعتد زوجته عدة الوفاة وتقسم تركته بين ورثته الموجودين وقت الحكم »

ومما يروى من أقضية الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كذلك أن رجلا كان يقود أعمى فوقعا فى بئر ، ووقع الاعمى فوق البصير فقتله .. فقضى عمر ، رضى الله عنه ، بوجوب الضمان على الأعمى .

وقد اختلف بعض الفقهاء والقضاة فى هذه المسألة .. فذهب بعضهم – ومنهم عبدالله بن الزبير والقاضى شريح والامام الشافعى والامام أحمد – الى أن قضاء عمر هو القياس

وقال البعض الآخر ان القياس أنه ليس على الاعمى ضمان البصير ، لأن البصير هو الذى قاد الاعمى الى المكان الذى وقعا وكان سبب وقوعه عليه

ويقول ابن قيم الجوزيه ، فى كتابه المنوه عنه ، ان القياس هو حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وذلك لثلاثة وجوه تخلص فى الآتى :

الوجه الاول : ان البصير قاد الاعمى باذن منه

والوجه الثانى : ان قيادة البصير للاعمى مستحب أو واجب ، ومن فعل ما وجب عليه أو ندب اليه لم يلزمه ضمان ما تولد عنه

والوجه الثالث : انه قد اجتمع فى هذه الحالة اذنان ، اذن الشارع واذن الاعمى ، فالبصير محسن بامتثال أمر الشارع .. وهو محسن كذلك بقيادته للاعمى ، وما على المحسنين من سبيل ، وأما الاعمى فانه قد سقط على البصير فقتله فوجب عليه ضمانه ، كما لو سقط انسان من سطح على آخر فقتله ، فهذا هو القياس

هذا ويمكن القول بأن هذا الذى قضى به عمر رضى الله عنه هو أصل المبدأ المعمول به فى الشريعة الاسلامية الغراء ، وهو مبدأ المسئولية الموضوعية التى تقوم على فكرة الضرر وتحمل التبعة فمن خلق تبعات يفيد من مغانمها وجب عليه أن يحمل عبء مغارمها .. وقد نص على هذه المسئولية فى المادة ٩١٦ من المجلة العدلية التى تنص على أنه :

« واذا أتلف صبى مال غيره فيلزمه الضمان من ماله ، فان لم يكن له مال ينظر الى حال يساره ولا يضمنه وليه »

وسبق أن تحدثت عن هذه المسئولية الموضوعية فى مقال لى نشر بهذه المجلة الغراء فى السنة الثالثة والعشرين العدد الثانى « صفر سنة ١٣٨٥ ، يونيه سنة ١٩٦٥ » .

ومن الأمثلة على الحكم بالقياس كذلك ما رآه أول الخلفاء الراشدين ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، من أن الجد أولى من الأخ في ميراث ابن ابنه – قياسا على الاب – وهكذا كان رأى الخليفة الثانى ، عمر بن الخطاب . ولكن زيد بن ثابت كان يرى أن الاخوة أحق بميراث أخيهم من الجد .. وضرب لذلك مثلا بشجرة خرج منها غصن وخرج من الغصن غصنان صغيران .. فهذا الغصن هو الذى يجمع الغصنين الصغيرين ويغذيهما .. وعلى ذلك فان احد الغصنين الصغيرين أقرب الى أخيه منه الى أصل الشجرة .

ويقول ابن قيم الجوزيه فى كتابه ، سالف الذكر ، ان رأى الصديق أولى من رأى زيد بن ثابت

أما قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ فقد نص على حكم هذه المسألة فى المادتين ٢٢ ، ٢٦

فنصت المادة ٢٢ على أنه :

« اذا اجتمع الجد مع الاخوة والاخوات لابوين أو لاب كانت له حالتان :

الأولى – أن يقاسمهم كأخ اذا كانوا ذكورا فقط أو ذكورا واناثا أو اناثا عصبن مع الفرع الوارث من الاناث »

الثانية – أن يأخذ الباقى بعد أصحاب الفروض بطريق التعصيب اذا كان مع أخوات لم يعصبن بالذكور أو مع الفرع الوارث من الاناث »

أما المادة ٢٦ من القانون المذكور فقد نصت على أن :

« يحجب أولاد الأم كل من الأب والجد الصحيح ، وان علا ، والولد وولد الابن ، وان نزل »

(يراجع كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن قيم الجوزيه وتحقيق الاستاذ الكبير محمد محيى الدين عبد الحميد الجزأين الاول والثانى)

والى امثلة أخرى من الأقضية فى الاسلام فى اعداد قادمة من هذه المجلة الغراء باذن الله .

والله ولى التوفيق

من أخلاق القرآن

العدل

فضيلة الدكتور احمد الشرباصي

العدل هو القصد فى الأمور ، والانصاف والمساواة بين الناس، وهو الحكم بالاستواء ، وهو تحرى المساواة والمماثلة بين الخصمين ، بأن لا يرجح أحدهما على الآخر بشىء قط ، بل يكونان سواء ، حتى يصل كل ذى حق حقه..وقد روى : بالعدل قامت السموات والأرض ، أى أنه لو كان ركن من الأركان الأربعة فى العالم زائدا على الآخر ،أوناقصا عنه ، على مقتضى الحكمة ، لم يكن العالم منتظما . وتطلق كلمة « العدل » على العادل من الناس .. المرضى المستوى الطريقة .

والعدالة أوالمعادلة لفظ يقتضى معنى المساواة ، والعدل نقيض الظلم والجور .. والعدل له مرادف هو القسط .

وقد تكررت مادة « العدل » بمشتقاتها ما يقرب من ثلاثين مرة فى القرآن الكريم ، وقد يشير هذا التكرار – ولو من ناحية المظهر على الأقل – الى عناية التنزيل المجيد بالحديث عن العدل ، والعجيب فى أمر هذا الحديث أنه استعرض مواطن عديدة ينبغى أن يتحقق العدل فيها ، أو يتحقق فيها العدل الكامل بالفعل ، وفى طليعة هذه المواطن ، وفوق هاماتها كلها نجد القرآن الكريم يحدثنا عن عدل الله جل جلاله ،فينفى أولا عن ذاته العلية صفة الظلم .. كأن يقول : « **وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** » .. ويصف ذاته القدسية بالعدل والقسط .. كأن يقول : « **شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** » .

فالله جل جلاله كما تخبرنا هذه الآية هو الذى يقوم بتحقيق العدل فى الدين ، وفى الكون ، فيأمر بعلم ويقضى بحكمة .. وشريعته تحقق العدالة بين مطالب البدن ومطالب الروح ، وهو الذى يأمر بالعدل والتوسط دون افراط أو تفريط .

و « العدل » نفسه اسم من أسماء الله تعالى ، فهو الذى لا يميل به هوى فيجور فى الحكم ولفظ «العدل» فى الاصل مصدر سمى به فوضع موضع وصف « العادل » ولفظ « العدل » أبلغ فى الدلالة على صفة العدالة من لفظ « العادل » .

والرسول – صلى الله عليه وسلم – مأمور بالعدل كما يحدثنا القرآن الكريم فى قوله : « **فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم** » .

ويقول الله تعالى آمرا رسوله بالعدل فى الحكم لغير المسلمين: « **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين** » وهذه الاية خطاب من الله جل جلاله للرسول – عليه الصلاة والسلام – فى شأن حكمه بين غير المسلمين من أهل الكتاب ، فهم – وان كانوا غير مسلمين –

يجب أن يكون حكمك بينهم بالعدل .

والقرآن الكريم يأمر بالعدل في الحكم والفصل في القضايا والخصومات بين الناس فيقول : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا** » ..

ويقول في آية أخرى : « ان الله يأمر بالعدل » .. وهذا العدل يشمل أول ما يشمل المساواة والعدالة عند الفصل في الحقوق بين الناس .

ويقرر الامام الشافعي هنا أن القاضي ينبغي له أن يسوى بين الخصمين في خمسة أشياء : في الدخول عليه ، والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما ، والحكم عليهما ، ولاينبغي أن يلقن واحدا منهما حجته ولا أن يلقن شاهدا شهادته ، ولايلقن المدعى الدعوى ، ولا يلقن المدعى عليه الانكار أو الاقرار .. الخ . وفي تاريخ الاسلام مواقف رائعة لدقة العدالة في الحكم .

ويأمر كتاب الله المجيد بالعدل في الكلام والمنطق .. فيقول : « **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** » **أي يجب عليكم أن تعدلوا** في قولكم ، فتكونوا صادقين اذا نطقتم بشهادة أو حكم على أحد ، ولا يجوز أن تحيدوا عن طريق الحق والعدل متأثرين بعامل القرابة .. فالله قد حرم الميل في النطق بالشهادة ولو كان هذا لمحاباة أحد القرباء .

ويتصل بهذا الوجوه من وجوه العدل التي دعا اليها القرآن وحث عليها ، قول الله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** » ..

أي أقيموا العدل على أتم الوجوه واكمل الحالات ، لان « القوام » هو المبالغ في القيام بالشيء ، وتحروا الحق في قولكم وشهادتكم ،حتى لو كانت الشهادة على أنفسكم أو أقاربكم ، فلا تحابوا الغني طمعا فيه ، ولا الفقير عطفا عليه ، فالله أولى من الجميع .. فأخلصوا الشهادة ، ولا تتبعوا أهواءكم كراهية منكم للتمسك بالعدل ، فسواء عليكم: أشهدتم بالحق أم كتمتم الشهادة فان الله تعالى مطلع على أحوالكم، عليم بدقائق أموركم .

ويأمر القرآن الكريم بالعدل في الكتابة ، فيقول في آية المداينة :

« **يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل** » .. أي ليكتب كتاب المداينة أو البيع كاتب متصف بالقسط والانصاف فهو لا يزيد ولا ينقص في صفة أو مقدار ، ولا يكتب شيئا يضر بأحد المتعاقدين الا باذنه ، فان الكتابة هنا أمانة يجب أن يرعاها صاحبها ، وأن يتقي الله فيها .

ويدعو كتاب الله - جل جلاله - الى العدل في الشهادة ، فيقول القرآن عن النساء المطلقات في العدة :

« **فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا** » .. أي اذا شارف النساء المطلقات آخر عدتهن فراجعوهن ان أردتم العودة الى الحياة الزوجية بحسن عشرة وجميل معاملة أو اقطعوا الحياة الزوجية قطعا نهائيا ان أردتم الاتصال مع الوفاء بالحقوق والابتعاد عن الاضرار ، وأشهدوا شاهدين عادلين على الرجعة ، أو على الفراق .. حتى لا تكون هناك ريبة أو تنازع ، وليكن الشهود متقين لا يدخلون على الشهادة أي عوج أو انحراف بل عليهم أن يجعلوها عادلة مستقيمة خالصة لوجه الله تعالى :

وكذلك أمر القرآن بالعدل في الشهادة على الوصية ، وذلك في **قوله: « يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو**

آخران من غيركم ان أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذن لمن الآثمين » .

وأوجب كتاب الله المجيد العدل حين الاصلاح بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين . فقال : **« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين »**

والقرآن يوجب علينا العدل حتى مع من نبغضهم ونكرههم ، وهذه مثالية كريمة فى تطبيق العدل ، وفى ذلك يقول القرآن : **« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .**

أى لا يحملنكم بغضكم قوما ، أو عداوتكم لهم على الجورعليهم ، أو الظلم لهم ، فلا يجوز أن تمنعوهم حقا من حقوقهم ، أو تكتموا شيئا مما لهم ، فالعدل واجب عليكم نحوهم فى كل الاوقات وسائر الأحوال ، اذ هو أقرب الى تحقيق تقوى الله تعالى والبعد عن عقابه .

ويأمرك كذلك بالعدل فى تقدير الجزاء المطلوب شرعا فى حالة اعتداء الحاج على الصيد وهو محرم وذلك حيث يقول : **« يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة » .**

فالمحرم بالحج يحرم عليه أن يقتل صيدا يؤكل لحمه ، فاذا فعل ذلك متعمدا ، كان عليه أن يدفع جزاء مقابلا لما فعل ، وهو أن يقدم ذبيحة تماثل هذا الصيد فى القيمة أو الهيئة ، والذى يقدر ذلك شخصان يكونان عادلين فى حكمهما وتقديرهما .

والقرآن يشير الى أن العدل قد يكون فى بعض الأحيان شاقا مرهقا يحتاج الى قوة ارادة وشدة عزيمة .. وذلك كالعدل بين الزوجات اذا تعددن لأن العواطف والمشاعر والانفعالات المختلفة تتدخل هنا ، وهى عرضة للجموح والتقلب والتأثير .. ولذلك يقول القرآن الكريم عن تعدد الزوجات **« فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة »** ثم يعود فى موطن آخر فيقول : **« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ..**

وهذه اشارة الى ما عليه طبيعة الناس من الاستعداد للجور والظلم فى هذا المجال ، لأن المرء لا يستطيع مثلا أن يسوى بين الزوجتين فى المحبة ..

وقد ينوى الرجل العدل بين الزوجتين ويحاول ذلك . ولكن يتعذر عليه بلوغه ، لارتباط الانسان بوجدانه وميله القلبى ، وهو لايملك السيطرة على قلبه ، فالعدل الكامل هنا لا يتحقق فلا أقل من التأبى على الجور الواضح والميل الشديد ، حتى لاتتركوا الزوجة التى لا تميلون اليها كأنها غير متزوجة وغير مطلقة ، ولذلك قال الفقهاء ان العدل المأمور به هنا هو العدل فى النفقه والقسمة وما يستطيعه الانسان .

وهكذا نرى القرآن الكريم قد دعا الى الاستمساك بالعدل فى شتى مناحى الحياة ، وأعلمنا اولا ان العدل هو صفة الله جل جلاله ، وهو مهمة رسوله صلى الله عليه وسلم — ثم امرنا بالعدل فى الحكم والعمل والقول والكتابة والشهادة والاصلاح بين المتنازعين وتقدير الجزاء ، ومع الزوجة ومع الذين توجد بيننا وبينهم عداوة .. وبهذا تكون دعوة الاسلام الى العدل دعوة شاملة واسعة النطاق .

ولأن العدل يحتاج الى دقة ويقظة وتقدير عبر القرآن الكريم عن العدل بكلمة « الميزان » .. فقال الله — تبارك وتعالى — : **« الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان »** وقال : **« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .**

وقد جاء فى تفسير المنار العبارة التالية تعليقا على هذه الآية الكريمة : « خير الناس من

يصدهم عن الظلم والعدوان هداية القرآن .. ويليهم من يصدهم العدل الذى يقيمه السلطان .. وشرهم من لا علاج له الا السيف والسنان ، وهذا هو المراد بالحديد .. فقوام صلاح العالم بالايمان بالكتاب الذى يحرم الظلم وسائر المفاسد فيتجنبها المؤمن خوفا من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ورجاء فى ثوابه فيهما .. وبالعدل فى الأحكام الذى يردع الناس عن الظلم بعقاب السلطان .

ويؤيد قاعدة اقامة العدل ما ورد فى تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه ، فقد ذكر الظلم فى مئات من آيات القرآن أسوأ الذكر .. وقرن فى بعضها بأسوأ العواقب فى الدنيا والآخرة وأن الجزاء عليه فيهما أثر لازم له لزوم المعلول للعلة ، والمسبب للسبب .. وأن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم « ولا يظلم ربك أحدا » .. ومن أثره وعاقبته فى الدنيا أنه مهلك الأمم ومخرب العمران .. قال تعالى :

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ..

أى ما كان من شأنه ولا من سنته فى نظام الاجتماع أن يهلك الأمم بظلم منه لهم .. أو بشرك يقع منهم وهم مصلحون فى سيرتهم وأعمالهم ، وانما يهلكهم بظلمهم وافسادهم ، كما قال :

« وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا » .. وقال فى الأحكام : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ..

واذا كان القرآن الكريم قد استعمل كلمة « الميزان » بمعنى العدل ، فانه قد كرر الدعوة الى العدل فى الوزن الحسى المعروف **فقال : « وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » .. وقال : « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » .. وقال : «وأوفوا الكيل والميزان بالقسط» وقال : « فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم » . « وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط » .. وقال : « ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير » .**

وحذر القرآن الكريم من الظلم فى الكيل والوزن فقال : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » .. وفى هذا اليوم الخطير يضرب الله المثل الأعلى للعدل حيث يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » .

ولا شك أن ضبط الكيل والوزن مظهر جليل من مظاهر العدل تصان به الحقوق بين العباد .

تقوى الله أفضل العدة

مما كتبه عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص ومن معه من الاجناد « رضى الله عنهم » : أما بعد ، فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، واقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك ان تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله، ولا تقولوا: ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا — وان أسأنا — فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس (فجاثوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) ، واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم .

التحفظ من العدو

قالت الحكماء : احذر الموتور ولا تطمئن اليه ، وكن أشد ما تكون حذرا منه الطف ما يكون مداخلة لك ، فان السلامة من العدو بتباعدك منه ، وانقباضك عنه وعند الانس اليه والثقة به تمكنه من مقاتلتك .

وقالوا : لا تطمئن الى العدو ان ابدى لك المقاربة ، وان بسط لك وجهه ، وخفض لك جناحه ، فانه يتربص بك الدوائر ويضمر لك الغوائل ، ولا يرتجى صلاحا الا فى فسادك ، ولا رفعة الا بسقوط جاهك .

القرآن حياة وعصمة

فضيلة الشيخ
عبد الحميد بلبعي

انتهى بنا الكلام فى المقال السابق الى أن الله تعالى انما أنزل القرآن الكريم هداية للناس عامة وعلاجا للبشرية كافة افرادا وجماعات وليضع للانسان ركائز الحياة الطيبة وأسس بناء المجتمع الواعى ولاغرابة فان الله تعالى رءوف رحيم وهو الذى خلق الانسان وكرمه وفضله على كثير ممن خلق وجعله خليفة له فى ارضه وأغدق عليه نعما لا ياتى عليها عد وأولاه مننا لايستقصيها احصاء ولاحصر، سخر له مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ، وحاشاه بعد هذا الفضل العظيم أن يدع هذا الانسان هدفا لنزعات النفس وغرضا لوساوس الشيطان . وكرة تتقاذفها الأهواء — وعوامل الشر والفساد . نعم حاشاه أن يترك هذا الانسان يتخبط فى متاهات الحياة خبط عشواء . حائرا بين طرائقها وأبوابها لايدرى أى طريق يسلك وأى باب يطرق ولا الى أى مدى فى هذه الأوضاع يسير ، نعم ما ترك الله عز وجل هذا الانسان يعمه فى ضلالته . ويتعثر فى بيداء عمايته بل كفاه مؤنة كل هذا فأنزل عليه القرآن يبين له الهدى من الضلال، والحق من الباطل . والرشد من الغى ويوضح له معالم الحياة الكريمة — والعيشة الراضية متدرجا به فى كل مرحلة من مراحلها . منظما له كل جانب من جوانبها .

وأول شىء عنى به القرآن الكريم من شان الانسان هو نفس الانسان يربيها ويهذبها . يخلصها مما علق بها من أو شاب البيئة التى تعيش فيها . ويطهرها من ادران الوسط الذى يحتضنها ثم يغذيها على موائد الدين والخلق يرغبها تارة ويرهبها أخرى مستعملا معها فى كل هذا وسائل الأقناع والأقتناع فى أسلوب علمى . وكلام منطقى واضح العبارة . قوى الدلالة . ولا يكرهها على شىء مما يعرض . لأنه قال (**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**) ولكنه يعرض عليها ما يعرض ويحكم العقل فى كل ما يعرض كما قلنا سابقا ولايزال بها حتى تظهر على حقيقتها اما ان تخضع لحكم العقل السليم وتقتنع بما عرض عليها وتعود الى نظرتها التى فطرها الله عليها وتنفذ كل ما يكلفها به القرآن واما أن تكون غير خاضعة لحكم العقل ولا مكترثة بما عرض وهذه ينطبق عليها قول القرآن (**لهم قلوب لايفقهون بها . ولهم أعين لايبصرون بها . ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) وأمثلة هذا فى القرآن كثيرة . وآياته عديدة . ذكرنا منها فى المقال السابق ما اتخذه معها فى تصحيح العقيدة الدينية . وفيما انتزعه من حنايا دخائلها من تقليد الآباء فى كل ما يعتقدون ومما يعملون ناعيا عليها هذا التقليد الضال والتفكير العقيم وبين فى النهاية أن فريقا اهتدى وفريقا آخر ضل حيث يقول (**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون . وأملى لهم ان كيدى متين .**) .

ومتى برئت النفس من علتها واستعادت فطرتها وصححت عقيدتها وأصبحت صالحة للفهم المستنير والسلوك المستقيم ووزن الأمور بميزان الحق والعدل ووضع

كل منها فى نصابه • أخذ بها الى أسس بناء المجتمع الواعى • والى ركائز الحياة الطيبة الهادئة وهى فى الواقع مبادىء وتعاليم تدعو كلها الى الهدوء والاستقرار والى الأمن والطمأنينة على الأرواح والأموال والأعراض وتدعم أواصر المحبة • وتحكيم روابط الألفة • وجماع ذلك كله يظهر فى الأخاء والوحدة والسلام والقوة لذا دعا القرآن الكريم اليها ورغب فيها وحث عليها فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وقال (انما المؤمنون اخوة) ربط بين المؤمنين بأخوة الايمان كما ربط بينهم باخوة النسب اذ قال (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) تراه فى هذا الربط العظيم ساوى بين الناس جميعا • وأذاب الفوارق بينهم جنسية كانت أو شخصية فلم يميز أحدا على أحد ولم يجعل لأحد فضلا على أحد الا بما يصله بالله فقط اذ يقول (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم (اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى الا انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم فأبيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان ابن فلان فاليوم أرفع نسبى واضع نسبكم وفى رواية (فأين المتقون) ثم أرشدهم الى ما يدعم بينهم رابطة هذا الاخاء فحبب اليهم التراحم والتعاطف لأن لهما دورا هاما فى اشاعة المحبة وتنمية المودةوالألفة بين الأفراد والجماعات قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال رسول اللهصلى الله عليهوسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وقال (لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا أدلكم على شىء اذافعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) ، وقال : ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته • وتوسع له فى المجلس • وتدعوه بأحب اسمائه اليه) رواه الطبرانى ودعا الى كظم الغيظ عند الغضب والى العفو عند الاساءة والى الاحسان الى المسىء فقال (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) ثم أرشدهم الى مايكفل بقاء هذا الأخاء بينهم واستمراره فى أوساطهم وجماعاتهم لذا دعاهم الى التعاون ـ دعاهم الى الصلح بين المتخاصمين ـ دعاهم الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاهم الى كل ما يوطد دعائم الأخاء والوحدة

قال داعيا الى التعاون(وتعاونوا على البر والتقوى)وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة • ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة •ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه) الحديث وقال ايضا (أن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم فى حوائجهم اولئك المومنون من عذاب الله) وقال (ان لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج الناس مالم يملوهم فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم)

وقال آمرا بالصلح (واصلحوا ذات بينكم)وقال (والصلح خير) وقال (لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف او اصلاح بين الناس) وقال (انما المؤمنون اخوةفأصلحوا بين اخويكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا أنبئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال (اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هى الحالقة) وفى رواية زاد قوله (لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) ـ حقا فان الخصومة مرض اجتماعى خطير ، يفتك بالوحدة ويقضى على الاخاء ويذهب بالمال ويخرب الذمم وفى هذا ـ ولا شك ـ انحلال الخلق بل ضياع الدين فانا اذ نتصور ، ماذا يكون اذا اشتد النزاع واضطرمت نار الخصومة من الأستهانة بكل شىء فى سبيل الأنتصار على الخصم ـ امتهانة بالذمم ـ استهانة بالمال ـ استهانة بالخلق ـ استهانة بالدين وغير ذلك كثير ولا يزيل هذه الآثار السيئة من المجتمع ويصون المجتمع من التدهور والانحلال الا الصلح بين المتخاصمين فانه قاض على النزاع مزيل للخصومة مريح للنفوس جامع للكلمة موحد للصفوف فالصلح أمر تدعو اليه ضرورة العمران وتحتمه عوامل الأخاء ، ويؤكده الصالح العالم

وقال مكلفا بالأمر بالمعروف **والنهى عن المنكر (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم** المفلحون) وقال فى صفة الأمة الاسلامية انها خير أمة ، اخرجت للناس وأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر) (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون **عن المنكر) وقال (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية ٠**

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ٠٠ فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم)

المعروف ما عرفه الشرع والمنكر ما أنكر الشرع والقرآن الكريم يدعو الى المحافظة على كل ما يأمر به الشرع ويدعو كذلك الى محاربة كل ماينكره الشرع حرصاً على تكوين الفرد الفاضل وعلى بناء المجتمع الكامل ورعاية لسلامة هذا المجتمع من الشرور والمفاسد ولأشاعة المحبة والالفة بين الافراد وبعث الاستقرار والطمأنينة والهدوء فى حياة المجتمع ـ ومن أجل هذا ـ دعا القرآن الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقوم به الفرد العالم بأسرار الشريعة الحكيم فى أساليب الدعوة ولاجرم ان المؤمن أخ المؤمن تأخذ فيه العاطفة اذا انحرف وتدفعه الأخوة الى تقويمه اذا أعوج وتشده الرحمة لارشاده اذا ضل فيجيب اليه كل ما أمر الله به مبينا له فضل أوامر الله وأثرها الطيب فى حياة الفرد والجماعة ويكره له الأثم والفسوق والعصيان وكل ما انكره الشرع مبينا له أثره السىء فى حياة الفرد وما يتناوبه فيها من كوارث وما يلاحقه فيها من أحداث فراجع نتيجة انحرافه عن الطريق المستقيم شروده عن سواء السبيل ويؤيد له ذلك بقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) لعل هذا الأخ بعد هذا يرجع عن غيه ، ويثوب الى رشده وما أخاله الا راجعا

ولهذه الفوائد العظيمة وهذه الآثار الطيبة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر أمر به الله عز وجل فى كل الشرائع السابقة ووعد من قام به أجرا عظيما وفضلا كبيرا وتوعد من أهمله أو قصر فى القيام به عقابا شديدا وأورثه ذلا وانحطاطا ذريعا أعلنه فى بنى اسرائيل اذ يقول **(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)**

وما كان المسلمون فى الصدر الأول يتواصون بفضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا أنهم أدركوا السر الحقيقى فى تقرير الشارع الحكيم لها وعلموا انها الأساس الوحيد لتثبيت دعامة الأخاء والعزة ـ ونشر لواء الكرامة والعظمة وانها وسيلة التقدم اجتماعيا وعمرانيا واقتصاديا وبها تتقوى الروابط الجماعية وينضج الرأى العام الذى يراقب سلوك الأفراد فى دقة وحرص وينقد الاتجاه العام فى المجتمع تقداوعيا وموجها يحرص على الحق ويوجه الى الفضيلة والخير وأرجو ان نقتدى بهم كى نكون من المفلحين وكما أمر الله بكل مايوطد رابطة الأخاء من الأمور السابقة وغيرها نهى كذلك عن كل ما يمس هذا الأخاء من قريب أو من بعيد صيانة له وحفاظا عليه واليك شيئا من هذه المنهيات قال تعالى **(يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ٠ ولا تلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الآية الى قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته) وقال (لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا) وان التأمل فى قوله وكونوا عباد الله اخوانا بعد قوله لاتقاطعوا الخ** يفيدنا أن كل ما نهى عنه يحطم الأخاء والوحدة ويبعث النزاع والفرقة ويثير الخلاف ويبدد الالفه والله تعالى ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق

للحديث بقية

عيدان

الأستاذ عبد الحميد البسيوني

(٢)

اعطيت القارىء فى المقال السابق خلاصة ما انتهيت اليه فى تنزيل الآية الشريفة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) متى كان ، وانه كان يوم عرفه ، يوم جمعة .. ورسمنا صورة ذلك كيف كان . بالقدر الذى أداه فهمنا للنصوص .. ولم نرد أن نخوض غمرات القول بادىء ذى بدء حتى لا نلفت عن المعنى الذى قصدنا اليه هناك ..

وقد كنا على موعدة أن نقف عند هذا القدر من الآية متفكرين . نستلهم هديها ، ونتأمل معناها فهذا أوان الوفاء والله المستعان .

فأول ذلك أن نعرض لخلاف أهل التأويل فى وقت نزولها ، ليرى القارىء اختيارنا لما اخترناه فى المقال السابق كيف اتى .

روى امام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ تفسيره (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) أقوالا ثلاثة غير مامر بنا .

✻ فقال فريق ممن يؤخذ عنه التأويل ، أنزلت سورة المائدة بالمدينة .. روى عن ابن عباس .. ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم اكملت لكم دينكم) ، ورفع الذكر يوم الاثنين .

وعن قتادة قال المائدة مدنية وقال الربيع بن أنس نزلت سورة

المائدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسير فى حجة الوداع وهو راكب راحلتــه فبركت به راحلته من ثقلها .

*** وقال فريق ثـالث : ليس** ذلك بيوم معلوم عند النـاس ، وانما معناه : اليوم الذى اعلمه أنا دون خلقى ، اكملت لكم دينكـم وروى هذا القول عن ابن عباس

ونعم تقول العرب (انا اليـوم افعل كذا) وهم لايريدون يومـا بعينه ، ولكنهم يريدون الـوقت الحاضر ، كما حكاه سيبويه .. ولكن تأويل القرآن وبيانه لايكفى فيه العلم بلغة العرب وحدها ، والا لكان الصدر الأول جميعا من أهل التأويل ، وهذا لم يقله أحد بل ان ابن جرير رحمه الله يقول فى تفسيره مالا أحصى وهذا وجه جائز فى العربية ولكن لم يرد به روايته عن أحد ممن يؤخذ عنـه التأويل الذين سماهم تراجمـة القرآن

فكيف يكون القضاء ونحن امام هذه الاقوال الاربعة ؟

ان السبيل الذى لا سبيل سواه هو النظر فى الأسانيد التى رويت بها هذه الأثار ، ونقدها ، وبيان الصحيح منها والمعلول ، ومعـرفة الأسند منها دون الأخر .

(وهنا ــ ولا أحسبنى اعتدى على منهج الكتابة ــ يعلم المسلم أن آباءه قد حفظوا له تراثه وصانوه وضبطوه أوثق ضبط وأمتنه حينما لجأوا الى الاسانيد وضوابطها ، مما لم تلحق بهم فيه أمة حتى فى كتبها المقدسة)

يقول الطبرى :

(وأولى الأقوال فى وقت نزول الآية القول الذى روى عن عمر بن الخطاب أنها نزلت يوم عرفة ، يوم جمعة ، لصحة سنــده ووهى أسانيد غيره . وقال الحـافظ ابن كثير رحمه الله (الصـواب الذى لاشك فيه ولا مرية انــها نزلت يوم عرفة ، وكان يوم جمعة ، كما روى ذلك أميرا المؤمنين عمر ابن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب وأول ملوك الاسلام معاوية بن أبى سفيان ، وترجمان القرآن عبدالله ابن عباس ، وسمرة بن جندى رضى الله عنه)

ولكنا نعود فننظر فى الدعـوى التى ادعاهـا الطبرى من وهـاء الأسانيد الأخر ونأخذ لذلك مثلا الأثر الأول الذى رواه ابن عباس وفيه (وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين .. اين ماتى علته)

انه مروى عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن حنش عن ابن عباس .. فلعل الطبرى كان ممن يرى ضعف عبد الله بن لهيعة وترك الاحتجاج به . ولكنا نرى الامام أحمد يروى هذا الأثر فى مسنده ، ولم يذكر نزول سورة المائدة يوم الاثنين ، ولذلك اضطرب ابن كثير فقال : (ولعل ابن عباس أراد انها نزلت يوم عيدين اثنين فاشتبه على الراوى .

وتعقبه أستاذنا محمود شاكـر فى تعليقه على الطبرى فقـــال :

(وهذا توجيه غير مرتضى ، وربما كان الأرجح أنه غلط من الرواة عن ابن لهيعة ، فان رواية أحمد لاشك فى قوتها وضبطها)

فاستبان اذن صحة هذا السند الى ابن عباس ، فلسنا مع الطبرى فى توهينه من جهة السند .. ولكنا نرى ان الرواية التى (لا شك فى قوتها وضبطها) عنـد الامام أحمد بن حنبل لم يذكر فيها أن سورة المائدة نزلت يوم الاثنين فارتفع الاشكال ، وبقى لدينا القول المختار أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة .

ثم اختلفوا فى اكمال الدين كيف كان وبماذا يتحقق .

*** وقال السدى وابن عبـاس ان معنى الآية : اليوم اكملت لكم** أيها المؤمنون ــ فرائضى وحدودى وأمرى اياكم ونهيى ، وحـلالى وحرامى ، وتنزيلى من ذلك مـا أنزلت منه فى كتابى وتبيانى مـا بينت لكم منه بوحيى على لسـان رسولى ، والأدلة التى نصبتها لكم على جميع مابكم الحاجة اليه من أمر دينكم ، فأتممت لكم جميــع ذلك ، فلا زيادة فيه بعد هـذا اليوم ، واختار هذا القول الجبائى والبلخى وغيرهما ، وادعوا انه لم ينزل بعد ذلك شىء من الفرائض، لأن النبى صلى الله عليه وسـلم لم يعش بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة .

*** وروى عن سعيد بن جبير وقتادة أن معنى (اليوم اكملت لكم دينكم) : حجكم ، فأفردتـم بالبلد الحرام تحجونه ، انتم ايها المــؤمنون ــ دون المشركين ، لايخالطكم فى حجكم مشرك**

واختار شيخ المفسرين هـذا الرأى الأخير ، ولم يكن اختياره ذلك جزافا ، أو تحكما .. فكلام ابن عباس قائم ان الفرائض كانت قد أكملت ، ولكن نجد الرواية عن صحابى آخر هو البراء بن عازب تقول ان آخر آية نزلت من القرآن هى قوله تعالى فى سورة النسـاء **(يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) ولذا يقول ابن جرير ،** (ولا يدفع ذو علم أن الوحى لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قبض ، بل كان الوحى قبل وفاته اكثر ما كان

تتابعا • فاذ كان ذلك كذلك ، وكان قوله (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) آخرها نزولا وكان ذلك — الأحكام والفرائض — كان معلوما ان معنى قوله (اليوم اكملت لكم دينكم) على خلاف الوجه الذى تأوله من تأوله ،اعنى كمال العبادات والأحكام والفرائض)

ولم يفت الطبرى أن هاهنا سؤالا متوجها لامحالة ، فان من قال نزل بعدها فرض صحابى ، ومن قال لم ينزل صحابى فما رجح قول أحدهما ، اجاب رحمه الله :

(لأن الذى قال لم ينزل مخبر انه لايعلم نزول فرض ، والنفى لايكون شهادة ، والشهادة قول من قال نزل ، وغير حائز خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقا)

فاذا تركنا الطبرى ، وتخطيناه بقرن من الزمان وجدنا القرطبى رحمه الله يقف عند هذه الكلمة ذاتها (اليوم اكملت لكم دينكم) وقفة من نوع اخر : فقد خشى ان يتطرق الى انسان مفهوم المخالفة فقال ما موجزه :

لعل قائلا يقول : قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) يدل على أن الدين كان غير كامل فى وقت من الأوقات ، وذلك يوجب أن يكون جميع من مات من المهاجرين والأنصار ، والذين شهدوا بدرا والحديبية وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعتين جميعا ، وبذلوا أنفسهم لله ، مع عظيم ما حل بهم من أنواع المحن ، ماتوا على دين ناقص ،وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس الى دين ناقص ، ومعلوم أن النقص عيب ، ودين الله تعالى قيم ، كما قال (دينا قيما)

فالجواب أن يقال :

لم قلت ان كل نقص فهو عيب وما دليلك عليه ؟ ثم يقال له : أرأيت نقصان الشهر ، هل يكون عيبا ؟ ونقصان صلاة المسافر ،أهو عيب لها ؟ •• فما انكرت نقصان الدين فى الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية فى علم الله تعالى ليست بشين ولا عيب ، وماانكرت **أن قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) يخرج على وجهين :**

(أحدهما : أن يكون المراد : بلغته أقصى الحد الذى كان له عندى فيما قضيته وقدرته ، وذلك لايوجب ان يكون ما قبل ذلك ناقصا نقصان عيب ، لكن يقال : انه كان ناقصا عما كان عند الله تعالى انه ملحقه به وضامة اليه ، كالرجل يبلغه الله مائة سنة ، فيقال : اكمل الله عمره ، ولايجب عند ذلك أن يكون عمره حين كان ابن ستين ناقصا نقص قصور وخلل ، ولكنه يجوز ان يوصف بنقصان مقيد ، فيقال : كان ناقصا عما كان عند الله أنه مبلغه اياه ، ومعمره اليه ••

(وهكذا شرائع الاسلام ،وما كان شرع منها شيئا فشيئا الى ان انهى الله الدين منتهاه الذى كان له عند الله ، والله اعلم •

والوجه الآخر : انه وفقهم للحج الذى لم يكن بقى عليهم من أركان الدين غيره فحجوا، فاستجمع لهم الدين ، أداء لأركانه وقياما بفرائضه ، وكانوا تشهدوا وصلوا وزكوا وصاموا واعتمروا ، ولم يكونوا حجوا ، فلما حجوا ذلك اليوم مع النبى صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى وهم بالموقف عشية عرفة (اليوم اكملت لكم دينكم) ، وانما أراد اكمل وضعه لهم)

وبعد ، فلعلى قد بالغت فى الاطالة ، واكثرت النقل عن علمائنا السالفين ، وأشهد لقد عمدت الى ذلك عمدا ، وقصدت اليه قصدا، لنرى سلفنا الصالح كيف كان يتأدب مع كتاب الله ، فلا يجترىء عليه ولا يخوض فيه ، لأنها (الرواية عن الله) كما قال الشعبى رحمه الله فاذا تقرر ذلك لم نجد ممن نسب الى العلم فى زماننا هذا من يقول ان السياحة للمرأة من تعاليم ديننا — كذا قال — لقوله تعالى (•• تائبات عابدات سائحات) •• يحسب بذلك — هداه الله ، انه يساير التطور ، وانه من ثم ، وقد بهره السلوك الغربى وغلبه على موروثاته يباهى بأن (كل شىء) فى دينه حتى خروج المرأة فى البلاد (بلا محرم)

ولو قد رجع قائل هذه المقالة الى من يرجع اليه لعلم من بيان رسول الله نفسه أن السياحة الصيام للمرأة والجهاد للرجل •

لحظات مع الاسلام

الأستاذ محمد فادى عسر

ليس أحب الى النفس من لحظات تقضيها مع الاسلام . تأخذ فيها زاوية من زواياه العديدة . تقلبها وتعيش فيها . وسوف تكون هناك صور كثيرة جميلة ورائعة . وسوف تزداد النفس طمأنينة ورضى وثقة

لا شك ان فى الاسلام نواحى كثيرة تبهر الناظر اليها منذ أول لحظة . وتجذبه عندها انجذابا لا فكاك منه . وكلما طال مكثه عندها كلما طال هيامه بها وعشقه لها عما سواها . ويكاد ذلك ان يصرفه عن البحث فى جوانب أخرى قد تكون أقل ضوءا ولكنها ولاشك شديدة الحيوية قوية المعانى . وسوف لا يصل اليها الا واحد من اثنين . واحد طمعت نفسه فى الاخذ بالكثير من اسباب العلوم الاسلامية ، فأخذ يدرس وينقب فى شتى جوانبها ، ويرصد ويجمع ويعلق ويستفيد وربما يفيد

واخر سعد بأن اتيحت له فرصة الاطلاع فوجد فيما اطلع عليه أشياء جديدة لم يكن قد أطلع عليها من قبل او لم يكن قد اكتشف ما فيها من معان كبيرة فأخذت هذه المباحث الجديدة التى أطلع عليها من نفسه كل مأخذ وزادتها لمعانا ويقظة .

وليس احب فى دراسة الاسلام من المقارنة بغيره ، وخاصة بما يسمى بالعلوم الحديثة وهى التى تبهر دائما جمهور المثقفين والاخذين عنهم من المقلدين . والاسلام يقبل المقارنة ويرفض الاستكانة والاستسلام . كما يرفض المراهقة الفكرية والكسل العقلى والتبعية النفسية

ان المتعمق فى الاسلام يجد ان مادته الأولى الانسان بكل خواصه ومشكلاته ومتناقضاته

وقد خص الله سبحانه وتعالى الانسان عامة بكثير من أسباب التكريم والتفضيل . وحسبنا فى هذا ما جاء فى الاية الكريمة :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ثم انه سبحانه وتعالى قد دعا عباده الى التدبر والتأمل بعقولهم وبالبصر والسمع والفؤاد، والوجدان فى الكون وفى بديع صنع الله حتى يصلوا الى حقيقة التوحيد

وقد أشاد سبحانه وتعالى بالعلماء حيث أنزلهم منزلة أكبر ورفعهم على غيرهم درجات . وفى هذا تقول الايات الكريمة : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . (انما يخشى الله من عباده العلماء) . (وما يعقلها الا العالمون) .

وقد اهتم الاسلام بالانسان المسلم كفرد وكمواطن فى مجتمع فالاسلام يخاطب عقول الناس . كل الناس . فى كل وقت ومكان .. يرشد هذه العقول الى الصحيح . وينفر لها كل ما هو مستهجن . ويترك لها حرية الاختيار فى سلوك ما تشاء من الطرق . بعد ان استبانت لها معالمها . ثم أشهد هذه العقول على نفسها وعلى أصحابها

كما اهتم الاسلام بالانسان كمواطن فى مجتمع . فبصر الانسان بحقه على مجتمعه وحق مجتمعه عليه .

وان كان الاسلام قد رتب على الانسان مسئوليات خطيرة فى المجتمع ، وفرض عليه الكثير من الالتزامات التى لا يجوز الفكاك منها . ولم يعفه حتى من التضحية بالنفس والاستشهاد فى سبيل الله والمجتمع والشهادة ولا شك أخطر هذه الالتزامات ومن ثم رفع الله الشهيد الى قرب مرتبة الأنبياء والرسل

ولم ينس الاسلام واجب المجتمع الاسلامى نحو أفراده من

بنى الانسان . وان أقل صفة يمكن ان نصف بها المجتمع الاسلامي هى أنه مجتمع مسئول عن كل الناس فيه .

مسئول عن الضعفاء فيه ، والذين ظلمتهم الظروف ، ولذلك فهو لا يسمح بأن يداس هؤلاء تحت أقدام الاقوياء ، مهما بلغ تفوق الاقوياء ونبوغهم . كما أنه مسئول عن حماية الأقوياء من ثورة الضعفاء بما نظمه من علاقات حميدة متطورة بينهم .

ومسئول عن الفقراء من أن يزدادوا فقرا بينما الأغنياء يزدادون غنا وجشعا ، وكذلك فهو مسئول عن حماية الاغنياء من غضبة الفقراء ، بما أفاض به من قوانين وتعليمات أشاد بها كل من حمل بين جوانحه نفسا صافية وعقلا صادقا عادلا

وهو مجتمع مسئول عن المستقبل . ولذلك فان المجتمع الاسلامي لا يقنع بيومه فقط . بل ان الاسلام يملك الشجاعة والارادة لكى يخطط للمستقبل ويحسب حساب عشرات ومئات وآلاف السنين المقبلة . بما يحفظ للمجتمعات الامن والطمأنينة ، وبما يشيع فيها الاستقرار النفسي . فهو الدين الذى نسخ ما قبله من أديان والذى لن تنسخه عقائد أخرى حتى يأتي الله على الدنيا وما عليها .

ثم ان المجتمع الاسلامي مجتمع مسئول عن تطوير البشر أنفسهم فلم يترك الناس حيث هم فى تراب التقاليد والعادات البالية التى تعيق التقدم . بل ان النظام الاسلامى نظام قائد من أكبر مهامه التربية والتوجيه . انه اكثر النظم مناسبة لكل العصور والمجتمعات بما تحمله من تباين فى جميع اشكال الحياة ومن اختلاف المتطلبات الاقتصادية ، والنفسية . ولذلك فهو دائما أقدر النظم على حفظ الاخلاق وحمايتها ورعايتها

والمجتمع الاسلامى مسئول كذلك عن السلام . فالحروب او الجهاد المسلح ليس هو العلاقة الطبيعية بين المسلمين وغيرهم فالاسلام يتخذ الحكمة أسلوبا لنشر الدعوة ، وسبيلا الى التعامل مع غيره من المجتمعات الاخرى . ويقول الله تعالى : **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله انه هو السميع العليم)** كما قال تعالى : **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .** وكذلك قوله تعالى : **(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هى أحسن الا الذين ظلموا منهم)**

ومن المشاهد فى الوقت الحاضر وجود منافسة قوية بين الدول الكبرى فى شتى مجالات العلم وخاصة ما كان منها متعلقا بالخراب والتدمير والاستعلاء ، ومراكز القوة المادية . وهى منافسة لا شك ان العالم قد جنى منها الكثير من المنافع . الا أنها مع ذلك قد جرت عليه الكثير من الاضطراب والقلق النفسى والشعور المتزايد بالخوف من المستقبل . الخوف من أن تطغى فيه الشرور على الخير فتدمر ما وصلته المدنية بعد كفاح طويل وشاق .

واذا كانت المنافسة العلمية هذا شأنها فى الوقت الحاضر ، **فان المنافسة العلمية كان لها شأن آخر فى العصور الاسلامية الأولى . واذا أخذنا لذلك مثلا عصر المأمون أحد خلفاء العباسيين وفيه ازدهرت النهضة العلمية وكانت المنافسة فى هذا المضمار شديدة بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية . وهذه المنافسة قدمت للعالم حصيلة وفيرة فى شتى أنواع العلم وفتحت مجالات لعلوم جديدة وتعتبر الدراسات التى قامت فى ذلك العصر أساسا الكثير من العلوم الحديثة .**

وكان الخلفاء العباسيون ، والأباطرة البيزنطيون، يتنافسون انتزاع فضل السبق العلمى فى عصرهما ولا يألون جهدا فى هذا السبيل حتى انه كان اهداء مكتبة أو طلب عالم كان كفيلا بقيام صلح دائم بين الدولة العباسية والبيزنطية . وفى ذلك العصر تمت ترجمة الكثير من الكتب اليونانية والرومانية القديمة ونشرها . وما تبع ذلك من منافسة فى خلق روح علمية فى شتى مجالات البحث العلمى . وخلاصة الرأى فى هذه الفترة هى ما قرره جوستاف لوبون (ان العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الرأى مع استقامة الدين)

وخير ما أكتبه أخيرا قوله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . وانما العلم بالتعلم)

القرآن ومشاكل

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

ان غاية الاسلام الأولى الارتفاع بمستوى الانسان من عالم الهمجية الأولى الى عالم يليق بالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فى الارض ليحقق ما أراده من روابط الأخوة بين الناس والمودة والرحمة والصفاء الروحى والأخلاق الكريمة التى تجمع بين القلوب وتؤلف بين النفوس وتعلو بها الى مدارج السمو والكمال الانسانى فتصلح ما فسد وتقضى على عوامل الشر والفساد .

والوازع الدينى ركن ركين لاستقرار الفرد والجماعة وسعادتهما وان التخلى عن غرسه فى النفوس وانمائه ورعايته لاينتج عنه الا الانهيار العام وتفكك الروابط جميعا .

ولايمكن أن يحل محله الضمير وحده لأن الضمير بدون الدين يكون كالمحكمة بدون قاض كما قال أحد فلاسفة الغرب . كما لايمكن أن يحل محله الاخلاق أو القانون أو التقاليد لأن سلطان الدين على النفوس مستمد من سلطان الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والذى يشعر كل نفس أنه أقرب اليها من حبل الوريد .. والذى يحول بين المرء وقلبه : والذى لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ويلزم كل انسان طائره وسجل أعماله فى عنقه . ويجعل من كل نفس شهيدا على نفسها فينطق بعضها بادانة البعض الآخرفى يوم الجزاء والقانون والتقاليد لاتحكم الا الظاهر فقط . وبدون شك قد بزغ فجر الضمير الانسانى العام ونما وازدهر فى أحضان الدين واذا سيطر وازع الدين على الفرد والجماعة نجده حارسا يقظا يصدر الوصايا والنواهى ويصيح بصوت الحارس اليقظ النائب عن سيد هذا الكون وهو الله رب العالمين .

ولقد أثبت التاريخ أن أمتنا العربية لايمكن لأفرادها أن يحكموا ويأتلفوا ويتضاموا ويندمجوا الا بقوة الدين كما قال ابن خلدون .. بل كما يقرر القرآن الكريم ذلك . قال تعالى :

« **لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم** » .

ولقد كان القرآن الكريم ولا يزال مصدر هداية الناس جميعا وهو كتاب القومية العربية منذ كان للعرب قومية قوية فقد كان للعرب قبل الاسلام عدة لهجات فصارت بالقرآن لغة واحدة وصار العرب به أمة واحدة . وكانت أرضهم محتلة الأطراف بعضها يخضع لسلطان الروم وبعضها لسلطان الفرس وبعضها لنفوذ الحبشة فصارت به أرضا مطهرة محررة تبسط سلطانها وظلت زعامتها على هؤلاء جميعا ثم ظل العرب فى ظل لوائه يفتحون البلاد شرقا وغربا

الحياة

ويفتحون قلوب أهلها بهداية هذا الكتاب حتى دانت لهم الشعوب عن طواعية واختيار . ولانت ألسنتها بلغة هذا الكتاب الذى أنزله الله بلسان عربى مبين فى زمن وجيز .

والقرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته الذى أعجز الفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله .. أعجزهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات . اعجزهم ودل العجز على أنه من عند الله .

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »

وصدق قول الله « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ولقد تكفل الله تعالى بحفظه قال تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولذلك لم يصبه ما أصاب الكتب السابقة من التبديل والتحريف وانقطاع السند .. لأنه تعالى لم يتكفل بحفظها بل وكلها الى حفظ الناس . قال تعالى :

« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء »

أى بما طلب اليهم حفظه والعناية به والسر فى هذا ــ هو أن سائر الكتب السماوية جىء بها لوقت معين يعمل بها فيه لايدوم العمل بها أزمانا متطاولة وثانيا ــ أن هذا القرآن جىء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة وزائدا عليها بما شاء الله زيادته فكان سادا مسدها ولم يكن شىء من تلك الكتب ليسد مسد القرآن فقضى الله تعالى أن يبقى حجة الى قيام الساعة ونورا يهدى به الله الناس الى الصراط المستقيم

ولقد عالج القرآن مشاكل الحياة على أساس واقعى عملى لأن منزله هو الله الذى يعلم السر وأخفى والذى يعلم ما يصلح النفوس وما يفسدها وما يشقيها وما يسعدها ولهذا فان القرآن يعترف بوجود الشر وبالمفارقات بين الناس وبمعايب الانسان وهو لاينتظر من الانسان ان يتحول على الفور الى كائن فوق البشر ومع اعترافه بالشر وبوجود النقص فى الانسان يشجع الفضيلة : ويحث الانسان على التطلع الى حال أحسن يعمل جاهدا للوصول اليه وبهذه الواقعية العملية عالج القرآن الأمراض النفسية فى الانسان ومشاكل الحياة التى تعترض الأفراد والجماعات .

ونهى عن اليأس لأنه معوق عن السير فى طريق الكمال والتقدم فقال تعالى :

« ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »

وجعل من الاسلام عقيدة تفاؤل « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم »

واننا اذا تتبعنا النواحى المختلفة التى تعرض القرآن لمعالجتها لتسحرنا دقة معالجته لها . ونحن لانستطيع أن نعرض لها جميعا فى هذا المقال ولكن بحسبنا أن نذكر أمثلة تبين كيف عالج بعض هذه المشاكل وتلك الأمراض .

فمثلا مرض الشح طبيعة نفسية ومرض داخلى كما بين الله ذلك بقوله تعالى :

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس

الشح » وقال تعالى « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا » وقال تعالى : « وانه لحب الخير لشديد »

عالج هذا المرض بقوة الايمان أولا – مبينا ان الايمان يدعو المؤمنين جميعا الى القيام بالواجبات خصوصا الضرورية منها كالنفقة على الاهل والأقارب وفى الجهاد فى سبيل الله وعلى المحتاجين ومن لهم حقوق على الانسان

ثانيا – بين أن ادعاء الايمان يتنافى مع وجود هذا الشح فى الانسان ورد على من ناقضت أعمالهم دعواهم الايمان بقوله تعالى :

« كلا بل لاتكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما »

ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له « والصدقة برهان » أى دليل على صحة الايمان

وثالثا – حرم كنز المال وأنذر الكانزين بوعيد تنخلع منه القلوب فقال تعالى :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »

ولم يحارب الكنز بالقول فقط بل حاربه أيضا بالعمل ففرضية الزكاة محاربة عملية لكل مال يكنز فهى تنقص من المال كل عام القدر الواجب اخراجه فما لم يستثمر أهلكته الزكاة ولا يكون الفرد مسلما حقا الا بأدائها ولا تكون الأمة مسلمة حقا الا بالعمل على تحصيلها وجبايتها ولهذا لما عز على أرباب المال من العرب دفعها لم يتهاون أبو بكر رضى الله عنه فى حق أصحابها وقال كلمته المشهورة « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه »

ورابعا – حرم الربا لانه دليل الشح ولأنه كسب بلا عمل بخلاف البيع قال تعالى : **« وأحل الله البيع وحرم الربا »**

وآذن المرابين بحرب من الله ورسوله لأنه امتصاص الضعفاء لحساب الأقوياء الذين أقفرت قلوبهم من الرحمة وخلت من الاحساس بذل الحاجة والمسغبة فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله »

وخامسا – حرم الاحتكار الذى هو سمة الأشحاء الجشعين وأعلن الرسول فى حديث له : (الجالب مرزوق والمحتكر محروم)

وسادسا – حبب اليهم الايثار سموا بعقولهم واعلاء لنفوسهم فقال تعالى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

سابعا – سما بهم الى الحقيقة التى لا يستطيعون انكارها فبين لهم أنهم خلفاء الله فى هذا المال وأنه ماله فليس لنا أن نتصرف فيه الا وفق ما رسمه الله وارتضاه فقال تعالى :

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

لنعرف أن الملك المستعار سيفنى ولا يبقى الا الملك الحقيقى لله الواحد القهار .

وثامنا – فتح لهم باب فضل الله ورضوانه عليهم فبين أنه يبارك فى المال متى انفق منه فى سبيل الله فقال تعالى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » ويقول تعالى: « وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

كل هذا ليوجد اللبنات الصالحة فى بناء المجتمع الاسلامى التى يشد بعضها بعضا والتى هى كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ولأن الأفعال الصادرة من النفس عن محبة واقتناع هى أساس كل خير وكل تعاون مثمر نافع فى هذه الحياة

وفى سبيل اعداد العـدة للاعداء انتحى الناحيـة العملية أيضا قال تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبـون به عدو الله وعدوكم »

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم القوة بالرمى وهو على المنبر حين قرأها فقال ألا ان القـوة الرمى ألا ان القوة الرمى ، وهو بهذا التفسير يلفت نظرنا الى أن اصابة الأهداف وتسديد الضربات هو المقصود من احراز السـلاح بجميـع أنواعه بحسب زمانه وعصره وهو المفيد فى النصر على الأعداء ولهذا قال أيضا « من علم الرمى ثم تركه فليس منا »

ومن تلك الواقعية بين القرآن أننا فى هذه الحياة نبتلى بأعدائنا امتحانا لنا واختبارا فقال تعالى: **« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصـيرا » وقال تعالى « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » وقال تعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكـم والصابرين ونبلو أخبـاركم »** كل هذا لاجل أن نبقى على حال واحدة فلا يحزننا ما أصـابنا ولا يطغينا انتصارنا وهذا شـأن المؤمن هو بكل خير على كل حال ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

وأخبرنا القـرآن عن حال ضعاف الايمان الذين لايثبتـون أمام الكوارث وما يصيبهم فى سبيل الله فقال تعالى :

« ومن الناس من يقول آمنـا بالله فاذا أوذى فى الله جعـل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين » .

فضـعاف الايمان يفرون من أذى زائل يلحقهم من أعداء الله الى عذاب مقيم والمؤمنون يفرون من عذاب الله بجهادهم وحسن بلائهم الى نعيم مقيـم فى الدار الآخرة وتمكين لهم فى الدنيـا بالغلبة على الأعداء

كل هذا لنكون على بينة من أمرنا .

« ليهلك من هلك عن بينـة ويحيا من حى عن بينة »

ولقد أخبرنا القرآن أننـا لا نزال منصورين على أعدائنـا ما دمنـا ممتثلين أوامر الله ومجتنبين نواهيه .

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »

وبين أنه ان سلط علينـا أعداءنا فلتركنا بعض ما أمرنا به ولمعصيتنا له .

« ويوم حنين اذ أعجبتكـم كثرتكم فلم تغن عنكم شـيئا وضاقت عليكم الأرض بمارحبت ثم وليتم مدبرين »

ثم لم يؤيسنا ولم يقنطنا من رحمـة الله بل أمرنا أن نستقبل أمرنا ونداوى جراحنا ونعود الى قتال عدونا صابرين مصابرين محتسبين فينصرنا عليـه لانه تعالى مع الصـابرين والمتقين ونحن فى محنتنا هذه نرجو أن يتوجه العرب جميعا الى الله تعالى بعد اخلاص نياتهم واتفاق كلمتهم وتوحيد صفوفهم وأهدافهم .

« أشداء على الكفـار رحماء بينهم » فبهذا يعينهم الله وينصرهم « وما النصر الا من عنـد الله العزيز الحكيم »

وفقنا الله تعالى الى الاخلاص فى العمل والى الجهاد الذى يرتضيه حتى نزيل هذا الكابوس . ونطهر أرض الأنبياء ومهبط الوحى من هؤلاء الصهاينة الأنجاس اعداء الله وأعداء الانسـانية الذين توعدهم الله بقوله تعالى « وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

نرجو من السـادة المشتركين سـداد اشتراكات المجلة بحوالات بريدية حكومية ، باسم السيد السكرتير العـام للمجلس الأعلى للشئون الاسـلامية ..

فضائل حب الله والتشوق إليه

للأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

أغصان الزهور تغسلها قطرات الندى . وأوتار القلوب تنسلها قطرات الحب . الخالص لذات الله تعالى – واذا امتزج حب الله عز وجل بشغاف القلوب ارتقى علم اليقين الى عين اليقين ووقع الاقناع القلبى موقع الاقناع العقلى واستقر الايمان الخالص لله بين طيات الجوانح – وان لله عزوجل عبادا أهلهم لذلك وأنار قلوبهم وأعطاهم القدرة والصبر على سلوك طريق محبته فعرفوا الله حق قدره وهاموا فى حبه وتحيروا فى قدرته فاهتزت نفوسهم اهتزازا وانفعلت قلوبهم اكبارا واجلالا لعظمة الله . فاخلصوا له العمل وصدقوا النية فى طاعته وليس لهمهم الا رضاه – والمحب حريص على معرفة ما يدخل السرور على محبوبه والمحبون لله سبحانه وتعالى يحرصون على معرفة ما أمر به ونهى عنه ليتقربون اليه بمعرفة قدره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

والله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وملأ قلبه بحبه فيتعلق بذات الله . فيكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه وولده فليس له هناء الا فى المقام بين يدى الله ولا يجد لذة الا فى مناجاته وعبادته ولا سعادة الا فى رضاه ولا غنى الا بغناه ولا نعيم الا فى لقياه – والمحبون لله هم الذين هداهم الله وزادهم ايمانا على ايمانهم وبصيرة على بصيرتهم .. فلا يعرف فى حياتهم هنة ولا منقصة ، بل براءة فى النيات وطهارة فى النفس ونزاهة فى التفكير وتفوق على مغريات الدنيا – لأن الله عز وجل أجرى الخير فى قلوبهم فثبتت أسرارهم على طاعته وحبه . ورزقهم أمان القلب فلا يأس عندهم من رحمة الله وأعطاهم أمان النفوس فلا يجزعون اذا ألم بهم بلاء ولا يتضرعون الا اليه – وحب العبد لله تعالى مع عبادته ساعة خير وأفضل من عبادته وهو منصرف عن حبه منشغل بالدنيا ألف ساعة – قال عليه الصلاة والسلام – اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ثم تلا قوله تعالى – ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين – آية ٢٢٢ سورة البقرة – وأسعد الناس حظا يوم القيامة أكثرهم حبا لله عز وجل وطاعة وتفانيا فى ذاته سبحانه وتعالى – عن انس ابن مالك رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم – متى الساعة يارسول الله – قال ما أعددت لها – قال . ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله – قال – انت مع من أحببت – وعلى قدر حب العبد لربه سبحانه جل شأنه واخلاصه فى طاعته والعمل والسعى الى رضاه تكون منزلته يوم القيامة ودرجته فى الجنة – والسبيل الى محبة الله يكون بالعمل الصالح والايمان الصادق واليقين الثابت والتمسك بكل ما جاء فى القرآن الكريم . ومجاهدة النفس وتصفيتها وتنقيتها ومنعها عن الشهوات وافنائها فى حب الله وطاعته . وطاعة رسوله لأن محبة الله منوطة باتباع الرسول عليه السلام والتصديق بكل ماجاء به – ولقد أمر الله عزوجل باطاعة الرسول والايمان به – قال تعالى – وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول – آية ٩٢ **سورة المائدة – وقال سبحانه وتعالى – من يطع الرسول فقد اطاع الله – آية ٨٠ سورة النساء – وقال عزوجل – قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم – آية ٣١ سورة آل عمران – وقال عليه الصلاة والسلام – ان الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لايحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب ، فمحبة العبد لله هى** ايثاره واعظامه واجلاله تعالى وحمده وشكره فى السراء والضراء

ـ وأن يكون قلبه خاليا عمن سواه ولا يريد من الدنيا والآخرة الا رضا مولاه جل وعلا شأنه وتنزهت صفاته ٠

قال صلى الله عليه وسلم ـ ما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء انا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ـ ومحبة الله للعبد رضاه عنه وثناؤه عليه وأن يحمد الله تعالى فعل العبد ويثيبه عليه ويعفو عن سيئاته ـ لأن الله جلت قدرته يغفر لمن أحبه

ـ وحب الله سبحانه وتعالى لعباده أكبر وأعظم من أن يحيط به عقل أو يرقى اليه فهم ـ ومن أحبه الله احبته الملائكة والناس أجمعون ـ جاء فى بعض الكتب القديمة ـ عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى كن لى محبا ـ وفى صفات المحبين لذات الله ـ قال ـ الشبلى ـ أهل المحبة شربوا بكأس الوداد فضاقت عليهم الأرض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا فى عظمته وتحيروا فى قدرته وشربوا بكأس حبه وغرقوا فى بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ثم انشد

ذكر المحبة يامولاى اسكرنى
وهل رأيت محبا غير سكران

وجاء فى عيون التاريخ ـ أن زليخا ـ لما أحبت يوسف عليه السلام أنفقت مالها فى محبته والسعى الى رضاه ـ فكل من قال لها رأيت يوسف اليوم ٠ أعطته قلادة تغنيه ـ حتى لم يبق لها شىء ٠ وكانت تسمى كل شىء باسمه ، فلما مات زوجها وآمنت بيوسف ٠ تزوجت به ـ فلما أصبح زوجا لها ـ انفردت عنه وتخلت الى عبادة الله عز وجل وانقطعت الى مناجاته ـ فكان يوسف عليه السلام ـ اذا دعاها الى فراشه نهارا تدافعه الى الليل فاذا جاء الليل سوفت به الى النهار ـ ثم قالت له يايوسف ، انما كنت أحبك قبل أن أعرفه أما وقد عرفته فما أبقت محبته سبحانه وتعالى محبة لسواه وما أريد به بدلا ـ حتى قال لها لقد أوحى الى أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين ـ فقالت فطاعة لأمر الله تعالى ـ وقال ـ **الجنيد ـ فى المحبة ـ عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه ـ قائم باداء حقوقه ناظر اليه بقلبه ـ أحرق قلبه أنوار هويته ـ وصفاء شربه من كأس وده ٠ وانكشف له الجبار من أستار غيبه ٠ فان تكلم فبالله وان نطق فعن الله ٠ وان تحرك فبأمر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله ـ**

وقالت رابعة العدوية ـ الهى انحرق بالنار قلب يحبك ـ وفى أخبار داود عليه السلام ـ ان الله تعالى قال ـ ياداود بلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحبنى وجليس وصاحب لمن صاحبنى ٠ ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ـ ماأحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى وأحببته حبا لايتقدم عليه أحد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى وائتنسوا بى أونسكم وأسارع الى محبتكم ، والحب مكون من لفظ الحاء ٠ والباء ٠ فالحاء من الروح والباء من البدن ـ فمن أحب الله فليخرج عن روحه وبدنه ـ ويوم القيامة يكون المحبون لله فى كنفه ورعايته ويظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ـ ومن كان حبه لله واعطاؤه لله ومنعه لله فقد كمل ايمانه قال عيسى بن مريم عليه السلام ـ تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصى وتوبوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله عنكم بسخطهم قالوا ياروح الله فمن نجالس قال : جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله ـ ومن ادعى محبة الله ولم يعمل بما جاء فى كتابه الكريم وغفل عن ذكر الله وأحب شهوات الدنيا من النساء والبنين والأموال فقد ترك الحلال وسعى الى الحرام والفناء وهو من الخاسرين ولقد صدقت رابعة العدوية اذ تقول فى هذا المعنى ٠

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

ـ وأوحى الله الى داود عليه السلام ـ لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى ٠ وانقطعت أوصالهم من محبتى ـ ياداود هذه ارادتى للمدبرين عنى فكيف ارادتى للمقبلين الى

ـ وعلى قدر المحبة يكون الشوق فمن المحبة يتولد الشوق والتشوق ومن أحب الله واشتاق اليه سبحانه اشتاق اليه وطوقه بعنايته وحباه برعايته ـ وان لله عبادا يحبونه

ويشتاقون اليه وتهتاج قلوبهم وتتحرق الى لقائه — يروى ان ملك الموت جاء الى ابراهيم الخليل عليه السلام • ليقبض روحه — فقال له هل رأيت خليلا يميت خليله ؛ فأوحى الله اليه هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه — والمشتاقون اليه تعالى هم الذين تجردوا عن الدنيا وتركوا الحياة وزينتها وراء ظهورهم — فاذا جن الليل قاموا بالأسحار يستغفرون ونصبوا أقدامهم لله وفرشوا له وجوههم وخروا له سجدا وناجوه وبكوا وتحرقوا شوقا الى لقائه — جاء فى سير العرب — أن رابعة العدوية كانت تقوم الليل لمناجاة ربها — **وتقول — ياحبيبى سجى الليل ونامت العيون وسكنت الوحوش الفلا وهدأت الطيور على الشجر ونامت الأسماك فى البحار وأنت وحدك لاتنام — كل شيء يهون غير جفاك — وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه — من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر — وقيل مكتوب فى التوراه — يقول الله عز وجل طال شوق الأبرار الى لقائى وأنا الى لقائهم أشد شوقا —** وسأل داود ربه فقال يارب من المشتاقون اليك ؟ — قال — ان المشتاقين الى صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون الى وانى لأحمل قلوبهم بيدى فأصغها على سمائى ثم أدعو بخباء ملائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فاقول • انى لم أدعكم لتسجدوا لى وانما دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهى بأهل الشوق الى وان قلوبهم لتضيء سمائى لملائكتى كما تضيء الشمس لأهل الأرض — ياداود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى واتخذتهم لنفسى محدثين وجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون الى يزدادون فى كل يوم شوقا — والمحبة والشوق أغصان من الايمان الخالص لله تغرس فى القلوب الطاهرة فتثمر على قدر العقول المتصلة بالله — ومن أحب الله وكان دائم الشوق اليه نال فضل الدنيا وذهب بشرف الآخرة قالت العلماء — الشوق يسكن باللقاء أما التشوق فلا يسكن ولايزول باللقاء — وفى هذا المعنى أنشد الشاعر •

مايرجع الطرف عنه عند رؤيته
حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

وقال أبو على الدقاق رضى الله عنه — من علامات الشوق الى الله تمنى الموت على بساط العوافى ، أى والانسان صحيح معافى ليس به مرض ولاهم ولا كدر كيوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب لم يقل — توفنى — ولما أدخل السجن لم يقل — توفنى — ولما دخل عليه أبواه وخر له اخوته سجدا وتم له الملك والنعم قال — توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين — آية ١٠١ سورة يوسف — ومن أسكره حب الله والشوق اليه لايضيق منه الا بلقائه — قال ابو يزيد البسطامى ، رضى الله عنه — ان لله عبادا لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار •

وقالت العلماء — بكى شعيب عليه السلام حتى عمى • فرد الله بصره عليه — ثم بكى حتى عمى فرد الله بصره عليه — ثم بكى حتى عمى — فأوحى الله تعالى اليه — ان كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد ابحتها لك وان كان لأجل النار فقد حرمتها عليك وأجرتك منها — فقال لا — بل شوقا اليك • فأوحى الله اليه لأجل ذلك اخدمتك نبيى وكليمى عشر سنين — يعنى بذلك — موسى عليه السلام

ومن خرج من هذه الدنيا مشتاقا الى ربه أباح له الله رؤيته وأنعم عليه بالنظر اليه ، وقلوب المشتاقين لذات المولى جل شأنه منورة بالنور الالهى مزينة بزينة الايمان • وهذه منزلة لاينالها الا من تفانى فى طاعة الله ورسوله وتمنى لقاء ربه — لأن ذلك أعلى درجات الحب والتقرب والشوق الى الله — فاذا تحرك اشتياق المحبين الى الله كان سبحانه اليهم أشوق — قالت العلماء — خرج داود عليه السلام — يوما الى بعض الصحارى منفردا — فأوحى الله تعالى اليه — مالى أراك ياداود وحدانيا — فقال الهى استأثر الشوق الى لقائك على قلبى فحال بينى وبينك الخلق — فأوحى الله تعالى اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتنى بعبد آبق اثبتك فى اللوح المحفوظ جهبذا — وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول — **أسألك الشوق للقائك ، — فاللهم يامصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ومحبتك والشوق الى لقياك — واجعل حبك وحب نبيك آخر شغل لأرواحنا فى هذه الحياة — والتشوق الى رؤية ذاتك العلية خير زاد لقلوبنا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين يارب المستضعفين**

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الإسلامي دوله وشعوبه؟

المسلمون في الهند

الدكتورة عنايات الطماوي

نظرا لزيارة وفد الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السيد سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الى بعض دول العالم الاسلامى فى قارتى افريقيا وأسيا وكانت الهند ضمن الدول التى حظيت بالزيارة فقد رأيت من واجبى ان أظهر ما للهند من المكانة والاهمية بالنسبة للعالم الاسلامى خاصة وأن بها اكثر من ٦٠مليون مسلم وبذلك فان ترتيبها يصبح الثالثة من حيث عدد المسلمين بها بعد أندونيسيا والباكستان .

وعلى الرغم من أن الهند ليست دولة اسلامية الا أن الدين الاسلامى بها يعتبر أهم الديانات الثلاث السماوية حيث أن عدد المسيحيين أو اليهود يعتبر قلة اذا ماقورن بعدد المسلمين وليس أدل على ذلك من ان رئيس الجمهورية الحالى مسلم وهو (السيد ذاكر حسين) هذا فضلا عن أن عددا كبيرا من الهيئة الحاكمة ومن الوزراء والسفراء مسلمون .

والآن نبدأ بتعريف الهند من نواحيها الجغرافية المختلفة فالهند معناها الارض التى تقع فيما وراء نهر الأندوس (الأسم القديم لنهر السند)

وهى تقع فى مركز وسط بين الشرق الأوسط والشرق الاقصى ، ولذلك فهى دائما ذات صلات متينة بكل منهما . وفوق ذلك فان مياه المحيط الهندى تسهل اتصالها بقارة أفريقيا .

والهند قطر شاسع تبلغ مساحته ١ر٢٦٠ر٠٠٠ ميل مربع .

أولا : أهم مظاهر السطح

١ ـ أهم مظاهر السطح فى الهند سلسلة جبال هيملايا التى تمتد كالحائط المنيع فى شمالها والتى تفصلها عن وسط آسيا وهى من أعلى جبال العالم وأعلى قممها (افرست) التى يزيد ارتفاعها عن ٢٩ر٠٠٠ قدم ويغطى الثلج الدائم أعالى هذه الجبال . وفى وسط هذه الجبال يقع واد عميق تنساب فيه ثلاثة أنهار أحدها السند الأعلى والثانى نهر ستلج رافد السند والثالث نهر براهما بوترا .

وتعتبر جبال الهيملايا حاجز مناخى عظيم يحمى الهند من رياح وسط آسيا الباردة كما أنها حاجز طبيعى منيع يفصل الهند عن الصين من ناحية وعن الاتحاد السوفيتى من ناحية أخرى .

ب ـ سهول الهندوستان :

وتمتد جنوب جبال الهيملايا وهى عظيمة المساحة تمتد من الشرق الى الغرب نحو ألفى كيلو متر وتمتد من الشمال الى الجنوب نحو ٣٠٠ كيلو متر ، ويجرى فيها نهر الجانج وفروعه والجزء الأدنى من نهر براهما بوترا •

وتعتبر سهول الهندوستان من أوسع سهول العالم ومن اكثرها خصبا كما أنها اكثر جهات الهند عمرانا فهى قلب الهند وموطن حركاته الثقافية والسياسية ونهر الجانج يمتاز بقدسيته عند الهنود فيحج اليه الهندوس كل عام

جـ ـ هضبة الدكن :

وتشغل معظم شبه جزيرة الهند ومعناها أرض الجنوب وهى متوسطة الارتفاع وأعلى جهاتها جبال الغات الغربية والغات الشرقية وكلمة (غات) معناها المدرجات فان هذه الجبال ترتفع على شكل مدرجات وتنحدر انحدارا شديدا نحو البحر •• ومعظم أنهار الهضبة تتجه من الغرب الى الشرق لتصب فى خليج بنغال • وأهم هذه الأنهار من الشمال الى الجنوب نهر مهناوى ونهر جودفرى ونهر كستنا ونهر كوفيرى • أما الأنهار التى تصب فى بحر العرب فاهمها نربادا وتابتى •

ويعرف الجزء الجنوبى من الساحل الغربى للهضبة باسم ملبار والجزء الجنوبى من الساحل الشرقى باسم كروماندل •

ثانيا المناخ ••

من حيث المناخ تنقسم السنة الهندية الى ثلاثة فصول :

ا ـ فصل تعتدل فيه الحرارة يمتد من أول اكتوبر الى آخر فبراير وهو يشمل فصلى الخريف والشتاء ويكون الطقس فيه معتدلا فى معظم جهات الهند وتقوم جبال هيملايا حاجزا منيعا تصد عن الهند رياح أواسط اسيا الباردة وفى هذا الفصل تهب الرياح الموسمية الشتوية الهادئة من الشمال الشرقى من اليابس نحو البحر • وأفضل شهور السنة فى الهند هما يناير وفبراير •

ب ـ فصل شديد الحرارة يقع بين أول مارس وآخر مايو أو منتصف يونية ويعتبر شهر مايو أشد شهور السنة حرارة فى معظم أجزاء الهند • وفيه يضطر بعض الناس الى المبيت فى الخلاء لان الحرارة في داخل المساكن تكون غير محتملة • وتبلغ النهاية العظمى للحرارة فى مايو ويونية أكثر من ٤٠ درجة مئوية

جـ ـ فصل الأمطار الموسمية ، ويمتد من منتصف يونية الى أول اكتوبر • وفيه تهب الرياح الموسمية الصيفية بانتظام مستمر من البحر الى اليابس وتسقط الأمطار فى معظم أجزاء الهند فيما عدا صحراء ثار التى تقع على الحدود بين الهند وباكستان الغربية • وتبدأ الرياح الموسمية بعواصف وأعاصير يتخللها الرعد والبرق وتحدث تغييرا كاملا فى حالة الجو • والأعاصير الموسمية لا تقف بل تستمر أمطارها يوما بعد يوم فتحيى الأرض بعد موتها وترتفع عند ذلك الأيدى بالحمد والشكر •

وتسقط أغزر الأمطار على الساحل الغربى ومنحدرات الجبال المطلة عليه ويبلغ المطر فى بمباى نحو ٨٠ بوصة سنويا وفوق الهضبة حوالى ٢٠ بوصة ـ كما يزداد فوق جبال الغات الشرقية ويصل الى حوالى ٤٠ بوصة • هذا والساحل الشرقى يسقط عليه بعض المطر اثناء هبوب الرياح الموسمية الشتوية فى فصل الشتاء اذ تهب تلك الرياح من الشمال الشرقى مارة فوق مياه خليج البنغال •

والهضبة بوجه عام لا تنال نصيبا كافيا من أمطار الرياح الموسمية وبعض أجزائها جاف نسبيا •

ثالثا : اقتصاديات الهند

١ ـ الزراعة : يعتمد ثلاثة ارباع سكان الهند على الزراعة وتعيش الغالبية العظمى منهم فى مستوى الكفاف أو دون الكفاف •

والزراعة فى الهند نوعان • نوع يعتمد على المطر ونوع يعتمد على الرى الصناعى من آبار وخزانات وترع وقناطر وسدود • وتتراوح اليوم المساحة التى تزرع بطريق الرى بين ١٦ ، ١٨٪ من مساحة الأراضى الزراعية كلها • تزداد هذه المساحة سنة بعد أخرى نظرا لزيادة السكان وما يتبعه من زيادة الاستهلاك • وتقدر مساحة

الأراضى الصالحة للزراعة بنحو ٤٧٥ مليون فدان ولم يكن يزرع منها حتى سنة ١٩٥٠ مايزيد على ٣٠٠ مليون فدان معظمها تزرع على الأمطار .

وكانت المساحة التى تروى بالمشروعات الحديثة نحو ٥٠ مليون فدان . وقد زادت هذه المساحة حتى بلغت حسب التقديرات الأخيرة نحو ٨٠ مليون فدان وقد وجهت حكومة الهند منذ استقلالها اهتماما عظيما بمشروعات الرى والصرف وتوليد الكهرباء وذلك بانشاء السدود والخزانات وأهمها سد بهاكرا على نهر شيلج ومشروع وادى دامودار فى بنغال الغربية ثم سد هيراكود على نهر مهاندى ومشروع تونجابهادرا وسد غاندى ساجار وسد كوزى وغيرها

وأهم الغلات الزراعية الأرز ويزرع فى مساحة تبلغ نحو ٨٠ مليون فدان ثم القمح ويزرع فى مساحة قدرها ٣٠ مليون فدان وكذلك يزرع الذرة والشعير . هذا وتعتبر الهند ثانية اقطار العالم انتاجا للسكر من القصب الذى تبلغ مساحة اراضيه الزراعية نحو ٥ مليون فدان .

ومن الغلات الهامة ايضا القطن والجوت وتبلغ المساحة التى تزرع قطنا حوالى ١٩ مليون فدان . أما الجوت فهو الغلة التى تحتكر زراعتها الهند والباكستان

وتنتج الهند أيضا أنواعا مختلفة من الحبوب الزيتية كالفول السودانى والسمسم وبذر الكتان وبذر الخروع وتشغل هذه الغلات نحو ٢٢ مليون فدان

أما الطباق فيزرع فى مساحة تقل عن مليون فدان .

والشاى غلة هامة فى الهند وتبلغ مساحته ٨٠٠ الف فدان أما البن فيذرع فى مساحة لاتزيد على ٢٠٠ الف فدان .

وتنتج الهند أيضا انواعا مختلفة من التوابل كالفلفل والحبهان والقرفة والزنجبيل والشطة وغيرها .

وتغطى الغابات فى الهند مساحة تبلغ نحو ١٥٪ من المساحة الكلية ويستخرج المطاط فى جنوب الهند ويصدر معظمه الى الخارج. كما توجد بالهند انواعا جيدة من الأخشاب كخشب الجوز والصندل والورد وغيرها .

٢ ـ الثروة الحيوانية :

تعتبر الهند أولى دول العالم فى ثروتها الحيوانية ويقدر عدد الماشية فيها بخمس عددها فى العالم فيبلغ عدد البقر والثيران والجاموس نحو ٢٠٠ مليون رأس

٣ ـ الثروة المعدنية والصناعة .

الهند قطر غنى بمعادنه ففيه مقادير كبيرة من الفحم والحديد والبترول وبالهند مقدار عظيم من احتياطى الفحم يبلغ ٦٠٠٠ مليون طن كما أنها تعتبر رابع دولة فى العالم من حيث احتياطى الحديد . وبها أيضا المنجنيز وتعتبر ثالث دولة فى العالم من حيث احتياطيه وكذلك يوجد بها الألومنيوم والنحاس والرصاص والذهب والفضة .

وأهم الصناعات فى الهند وتعتمد على المواد الأولية صناعة الغزل والنسيج وخاصة المنسوجات القطنية وصناعة الجوت . كذلك قامت صناعة الحديد والصلب وصناعة السكر وتبييض الأرز والأسمنت والزجاج والورق والكبريت والمواد الكيمائية والأدوات الكهربائية .

هذا فضلا عن الصناعات القديمة التى تشتهر بها الهند مثل نسج الحرير وصنع الحلى والجواهر وأنواع التحف المعدنية والخشبية والعاجية ومن صناعات الهند الحديثة التى تجد لها من تقاليد الهند وأساطيرها مادة غنية لصناعة السينما .

والخلاصة أن الهند منذ استقلالها سنة ١٩٤٧ قطعت مراحل واسعة فى مجال التطور الحديث وفى سبيل تحقيق مستقبل صناعى مزدهر للقضاء على مشكلات الفقر والبطالة .

رابعا : سكان الهند .

يبلغ عدد السكان فى الهند اكثر من ٥٠٠ مليون نسمة ويتكون الشعب الهندى من عناصر متعددة تتميز بعقائدها الدينية ولغاتها المتعددة

١ ـ وأقدم السكان فى الهند عبارة عن جماعات بدائية يسكنون الجبال والغابات والأدغال ومعظمهم فى جنوب الهند وكانت حرفتهم الصيد والزراعة البدائية ولهم لغات مختلفة وعادات متباينة ويطلق عليهم اسم عناصر ما قبل الدرافيد .

٢ ـ الدارفيدلون :

وقد وفدوا الى الهند بعد الجماعات الأولى ويكونون العنصر الرئيسى الذى يدخل فى تكوين معظم سكان الهند وخاصة فى الدكن

٣ ـ الآريون :

وقد جاءوا الى الهند بعد الدرافيد واستقروا فى سهولها الشمالية واحتلوا سهول الهندوستان من غربها الى شرقها ولغتهم وهى السانسكريتية قريبة الاتصال باللغة الايرانية القديمة واللغة الأفغانية .

٤ ـ المغول : وقد دخلوا الى الهند من شمالها الشرقى واختلطوا بالسكان الأصليين فى آسام وبنغال .

خامسا : اللغات فى الهند ..

رأينا فيما سبق اختلاف عناصر السكان واختلاف ألوانهم ونرى الآن ان اللغات فى الهند اكثر اختلافا واكثر عددا . واكثر اللغات أهمية وانتشارا فى الهند هى :

اللغة البنغالية ويتكلم بها نحو ٨٪ من السكان ، لغة تلوجو ويتكلم بها نحو ١٠٪ من السكان ثم لغة الفاحيل (٨٪ من السكان) فلغة الماراتى (٨٪ من السكان) ولغة جوجاراتى (٥٪ من السكان) ولغة كانادا (٤ر٥٪ من السكان) ولغة مالايالام (٤٪ من السكان) واخيرا لغة كشمير ويتكلم بها أهالى ولاية كشمير المتنازع عليها بين الهند والباكستان . وعلى الرغم من تعدد اللغات واللهجات فى الهند فقد قرر دستور الهند جعل اللغة الهندية لغة البلاد الرسمية وهى لغة قامت على انقاض النسكريتية على أن تستعمل اللغة الانجليزية مؤقتا حتى تصل اللغة الهندية الى مجال القوة والانتشار ولاتزال الانجليزية لغة أساسية فى الهند حتى الآن .

سادسا : الأديان فى الهند وانتشار الأسلام فيها

ا ـ الدين السائد فى الهند هو الهندوسية وهو دين يختلف عن الأديان السماوية لأنه لاينتسب الى نبى أو رسول وليس له كتاب منزل بل هو عبارة عن الأفكار والتقاليد والشعائر التى نمت على مر السنين والأجيال . وهو يقوم على فكرة خلود الروح وحرية الفرد فى اختيار سبيله فى الحياة وطريقته فى العبادة . ومن عقائد الهندوسية عقيدة التناسخ أى انتقال الروح من جسد الى جسد ومن عقائد الهندوسية أيضا تقديس البقرة الى درجة العبادة فالهندوسى لايؤذى البقرة ولا يأخذ منها الا اللبن والروث والبول .

والهندوس ايضا يقدسون نهر الجانج فهم يعتقدون ان مياهه تطهرهم من جميع الذنوب والآثام ومنتهى أمل الهندوس ان تحرق جثته بعد موته ويلقى برمادها فى ذلك النهر .

وتقوم الهندوسية أصلا على عبادة الروح وتقديسها .

وقد تأثرت الهندوسية بتعاليم الاسلام من حيث عقيدة التوحيد والمظهر العملى للمساواة فنشأ دين جديد يجمع بين الهندوسية وتعاليم الاسلام وهو .

ب ـ ديانة السيخ :

واهلها يحرمون الخمر والتدخين ويطلقون شعر الرأس واللحية ولا يتبعون نظام الطبقات الهندوسى ولا يعبدون الأوثان ولهم كتاب مقدس يحفظونه فى معبدهم الذهبى فى (أمرتسار) . وعلى الرغم من أن عددهم لايزيد على ستة ملايين الا ان لهم شأنا كبيرا لشجاعتهم وهم يكونون عنصرا هاما فى الجيش الهندى .

جـ ـ وهناك جماعة أخرى تسمى (البارسى) وهم اتباع مذهب زرادشتا ويعرفون بالمجوس وقد هاجروا من ايران الى الهند وهم متمسكون بعقيدتهم التى تعتمد على فكرة وجود قوتين احداهما للخير والأخرى للشر .

ونجد فى الهند اليوم جميع الأديان السماوية من الاسلام والمسيحية واليهودية وكذلك الأديان والعقائد الهندية كالبوذية والهندوكية والسيخية والجينية والزرادشتية والمجوسية وغيرها .

انتشار الاسلام فى الهند

اجمع رجال التاريخ على أن أول من دعا أهل الهند الى الاسلام هم التجار العرب المسلمون الذين أقاموا بالسواحل الجنوبية للهند فتأثر بهم السكان وأسلم الكثير من أهل هذه الجهات ويقول المؤرخ (أرنولد) فى كتابه (الدعوة الى الاسلام) ان الاسلام قد جاء الى الهند الجنوبية فى القرن الثامن ومما يدل على ذلك وجود قبر قديم مكتوب عليه (على بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٦٦ هـ)

ويقول (رولندوسن) ان المسلمين من العرب أقاموا بسيلان وساحل ملبار فى القرن السابع الميلادى . وذكر المؤرخون انه وجد محفورا على حجر فى مسجد يقع

بقرب بيتود فى (كيرالا) ان الاسلام ظهر فى السنة الخامسة للهجرة ويعللون سبب ظهوره بوصول بعض العرب مبكرين الى (ملبار) ولا ريب فى أن المسلمين كانوا موجودين بالهند من أوائل القرن الأول الهجرة . فحاكم سرنديب (سيلان) أسلم فى سنة ٤٠ هـ كما أسلم حاكم ملبار وكانت السواحل الغربية للهند فى القرن الأول الهجرى مملوءة بمستعمرات المسلمين وتعتبر ملبار فى جنوب الهند وفى مواجهة بحر العرب أول من اشرق عليها الاسلام بنوره وبتوالى الأيام انتشر بين أهالى اقطار جنوب الهند وأخذ التجار العرب ينشرون الدين الحنيف . ولما كثر عدد المسلمين فى أواخر القرن الثالث واوائل الرابع عين لهم الحاكم الهندى قاضيا مسلما .

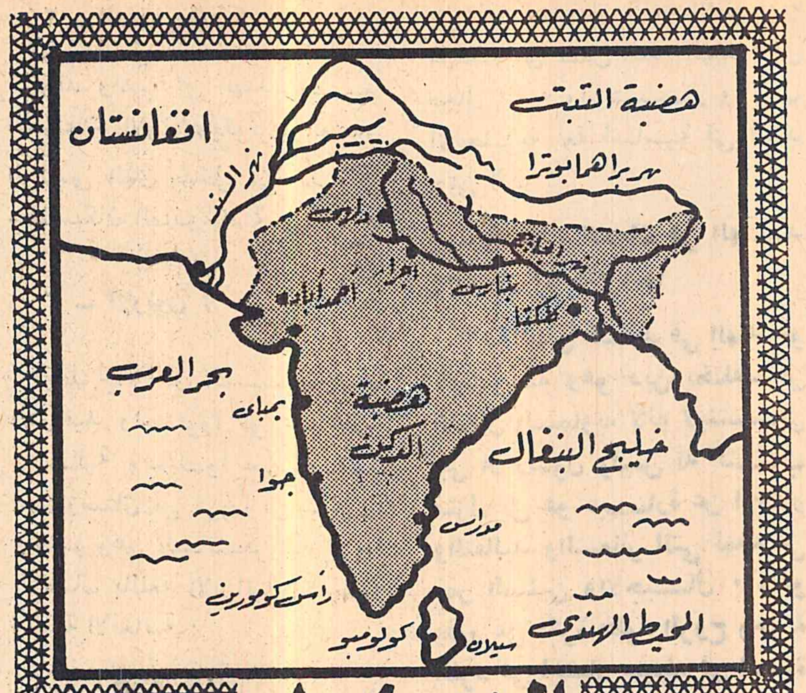

الهند

وهكذا دخل الاسلام بلاد الهند بهدوء وبدون السيف ووجد فيها أرضا خصبة لنشر دعوته فى جو من الحرية والأمان دون أى صدام مع الأديان المحلية القديمة . وأول ما وصل الاسلام الى الهند كان عن طريق التجارة فقد كان التجار المسلمون يشتغلون بنقل المتاجر بين البلاد الاسلامية والبلاد الواقعة فى جنوب آسيا على سواحل المحيط الهندى واستمرت العلاقات الودية بين المسلمين وأهل الهند الى سنة ٧١١ م وفى تلك السنة أرسل الحجاج جيشا بقيادة محمد بن القاسم الى بلاد السند فاستولى على مدينة ملتان فى البنجاب ثم اخضع منطقة كبيرة وكان ذلك فاتحة التوسع الفعلى للاسلام فى الهند فقد دخل فى الاسلام عدد كبير من الهنود ولاسيما الطبقات الفقيرة . وفى سنة ٩٧٥ م تأسست دولة اسلامية كبيرة فى افغانستان تعرف باسم الدولة الغزنوية وفى عهدها انتشر الاسلام فى الهند انتشارا كبيرا وقد استمرت الأسرة الغزنوية فى الحكم حتى سنة ١١٥٥ م . وبعد ذلك قامت فى افغانستان دولة تعرف بالدولة الفورية نسبة الى السلطان شهاب الدين الفور الذى استولى على شمال الهند سنة ١١٧٣م ونقل عاصمته من كابول الى **دلهى** وقد حكمت هذه الدولة مدة قرنين ساد فى اثنائهما العدل والرخاء بين الناس .

وفى نهاية هذه الدولة سادت الاضطرابات وجاءت موجات متتالية من الغزو المغولى فقد هاجم **تيمورلنك** الهند واحتل دلهى سنة ١٣٩٨ م واستمر حكام دلهى يدينون بالولاء الى ملوك المغول . ويعتبر العهد المغولى من ابرز العهود الاسلامية فى الهند وهو يبدأ من أوائل القرن السادس عشر (من ١٥٠٥ م) واستمر حتى سنة ١٧٠٧ م وامتاز بقوة الدولة وعظمتها وكان الحكم ينتقل بطريق الوراثة من الأب الى الأبن وأشهر سلاطين هذا العهد السلطان اكبر الذى حكم خمسين سنة وقد عمل على التقريب بين المسلمين والهندوس كما اهتم بشئون جميع الطوائف المختلفة . ومن أشهر سلاطين هذا العهد أيضا السلطان العظيم شاه جهان الذى أقام لزوجته الاميرة (ممتاز محل) بعد موتها سنة ١٦٣١ م ذلك القبر المشهور (تاج محل) وقد أقامه فى اجرا عاصمة الدولة فى ذلك الوقت . وكذلك كان السلطان أورانجزيب سنة ١٦٥٨ م من أشد سلاطين هذا العهد تمسكا بالدين وقد حكم مدة تسع واربعين سنة قضاها فى العمل على نشر الاسلام فى ارجاء الهند ودخل فى عهده كثير من الهندوس فى الاسلام . وامتدت دولته من رأس كومورين فى اقصى الجنوب الى كابول عاصمة

أفغانستان . وفى أواخر ايام امبراطورية المغول الاسلامية بدأت عوامل الانحلال تظهر وأخذت يد الخلاف تعمل فى هدم أركانها فانتهز البريطانيون الفرصة ونزلوا فى سواحل البلاد الجنوبية الشرقية والغربية وأخذوا يستولون على دويلات الهند واحدة أثر الأخرى ومالبثوا حتى ضربوا ضربتهم الاخيرة حين خلعوا آخر أباطرة المغول وتيسرت لهم السلطة الحقيقية فى الهند بأسرها

وقد كان للاستعمار الانجليزى أثره فى تقلص الدعوة الاسلامية فى الهند مما أدى الى بقاء الجزء الأكبر من سكانها لايزال يتمسك بعقائده الوثنية . وقد ظهر فى ذلك العهد الاستعمارى زعيم مسلم هو **السيد أحمد** خان الذى ولد سنة ١٨٢٧ م فى دلهى وقد بذل جهدا كبيرا وعمل على رفع الروح المعنوية عند المسلمين وانشأ فى سنة ١٨٧٧م كلية اسلامية فى عليكرة وهى الآن جامعة اسلامية كبرى تجمع بين الدراسة الاسلامية والدراسة العلمية الغربية . وقد وضع السيد أحمد خان اسس القومية الاسلامية فى الهند .

وقد حاول الاستعمار البريطانى بث الضغائن بين المسلمين والهندوس والايقاع بهم واثارة الفتنة بينهم مما أدى الى وقوع الخلافات بينهم حتى أعلن اخيرا تقسيم الهند الى دولتين مستقلتين هما الهند والباكستان وذلك فى ١٤ اغسطس سنة ١٩٤٧ وكان غاندى الزعيم الروحى للهند يحض الهندوس على معاملة المسلمين بالحسنى لقطع الطريق على الانجليز فى اثارة الفتنة بينهم والقضاء على وحدتهم . وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٠ اعلنت الهند جمهورية ديمقراطية مستقلة مع بقاء علاقتها بالكومنولث كعضو يتمتع بالحرية التامة . ويكفل الدستور الحقوق الاساسية لجميع المواطنين دون تمييز بسبب العنصر أو الدين كما أنه الغى نظام طائفة المنبوذين نهائيا .

وبناء على كون المسلمين فى الهند منتشرين فى مختلف انحائها الشاسعة على اختلاف لغاتهم وعاداتهم فلا توجد فى الوقت الحاضر هيئة موحدة تجمعهم وتشرف على شئونهم الدينية والثقافية والاجتماعية . ومن هنا نرى ستين مليونا من مسلمى الهند موزعين بين الجماعات والهيئات الاسلامية العديدة . ويرجع السبب الحقيقى لهذا التشتت الكبير الى بعد المسافات واختلاف اللغات .

على أن هناك وثبة مباركة فى نشر اللغة العربية وآدابها فى الهند بفضل المعاهد العلمية والمدارس العربية والاستفادة من مبعوثى الأزهر وبفضل الذين عادوا للهند من الجامعة الازهرية والجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة .

وأهم معاهد الهند الاسلامية

دار العلوم فى ديوباند وتدرس فيها علوم التفسير وأصول الفقه والفلسفة والأدب والفقه والطب والرياضيات والتاريخ وغيرها

وجامعة عليكرة الاسلامية وتعتبر أعظم مثل على نجاح التعاون الاسلامى الهندوسى ثم الجامعة الملية الاسلامية ومؤسسها الدكتور ذاكر حسين بدلهى ومعظم طلبتها من المسلمين ثم مظاهر العلوم بسهارانبور وتدرس فيها الشريعة والفقه الاسلامى . هذا فضلا عن مئات المدارس العربية الدينية التى تنافس المسلمون فى كثير من القرى والمدن فى اقامتها والانفاق عليها ففى مطلع هذا القرن تأسست المدرسة العربية الكبيرة (ندوة العلماء) وكذلك الجامعة السيفية ثم مدرسة الباقيات الصالحات وروضة العلوم — ويدرس الطلاب فى هذه المعاهد القرآن والحديث واللغة العربية والبلاغة والأدب والفلسفة

وفيما عدا الجامعات والمدارس نجد المساجد الأثرية التى لازالت الهند تفتخر بمجموعة كبيرة منها وابدع هذه المساجد واكبرها المسجد الجامع فى دلهى وكذلك مسجد فاتح بورى وزينة المساجد والمسجد الكبير ومسجد مكة وغيرها كثير من المساجد فى أنحاء الهند المختلفة . كذلك نجد الى جانب المساجد آثارا أسلامية كثيره من أهمها القلعة الحمراء التى تنطق بعظمة العمارة الاسلامية وجمالها كما نجد فى أجرا درة الهند الخالدة (التاج محل) الذى يعتبر من عجائب الدنيا السبع .

وهكذا نجد أن الهند تعتبر ثالث دول العالم من حيث عدد المسلمين الذى يبلغ عددهم اكثر من ستين مليون نسمة وهم يشكلون اقلية قوية كبرى فى الهند لها شأنها فى بناء كيان الأمة كلها وهم يتولون الكثير من المراكز القيادية والنيابية فى الدولة كما أصبح لهم عدد من الوزراء .

ويتولى رئاسة الجمهورية احد كبار المسلمين وهو السيد ذاكر حسين أيده الله ونصره وجعل ايامه سعادة ويمنا للاسلام والمسلمين .

أضواء على التاريخ الإسلامي

مكانة فلسطين في العالم الإسلامي

الأستاذ محيي الدين الألوائي

ان فلسطين التى اغتصبتها العصابة الصهيونية بمساعدة الدول الاستعمارية من أشرف بقاع الأرض وأقربها الى قلوب المسلمين . وتحدثنا فعلا فى الأعداد السابقة عن تاريخ نشأة قضية فلسطين وتطورها وكيفية وقوع هذه البقعة العربية الاسلامية فى براثن الصهيونية على رغم شهادة العالم والتاريخ بانها ملك للعرب ، ثم تطرقنا الى ما يجب على العرب والمسلمين من عمل ايجابى موحد لوضع حد لهذه المخاطر التى تحدق بالعالم الاسلامى كله . والآن نلخص دعائم الارتباط الوثيق بين العالم الاسلامى وبين فلسطين ، فى النقاط العشر التالية وهى دعائم موطدة الأساس وقائمة الى يوم القيامة :

١ — أن فلسطين ملتقى الاسراء والمعراج بنص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد اختار الله تعالى المسجد الأقصى بفلسطين لرحلة الاسراء والمعراج التى خص الله بها النبى العربى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فى حياته دون سائر الانبياء . وأصبحت فلسطين نقطة ارتكاز وموضع انطلاق له عليه الصلاة والسلام الى ما فوق السموات ، ليتبين للعالم أن هذه البقعة مباركة عند الله وملك للمسلمين وستبقى كذلك الى الابد . فيقول القرآن الكريم : ((سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)) .

٢ — كانت فلسطين مكان ميلاد اسماعيل بن ابراهيم أبى الأنبياء وجد العرب الأول والذى خطط بيت الله الحرام ، ورفع الكعبة مع ابنه اسماعيل، كما يقول الله تعالى : ((واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم)) وكان ابراهيم يحج البيت الحرام ويزور زوجته هاجر وابنها اسماعيل بجوار الكعبة، كل عام ، فاذا علمنا أن ابراهيم أول العرب المستعربة ورافع قواعد الكعبة ومخطط مدينة مكة ، نرى أن فلسطين ، بلد ابراهيم ومولد اسماعيل ، بلد عربى أصيل منذ أقدم العصور ، كما أنها بلد محبوب الى العرب والمسلمين جميعا ولن ينسوها وتاريخها ومقدساتها المرتبطة بهم برباط وثيق .

٣ — كانت فلسطين موطن العرب منذ فجر التاريخ القديم فقد كان المناذرة

يقيمون فيها فى عصور الفرس ، كما أقام بها الغساسنة فى عصور الروم ، هذا قبل ظهور الاسلام بزمن بعيد ، ولما جاءت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت فلسطين للعرب مرة أخرى وقام البطارقة المسيحيون من عند أنفسهم بتسليم مفاتيح بيت المقدس الى عمر خليفة المسلمين ، كأنها قطعة من الأرض العربية الاسلامية ، كما أثبت التاريخ واجماع الناس ، وفضلا من أنها مواطن جد العرب ومنتهى رحلة الاسراء ومفتتح رحلة المعراج لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وفى معرض البحث الذى يثبت أن فلسطين بلد عربى أصيل منذ أقدم العصور ، نذكر التحقيق الذى قدمه الدكتور اسحاق موسى الحسينى ، الذى يعتبر حجة فى المسألة الفلسطينية ،فيقول فى بحثه عن أسماء بيت المقدس : « ولهذه المدينة المقدسة أسماء كثيرة وردت فى كتب المؤرخين والجغرافيين ومنها يرد سليم ويرد شالايم — وشلم — وشيلم — وسلم — ويبوس — وصهيون — وموريا — وايليا — وبيت المقدس — والقدس ، وما اليها . وتذكر معاجم الكتاب المقدس أن أقدم اسم للمدينة ورد فى نصوص الطهارة المصرية فى القرن التاسع عشر قبل المسيح بصورة (يورد شاليم) . وكانت يومذاك مركزا لعبادة الكنعانيين الذين سكنوا البلاد قبل بنى اسرائيل ، اذن ليس صحيحا ما تزعمه الصهيونية من أن اليهود هم الذين أسسوا أورشليم » فالثابت علميا أن هذا الاسم مأخوذ من لغة الكنعانيين .. والاسم مركب من كلمتين « يورى » ومعناها مدينة ، و « شليم » وهو اسم اله كان الكنعانيون يعبدونه .

ومما يؤيد هذا ورود الاسم فى رسائل تل العمارنة المصرية الفرعونية فى القرن الرابع عشر باسم (يورد شالم) ثم بعد ذلك فى النقوش الأشورية « أوردسليمو » ثم « شاليم » التى جاء ذكرها فى سفر التكوين — أو أسفار العهد القديم بمناسبة قدوم « ابرام » — ابراهيم — العبرانى الى أرض الكنعانيين . وعلى كل حال فالاسم كنعانى قديم ، والمدينة كنعانية قديمة وجدت قبل داود بنحو تسعمائة سنة ، وبداية الاسم بالياء بالعبرية مطابق للنطق الكنعانى وبدايته بالهمزة على وفق النطق الأشورى والسريانى والعربى .. وبيت المقدس وهو الاسم الذى شاع بعد الفتح الاسلامى .. ومعناه « بيت المطهر » الذى يتطهر به من الذنوب ، وفى النص العربى «مدينة القدس» وفى انجيل متى «المدينة المقدسة» ويضاف الى أن بيت المقدس يرد فى المصادر العربية مرادفا لمسجده .. » وأما اسم « القدس » فمأخوذ من اللغة العربية الحديثة بعد الفتح الاسلامى .

٤ — كان القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين منذ بعثة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وقد اتجه اليه الرسول فى صلواته سبعة عشر شهرا ، وأن المسجد الأقصى فى فلسطين ثالث الحرمين بعد الحرم المكى والحرم المدنى . وهذه هى الأماكن الثلاثة التى يحرص المسلمون على حمايتها أشد من حرصهم على حياتهم .

٥ — وأن المسجد الاقصى فى فلسطين ثالث المساجد التى لا تشد الرحال الا اليها ، وقد حددها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه . وبين عليه السلام فى حديث آخر مقدار الفضل الذى يناله مرتاد المسجد الأقصى ، فقال : « صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الأقصى » . رواه أحمد عن عائشة وأبى هريرة ، وروى الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه عن أبى الدرداء : « صلاة فى بيت المقدس أفضل مما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة » . وهذا التحديد الواضح من رسول الله لهذه الأماكن يدل على منزلتها عند الله ومكانتها لديه .

وكان اتجاه الرسول والمسلمين الى المسجد الأقصى فى صلاتهم أول الأمر لتأكيد اخوته عليه السلام لجميع الأنبياء السابقين ، وكانت رحلته فى ليلة الاسراء من البيت الحرام الى المسجد الاقصى للربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، وكأنما أريد بهذه الرحلة التاريخية اعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا ، ولتنبيه المسلمين على وجوب الحفاظ على المسجد الاقصى والحرص على قداسته كما يحافظون على البيت الحرام وقد دخل الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام ، ليلة المعراج ، بيت المقدس وصلى اماما بجميع الانبياء والمرسلين ولذا نحرص نحن المسلمين على هذا المكان أشد من حرصنا على أرواحنا وندافع عن قدسيته الى آخر قطرة من دمائنا لأن فلسطين أرض عربية من واقع التاريخ والأحداث ، وأرض الانبياء الذين عاشوا فيها أو هاجروا اليها .

٦ — كانت فلسطين منذ فجر التاريخ جزءا من المنطقة التى يطلق عليها اسم الشام ، والتى تضم سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين ، ولم تظهر الحدود الاقليمية لفلسطين الا سنة ١٩١٦ عندما عقد اتفاق استعمارى لتقسيم البلاد العربية بين انجلترا وفرنسا ، عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى. واستعرضنا من قبل ، بعض الحقائق والأرقام، الرسمية وغير الرسمية ، والآراء التى ابداها بعض ساسة العالم المحايدين عن فلسطين ورأينا منها أن فلسطين أرض عربية وملك للعرب بنفس المعنى الذى تعتبر فيه انجلترا ملكا للانجليز وفرنسا ملكا للفرنسيين ، ورأينا أيضا فى ضوء تصريحات الوكالة اليهودية ذاتها أمام الامم المتحدة وغيرها ، أنه لم يكن أى يهودى فى فلسطين قبل عام ١٨٨٠م .

٧ — ان قيام اسرائيل بمثابة خنجر فى قلب العالم العربى والاسلامى فقد احتلت الصهيونية الغاشمة أرض فلسطين وأخرجت أهلها وأصحابها من ديارهم واحدة بعد أخرى وامتصاص ثرواتها وتفتيت قواها واغتصاب المقدسات الاسلامية .

٨ — ان اسرائيل فى الواقع التاريخى والأحداث الفعلية مستعمرة غربية استعمارية ، ولم تصل الصهيونية العالمية الى تحقيق بعض المخططات العدوانية الا بواسطة التدعيم الرأسمالى الاستعمارى الاقطاعى ، ولا يخفى على من له المام بمجريات الأمور أن الاستعمار قد اتخذ اسرائيل مخلب قط وكلب صيد ،يستبقى بها نفوذه فى الشرق الأوسط ، وخاصة فى الوطن العربى كله بما فيه من ثروات طبيعية .

٩ — ان أخطر المخططات اليهودية العالمية هو عزم اليهود على اتخاذ اسرائيل مركزا للنفوذ التجارى ، ليهود العالم ، فى الشرق كله حتى يتحكموا فى اقتصاد الدول الشرقية العربية والاسلامية ، كما تحكموا فعلا فى اقتصاد أمريكا وكثير من بلدان الغرب .

١٠ — ان اسرائيل الصهيونية ستظل مصدر القلق والمؤامرات دائما للشرق كله كما هو معروف من اليهود طوال عصور التاريخ ، ويكمن فى التنبه الى هذه النقاط العشر أمن العالم الاسلامى ومصيره ومستقبله .

« يتبع »

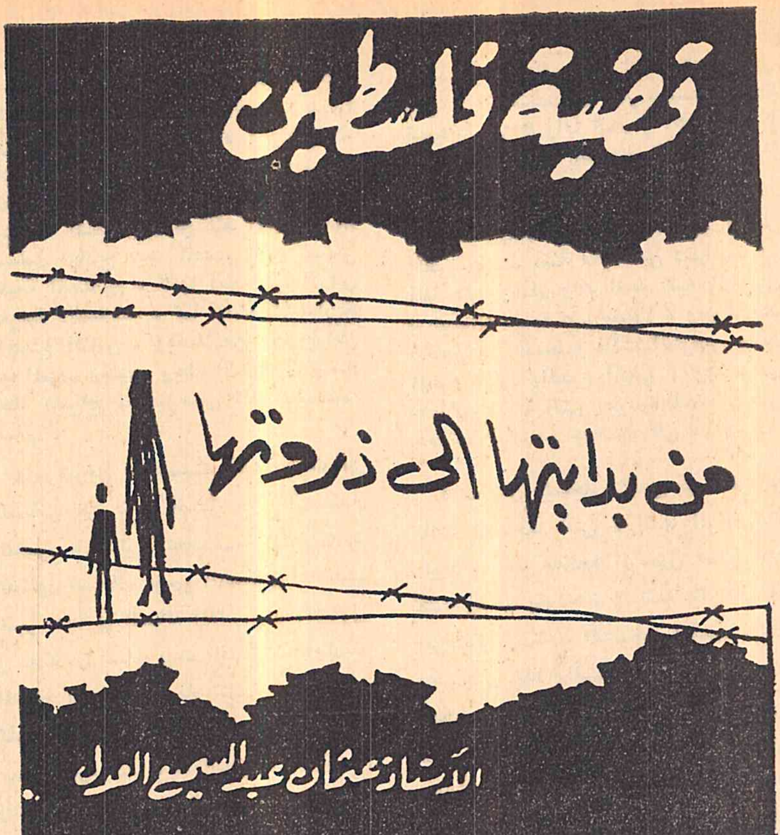

(٤)

- النفاق السياسى ... أسلوب حكومة الانتداب ..
- اللبنات الأولى للقوة العسكرية الصهيونية ..
- أسلوب العنف والتنكيل للاستيلاء على الأراضى العربية ..
- كلمات انصاف للحق العربى فى تقارير لجان التحقيق البريطانية .. ولكن ؟!

انتهينا فى الحلقة السابقة من هذا البحث الى ملاحظة هامة وهى أن التقاء المصالح الصهيونية مع المصالح الاستعمارية كان هو العامل الأول فى مجموعة العوامل المؤثرة التى أدت الى صدور وعد بلفور المشئوم ، ثم أدت بعد ذلك الى صدور صك انتداب بريطانيا على فلسطين لتضع ((وعدها)) موضع التطبيق الفعلى ..

وأشرنا الى أن هذا اللقاء بين المصالح الصهيونية والاستعمارية يستلزم اقامة حاجز بشرى معاد فى قلب الوطن العربى يعمل بالعدوان والتوسع للابقاء على تجزئته ومنع قيام الوحدة الطبيعية بين أجزائه ..

ومع الانتداب بدأت على أرض فلسطين مرحلة من الصراع الرهيب بين قوى غير متكافئة على الاطلاق :

وفى هذه المرحلة الاولى من مراحل الانتداب البريطانى على فلسطين كان أسلوب عمل بريطانيا من أجل الصهيونية هو أسلوب النفاق السياسى فى استغلال المواقف الدولية فى كسب مزيد من التأييد للحركة الصهيونية ، ثم العمل بالكتب والمؤتمرات وكل ما أتيح لها من امكانيات الدعاية والاعلام من أجل تحقيق فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين .

وتمتد الفترة المشار اليها فى بدء الانتداب عمليا فى ١٩٢٣ الى عام ١٩٣٧.

وكان الانتداب البريطانى - وعلى الأخص فى الفترة التى مارس فيها سلطة الدولة فى فلسطين حريصا على أن يقود اليهود عسكريا طبقا للمخطط الذى وضعه فاديمير جابوتنيسكى الذى تلقى تدريبا فى بريطانيا وقاد فرقة يهودية اشتركت فى المعارك التى قادها الجنرال ((اللنبى)) ضد الاتراك ، ودخلت مدينة القدس فى ١١ ديسمبر عام ١٩١٧ .

وهذه الحقيقة وحدها تلقى مزيدا من الضوء وتبين مدى الرياء الذى اتسمت به السياسة البريطانية الاستعمارية ، ففى الوقت الذى كانت تحاول تهدئة ثائرة العرب بتفسير وعد بلفور بأنه لا يعنى استخدام القوة لتوطين اليهود فى فلسطين، كانت بالفعل تضع اللبنات الأولى للقوة العسكرية الصهيونية التى استفحل خطرها بعد ذلك .

وفى فترة الانتداب كانت مطامع الصهيونية وسعيها لتكوين قوة مسلحة لها فى فلسطين تستهدف غرضين .

فقد كان هدفها الاول من تكوين القوة العسكرية هو أن تستخدم كوسيلة ارهاب وبطش ضد العرب فى فلسطين ، وهم لا يملكون سلاحا ، خصوصا فى ظروف التوسع الصهيونى فى مرحلة الهجرة المتدفقة ، وعن طريق الارهاب كان السكان يفرون فى غالب الأحيان هربا من أساليب الفتك والدمار ، فتخلو مناطق بأسرها لمهاجرى جدد من اليهود .

أما الهدف الثانى من تكوين القوة العسكرية الصهيونية ، فهو أن تصبح فيما بعد نواة الجيش الذى يحمى وجود الدولة الاسرائيلية حينما تقوم ، ثم يعمل بعد ذلك على تحقيق المطامع التوسعية بالعدوان على الدول العربية .

ولقد لعبت هذه القوة العسكرية بالفعل دورا خطير فى اشاعة الفزع والدمار فى قرى فلسطين وربوعها . وأتاحت سلطات الانتداب البريطانى للجماعات كونتها المنظمة الصهيونية أن تزداد عدة وعددا على نحو أصبح يشكل القوة العسكرية لما يسمى ((بجيش اسرائيل)) .

وكانت أول فرقة عسكرية منظمة فى هذا الجيش الذى تكون فيما بعد هى ((فرقة البغال الصهيونية)) ، وكان بن جوريون أول من نادى بتكوين الكتائب الخاصة فى يهود فلسطين . وفى عام ١٩٢٠ تكونت عصابة ((الهجاناه)) لتضم مجموعة من العصابات الصغيرة التى قامت بدور خطير فى اشاعة الخراب فى قرى فلسطين .

وسرعان ما ظهرت النتائج البشعة لتكوين هذه العصابات المسلحة ، ظهرت فى مزيد من أعمال البطش واراقة الدماء الى حد جعل الوكالة اليهودية نفسها تحاول التنصل من جرائم المنظمات مدعية أنها منظمات منحرفة لا تخضع لسلطة الوكالة ؟!!

فماذا صنعت دولة الانتداب التى ذهبت تحت سمع العالم وبصره الى فلسطين بدعوى رعاية مصالح شعبها حتى تتهيأ له مقومات الاستقلال ؟

لم يكن دور بريطانيا بالطبع يتعدى شيئا أكثر من تمهيد السبل وتهيئة الوسائل وتوفير كافة الامكانيات للمنظمات الصهيونية ، وحماية العمل الصهيونى والتستر عليه . كل هذا فى سبيل غاية محددة ومصلحة مشتركة بين الاستعمار والصهيونية ، وهو اقامة دولة اسرائيل.

ومن أجل هذه الغاية كانت منظمة « الهجاناه » تعمل فى وضح النهار ، بل أنها أقامت مصانع للاسلحة ومنشآت حربية ضخمة ، بل انها كانت تنهب الاسلحة من مخازن الجيش البريطانى دون أن يحرك أحد ساكنا .

وفى الوقت نفسه كانت هناك ألاعيب تجرى فى الخفاء ومساومات لشراء الأراضى من العرب . والويل كل الويل لمن لم يستجب لهذه الألاعيب . فقد كانت الخناجر المسمومة بالمرصاد دائما لكل وطنى غيور على أرضه ووطنه .

ولقد تعرض عرب فلسطين لألوان من الضغط النفسى والسياسى طوال الفترة التى أعقبت الانتداب حتى عام ١٩٣٠ ، حينما تدفقت الهجرة اليهودية الى فلسطين على نحو أحدث تأثيرا سيئا على امكانيات الأرض والثروة القومية . وتنبه العرب الفلسطينيون أكثر من أى وقت مضى الى قيمة الارض التى بقيت فى أيديهم ، وأحسوا بفداحة الخطأ الذى وقع فيه الكثيرون بالاستسلام للضغط وبيع الأرض لليهود الاوائل . وقد استطاع اليهود أن يحصلوا بشتى الوسائل على مساحات شاسعة من الاراضى الزراعية الخصبة أقاموا عليها المنشآت العسكرية والمستعمرات ، ومن ورائهم كانت أموال بنك « روتشيلد الصهيونى » وصندوق النقد اليهودى المعروف باسم « كيرن كايميت » .

وانصافا للحقيقة وللتاريخ نشير هنا الى ملاحظة بالغة الأهمية من شأنها أن تهدم ادعاء الدوائر الاستعمارية والصهيونية بأن العرب كانوا يبيعون أرضهم طواعية واختيارا .. فليس هذا صحيحا على الاطلاق .. بل أنه بالاضافة الى أساليب الارهاب والبطش التى كانت تستخدم لارغام العرب على ترك أراضيهم ، فانه ـ حينما سقطت السلطنة العثمانية فوجىء عرب فلسطين بما لم يكن فى حسبانهم ، ذلك أن البنك الزراعى الذى كان يمولهم ويسد احتياجات الزراعة سقط أيضا .

ومن طبيعة الأمور أن بريطانيا لم تنشىء بديلا لهذا البنك عند انتدابها ، بل انها كانت تعمد الى وضع العراقيل والحيلولة دون تسويق المنتجات الزراعية حتى نناء المزارعون العرب بالديون التى أثقلت كواهلهم . ورغم ذلك ، رغم هذه الظروف القاسية ثار عرب فلسطين وهبوا للذود عن وطنهم . ثارت كل الاحياء العربية فى المدن بصورة جماعية ، ودارت فى القرى معارك رهيبة وسالت دماء الابرياء أنهارا . وكانت مشاهد لا تنسى ، مشاهد للفظائع التى ارتكبها جيش الانتداب البريطانى ضد العرب العزل الذين لم يكن لهم من سلاح سوى العزيمة ولا من سند سوى الايمان بعدالة قضيتهم .

وأحس العرب بما لا يقبل الجدل بزيف الانتداب البريطانى ونفاق السياسة البريطانية ، وتبين لهم أن المنظمات الصهيونية المسلحة والمرابين اليهود ليسوا هم أعداءهم الوحيدين ، بل أن جيش الانتداب وقف سافرا فى الصف المعادى لشعب فلسطين .

وهنا فقط شعرت بريطانيا بضرورة القيام بمحاولة جديدة لامتصاص غضبة الشعب العربى الثائر فأوفدت لجنة التحقيق المعروفة باسم لجنة « شو » .

ولكن من أهم ما جاء فى تقرير هذه اللجنة أنها حثت الحكومة البريطانية على وضع « حد لاجلاء المزارعين الفلاحين عن أراضيهم » .

وفى عام ١٩٣٠ نفسه ـ عام الثورة الشعبية ـ وصلت الى فلسطين لجنة أخرى برئاسة القاضى « سمبسون » ، وورد فى تقريرها نقطتان :

الأولى : أن الوكالة اليهودية هى المسئولة عن التوسع المفاجىء فى تهجير اليهود الى فلسطين مما لا تطيقه امكانيات أرض فلسطين وشعبها .

والثانية : أن البطالة بين العرب تفاقمت الى حد يهدد الحياة الاقتصادية والاجتماعية بأشد الاخطار ، وأضاف القاضى سمبسون « أن حالة الفلاح العربى نتيجة لسياسة الهجرة دون قيد ، ثم الاجحاف بحقه العربى وحرمانه من جميع الوظائف جعلت حالته أسوأ مما كانت عليه فى عهد الحكومة العثمانية ..

وبناء على ما جاء بتقريرى لجنتى « شو » و « سمبسون » أصدرت الحكومة البريطانية ما يسمى « بالكتاب الابيض » عام ١٩٣٠ تتظاهر فيه بتقييد انتقال الأراضى من أيدى العرب ، والاعتراف بخطر الهجرة وضرورة العمل على تخفيفها ، والنظر بعين الاعتبار الى قدرة فلسطين الاقتصادية عند قبول مهاجرين جدد .

ورغم أن هذا « الكتاب » لم يغير شيئا من جوهر السياسة البريطانية ، بل تمسك صراحة بصك الانتداب بكل ماينطوى عليه من أهداف تحقق أحلام الصهيونية فى اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، رغم ذلك قامت قيامة الدوائر الصهيونية فى بريطانيا ، وبدأت حملة تشهير عنيفة ضد حكومة « ماكدونالد » ، بل ان حاييم وايزمان استقال من رئاسة الجمعية الصهيونية احتجاجا على سياسة الحكومة البريطانية .

ونجحت الضغوط الصهيونية فى تأليب مجلس العموم ضد الحكومة مما جعلها تتراجع مرة أخرى . وكتب رامزى ماكدونالد رئيس الوزراء الى الدكتور حاييم وايزمان يفسر له « الكتاب الابيض » بما يعد بالفعل الغاء له ..

ومن ثم تمادت الحكومة البريطانية فى سياستها التى رسمتها الصهيونية من حيث تشجيع الهجرة والاستيلاء على أراضى عرب فلسطين بشتى الوسائل غير المشروعة . ومن هنا كان على العرب أن يوجهوا حركة الكفاح الوطنى أولا ضد الانجليز بوصفهم أصل البلاء والموجه الاساسى للسياسة فى فلسطين

ولم يلبث الكفاح المسلح أن اتخذ عام ١٩٣٦ شكل ثورة عمت فلسطين كلها. وكان مما ساعد على انتشارها أن الروح القومية بدأت تظهر فى الدول العربية المجاورة، والتى كانت تعانى بدورها من سيطرة الاستعمار والانظمة الرجعية المتخلفة وهى عوامل تحالفت على فرض الكبت والتخلف على الشعوب العربية مما منعها طويلا من الاتصال والتنسيق فى سبيل الهدف المشترك . وهذا الوضع فى ذاته وضع التجزئة والتفتت فى الوطن العربى ، ومنع الاتصال بين شعوبه كان هو الهدف الأول المشترك بين الصهيونية والاستعمار، حينما تم لقاؤهما الأول فى أواخر القرن الماضى .

ومع حلول عام ١٩٣٦ كانت هناك بداية لمرحلة جديدة : مرحلة اتخذت فيها القضية الفلسطينية صبغة عربية عامة ، على الجانب المعادى مناورة أخرى جديدة، خطوة نحو « الحاجز البشرى » ؟!

« للبحث بقية »

اغتصاب فلسطين

أشتات متنافرة

الأستاذ محمد تقي الدين قنديل

(٥)

لعل من ابرز الملامح التى تميز طوائف اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين المقدسة واتخذوها وطنا لهم وأطلقوا عليه اسم اسرائيل أنهم أشتات متنافرة .. بكل ماتعنيه تلك العبارة من دلالة

أشتات متفرقة فى الأصل .. لايجمعهم أصل واحد ، ولم ينشأوا فى بيئة واحدة ، ولم يشربوا من ماء واحد ، ولم يتثقفوا بثقافة واحدة ولم تصقلهم عادات وتقاليد موروثة بحيث تجعل منهم أمة لها اطارها الاجتماعى المميز : وعندما تجمع هذه الأشتات فى صعيد واحد من أجل محاولة يائسة لصهرها وطبخها وتحويلها الى مزيج يدعى بعد ذلك شعب اسرائيل يجد مهندسو هذه التجربة وواضعو مخططاتها أنهم يواجهون تشكيلة عجيبة من المتناقضات .. يجنون هذه الأشتات المتنافرة التى تجمعت فى أرض فلسطين وافدة من آسيا وأفريقيا وشرق أوروبا وغربها ، وأمريكا من بقاع أخرى على سطح الكرة الأرضية لتدخل فى صراع طائفى طبقى مرير .

ورغم هذه الحقيقة السافرة التى يدركها تماما زعماء الصهيونية فانهم يغمضون أعينهم ويصمون آذانهم ، ويطلقون ألسنتهم بمزاعم ودعاوى هم أول من يؤمن ببطلانها ولكنها رصيد زعامتهم وسلم مجدهم ، وماكان دأب اليهود ولا سيما محترفو السياسة منهم أن يضحوا بأطماعهم وأهدافهم انصافا للحق والتاريخ .

ففى ٣١ يولية (تموز) سنة ١٩٤٩ وقف (بن جوريون) يخطب فى حفل حضره لفيف من اليهود الأمريكيين الذين كانوا يزورون اسرائيل فى ذلك الوقت فكان مما قاله (ان من واجب يهود العالم أن يعودوا الى وطنهم الأول ! وماذا بعد أن يزعم (بن جوريون) أن فلسطين هى الوطن الأول ليهود العالم ؟!

لقد فندنا من قبل دعوى الصهيونيين بانهم شعب الله المختار ، وأثبتنا بما يسمو على كل شك أن أسباب الصلة منقطعة تماما بين يهود العالم المعاصرين وبين بنى اسرائيل ، وانه من المستحيل أن يستطيع يهودى واحد أن يثبت أنه ينحدر مباشرة من الشعب اليهودى القديم ، اللهم الا نفرا من أولئك الذين اوتوا حظا وافرا من الخيال الخصب والقدرة الفائقة الزعم والافتراء

من الثابت تاريخيا أن اليهود كانوا أكثر شعوب العالم تفرقا وانتشارا واختلاطا بغيرهم ، وعن

طريق هذا الاختلاط انتقلت الديانة اليهودية الى بعض الشعوب الوثنية واعتنقها عدد غير قليل من الوثنيين ، وهكذا تسربت اليهودية الى اليمن واليونان وايطاليا وفرنسا وبولونيا الى أن انتشرت فى حوض نهر الدون بروسيا .

وفى غضون القرون الميلادية المتتابعة اعتنق اليهودية أفواج كبيرة بلغت ذروتها عندما اعتنق حاكم (مملكة الخازار) وقادتها الديانة اليهودية وتبعهم سواد الشعب ، وبذا تهودت هذه المملكة التى تشغل القسم الجنوبى من روسيا بين نهرى الفولجا والدون ، وامتدت حتى شواطىء البحرين .. الأسود وبحر قزوين ، وكانت تعرف بالمملكة الخازارية ، وكان يحكمها ولاة يلقبون بلقب (خاقان) وقد لعبت هذه المملكة دورا هاما على مسرح السياسة فى أوروبا الشرقية خلال الفترة الواقعة بين القرن الرابع والقرن الثامن الميلادى فقد كان لها حكومة قديرة وجيش مدرب وانتعشت بها التجارة ، ثم انها كانت بمثابة ملجأ يأوى اليه اليهود المنفيون بأمر (ليو الثالث) الحاكم البيزنطى على (استنبول)

ثم كان عام ٧٤٠ ميلادية عام تحول شامل فى هذه المملكة ، فاعتنق حاكمها الديانة اليهودية ثم تبعه شعبه ، وبذلك أصبحت المملكة كلها تدين باليهودية ، ومن هنا ظهر فى التاريخ جيل من الناس يتبع الديانة اليهودية دون أن يتصل بأى نسب على الاطلاق يربطه ببنى اسرائيل الذين سبق الحديث عنهم فى المقال السابق .

ويستفاد من الرسائل المتبادلة بين الطبيب اليهودى (حسدى بن شابروت) - أحد مستشارى الخليفة الأموى الأندلسى (عبد الرحمن) وبين حاكم هذه المملكة المسمى (عوبديا) أن اليهودية ازدهرت ازدهارا كبيرا فى هذه المملكة بعد أن اتخذت اليهودية دينا رسميا لها ، فشيدت عشرات المعابد ، وأنشئت مدارس عديدة لتعليم التوراة والتلمود ، وانتزع اليهود لأنفسهم السلطة ، وأعلنوا أنه لايحق لغير اليهود أن يتولى زمام الحكم فى هذه المملكة .

وتمضى هذه المملكة اليهودية مع التاريخ لتستقبل نهايتها فى عام ٩٦٩ ميلادية حيث تزحف عليها **جيوش الدولة البيزنطية وروسيا فتقتحم عاصمتها (اتيل) وتقسم المملكة بين روسيا والدولة البيزنطية ، وتزول من الوجود تلك المملكة اليهودية وينتشر شعبها فى أوروبا الشرقية والقوقاز .**

ومن ثم يصبح يهود ومملكة الخزر مصدرا جديدا لتصدير عدد غفير من البشر ينحدرون من سلالة الخزر والتتر وكان أجدادهم وثنيين قبل أن يعتنقوا اليهودية . واستنادا الى هذه الحقائق التاريخية العامة فان كلا من (وايزمان) و (سيلفر) وهما من كبار زعماء الصهيونية - من سلالة الخزريين الذين تحولوا من الوثنية الى اليهودية ، ثم هم بعد ذلك من غلاة دعاة العنصرية الصهيونية، وهم وأعوانهم يفرقون فى الزعم بأن الشعب اليهودى ينتمى الى الجنس العبرانى السامى وهذه الدعوى أن جاز أن يكون لها جانب من الصحة بالنسبة للاجيال القديمة المنحدرة فعلا من بنى اسرائيل ، فهى لاتنطوى اطلاقا على اثارة من الصدق بالنسبة لليهود المنتشرين فى انحاء العالم منذ قرون عديدة حتى عصرنا الحاضر

وعلى النقيض من هذه الدعوى الصهيونية فان اكثر الشعوب العربية فى الشرق الاوسط تنتمى فعلا الى الجنس السامى وقد ظلت الأجيال المتتابعة من أبناء الجزيرة العربية محتفظة بسلالتها ونقاء دمها ، فاذا كان الانحدار من الجنس السامى مبررا تاريخيا وعنصريا لاستيطان فلسطين فالعرب هم أحق الشعوب بفلسطين وليس تلك الأشتات المتنافرة من يهود العالم الذين لايمتون الى الجنس السامى ولا الى الأرض العربية بصلة . وجدير بالذكر ان الأسرة الحاكمة فى المملكة العربية السعودية تعتبر نموذجا حيا للسلالة السامية الحديثة ، فهى تنحدر من سلالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما تشير الى ذلك بعض المصادر التاريخية .

وفى عام ١٩٥٢ صدر عن هيئة اليونسكو بيان أيده علماء تاريخ

الجنس البشرى فى جامعة كولومبيا جاء فيه :

(ان اليهود هم شعب يعتنق الديانة اليهودية ، وهم خليط من جميع الأجناس ، بما فيها الزنجي والمغولى ، أما مايسمونه الطابع اليهودى الخاص ، فهو طابع شائع بين جميع شعوب بلدان الشرق الأوسط الممتدة على شواطىء البحر المتوسط) ... ومن ثم فان اليهود حينما وجدوا فانهم يصقلون بملامح البيئة التى يعيشون فيها وينصهرون فى بوتقتها ، ولهذا فلا يوجد بين يهود العالم أى ميزة عنصرية اجتماعية مشتركة بينهم بحيث تكون لهم بمثابة الاطار الاجتماعى الخاص بهم .

ويرى العالم (فاينسبرج) ان **هناك ملامح معينة تميز طوائف اليهود بعضها عن بعض ، وترد كل طائفة الى بيئتها وسلالتها ، ومن ذلك مثلا البشرة السمراء والأنف المدبب وهما من سمات اليهود القاطنين فى حوض البحر الأبيض المتوسط . ثم الأنف الغليظ واللون الأشقر وهما من ملامح اليهود الذين عاشوا فى شرق أوروبا ، والمعروفين بالجنس التترى .. الخزرى ..**

وبهذا الصدد يزيد الكاتب اليهودى (الفريد ليلنيتال) هذه المسألة ايضاحا فيقول :

وعندما زرت القدس لأول مرة عام ١٩٤٤ استرعى انتباهى بصفة خاصة هذا الخليط من الأجناس الذى يتألف منه يهود فلسطين ، وقد استطعت بسهولة تامة أن أميز بين يهود (الاشكنازى) البولنديين ، ويهود شمال افريقيا ويهود اليمن ويهود المانيا .

والجدير بالذكر أن هذا الاختلاف لم يكن مقتصرا على الجنس ولون البشرة فحسب ، بل كان فى الزى واللغة والعادات والعقلية .. فهم على الرغم من وجودهم جميعا فى بيئة واحدة ظلوا فى الأساس يعيشون وكأنهم بولونيون ويمنيون وألمان ..!) ويؤلف يهود العراق حوالى عشر سكان اسرائيل ومنذ أن استقر بهم المقام فى اسرائيل أخذوا يشكون ويتذمرون من التدابير الشاذة المجحفة بحقهم ومن تفضيل يهود أوروبا وأمريكا عليهم ، ثم قاموا بمظاهرة صاخبة فى تل أبيب فى يوليو سنة ١٩٥١ احتجاجا على التفرقة العنصرية فى دولة تعتبر الوحدة العنصرية من أقوى الدعامات التى قامت عليها . وفى نوفمبر من نفس السنة تجمهر ١٣٠ يهوديا هنديا فى احدى ساحات تل أبيب العامة، وطالبوا السلطات باعادتهم الى الهند لأنهم يكرهون على القيام بأحط الأعمال ، فضلا عن أن اليهود الامريكيين والأوروبيين يسخرون منهم ويعيرونهم بأنهم زنوج أما الوضع بالنسبة ليهود شمال أفريقيا فان الصحف اليهودية اختصتهم بالتهم الاجرامية الملفقة ، ففى كل مرة تقع حادثة اجرامية فى بعض شوارع تل ابيب المظلمة لم تجد الصحف الاسرائيلية من يليق بارتكاب تلك الحوادث سوى طوائف اليهود المهاجرين من تونس والجزائر والمغرب .

وأما اليهود الذين هاجروا من اليمن الى اسرائيل فقد صدموا بالحقيقة المؤلمة التى كانت تنتظرهم فى أرض الميعاد المزعومة ، فكان نصيبهم أن عزلوا فى أماكن منفردة وحرم عليهم الاختلاط بالطوائف اليهودية الأخرى فى اسرائيل ، بحجة أنهم أغبياء ، قذرون غير قادرين على مزاولة الأعمال الراقية النافعة .

وبعد فما أظن أننا سنسمع فى التاريخ من قبل ومن بعد بدولة يتألف شعبها من أشتات بلغت من الاختلاف والتنافر مابلغت طوائف اليهود التى اغتصبت أرض فلسطين لتتخذ منها وطنا قوميا . وان ماتعانيه الطوائف اليهودية من التفرقة العنصرية فى اسرائيل لأقوى دليل على بطلان كل دعوى يستمد منها زعماء الصهيونية خيوط الأمل فى تحقيق مآربهم . ولقد ثبت بعد هذا التحليل أن أصدق وصف يميز اسرائيل أنها دولة الأشتات المتنافرة .

(للبحث بقية)

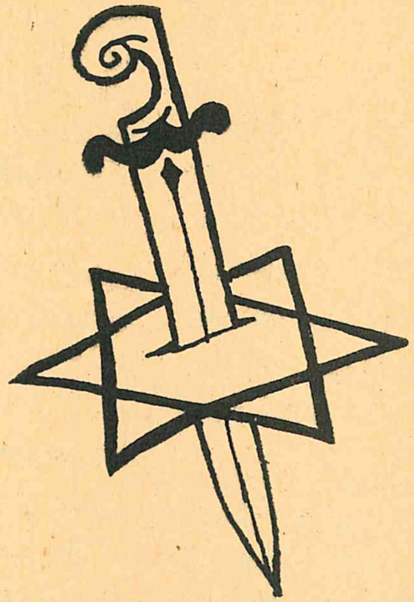

عود إلى مفتريات اليهود وأباطيلهم

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

ان فكرة الوطن عند اليهود تقوم على ظهور الشعب ثم اتجاهه روحيا الى اقليم معين لاتخاذه وطنا ، ولا رابطة بين الوطن والعقيدة .

ولنبدأ فكرة الوطن مع سيدنا موسى عليه السلام ، وهو يقود بنى اسرائيل الى أرض كنعان تحت شعار « كنعان هى أرض الميعاد — وتقول التوراة :

« ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحيثيين والاموريين والحويين واليبوسيين التى حلف لآبائك أن يعطيك أرضا تفيض لبنا وعسلا . انك تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر . سبعة أيام تأكل فطيرا وفى اليوم السابع عيد للرب . »

وكان لما أطلق فرعون الشعب ان الله لم يهدهم فى طريق أرض فلسطين مع انها قريبة لان الله قال : لئلا يقوم الشعب اذا رأوا حربا ويرجع الى مصر . فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف . وصعد بنو اسرائيل متجهزين من أرض مصر ، وأخذ موسى عظام يوسف معه . لانه كان قد استخلف بنى اسرائيل بحلف قائلا : ان الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا معكم . وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى ايثام فى طريق البرية وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا . لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب . »

ولكن كيف السبيل الى دخول فلسطين بغير طريق الغزو والفتح والاغتصاب .. ؟

وتحدثنا التوراة أيضا عن الطريقة التى شرعتها لهم فتقول :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها . واذا دفعها الرب الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والاطفال والبهائم . وكل ما فى المدينة كل غنيمتها . فتغتنمها لنفسك وتأكل كل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الامم هنا واما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا . فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريم الحيثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين

والحويين واليبوسيين كما أمرك الهك . لكى يعلموكم أن تعلموا حسب جميع ارجاسهم التى عملوا لآلهتهم فتخطئوا الى الرب الهكم . »

ويسير اليهود الى جهة الشمال كما أمرتهم التوراة حتى يبلغوا بلاد الاردن شرقى النهر ومن ثم يعبروا النهر الى الغرب حيث أرض كنعان . وينتقل سيدنا موسى الى ربه دون أن يشاهد عملية العبور ويخلفه يشوع بن نون .

ونجد أن القبائل اليهودية التى استقرت فى فلسطين أصبحت تهدد الامن وتسبب أعمال السلب والنهب التى شرعتها لهم التوراة . وفى ذلك تحدثنا الخطابات التى عثر عليها فى تل العمارنة — بالقرب من أسيوط — والمتبادلة بين الفرعونيين امينوفيس الثالث والرابع من ناحية وبين أمراء وملوك الشرق الادنى من ناحية أخرى ، أرسل أديهبا والى القدس الى فرعون مصر يخبره ان قبائل وعشائر أخذت تنزح من الصحراء الى فلسطين وان هذه القبائل تهدد الامن وتسبب كثيرا من الفوضى والاضطراب نظرا لاعمال السلب والنهب التى تقوم بها . ويطلق أديهبا على هذه العشائر والقبائل اسم « خبرى » أى «عبرى » وهى التسمية المعروفة لدينا الآن ، اذ أن حرف (خ) يقابل حرف (ع) فى اللغة السامية ولفظ عبرى جاء من كلمة عبر بمعنى شاطىء أو ناحية والمقصود هنا شاطىء الاردن لا شاطىء الفرات كما كان يظن .

ويهوه الذى يعبدونه ليس مسمى ولا كلمة وفى قراءتها فى اللغة اللاتينية للاحرف العبرية (ى . ه . و . ه) التى ذكرتها التوراة رمزا للاله وتقرأ بـ « أدوناى » رمزا للاله بمعنى الرب . ومن المرجح أن هذه الكلمة ترجع الى أن العصر البطريكى بين سنة ٢٠٠٠ ، ١٨٨٠ ق . م

وقد أوضحنا فى مقالنا السابق التطورات التى لحقت بفلسطين حتى فتحها العرب فى سنة ١٥ هـ (٦٢٦ م)

وظلت فلسطين تحكم بعد ذلك بواسطة الامويين فى دمشق ثم العباسيين فى بغداد ثم استمرت تحكم بعد ذلك بواسطة أسر اسلامية من قبل مصر . وفى القرن الثانى عشر جاء الصليبيون وكونوا المملكةاللاتينية التى استردها المماليك منهم فى القرن الثالث عشر ، ثم تولى الحكم فيها بعد ذلك العثمانيون وفتحها المصريون فى القرن التاسععشر . ولماانسحبوا منها تولىحكمها الاتراك فقسموها وتولت بريطانيا حكم فلسطين عسكريا فى سنة ١٩٢٠ فتحولت الى بلد تحت الانتداب .

وقد تكلمنا فى مقالنا السابق عن وعد بلفور وقيمته من الناحية القانونية . ذلك الوعد الذى بذلت فى تنفيذه مجهودات ضخمة من قبل الصهيونية العالمية بمساعدة الدول الاستعمارية .

ففى فبراير سنة ١٩١٩ تكونت لجنة فيها ويزمان اليهودى لوضع الخطة ورئى — أن تعهد الامم الى بريطانيا بالانتداب على فلسطين . ونجحت فى ذلك . وبدأتانجلترا تنظم الهجرة واقامة المساكن واتاحة المتاجرة وشراء الارض ، فتم تهجير نحو عشرة الاف يهودى سنويا يسرت لهم كل التسهيلات . وأخذت الهجرة بعد ذلك تزداد بصورة واضحة — خصوصا فى الفترة التى اعقبت اضطهاد هتلر لليهود .

ولما انتهت الحرب انتقل مركز التسلل الصهيونى من انجلترا الى أمريكا فى عهد ترومان الذى سمح بهجرة مائة ألف يهودى تحت ضغط أغنياء اليهود وبتمويلهم .

ومن هنا بدأت العصابات اليهودية فى فلسطين ارتكاب جرائمها المعروفة فى التاريخ . بل هى أبشع ما سجله التاريخ .

فى يافا حاصرت تلك العصابات المدينة وأطلقت عليها القنابل الثقيلة ويدافع هؤلاء عن أرضهم . فمات من مات . وهرب من هرب ولكنهم لم يتركوهم بل تتبعوهم بالقذائف .

وكان تعداد سكانها ١٢٠٠٠٠ لم يبق منهم سوى ٣٠٠٠ فر أقل منهم الى الاردن وغزة عن طريق البر وللاسكندرية وبيروت عن طريق البحر

وفى دير ياسين اعترف اليهود على أنفسهم بأنها كانت مدينة آمنة هادئة لم يشترك أهلها فى أى صراع . مما كان يجرى فى فلسطين . ولكنعصابتى الاراجون وشتيرون اليهوديتين أرغموا أهلها على اخلاء المدينة كرها .

ويذعن البعض ويصبر البعض الآخر على البقاء . ولم يلبثوا ان هوجمت المدينة بالمدافع والقنابل .. وكانت الضحية ٢٥٠ عربيا أغلبهم من النساء والأطفال وعلى أثر ذلك فر ٦٣٥٠٠٠ عربى من الموت بطريقة جنونية

ومع ذلك فانهم يزعمون أنهم اصحاب حق فى فلسطين ومدة حكمهم لها لاتجاوز ٧٣ عاما هى مدة حكم داود وسليمان التى حدث الانقسام بعدها بينما حكمها العرب مدة ٤٧٧ عاما واستمر حكمهم بعد الفتح الاسلامى حتى بلغت ١٣٠٠ سنة

ذلك - فضلا عما سبق أن تضمنه مقالى السابق من ان المجتمع اليهودى الذى يريدونه لايمكن تحقيقه من جميع النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والقومية .

وهم فى دعواهم الكاذبة يدعون رغبتهم فى انهاء حالة النفى والتشريد التى تعرضوا لها على مر الزمن .

فهم يداوون شرا بشر أسوأ منه . واضطهاد يداوى بقتل للآمنين فى ديارهم واغتصاب لارضهم .

ومع ذلك فانهم يدعون الاخلاقية . فى الوقت الذى نسبوا الى الههم اثم أمرهم بالسرقة والنهب والقتل والسلب فجعلوا التوراة تقول :

« فيكون حيثما تمضون انكم لاتمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين »

وهم لا يريدون أن يفهموا أن الاخلاقية تحتم عليهم امتثالهم لاوامر الله وتحقيق لمشيئته بالفعل . فان لم يحققوها باءوا بغضب منه فى الدنيا والآخرة .

ومكثوا على أمل أن الله ذاته هو الذى يعمل من تلقاء نفسه على اعادة المنفيين على يد البطل المنتظر . وبينما هم فى انتظاره قامت جذور الحركة المسيحية .

ولما احتلت الفرس بابل فى عام ٥٣٨ ق . م سمح ملكهم قودش لليهود المنفيين بالرجوع الى فلسطين . ورجع قليل منهم وأخذ فى بناء الهيكل

وبعد نحو قرنين خضع اليهود الى حكم البطالمة خلفاء الاسكندر الأكبر ثم الرومان ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

وينتظر اليهود بخيبة أمل الوعد الكاذب المستحيل مطلقآ والانتظار الممل لتحقيق الحلم والحقد على العالم كله بسبب عدم تحقيقه .

وانه لمن المؤكد اليوم أن واحدا من بنى اسرائيل غير موجود على ظهر الأرض وأن السخف حقا ان يقال انه لو تهود أحد ابناء القرن العشرين لاصبح فى نظرهم من سلالة أسباط يعقوب

وهنا يجب الاشارة الى أن الدعاية الصهيونية فى الحقيقة قوية بصورة مذهلة فى مشارق الارض ومغاربها وسيطرت على كل وسائل الاعلان والنشر والايحاء النفسى .

وهى تستغل تلك السيطرة للدس والكذب الصريح والايعاز بكل مليح الى الصهيونية وكل ذميم الى أعدائها

والكتاب العربى مهما بلغ من الجودة والتحقيق العملى لايخرج عن نطاق البلاد العربية خصوصا اذا كان يمس الصهيونية من قريب أو بعيد . ولأهمية الكلمة المقروءة نجد أن طائرات الالمان أثناء اغاراتها على فرنسا فى الحرب الاخيرة لم تلق القنابل ولكنها ألقت مائتين وخمسين ألف نسخة من كتاب للدعاية الالمانية باللغة الفرنسية أثبتت فيها أن الثورة الفرنسية الشهيرة كانت من أفعال اليهود وبأموالهم

ذلك - بالاضافة الى أن أفلامنا المصرية قد خلت تقريبا من أى شىء يتعلق بالدعاية لصالح العرب وكشف الاعيب الصيهونية ونحن نعلم أن رواد السينما أكبر بكثير من قراء الكتب فضلا عن أنها تشمل جمهورا واسعا على مختلف الطبقات متعلمين وغير متعلمين ، كذلك فان دور الاذاعة باللغات الاجنبية يجب أن يأخذ شكلا فعالا للوصول الى بلدان أوروبا حتى تكون للكلمة المسموعة دورا تؤديه فى المعركة القائمة .

ولذلك فانى أرى ضرورة تستدعى تبصرة جموع الجماهير فى الوطن العربى بصفة خاصة وعلى المستوى العالمى بصفة عامة بالاعيب الصهيونية ودحض أباطيلهم فيما يزعمون من حق فى فلسطين ولا يكتفى بالحرب عن طريق السلاح ، فان حرب العقيدة أقوى من حرب السلاح وحرب السلاح تكون أقوى اذا كانت مدعمة بالعقيدة .

سياسة الخليفة المعتمد على الله

الأستاذ
عبد العال السيد شعيب

وأينا من سيرة الخليفة المهتدى بالله ، ما كان من صلاح وورع وتقوى ، وما تميز به من خلق ودين ، فقد كان يحب الحق ، ويسلك الطريق اليه ، ويأمر به أصحابه ، **وقال لجعفر بن عبد الواحد** : تكلم بالحق - وقل به ، فان الرجل ليتكلم بالحق فيقبل فى عينى ، واستمرت خلافته الى أن مات فى شهر رجب سنة ست وخمسين ومائتين . وكانت مدتها سنة الا خمسة عشر يوما ، وعند وفاته كان المعتمد على الله أبو العباس محبوسا فأخرجوه وبايعوه بالخلافة، وكان ذلك لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ هـ ، ولم يزل خليفة حتى توفى لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ فكانت مدته ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام .. انه خليفة من سلالة خلفاء ، فهو أحمد المعتمد على الله بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد ..

وكان له أخ ذو بصر بأمور الحكم ، وصاحب حكمة وكياسة هو أبو أحمد طلحة بن المتوكل الملقب بالموفق . وقد ولاه الخليفة أمر الجيش والولايات فى المشرق، وصير ابنه جعفرا ولى عهده ، وولاه مصر والمغرب .. ونظرا لبعد نظر أخيه الموفق فقد صارت له الكلمة العليا فى الدولة ، وأصبحت الأمور لا يبت فيها الا باذنه ، حتى أعتبر أنه السلطان الفعلى ، أما السلطان نفسه فكان مسلوب الارادة ، ضعيف الشخصية ، فبعد أن أسلم الأمور كلها لأخيه عكف على اللهو والمجون .. وأنس الى مجالس الطرب والشراب ، وصارت حياته كلها حياة عبث واستهتار ، مع أن ولاية الأمور العامة أمانة فى عنق من وليها ، فعليه أن يرعاها وأن يقوم بشئونها ، لأنه سيسأل عنها يوم القيامة .. وحسبه ما ورد فى شأنها من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « **ان شئت أنبأتكم عن الامارة ، أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، وآخرها عذاب يوم القيامة ، الا من عدل** » .. وقوله « **ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع** » . وعد من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله « امام عادل » ومعنى عادل أن يتفرغ لشئون رعيته ، وأن يسلك طريق الخير والهدى . وان ينأى عن ارتكاب الآثام ، بل عن مواطن الشبهات ، وأن يتلمس طريق العدل فى أحكامه ما استطاع الى ذلك سبيلا ..

الا أن صاحبنا الخليفة المعتمد لم يتخذ لنفسه هذا الأسلوب فى حياته ، ولم يسلك الطريق الذى حثه الاسلام عليه ، بل أمعن فى مجالس اللهو حتى أصبح لا يستطيع أن يقطع برأى حتى فى الأمور التى تتصل بشخصه، فهو محجور عليه . وقد أحس هو بسوء الحال التى وصل اليها . وكادت تتقطع نفسه حسرات على ما أصابه من هوان .. وعبر عن ذلك فى شعر حزين حيث قال :

أصبحت لا أملك دفعا لما
أسأم من خسف ومن ذلة
تمضى أمور الناس دونى ولا
يشعرنى فى ذكرها قلتى
اذا اشتهيت الشىء ولوا به
عنى وقالوا ههنا علتى !!

وكان اذا أراد شيئا من المال ينفق منه ، يطلبه من المسئولين عن الأموال ، ولكنه لا يكاد يجد ما يطلبه الا بشق الأنفس .. وقد تأثر بذلك أبلغ التأثر ، وقال فى ذلك :

أليس من العجائب أن مثلى
يرى ما قل ممتنعا عليه ؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شىء فى يديه
اليه تحمل الأموال طـرا
ويمنع بعض ما يجبى اليـه

....

وفى هذه العهود كانت تقام الدوله السامانيـة فى المشرق ، وتتمتع باستقلال داخلى واسع ، وهى دولة تعتبر آنئذ من أقوى الدول جانبا ، ومن أحسنها سيرة وأدقها تنظيما وتماسكا ، وملوكها من بنى سامان أمنع ملوك الاسلام جانبا فى عصرهم ، لأنه ليس فى الاسلام جيش الا وهم شذاذ القبائل والبلدان والأطراف ، الا جيش هذه الدولة ، فان جيوشهم الأتراك المملوكون .

واستمرت دولتهم ١٧٠ سنة وستة أشهر ، وقد تقلص فيها ظل الخلافة العباسية فعلا ، وان كان يدعى فيها للخليفة كعمل شكلى لا يدل على أن له دلالة عليها .. ونظرا لأن أمور الخلافة كانت فى يد أبى أحمد الموفق بن المتوكل وان كان الخليفة هو المعتمد ، فقد كان يولى الوزراء ويراقب أعمالهم ، ويحاسـبهم على تصرفاتهم ، وقد كان أول الوزراء فى عهده عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، وكان خبيرا بأحوال الرعايا والأعمال ، ضابطا للأمـوال ولم يزل وزيرا الى أن مات وجاء بعده الحسن بن مخلد الذى كان كاتبا لأبى احمد الموفق فاجتمعت له وزارة المعتمد وكتابة الموفق .

ومن براعته فى فن الكتابة أنه كان له دفتر صغير يدون فيه أصول أموال المملكة وما يدخل اليها من مال ، ولا ينام بل ليله حتى يقرأه ويتحقق ما فيه ، بحيث لو سئل فى الغد عن أى شىء كان منه أجاب من خاطره بغير توقف ولا مراجعة دسـتور ، وبعده ولى الوزارة سليمان بن وهب وهو الذى كان وزيرا للمهتدى . وكان كذلـك صاحب خبرة وبعد بأمورها ، الا أن أبا أحمد الموفق غضب عليه وأمر بحبسه ومات فى حبسـه سنة ٢٧٢ هـ ، وولى بعده الوزارة أبو الصقر اسماعيل بن بلبل وهو عربى ينتسب الى شيبان ، ومن صفاته أنه كان كريما مطعـاما ، وبلغ فى الوزارة مبلغا عظيما ، وجمع له السيف والقلم ، وسمى الوزير الشكور .. ولم يمض على وزارته عهـد طويل حتى قبض عليه وحبس .. كشأن من سبقه ، وهذا يدل على أن أحوال الوزارة كانت مضطربة ، وأن أمور الدولة لم يكن لها صفة الاستقرار ، وهذا يؤثر على المشروعات التى تفيـد الأمة ، وتنهض بالرعيه .. ومن أبرز الأحداث التى وقعت فى عصر هذا الخليفة **ظهور دعى ادعى أنه من آل على بن ابى طالب ، وزعم أنه على بن محمد بن احمد بن على بن عيسى ابن زيد بن عـلى بن الحسين بن على بن أبى طالب ،** وأصـله من عبد القيـس من ربيعة ، ودعا الناس الى طاعته ، فاتبعه قوم وأباه آخرون ، فانتقل الى حى من تميم فأقام بينهم ، وقد عظم مقامه بين أهل البحرين ، حتى أحلوه من أنفسهم محل النبى ، الا أنهم سرعان ما تبينوا افتراءه فتنكروا له ، وخرجوا عليـه ، فتحول عنهم الى البادية ، ثم تجول مع بعض ممن اتبعه حتى صار الى مدينة السلام ، فأقام بها حـولا يستميل اليه النـاس سرا ، وقد استعان بالعبيـــد الذين كانوا يعملون فى تلك النـواحى وهم كثيروا العدد يهمهم أن ينالوا حريتهم ويخرجوا مما هم فيه ، وفعلا جهز منهم جيشا ضخما أخذ يستخدمه فى اشعال نار الفتنة فى الدولة ، واتجه نحو البصرة فقابلته جنود كثيرة من أهـل السلطان فانتصر عليها . وظـل الانتصار يلاحقه ؛ والعبيد يتزايدون فى الانضمام اليه ، حتى استفحل أمره ، وخيف على الدولة منه ، فخرج أبو احمد الموفق بنفسه على رأس جيش كبير لمقاتلته ، وحصلت اصطدامات عنيفة بين الجيشين ، حتى انتصر فى النهـاية جيش الخليفة وهزم العبيد وقتل ذلك الدعى ، وبقتله انتهت هذه الفتنة التى كانت ستقضى على الدولة ، وتمكن للفساد فيها .. الا أن الله نجاها من هذه المحنة ، ونصر عباده المخلصين ، وهو دائما ينصر من يقاتل فى سبيله ، ويجـاهد من أجل تمكين كلمة الحق ، والعدل والخير .. ويثبت الخذلان على أهل الباطل ، وأصـحاب البغى والعدوان ، ولئن استطاع الباطل أن يحرز بعض الانتصارات فان ذلك لا يعنى أن الحق قد بعد عنه نصر الله وتأييده ، ولكن سـنة الحيـاة تجرى على أن يبتلى الله المخلصين بصنوف من المحن لتظهر اصالة معادنهم ، ونقاء نفوسـهم « وليمحص الله الـذين آمنـوا ويمحق الـكافرين » والنصر فى النهاية للحق وأهله وصدق الله العظيم اذ يقول « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » .

لمحات من تاريخنا الحديث

المصريون والحملة الفرنسية

الدكتور أحمد شلبي

تحدثنا فيما سبق عن اسباب الحملة الفرنسية واعدادها ووصولها الى الاسكندرية ، والمقاومة الشعبية الضخمة التى قام بها حاكم الاسكندرية السيد محمد كريم ، كما تحدثنا عن معركتى شبراخيت وامبابة ، وذكرنا ان المماليك بعد هزيمتهم فى هاتين المعركتين ولوا الأدبار هاربين ، تاركين المصريين وحدهم وجها لوجه امام الحملة الفرنسية ، ونواصل اليوم حديثنا عند هذه النقطة .

المصريون والحملة الفرنسية

فى سنين الرخاء كان ثراء مصر لغير المصريين من مماليك وعثمانيين فلما جاءت الشدة تخلى هؤلاء وأولئك عن هذه البلاد وتركوا أهلها يدافعون عنها أو يستسلمون ، وفى المصريين بطولة عميقة شهدتها معارك كثيرة فى التاريخ ، على مر العصور ولكنهم فى هذه القرون الاخيرة كانوا عزلا من السلاح ، أضنتهم الأحداث وأضعفتهم المشكلات التى كانت تحيط بهم من كل جانب ، بيد انه لم يكن هناك وقت للتحسر والأسى ، فكان ضروريا لهذا الشعب أن يتولى زمام أمره بعد ان تخلى عنه أولئك الذين كانت لهم السيادة بالأمس فبرز للقيادة العلماء وزعماء الشعب وانضم للجيش طوائف من كل الناس ، تبرع الأغنياء بالمال والسلاح وخرج الشبان والرجال حتى خلت المنازل والطرق الا من النساء والأطفال والمرضى ، وتقدم الزعماء للمفاوضة ، فاذا كان نابليون قد حضر حقيقة للقضاء على المماليك ، فان مهمته قد انتهت وعليه ان يسلم البلاد لأصحابها ، وقد أحسن نابليون استقبال العلماء وأكد لهم انه لم يأت لمحاربتهم ، بل لقتال المماليك الظلمة وانتزاع الحكم منهم ، ووقف المصريون موقف الحرص والتربص .

موقعة أبوقير البحرية سنة ١٧٩٨

كان الأسطول الانجليزى يتابع من بعد تحركات الأسطول الفرنسى منذ أبحر من ميناء طولون ، وكان نلسن يقود الأسطول الانجليزى فى البحر المتوسط ، فلما أدرك هدف الاسطول الفرنسى تركه فترة من الزمن ريثما يتعمق نابليون فى مصر بجنوده ، ويحس بحارة الأسطول بالأمن على الساحل ، وحينئذ تقدم نلسن البحار ذو المواهب الفذة وحاصر الأسطول الفرنسى فى خليج أبى قير ودارت بين الأسطولين معركة أحالت البحر الى جحيم متقد ، وقد بدأت المعركة فى الساعة الثالثة بعد الظهر من أول أغسطس ، وفى الساعة الثامنة اصيب برويس قائد الأسطول الفرنسى بقنبلة قضت عليه ، وفى منتصف الليل كان الأسطول الفرنسى حطاما ، ولم ينج منه الا ما أسره الانجليز أو سفن قليلة فرت الى مالطة .

وكانت نتائج موقعة أبى قير عميقة فقد وضعت الأساس لانهيار آمال الفرنسيين فى اقامة امبراطورية فى الشرق وعزلت جنودهم بمصر عن بلادهم ، وقضت بالتفوق المطلق للاسطول الانجليزى على سواه ، ولولا شخصية نابليون القوية لما كان للفرنسيين بقاء فى مصر بعد ذلك

سياسة الفرنسيين فى مصر

حاول نابليون أن يسترضى المصريين وأن يسترضى الباب العالى فأنشأ الديوان وهو يمثل حكومة

للخلاعة والفجور ، واعدام حاكم الاسكندرية السيد محمد كريم

وقد اتخذت الثورة مركزها فى الأزهر الشريف حيث تجمعت الجموع الكثيرة وكان الشبان يحملون أسلحتهم ، ويحضون الناس على مقاومة العدو المستعمر، وكانت هذه الثورة مفاجئة للفرنسيين لأنهم ظنوا انهم استمالوا المصريين وخدعوهم ، وفى ضوء هذا الظن خرج الجنرال (ديبوى) حاكم القاهرة العسكرى ومعه بعض رفاقه يقتحم جموع المتظاهرين ، وكان يظن انهم سينفضون ، ولكن الجموع تكاتفت عليه ، وطعنه الثائرون طعنة أردته قتيلا ، وكان ذلك شرارة أثارت العاصفة ، فقد صدرت الأوامر للجيش الفرنسى أن يدمر الأزهر وان يقتل الجماهير دون رحمة ، ويصف الجبرتى ما فعله الجيش الفرنسى بقوله : تتابع الرمى من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الأركان ، وهدمت حيطان الدور وسقطت بعض القصور ، ولما انتهى الضرب زحف الفرنسيون الى الجامع الأزهر فدخلوه بخيولهم وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل وهشموا خزائن الطلبة • وصدرت تعليمات نابليون بقتل كل من نسب له الاشتراك الفعلى فى المعركة، ويقول نابليون فى مذكراته : فقد الثائرون ألفى قتيل وفى كل ليلة كانت تقطع رءوس حوالى ثلاثين من الرجال وكثير من زعماء الاهالى وأظن أن هذا سيكون درسا قاسيا

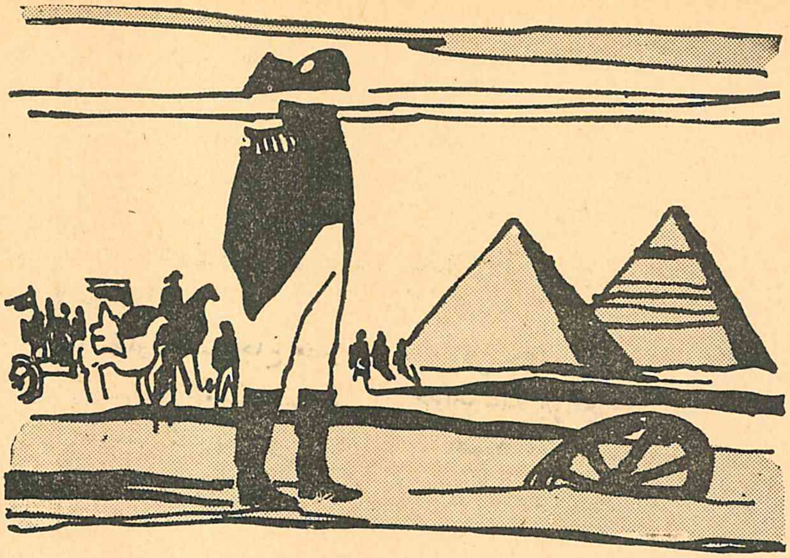

أهلية فى مصر ، وأعضاؤه تسعة يختارون بالانتخاب، وقد اختير له المشايخ الشرقاوى والبكرى والصاوى والفيومى والعريش والسرسى والسادات ومحمد الأمير والسيد عمر مكرم ، وكان من أعمال هذا الديوان تعيين رؤساء البوليس والاشراف على الأسواق وبعض التنظيمات الاجتماعية ، وانشأ نابليون بجانب الديوان المجمع العلمى ، ليقوم بالأبحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية المتعلقة بمصر ، وجعل له أربع لجان للرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسى ، والآداب والفنون ومن أهم أعماله انشاء مكتبة نفيسة ، ومعمل للطبيعة والكيمياء ، وكشف كثير من معميات التاريخ المصرى القديم ، ورسم خرائط دقيقة لمصر وللنيل وفروعه ، وانشاء مطبعة عربية وفرنسية وطواحين تدور بقوة الهواء واصدار جريدتين فرنسيتين ، كما اهتم المجمع العلمى ايضا بانشاء المحاجر الصحية ، ومنع دفن الموتى فى المنازل والمساجد واهتم كذلك باقامة المصانع والقناطر والجسور ، وغير ذلك من الأعمال المهمة التى جعلت من الممكن أن تطلق على الحملة الفرنسية انها حملة علمية اكثر منها عسكرية •

ثورة القاهرة (اكتوبر ١٧٩٨)

تحدثنا عن القوى المصرية التى تجمعت لمقاومة الفرنسيين وانها وقفت موقف التربص والانتظار ، ولكن هذه القوة أحست أن الفرنسيين يعملون للاستقرار وطول الاقامة ، فبدأت تتحرك لمقاومتهم وساعدهم على ذلك هزيمة الفرنسيين فى موقعة أبى قير ، وكان من دوافع هذه الثورة تشدد الفرنسيين فى جمع الضرائب ، واستيلائهم على اموال الاوقاف ، وهدم كثير من المبانى الأثرية بحجة التنظيم ، وهدم أبواب الحارات والدروب وميل الجنود الفرنسيين

لهم وبلغ مجموع ما فقدته مصر فى هذه الثورة حوالى أربعة الاف قتيل ، وقضت هذه الثورة على خيوط الثقة الضئيلة التى ظن انها وجدت بين المصريين والفرنسيين وأصبح واضحا أن استقرار الفرنسيين بمصر مستحيل وان المسألة لاتتعدى اجراءات تنظيمية يعقبها الجلاء .

كلمة عن القومية العربية :

فى وسط هذه الأحداث يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنتكلم كلمة عن القومية العربية ، فان مصر ارتبطت بتركيا باسم الاسلام ولذلك لم تعمل جادة للتخلص من العثمانيين على الرغم مما عانته منهم ، وجاء الفرنسيون معتمدين على مادار بخاطرهم من أن المصريين ميالون للسلم وأنهم سوف يرحبون بأية سلطة تحل محل العثمانيين والمماليك وبخاصة اذا كانت أحسن من المماليك والعثمانيين ، وكانت هذه فكرة خاطئة فمسالمة المصريين للعثمانيين كانت باسم هذه العلاقة الاسلامية التى أشرنا اليها ، ومسالمتهم للمماليك كانت للاعتقاد السائد بأن المماليك ليسوا أغرابا عن البلاد ، أما الفرنسيون فمستعمرون بلاشك ، ولم يخدع المصريون بأية اصلاحات أو آمال بشر بها هؤلاء المستعمرون، وقامت هذه الثورة الكبرى وتلتها ثورات انتظمت كل المدن والقرى من أسوان الى الاسكندرية ورشيد ، واشتركت فيها طبقات الشعب جميعا ، وكانت تقمع لتثور مرة أخرى غير مبالية بالضحايا ، وثارت مع مصر كثير من البلاد العربية ، ومن أبرز الذين اسهموا فى النضال لخدمة مصر سليمان الحلبى الذى استطاع ان يقتل كليبر ويدفع رأسه ثمنا لذلك ، ونشطت القومية العربية منذ ذلك الحين ، ولم تهدأ بعد ذلك. فالهتاف الذى صرخ به العرب ضد الفرنسيين استمر عاليا مدويا ضد العثمانيين وضد كل من حاول استعمار بلادهم ومن هنا فيما يبدو بدأت القومية العربية التى ازدهرت بعد ذلك حتى الآن .

تركيا تحاول استرجاع مصر :

ان ثورة القاهرة جعلت العثمانيين يدركون سخط المصريين على الحملة الفرنسية ، وقد شجعهم ذلك على محاولة استعادة مصر وشجعتها انجلترا على هذا أيضا ولما احس نابليون بذلك أراد ان يسبقها الى الهجوم ويضربها فى الشام ، فسار بجيشه حيث استولى على العريش وغزة ويافا ، ثم حاصر عكا ولكن قائدها أحمد باشا الجزار دافع عنها دفاعا مجيدا مما أرغم الفرنسيين على الارتداد عنها فى شبه هزيمة

موقعة أبو قير البرية (يوليو سنة ١٧٩٩) :

أما تركيا فقد أرسلت حملة بقيادة مصطفى باشا ، وقد استطاعت هذه الحملة ان تحتل قلعة أبوقير ، ولما علم نابليون بذلك سار الى القلعة ، وجرت معركة برية هائلة اندثر فيها الجيش العثمانى وأسر قائده

عودة نابليون والمفاوضات للجلاء

وأدرك نابليون أن آماله فى مصر قد انهارت ، وانه لايستطيع ان يحقق احلامه بين ثورات الشعب ومهاجمة تركيا وحصار بريطانيا ، ويبدو أنه لم يستطع ان يتحمل آثار الهزيمة فآثر الفرار والعودة الى فرنسا متنكرا بعد ان اناب عنه الجنرال كليبر الذى كانت مهمته فيما يبدو حراسة الجنود الفرنسيين ريثما يفاوض للانسحاب

وجرت مفاوضات بين فرنسا من جانب وتركيا وانجلترا من جانب اخر وانتهت هذه المفاوضات بمعاهدة العريش فى يناير سنة ١٨٠٠ ، وهى تقضى بجلاء الفرنسيين من مصر بأسلحتهم وامتعتهم فى مدى ثلاثة اشهر على سفن فرنسية وتركية .

وفى خلال المفاوضات وبعدها حدثت عدة مواقع وثورات أهمها :

– الحملة البحرية التركية فى نوفمبر سنة ١٧٩٩ بقيادة السيد على بك ومساعده السيد سيدنى سمث الاميرال الانجليزى وقد هزمها الفرنسيون عند عزبة البرج

– معركة عين شمس فى مارس سنة ١٨٠٠ م بين الفرنسيين والعثمانيين وقد انتصر الفرنسيون وأرغموا الاتراك على الانسحاب الى الحدود الشرقية .

– ثورة القاهرة الثانية (مارس وابريل سنة ١٨٠٠) وكانت أقوى وأطول من الثورة السابقة وكان المصريون يستعملون البارود الذى صنعوه بأيديهم ، واستلزم اخماد هذه الثورة كثيرا من الجهد السياسى والعسكرى وقتل كليبر بعد ذلك وجاء بعده الجنرال مينو وقد استمر فى المفاوضة وخاض فى أثناء ذلك عدة معارك ضد الانجليز وضد الاتراك ، وفى هذه الاثناء مات الامير الخائن مراد بك الذى كان قد تحالف مع الفرنسيين ، وتخلى عن مساعدة المصريين فى كفاحهم للاستقلال ، وبموته فى مايو سنة ١٨٠١ فقد الفرنسيون حليفا مهما وكان ذلك من الاسباب التى قوت رغبتهم فى الرحيل ، ونجحت المفاوضة وتم جلاء الفرنسيين عن مصر فى اغسطس سنة ١٨٠١

للبحث بقية

هناك

الأستاذ محمود كمال

(٨)

شجرة الدر

أصلها ونشأتها :

اختلفت المراجع فى نشأة شجرة الدر ، وجنسيتها ، والأصل الذى انشعبت منه ، فابو المحاسن يقول فى (النجوم الزاهرة) انها « الملكة شجرة الدر بنت عبد الله ومفهوم هذه التسمية ان جنسيتها غير معروفة ، أو غير ثابتة عنده على انه نقل عن المرجع التاريخى للشيخ (صلاح الدين خليل) أنها كانت تركية الأصل ، وقد وردت هذه العبارة نفسها فى مرجع آخر هو (البداية والنهاية فى التاريخ لأبى الفدا) ، ولكنه قال أيضا ، انها (أم خليل التركية) .

ويؤيد القول بانها كانت تركية ابن اياس فى (بدائع الزهور) كما يؤيده جورجى زيدان فى كتاب الهلال الصادر عن (شجرة الدر) .

أما الأستاذ مصطفى زيادة صاحب كتاب (حملة لويس التاسع على مصر) فيذكر أنها (تركية أو أرمنية الأصل) .

وأما الأستاذ محمد سعيد العريان فيقرر فى قصته عن (شجرة الدر) ، المنشورة فى أحد اعداد سلسلة (اقرأ) ان احدا لا يعرف الى اى جنس من الناس تنتسب تلك الفتاة .. فلا هى تركية ، ولا هى أرمينية ، ولا هى جركسية ، ولا من بلاد الفرنجة ، فليس فى وجهها ، ولا فى لسانها ، ولا فى حركتها ، ما يومىء الى الأصل الذى انشعبت منه) بل انه يقرر فضلا عن ذلك ، انها هى نفسها لم تكن تعرف عن نشأتها ، وماضيها ، (أكثر مما يعلم الناس) .

سبب تسميتها (شجرة الدر)

يقال أن الذى أطلق عليها اسم (شجرة الدر) هو نجم الدين الصالح أيوب نفسه ، وتروى فى ذلك ، رواية موجزها أن احد مماليكه كان يحدثه ، فى أعقاب العثور عليها فى مدينة سنجار ، بما وصل الى علمه عن نشأتها واصلها، وكيف أنها كانت قد ربيت ، وهى بعد طفلة فى حجر (السيدة فاطمة خاتون) ، وانها كانت فى ذلك الوقت تتمتع بضروب من الرفاهية والعز ، ودليل ذلك مايبدو عليها من أمارات الملوكية ، ثم عقب هذا المملوك على ماوصل الى علمه فى هذا الشأن بقوله انها (درة) ، وحينئذ استدرك نجم الدين الصالح أيوب قائلا : بل هى (شجرة الدر) ، فعرفت ، منذ ذلك الحين بهذا الاسم .

صفاتها :

والمتفق عليه أن شجرة الدر كانت بديعة الجمال ، فاتنة ، حسنة الخصال ، ذكية ذات رأى وتدبير ودهاء وعقل راجح ، وذات شهامة ونفس قوية ، وسيرة حسنة كاتبة ، قارئة ، لها معرفة تامة بأحوال المملكة ، (امرأة ليست كسائر النساء ، فلها قلب الرجل ، ومطامع كبار الرجال اذا عزمت على أمر فلا تبالى ما يقف فى سبيلها من العقبات ، لانها تذللها بأية وسيلة كانت ، كما يفعل عظماء الرجال ، وأرباب المطامع) ، وكانت كريمة ، سخية لها مآثر ، وأوقاف على وجوه البر معروفة بها ، منها مدرسة عرفت باسم (شجرة الدر) وحمام عرف باسم (حمام الست)

وكانت الى هذا وذاك شديدة الغيرة ، والغيرة من غرائز النساء عامة ، وما من شك فى أن المناصب ، وان علت لاتغير من طبائع المرأة ، وغرائزها ، فهى تبقى رغم ظروفها ، مهما تكن خاضعة لعوامل الغيرة وأسبابها .

والواقع ان هذه الصفات فى شجرة الدر هى التى لفتت اليها ... انظار نجم الدين الصالح أيوب ، منذ أن حلت بقصره ، جارية من جواريه ، ثم انها هى التى أدت فيما بعد الى ارتباطه واياها برابطة الزوجية المقدسة .

كيف اتفق بشجرة الدر أن صارت جارية من جوارى نجم الدين ايوب

والمتفق عليه ان شجرة الدر كانت قد صارت جارية من جوارى نجم الدين الصالح أيوب قبل ان يعتلى - عرش السلطنة فى مصر مكان أخيه العادل ، ثم صارت زوجته ، وقد انجبت له ولدهما (خليلا) الذى توفى صغيرا .

أما كيف وصلت الى قصره ، وصارت من جواريه ، فذلك أمر اختلفت فيه الروايات .

فمن قائل ان نجم الدين الصالح أيوب عندما بارح حصن (كيفا) فى أطراف العراق ، حيث كان مستقرا قبل وفاة أبيه السلطان الكامل ، قاصدا الديار المصرية (ليأخذها من أخيه العادل الصغير) ، ثم وصل الى مدينة سنجار ، حاصره فيها بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل آنذاك ، ولكنه كاتب الخوارزمية واستنجد بهم ، فقدموا اليه وتغلبوا على بدر الدين وعندئذ عثر عساكره على شجرة الدر ، فى هذه المدينة فذهبوا بها اليه ، فضمت الى جوارى قصره .

وفي هذه الرواية شيء من البيان اذ تقول ان شجرة الدر كانت في طفولتها في حجر (السيدة فاطمة خاتون) من قبل ان تصير زوجة للسلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ولما انتهى أمر هذه السيدة الى ترك بلادها ، بعد هزيمة زوجها جلال الدين امام المغول ، واستيلاء هؤلاء على الدولة الخوارزمية ، هامت شجرة الدر على وجهها ، ثم دخلت مقر بدر الدين لؤلؤ ،صاحب الموصل،ولكنها عادت فخرجت منه ، لمضايقات من اهل القصر لم تحتملها ومالبث عساكر نجم الدين الصالح ايوب أن عثروا عليها في سنجار ، كما تقدم القول .

ومن قائل انها كانت في مقتبل حياتها جارية في قصر الخليفة العباسي ، المعتصم بالله ، وانه بعث بها هدية من عنده الى نجم الدين الصالح أيوب ، أيام امارته على دمشق .

تطورات حياتها :

ولابد لنا لامكان بيان تطورات حياة شجرة الدر ، منذ أن دخلت في كنف نجم الدين الصالح ايوب ، وبيان ما أسفرت عنه هذه التطورات من نتائج جعلتها تدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، أقول لابد لنا لامكان ذلك من التحدث عنها في شيء من الاسهاب ، والتطويل ، فان الاجمال ، هنا ، قد لايعطي للقارىء الصورة المرغوب في رسمها أمام ناظريه عن تلك المرأة التي سيطرت على اقدار نجم الدين الصالح أيوب ، والدولة المصرية الأيوبية ، فترة من الزمن غير قصيرة .

ولقد قلنا بادىء الامر ، ان جمالها وفتنتها وماكانت تتحلى به من صفات سامية عالية ، رفيعة ، وما وهبت من شخصية فذة جعلت منها امراة فريدة ليست كسائر النساء .. كل هذا لفت اليها انظار نجم الدين الصالح أيوب فانتقلت من المرحلة الاولى في حياتها، وهي كونها كانت سريه من سراياه ، الى مرحلة أخرى ، اذ أصبحت زوجته ، وشريكة حياته ، وقد ظلت هذه الزوجية قائمة بينهما الى وقت وفاته ، وكانت هي الوحيدة في حياته ،منذ ذلك التاريخ .

وقد اقتضتها هذه الزوجية ان تقاسم زوجها ماصادفه من مشاق ، وأهوال ، وشدائد ، الى أن كتب له الفوز في نهاية المطاف ، فاعتلى عرش السلطنة في مصر .

ونضيف الى ماتقدم أن صفاتها هذه كانت أيضا سببا من الأسباب التي جعلتها محبوبة من الأمراء ، ومن الشعب شديدة التأثير عليهم ، مهيبة الجانب ، ذات سلطة وسلطان ، مطاعة ، مسموعة الكلمة ، نافذة الرأي ، ولعل هذا هو مايستبين لنا ظاهرا جليا ، مما سجله المؤرخون عنها ، دون خلاف بينهم ، ومن امثلة ذلك عبارة وردت في كتاب (أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام) هي ولما تم لها الأمر في السلطنة فرقت الوظائف السنية على الامراء ، وفرقت الاقطاعات الثقال على المماليك ، واغدقت عليهم بالأموال والخيول ، وأرضتهم بكل مايرضي ، وساست الرعية احسن سياسة فرضي الناس عن حكمها خير رضاء) .

ونعود الى البداية فان زوجها كان يحبها غاية الحب ، وكان كما يقول (صلاح الدين خليل بن أيبك في تاريخه) يعتمد عليها في أموره ومهماته ، حتى انه لم يكن يبرم امرا من اموره ، أو شأنا من شئون الدولة الا أخذ رأيها فيه ، ويكفيك ان تعلم أنها كانت تدير امور الحكم أثناء غيابه في غزواته ، وانها كانت احد اعضاء مجلسه الاستشاري ، الذين كان يجمعهم لأخذ رأيهم في الحروب ، وما يجب أن يتبع بخصوصها ، وفي السياسة وما يجب أن يسار عليه فيها ، ومع كونها كانت عضوا في هذا المجلس فانها بداهة،لم تكن تجلس مع أعضائه ، بل أن الرأي عندي أنها كانت تستمع اليهم وتناقشهم،من وراء حجاب ، كما كانت تفعل بعد أن توفي زوجها ، والقى عليها عبء ادارة شئون الدولة واصدار المراسيم ، موقعا عليها منها نيابة عن زوجها المتوفي ، اذ كانت قد أخفت خبر وفاته فلم يكن أحد يعلم عن ذلك شيئا وكما كانت تفعل مدة حكمها بعد توليتها ملكة .

والواقع اني لم أجد في المراجع التي عثرت عليها ما يمكن الركون اليه في هذا الشأن ، وغاية مافي الأمر أني أقيس واقعها في تصريف الامور بعضها مع بعض كما تقدم الكلام .

وكانت شجرة الدر تلازم زوجها منذ رحيله من حصن (كيفا) متجها الى الديار المصرية لمحاولة التغلب على أخيه العادل ، والحلول محله على عرش السلطنة مكان أبيه الملك الكامل ، وقاست معه الأهوال التي صادفها عندما حاصره بدر الدين لؤلؤ في سنجار ، وعندما اعتقله الملك الناصر داود ، صاحب الكرك .

فأما سنجار فقد تكلمنا عنها توا .

وأما عن اعتقاله في الكرك فبيانه أنه كان قد وصل الى دمشق في طريقه الى الديار المصرية ، ثم برحها الى نابلس ، ومن هناك بعث الى عمه الصالح اسماعيل يستدعيه ليسير معه اليها ، ولكن عمه لم يستجب اليه ، بل لقد (هجم ... وفي صحبته أسد الدين شيركوه ، صاحب حمص ، الى دمشق فدخلاها بغتة ... فحاصروا القلعة وبها المغيث عمر بن الصالح نجم الدين ، واعتقلوا المغيث في برج هناك ...... ولما وصل الخبر بما وقع الى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء ، خوفا على أهاليهم من الصالح اسماعيل ، وبقي الصالح أيوب وحده ، وجاريته أم خليل .... وارسل الناصر داود صاحب الكرك اليه في أخذه من نابلس مهانا ... فاعتقله عنده سبعة أشهر) .

وتبدي بعض الروايات أن شجرة الدر هي التي دبرت الأمر في استدعاء الخوارزمية ، والاستنجاد بهم ، لمحاربة بدر الدين لؤلؤ في سنجار، وان الخوارزمية قد لبوا النداء من أجلها ، لانهم أعلم بنشأتها في حجر (السيدة فاطمة خاتون) زوجة جلال الدين خوارزم شاه ، على ما أثبتنا تفصيله من قبل .

كما تبدي هذه الروايات أيضا ، انها هي التي اقنعت (عاشورا خاتون)زوجة الملك الناصر داوود ، وأخت نجم الدين الصالح أيوب ، بالتوسط لدى زوجها في اخلاء سبيل أخيها ، لما في ذلك من مصلحة لهما معا ، ونجحت هذه المساعي فاخلى الناصر داوود سبيله ، ومن ثم عاد أخيرا الى مصر وحقق أمانيه في اعتلاء عرش أبيه .

واذ تمت هذه الأمور ، واعتلى نجم الدين الصالح أيوب عرش مصر ، صارت شجرة الدر ملكة ، باعتبارها زوجة السلطان ، فوصلت بذلك الى مرحلة أخرى من مراحل حياتها العامرة بالحوادث ، والأحداث .

واذ توفي زوجها في قصره بالمنصورة ، وكانت الحرب ناشبة على اشدها ، بين المسلمين والفرنجة ، رجال حملة لويس التاسع على مصر ، رأت شجرة الدر ان تخفي خبر وفاته عن الناس أجمعين ، عدا قليلا منهم ، أفرادا يعدون على أصابع اليد الواحدة ، هم : فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ ، بصفته أكبر رأس في الدولة ، بعد وفاة السلطان ، وبصفته قائد عام الجيش ، ثم الطبيب فتح الدين أبي الحوافر ، والطواشي جمال الدين محسن ، والخادم سهيل ، وأخيرا ، الأمير حسام الدين ، نائب السلطنة في القاهرة .

وكان هدفها من اخفاء هذا الخبر ، والمبالغة في كتمانه على الناس كافة ، عدا هؤلاء ، هو عدم اذاعته ، حتى لايصل الى علم الفرنجة فيكسبهم قوة على قوة ، فيسوء المصير في الحرب الناشبة بين الطرفين ، وكان ذلك ولاشك ، تدبيرا حسنا ، ويقظة مشكورة من جانبها .

ولما كان توران شاه ابن زوجها ، نجم الدين الصالح أيوب ، لايزال مقيما في حصن (كيفا) فقد رأت استدعاءه من

هناك ليحل فى السلطة مكان أبيه ، على أنها اخذت فى الوقت نفسه ، توقع مراسيم الدولة ، عن السلطان ، فلما حضر توران شاه ، واعتلى العرش ، أساء السيرة ، وتنكر لزوجة أبيه نفسها ، وتغاضى عما أسدت اليه من جميل باستدعائه ، وبقيامها بمهام الدولة على احسن وجه من الوجوه الى حين عودته ، ثم ارسل اليها يهددها ويطلب اليها أن ترد اليه ماهو تحت يدها من اموال ابيه ، وجواهره ، كما تنكر للمماليك البحرية ، رغم أنهم كانوا عماد الحرب الدائرة بين المسلمين والفرنجة ، وكانوا هم الدين كتب الله لهم النصر على الأعداء حتى لقد انقلب الميزان ففاز المسلمون وأحرجوا مراكز الفرنجة ايما احراج ، وتنكر لفخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعد وفاته ، وكذلك فعل فى الأمير حسام الدين ، نائب السلطنة فى القاهرة ، فاوغر بهذه التصرفات السيئة المرذولة صدر شجرة الدر ، وصدور الأمراء ، والشعب ، وآل أمره الى القتل بيد المماليك البحرية ، على مافصلناه فى المقال السابق

واجتمع الامراء ، بعد مقتل توران شاه على تولية (شجرة الدر) ملكة على مصر فاعتلت السلطنة ، وكانت بذلك اول ملكة فى الاسلام ، وأول من ملك من ملوك الترك المماليك على حد قول المقريزى ... وكان اعتلاؤها السلطنة ، هكذا ، يشكل مرحلة هامة اخرى من مراحل حياتها .

وقد عين الأمير عز الدين أيبك أحد كبار رجال المماليك البحرية أتابكا له .

وكانت تصدر أوامرها الى رجال الدولة وتدير شئون الحكم ، من وراء حجاب .

وتوقع على المراسيم باسم شجرة الدر ام خليل .

وخطب لها على المنابر فى أيام الجمع ، وكانت عبارة الخطبة بعد الدعاء للخليفة العباسى كما يلى :

(واحفظ اللهم الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ، ذات الحجاب الجميل والستر الجليل ، والدة المرحوم خليل ، زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب) .

وضربت السكة باسمها ، ونقش عليها (السكة المستعصمية الصالحية - ملكة المسلمين ، والدة الملك المنصور خليل) .

وكان اعتلاؤها السلطنة فى أيام الخليفة العباسى المعتصم بالله ، ومدة حكمها ثلاثة اشهر ، والسبب فى أن مدة حكمها كانت قصيرة هكذا هو أن قيام امرأة فى الحكم أمرا لم يألفه المسلمون من قبل ، وكذلك فان بنى أيوب ، فى الشام لم يرضوا عن سلطنتها ، لكونها امرأة ، ولأنهم اعتبروا تنصيبها ملكة بمثابة نقل السلطنة من أيدى الأيوبيين الى أيدى المماليك .

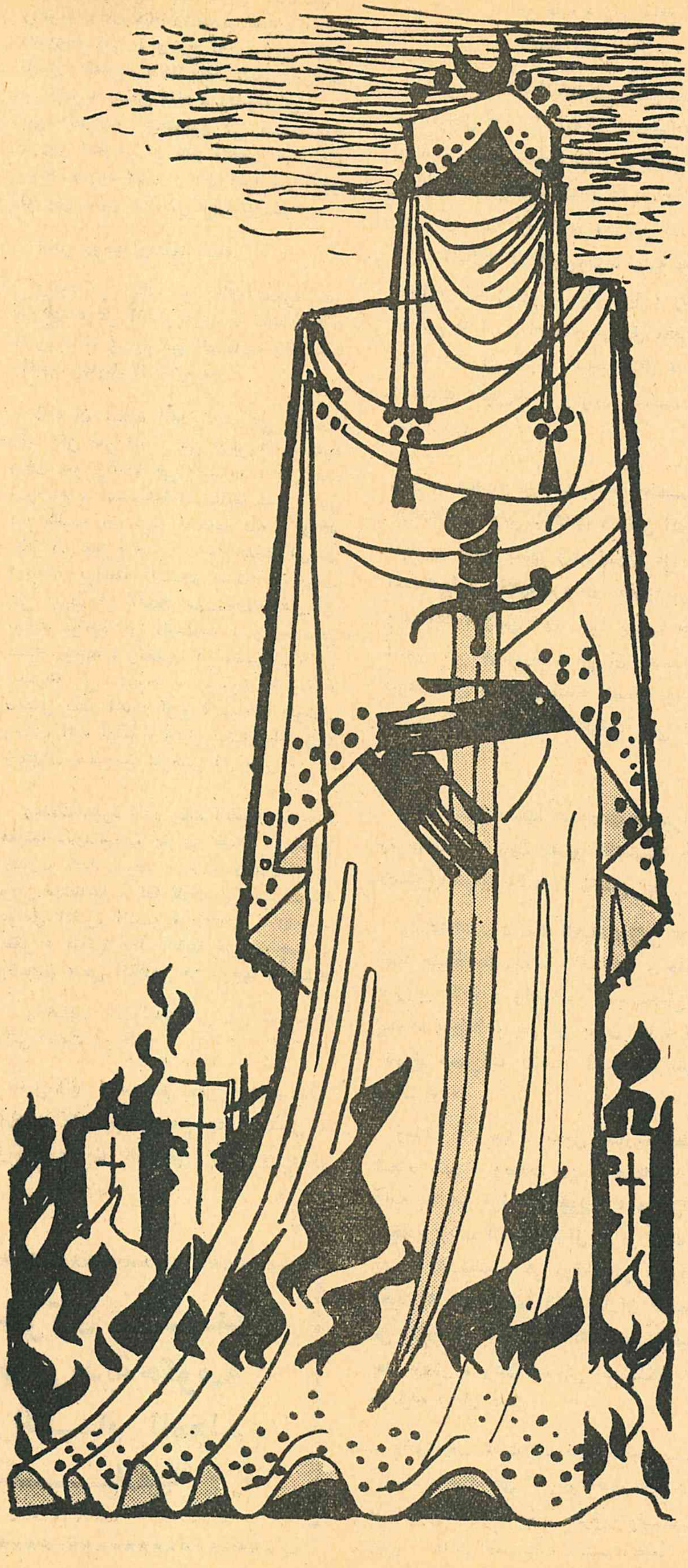

ولم يكن بد من الحصول على موافقة الخليفة على توليتها ملكة ، على الاقل من الوجهة الشكلية ، ولكن الخليفة ، وهو المعتصم بالله • كما تقدم ، لم يوافق على هذا الاجراء ، بل لقد بعث برسالة من عنده جاء فيها ، على ماورد فى بعض المراجع (•••• ، وبعد ، فقد بلغنا أنكم وليتم أمركم شجرة الدر ، جارية الملك الصالح وقلدتموها أمور الدولة ، وجعلتموها سلطانة عليكم ، فاذا لم يكن عندكم رجال يصلحون للسلطنة فاخبرونا لنرسل اليكم من يصلح لها ، أما سمعتم ، فى الحديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما افلح قوم ولوا أمرهم امرأة)

وما أن علمت ذلك شجرة الدر ، حتى رأت من الحكمة الا تعارضه ، وبادرت الى خلع نفسها بنفسها ، وتخلت عن السلطة مختارة ، ولكن تخليها عنها لم يكن يعنى تخليها عن سلطتها الفعلية فى الحكم ، بل لقد كانت هى الحاكمة ، وصاحبة الرأى الحاسم فى أمور الدولة •

ورؤى أن تتزوج شجرة الدر من الأمير (عز الدين أيبك) فتكون له السلطنة بدلا منها • وقبلت شجرة الدر ذلك ، وفى الواقع فان عز الدين أيبك لم يكن له من الأمر شىء يذكر •

ثم لقد أرغمته على تطليق زوجته الأولى والتفرغ لها وحدها ، وقيل أنه لم يفعل وانما تظاهر باجابتها الى ما أمرت به ، ويبدو أن سبب ذلك هو أن هذه الزوجة كانت أم ولده الوحيد •

الافراج عن لويس التاسع واسترداد دمياط

لقد علم القارىء ، من مقالاتنا السابقة أن الملك لويس التاسع ، قائد الحملة الصليبية السابعة ، كان لايزال أسيرا لدى مصر وقت أن قتل الملك المعظم توران شاه ، وكانت شروط الصلح بين الطرفين قد حصل الاتفاق عليها ، وظل هذا الصلح معلقا لم يأخذ صيغته النهائية •

واذ صارت شجرة الدر ملكة مصر ، جرت الأمور مجراها الطبيعى ، وتم الاتفاق الأخيرة ، وأخلى سبيل الملك لويس وأخويه وباروناته ، ودفع معجل الفدية المشروطة نقدا ، وبارح لويس ومن معه ، الديار المصرية مثقلا بعار الهزيمة التى منى بها ، بفضل الله ، وقدرته • بين الطرفين المتحاربين فى صورته

ومن الطبيعى أن هذه الأمور تمت برأى الملكة شجرة الدر ، فان أمرا من الأمور لم يكن ينجز من غير موافقتها عليه •

مقتل زوجها وقتلها انتقاما له

ونعود الى الكلام على علاقة شجرة الدر بزوجها ، عز الدين أيبك ، تلك العلاقة التى بدأت فى جو من الصفاء ، والمحبة ، وانتهت بمأساة أليمة بشعة •

ذلك أن شجرة الدر كانت هى الحاكمة ولم يكن لعز الدين من الأمر الا مظاهره وكان هو راضيا فى البداية ، عن هذه الاوضاع ، مستسلما لسلطانها عليه ، غير أنه مالبث أن سئم تحكمها فيه ، وأخذ يفكر فى مخرج يلوذ به ، فاهتدى الى ان ارتباطه برابطة النسب ببيت من بيوت بنى أيوب فى الشام سوف يؤدى الى توطيد مركزه فى السلطنة ، والى امكان تنحية زوجته ، وتخليها عن السلطات التى تباشرها فى شئونه ، وشئون الدولة ، فاتصل ببدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل وخطب اليه ابنته ، وقبل بدر الدين ، وتجهزت العروس للرحيل الى مصر •

وعلمت شجرة الدر بهذه الخطبة فخشيت مغبتها ، وماسوف يترتب عليها من نتائج وقدرت أنها سوف تنبذ ، ويحال بينها وبين سلطاتها ، كما ثارت فى نفسها عوامل الغيرة النسوية الجامحة ، وأخذت تفكر ، متأثرة بما انتابها من هواجس ، وشجون ، فى الخلاص من زوجها ، فقتلته

واختلفت الروايات فى الوسيلة التى اتبعت فى قتله •

قيل أنها اتفقت مع بعض جواريها فدخلن عليه فى الحمام وهو يغتسل ، وأخذن يضربنه بالقباقيب ، ويمسكن بمقتل فى جسمه ، حتى مات ، ولم تشفع لديهن استغاثته ، أو استرحامه اياهن •

وقيل بل أنها اتفقت مع بعض مماليكها من الرجال فدخلوا عليه فى الحمام وقتلوه وانه استنجد بشجرة الدر فوجدت نفسها واقعة تحت عوامل الاشفاق عليه ، والرحمة به ، وأرادت أن تنقذه ، ولكن لقد أبى هؤلاء المماليك الا أن يجهزوا عليه ،خشية انتقامه منها ومنهم ان بقى حيا • ولما أن تم لهم ما أرادوا حملته هى الى مخدعها ، مبقية اياه الى صباح اليوم التالى ، حيث اكتشفت الجريمة ، وعرفت أسبابها وملابساتها •

وهب مماليك أيبك ، بزعامة قطز ، الانتقام منها ومن شركائها ، ولكن المماليك البحرية حالوا بينهم ومايريدون، على انهم استطاعوا فى النهاية ، أن يظفروا بها ويقتلوها ، وقيل أنهم رموا بها خارج القصر غير مستورة ، الى أن دفنت فى قبرها الذى كانت قد أعدته لنفسها من قبل بجوار ضريح السيدة نفيسة ، رضى الله عنها •

وكانت قبل مقتلها قد جمعت مجوهراتها وصحنتها فى هاون ففتتها تفتيتا حتى لاتستولى ضرتها عليها ، وتنتفع بها •

وهكذا اختتمت تلك الحياة ، التى كانت يوما مليئة بالبهجة ، والسعادة ، حافلة بضروب المتعة ، وأسباب الاستمتاع ، بمأساة مروعة ، يعز أن يكون لها ، فى تاريخ شهيرات النساء المسلمات نظير أو شبيه •

وهكذا ، أيضا ، سجل التاريخ عظمة شجرة الدر ، وتحدث عن مفاخرها ، مما وثب بها من مراتب الجوارى ، والسرايا ومخادع ربات الخدور ، الى سرير الملك ، وعرش السلطنة ، فى دولة كبيرة ، وأمة مجيدة عريقة ، ومما أتاح لها أن تسيطر على مقدرات رجال أفذاذ كانت لهم ، فيما بعد عروش ، وكان لهم فى الحياة باع طويل ، وعمل جليل •

وأنها وان كانت قد ختمت حياتها بمأساة ، بدافع من الغرائز البشرية ، غير أن آثار عظمتها خالدة ، باقية ، ولسوف تبقى • مابقى التاريخ ، وبقيت الحياة •

نرجو من السادة المشتركين سداد اشتراكات المجلة بحوالات بريدية حكومية ، باسم السيد السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ••

فكر وفن

أدب • شعر • القصة
المسرحية • الفن الإسلامي

مأتمة الهيئات

بعد مداولات ومناورات مضنية أصدر مجلس الامن قراره بالاجماع فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بشأن أزمة الشرق الاوسط ، أو بتعبير أدق بشأن العدوان الاسرائيلى الاستعمارى على الدول العربية ، ونص هذا القرار على عدم شرعية احتلال الاراضى بالقوة وعلى وجوب انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها بعد عدوانها فى ٥ يونيو وتسوية مشكلة اللاجئين .

ومضى على هذا القرار الدولى الآن أربعة أشهر ، حضر خلالها مندوب من الامم المتحدة قام برحلات متعددة بين عواصم الاقطار المعنية ، بهدف تنفيذ قرار مجلس الامن ، لكن ماذا كانت النتيجة ؟ لا يزال الوضع كما هو ، لا تزال اسرائيل تصر على استمرار احتلالها للمناطق التى احتلتها بعد العدوان أى منذ عشرة أشهر ، أو ترغم العرب على الدخول فى مفاوضات معها لتملى شروطها ، بل زادت على ذلك فقررت منذ أيام ضم هذه الاراضى التى احتلتها من الجمهورية العربية والاردن وسوريا . وهذا القرار الذى اتخذه مجلس الامن انما توصل اليه بعد مناقشات وبيانات شغلت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتين فى العام الماضى ومنذ ذلك الحين توالت التصريحات من رؤساء ووزراء معظم دول العالم ، تستنكر العدوان، وتطالب اسرائيل بالانسحاب من هذه الاراضى التى اغتصبتها ، وتعلن أن الانسحاب هو الشرط الاول والاساسى لتسوية الازمة فى الشرق الاوسط .

وكانت الجمعية العامة قد اتخذت قرارا مرتين ، بأغلبية ساحقة ، ينص على عدم مشروعية احتلال اسرائيل للقدس العربية، وعلى بطلان الاجراءات التى اتخذتها لضمها . كما صدرت قرارات بوجوب معاملة سكان الاراضى المحتلة معاملة انسانية ، متفقة مع مبادىء ميثاق جنيف. ومنذ قليل أصدرت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة قرارا ، يلزم اسرائيل باعادة أهالى الضفة الغربية الى ارضهم وديارهم ، ثم أصدرت قرارا آخر يطالب اسرائيل بوقف نسف منازل العرب فى القدس والاراضى المحتلة ، وعمليات الأرهاب التى تمارسها ، ويندد بالاساليب النازية التى تتبعها ، والتفرقة العنصرية ، والجرائم التى ترتكبها ضد الانسانية .

والمواثيق الدولية

الدكتور
محمد ضياء الدين الريس

وبجانب هذه القرارات كلها ، فان ميثاق الامم المتحدة الذى وقعته دول العالم ، والذى أصبح هو القانون الدولى القائم المعترف به، ينص على عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة ، وعلى ضمان حدود الدول واستقلالها ، وعلى منع العدوان واستخدام وسائل العنف ، ويعلن حقوق الانسان فى وثيقة تحتفل بها الدول كل عام . لكن هذا كله لا يجدى، ولا أثر له عند (اسرائيل) وكأن هذه القرارات كلها لغو ، ولا قيمة لها . فهى تستمر فى تنفيذ أغراضها كما تريد ، تشن العدوان على الدول العربية مرة بعد أخرى وتوسع حدودها من عام لآخر ، وتدمر وتنسف وتقتل ، وتسلب وتنهب ، وتعامل العرب — سواء الباقين فى داخلها أو الذين تستولى على بلادهم — معاملة همجية لا يقرها قانون ولا خلق ولا دين .

وبهذه الوسائل استطاعت أن توسع حدودها ، فى مدى عشرين عاما منذ اقامتها ، الى اضعاف ما كان أعطى لها فى قرار التقسيم وكانت آخر مراحل التوسع هو احتلالها لهذه المناطق : قطاع غزة وسيناء والضفة الغربية فى الاردن ومرتفعات جولان فى سوريا . وكان تاريخها دائما، منذ وجودها، انها لا تكترث بقرارات الامم المتحدة ، فأهدرت قرارها بشأن عودة اللاجئين وتعويضاتهم ، وانتهكت اتفاقية الهدنة أكثر من مرة ،ولم تعبأ بما أصدره مجلس الأمن من قرارات بادانتها بالعدوان فى اغاراتها المتتالية على غزة وقبية والحولة وطبرية وغيرها ، على الحدود العربية المجاورة ، وهكذا ظل اكثر من مليون عربى لاجىء — وهم شعب فلسطين — يهيمون على وجوههم طيلة العشرين عاما، ثم زادوا فى العدوان الاخير ثلاثمائة الف آخرين .

وها هى ذى بعد هذا العدوان ، وبعد جهود الجمعية العامة ومجلس الامن والهيئات الدولية ، تتحدى هذه الجهود والرأى العام العالمى ، وترفض قرار مجلس الامن الذى يقضى بانسحابها من الاراضى التى احتلتها بعد العدوان .

سلسلة طويلة ممتدة من العدوان ، والتحدى ، وانتهاك القوانين والمواثيق، وعدم الاعتراف بالقرارات الدولية ، مع أن سبب وجودها — ولا سند غيره — هو قرار صدر بضغط أمريكا فى ظروف مريبة ، وبأغلبية صوت واحد ،

من الجمعية العامة ولم يعترف به شعب فلسطين صاحب الشأن ، ولا الدول العربية خصص لها مساحة صغيرة محدودة، تجاوزتها الآن الى أضعافها ، وكان الغرض من اقامتها أن تكون ملجأ يضم شتات اليهود المشرين فى أنحاء الارض ، وليست دولة توسعية عنصرية ، تخرج العرب من اوطانهم لتحل محلهم ، فاذا كانت قرارات الامم المتحدة غير ملزمة ولا قيمة لها ، فهذا القرار الذى كان جائرا ، والذى كان سبب اقامتها ــ ما هو الا مجرد توصية غير ملزمة ، ولا قيمة له ، واذن فليس هناك أى سند لبقائها ووجودها .

ما سبب هذه الاعتداءات ، وما السر فى هذا الوضع الشاذ ، وكيف استطاعت وتستطيع اسرائيل أن ترفض هذه القرارات الدولية ، وتهزأ بالمنظمة العالمية ، وتمزق ميثاق الامم المتحدة ، وتتحدى الرأى العالمى ؟ هل لها من القدرة ما يجعلها تستطيع أن تفعل ذلك ولا يقدر أحد على مجابهتها أو ايقافها عند حدها ؟ كلا . الجواب واضح وقاطع . وهو أنها ما كانت أبدا تستطيع أن تفعل أى شىء من هذا ، أو تقف هذا الموقف، بذاتها، فانها ــ مهما حصلت على أسلحة ــ قوةصغيرة محدودة، وكان يمكن القضاء عليها فى أى وقت ، بل لم يكن من الممكن أن تظهر من البداية ، لولا السر الاكبر ــ وهو ليس سرا وانما هو الحقيقة الواضحة التى يراها كل انسان ــ وهو حماية الاستعمار لها ، ووقوفه الى جانبها أو وراءها . فالاستعمار هو المسئول الاول عن وجودها أولا منذ البدء، ثم عن هذه الاعمال العدوانية ، والتوسع ، والجرائم التى ترتكبها وانتهاك القوانين والمواثيق الدولية الاستعمار أيدها ويؤيدها فى كل هذا العدوان .

فبعد اقامتها أصدرت الدول الاستعمارية تصريحها الثلاثى ، الذى أعلنت فيه تعهدها بضمان **حدود اسرائيل . وظلت منذ** الساعة الأولى تمدها بالاسلحة والاموال ، وتغضى عن اعتداءاتها المتكررة ، ولا تتخذ أى اجراءات عملية لمنعها . بل فى احيان كثيرة كانت هى التى تحرضها ، واشتركت معها دولتان بالفعل فى العدوان الثلاثى . فكانت القوى الاستعمارية دائما ضد العرب . ولو حدث أن أية دولة عربية حاولت أن تدافع عن نفسها بهجوم على ربيبة الاستعمار هذه اسرائيل ، لقامت الدنيا وقعدت ، واظهرت هذه الدول كان السماء انطبقت على الارض ، وتسرع الى انزال العقاب والتنكيل بهذه الدولة العربية التى حاولت ان تدافع عن نفسها . اما اسرائيل فلها ان تفعل ما تشاء ، ولا تجد من هذه الدول الا أن توافقها وتباركها . فطوال هذه العشرين عاما كانت الدول العربية فى موقف الدفاع دائما، وتنتقص أراضيها، أما اسرائيل فكانت المهاجمة والمعتدية باستمرار ، وتكسب المواقع والمغانم من العدوان .

والآن بعد وقوع هذا العدوان الكبير الذى زاد عما سبقه ، واحتلال هذه المناطق الشاسعة، نرى انه قد حدث بعض التحول فى مواقف دول الاستعمار . ففرنسا ــ وهذا راجع الى سياسة رئيسها الحالى ــ وجدت ان اسرائيل جاوزت كل حد ، وانه حان الوقت للتوقف عن التأييد المستمر فى كل أعمالها، فأدانتها بالعدوان وطالبتها بالانسحاب كاجراء مسبق لحل الازمة ، وكان هذا موقفا تاريخيا. وبريطانيا أيضا خفضت من غلوائها فى تأييد اسرائيل ، فاعترضت على بعض قراراتها ، كما فى مسألة القدس والتوسع بضم أراض بالقوة ، وكانت هى التى قدمت المشروع الاخير الذى وافق عليه مجلس الامن . .

فلم يبق فى الواقع من يمثل الاستعمار غير أمريكا . فهى القوة الوحيدة الباقية الآن ، التى تولى اسرائيل تأييدها المطلق بدون حدود ، وتقف وراءها تسندها وتشجعها وتباركها فى كل أفعالها، بل هى التى اعطت ــ وتعطى ــ اسرائيل الاسلحة والاموال ، لتتمكن من شن العدوان ، والتمادى فيه ، واستمرار اغتصابها للاراضى العربية . ولا يهم أمريكا ما تقترفه اسرائيل من جرائم وحشية ، فاقت فى هولها جرائم النازيين التى استنكرها العالم. فهذا العدوان الذى حدث يوم ٥ يونيو ماكان ليقع ، لولا أن اشتركت أمريكا فى تدبيره من قبل ، وزودت اسرائيل بأكبر كميات من الاسلحة ، وأمدتها بالمعلومات ، ثم بعد أن وقع ، ألقت أمريكا بكل ثقلها وضغطها لتمنع الهيئات الدولية من اتخاذ

قرار ، يدين اسرائيل بالعدوان ؟ أو يلزمهـا بالانسحاب بنص صريح .

ومع انها اشتركت فى الموافقة على قرار مجلس الامن الاخير ، الا انه لم يبد منهـا ما يدل على أنها تريد أن يحترم هذا القرار . واسرائيل فى هذه الاثناء مستمرة فى احتلالها الاراضى، وفى اجراءاتها التعسفية غير القانونية ، ونسف الدور ، واخراج الزعماء ، وقتل شباب العرب ، وفى تحديها للامم المتحدة ، ورفض كل قراراتهـا بل استهزائهـا بها ، وكل هذا وأمريكا راضيـة بل مغتبطـة ومؤيدة ، وتعلن بصراحة انهـا ستواصل اعطـاء اسرائيل كل ما تحتاجه ، من أسلحة حديثة ، أى لتواصل العدوان والاحتلال ، والتمادى فى الجرائم، والاستهانة بالمنظمة الدولية وقراراتها .

ومن الواضح جدا ـ بل هـو بديهى ـ أن أمريكا لو شاءت أن تمنع هـذا كله ، وتنهى اسرائيل عن العـدوان ، وتأمرهـا بالكف والانسحاب ، وانهاء الازمة التى خلقتها ـ لاستطـاعت ذلك بكل سهولة ، وما أمكن لاسرائيل أن تخالفها ، فهى مصدر وجودهـا وولى أمرها ونعمتها ، بل انمـا اسرائيل تحارب باسلحتها وتعيش بأموالها ، ولم يعـد لاسرائيل فى فى العالم سند آخر قوى غيرها . وأمامنا مثل ، صار احدى حقائق تاريخنا المعاصر ، وهو ما حدث فى أثناء العدوان الثلاثى ، اذ أعلن رئيس أمريكا الاسبق « أيزنهاور » عدم موافقته على مشروع اسرائيل فى العدوان ، ثم استنكر ما قامت به من العدوان بعد ذلك ، وأمرها بأن تنسحب من سيناء ؟ فأصاخت ورضخت على الرغم من ارادتها . وهـذا موقف ـ مهما كانت البواعث عليـه ـ حفظه التـاريخ للرئيس الاسبق « أيزنهاور » وأثنى عليه بسببه.

وغريب أن أمريكا التى وقفت حينذاك موقفا معتدلا ، بالنسبة للدول التى اشتركت فى العدوان، قد قلبت الآن موقفها رأسا على عقب . فهى الآن الاشد حماسا واخلاصا ، بل بلغ بها الحماس والغلو فيه الى درجة ، ما كانت تجول بخاطر أحد ـ وذلك بفضل سياسة رئيسها الحالى المستر « جونسون » ـ فقد وصلت الى درجة أنهـا ـ فى سبيل ارضـاء اسرائيل ـ تسمح لها بانتهاك كل المواثيق الدولية وحقوق الانسان، لا ، بل تشجعها وتشترك معهـا فى العدوان، وبحيث أنها أصبحت لا تدرك ما سيصيب مصالحهـا فى البلاد العربية ـ وهى كثيرة وهامة ـ من ضرر ، ولا تبـالى أيضا بسمعتها التى انحطت الى أدنى درك ، فهدمت بسياستهـا هذه كل ما جهدت الجامعات التى أنشأتهـا فى الشرق الاوسط ، والوفـود التى أرسلتهـا ، ومؤسساتها الثقافية ـ ما جهدت أن تنشره بين العـرب من دعاية لها . فلم تعد أمريكا الآن فى نظر الامة العربية وكذلك فى نظر أكثر شعوب العالم ، الا دولة امبريالية استعمارية ، وقـوة غاشـمة متأخرة ، لا تكترث بالقوانين ولا بمبادىء الاخـلاق ،التى سعت المدنية لاحترامها والالتزام بها .

والآن ما هو الحـل فى نظر أمريكا ، الدولة الغنية القـوية ؟ ان كان ميثـاق الامم المتحدة ، وقرارات الجمعيـة العـامة ، ومجلس الامن ، ولجنة حقـوق الانسان ـ لا تنفذ ولا قيمة لها ، فماذا يبقى اذن ؟. لا يبقى الا أن تكون القوة هى الحق ، وان يكون الحق للقوة ، أى شريعة الغاب. وهـذا هو المنهج الذى تسلكه اسرائيل ، وهو المبدأ الذى سارت عليه منذ اقامهـا المستعمرون . والذى يبـدو أن أمريكا ـ حتى الآن ـ تؤيدها فى هذا المذهب فماذا ستكون نتائج ذلك ، وماذا سيكون مصير السلام فى الشرق الاوسط وفى العالم ؟.

ان الدول العربية لا يمكن أن تسكت على الاراضى التى انتزعت منها بالعـدوان ، فان لم يتسن اجلاء الغاصب عنهـا بالطرق القانونية ، فلا بد من اجلائه عنها بالقوة . وهذه تكون حينئذ حربا مقدسةلتحرير الوطن والانتصاف للكرامة والشرف . فالمعتـدون بعنادهم ، ومن يساندونهم ، انما يعمـلون اذن من أجـل الحرب وعليهم تقع كل المسئولية فى ذلك، **وهم بذلك يريدون تفاقم الازمة ، وأن يقودوا العالم الى الهاوية . مهمـا يكن من أمر ، فان العرب مصممون على تحرير كل أراضيهم، ما انتهب منهـا بعد العـدوان أو قبله . والعرب ـ اذا اقتضى الامر ودعـا داعى الـواجب والشرف ـ هم رجال نضـال وحرب ، وقد عرفهم التاريخ فى كل أدواره أبطالا مجاهدين ، طالما ردوا الاعداء الذين أغاروا عليهم وقهروهم . وقـد أقسموا الآن على أن يواصلوا الجهـاد حتى النصر ، وهم واثقـون بأن الله القوى القادر الذى يقهر أعتى الاقوياء ، ويؤيد الحق والعدل لا بد ناصرهم ومؤيدهم . وأن الله تعالى لا يحب المعتدين ولا الظالمين . وسيعلم الذين ظلـموا أى منقلب ينقلبون . والله أكبر .**

قبل أن أتحدث عن القوى الثلاث فى الاسلام أحب أن أبين أن لهذه القوى الثلاث قاعدة تنطلق منها ، تلك هى النفس البشرية ، ومن هنا يحرص الاسلام على أن تكون هذه القاعدة واضحة المعالم ، مشرقة المسالك ، ذلك لأن النفس البشرية تموج بشتى الغرائز . فى بحر لجى من الشهوات العارمة والرغبات الصارخة ، والايمان بالله ، والانقيـــاد للاسلام يتطلبان حربا عنيفة لا هوادة فيها ضد تلك الغرائز ، وضد تلك الشـهوات ، فاذا ما انتصر المسلم فى ميدان نفسه ، ومجال طبيعته أصبح قوى الجـانب ، عزيز النفس ، صـلب الارادة ، والمجتمع الذى يضم أمثال هذا المسلم مجتمع قوى يسير نحو العزة والكرامة ، نحو الشرف والمجد ، نحو الحياة والخلود .

مـاأخـذ بـالقـوّة لايـُـرد إلابالقوّة

القـوى الثلاث

الدكتور عبد العال سالم على مكرم

أما هذه القوى الثلاث فانها تتمثل فى : قـوة المبدأ ، وقوة التضحية ، وقوة الاتحاد .

١ – وقوة المبدأ فى نظر الاسلام أساســها أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأن الايمــان بالله فوق كل اعتبار ، وبذلك لانرى الدنيا فى مجال الايمـان الا مجردة من كل قيمها الزائفة ، وبريقها الخلاب ، واذا تجردت الدنيــا من معانيها التى يفتتن بها الناس ، أصبحت عارية كأنها جيفة وطلابها كلاب ، لهذا كان شعار المؤمنين ازاءها : ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » .

واذا تقررت هذه الحقيقة فى نفس المسلم زاد ايمانه بمبادئه ، لايسيطر على عقله هوى ولا يستبد بنفسه مرض ، لأن الرؤيا أمامه واضحة لاتحتاج الى دليل أو برهان .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألب عليـه الشرك ، ويقف فى وجهه الطغيان ، ويلقى من قومه ما يلقى عنتا وايذاء ، سخرية واستهزاء . كل ذلك ليتخلى عن مبادئه ، فلم يفلحوا .

وتعرض عليه الدنيا بزينتها الخلابة ، وذهبهـا البراق ، وجاهها ، وشرفها ، ومجدها ، وسلطانها واذا بهذا كله أمام قوة المبدأ كرماد اشـتدت به الريح فى يوم عاصف ، قوة المبدأ التى لبست شعار العزة « والله لو وضـعوا الشـمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

انه طريق واحد لاينحرف ولا يميل ، رسـمه الاسلام لأتباعه ، حقق السير فيه محمد عليـه السلام فى قوة خلاقة تعبد الطريق لتزيل الصخور وتتضح المعالم .

نعم ، لقد علم محمد عليه السلام بسلوكه ، واستمساكه بالحق ، وصموده أمام الباطل ، علم أصحابه كيف تمتزج قوة المبدأ بمشاعرهم ووجدانهم ، بضمائرهم واحساسهم ، لايبالون بقوة ، ولا يحفلون بطغيان ، ألم يهزأ بلال بمشركى قريش ، وهم العتاة الصناديد ، وهو العبد الأسود ؟

لقد قالها كلمة رنت فى جوانب الدنيا أصداؤها وضربات السياط تلهب ظهره : أحد ، أحد ، أحد ، ألم يقف أبو بكر وحده بعد أن ارتدت معظم القبائل ليعلن القتال فى بسالة نفس ، وشجاعة قلب ، وقوة ايمان ، وشعاره : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال . والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه

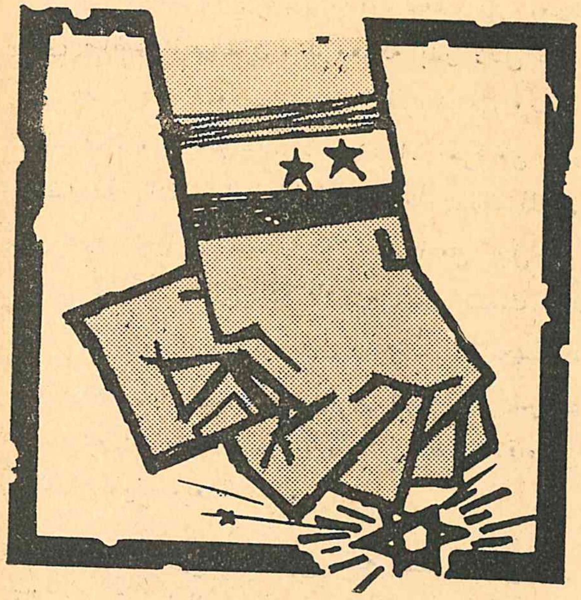

فى الاسلام

وهكذا يعلمنا الاسلام أن نكون أقوياء المبادىء لانضطرب من شىء ، وكيف نضطرب ومعنا الاستقرار ؟ ولا نخاف من شىء . وكيف نخاف ومعنا الطمأنينة ؟ ولا نخشى مخلوقا . وكيف نخشى ومعنا الله ؟

الا فلتعلم اسرائيل ان هذه الأمة العربية المسلمة لاتعرف الهزيمة ، ولا ترضى بالاستسلام . وكيف تعرف الهزيمة وتاريخهم الطويل يفيض بالانتصارات الرائعة ، وكيف ترضى بالاستسلام وأبناؤها أتباع محمد الذى وقف فى وجه الشرك المسلح ، وهو الاعزل من كل سلاح مادى الا سلاح الايمان ، الا سلاح المبدأ ، الا سلاح العقيدة ، ثم تهاوت أسلحة الشرك أمام قوة الايمان ولنا فى نبينا أسوة حسنة لاننحرف ، ولا نتراجع ، ولا نضعف ، فارحلى قبل أن تدور عليك الدائرة ، وحينئذ تعضين بنان الندم .

٢ - والاسلام قوة فى التضحية : والتضحية ثمرة الجهاد ، والجهاد سنام الاسلام وذروته فمن أجل الله ، ومن أجل الحق ، ومن أجل القيم ، ومن أجل الوطن ، ومن أجل الكرامة والحرية والشرف أمرنا الله أن نعد أنفسنا اعدادا كاملا لنرهب عدو الله وعدونا « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

واذا ما حمى الوطيس ، واشتدت المعركة ، فلا فرار ولا جبن ، ولا خور ولا ضعف ، ولا ذلة ولا استسلام ، فليس أمام المسلم فى هذا المجال الا أن يقاتل فى ضراوة وعنف ليتوج قتاله باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ومن ثم توعد الاسلام هؤلاء الذين يولون الادبار . توعدهم بالعذاب الشديد ، غضب الله ، وسوء المصير « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة

فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

ولو تصفحنا التاريخ الاسلامى لنقف على المعارك التى خاضها المسلمون منذ معركة بدر لأطل علينا من خلال هذه المعارك الانتصار الرائد فى وضوح واشراق ، ولم يكن هذا الانتصار الا ثمرة من ثمار التضحية بالنفس أو بالمال ، بكل ما يمتلك المسلم فى هذه الحياة ، يضحى به رخيصا من أجل هذا الدين ، وكانت الشهادة التاج الذى يبحث عنه بعد أن يؤدى ثمنه من القتل والقتال ، والجهاد والاستبسال ، بل انه فى سبيل ذلك يتلقى ضربات السيوف فى لذة ونشوة كأنها قبل أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه .

يحدثنا التاريخ أن النبى عليه السلام فى بدر قال : « قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فقال عمير بن الحمام : بخ بخ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تبخبخ ؟ فقال : رجاء أن أكون من أهلها ، فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ، ثم قال : والله ان بقيت حتى آكل تمراتى هذه ، انها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول :

ركضنا الى الله بغير زاد
الا التقى ، وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل .

وعلى هذا النهج نرى حارثة الصحابى الجليل يحلم بالجنة ، ويتمنى أن يخوض غمرات القتال من أجلها ، لأنه أدرك بحسه المرهف ، وايمانه العميق أن قمة السعادة ، تتمثل فى الشهادة ليفوز برضوان الله .. يحدثنا فى ذلك أنس رضى الله عنه ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى اذ استقبله شاب من الأنصار ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقا ، فقال له : انظر ما تقول : فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال يا رسول الله : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، فكأنى بعرش ربى بارزا ، وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها ؟ وكأنى أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها ؟ فقال له النبى عليه السلام : أبصرت فالزم . عبد نور الله الايمان فى قلبه .

ولكن حارثة مع هذه البشرى التى بشره بها النبى بشرى المعرفة ، والوصول الى الحقيقة لم تقنع نفسه بما وصل اليه ، لأنه طريق لغاية ، ومقدمة لنتيجة ، لهذا طلب من النبى عليه السلام أن يدعو له بالشهادة ، فقتل يوم بدر شهيدا ، فجاءت أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت يارسول الله : قد علمت منزلة حارثة منى ، فان يكن فى الجنة أصبر ، وان لم يكن فى الجنة ترى ما أصنع ؟ فقال النبى عليه السلام : أوهبلت؟ أجنة هى ؟ انها جنان ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك ، وتقول بخ بخ يا حارثة .

وها هو ذا خالد بن الوليد، سيف الله المسلول، والقائد الملهم ، والجندى الشجاع ، والبطل المقدام خاض المعارك فى سبيل الله ، وشهد المواقع التى تشيب لها الولدان – كانت أمنيته الغالية أن يظفر بالشهادة ، ولكنه لم يقدر له ذلك رغم تعرضه للموت مئات المرات ، وهنا يملأ قلبه الحزن ويستولى على نفسه الأسى ، فيقول فى أسف مؤلم « لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى وما من عمل شىء أرجى عندى بعد أن لا اله الا الله من ليلة بتها ، وأنا متترس ، والسماء تهطلنى بمطر الى صبح حتى نغير على الكفار . ثم قال : اذا أنا مت فانظروا فى ملابسى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله .

لهذا أستطيع أن أقول : ان هؤلاء الرجال الذين تعلموا فى مدرسة محمد عليه السلام قوة المبادىء وقوة التضحية ، من أجلها استطاعوا أن يسيطروا على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية من المحيط الى الخليج ، وقد أثارت بطولة أبناء هذه المدرسة المحمدية شاعرية أبى دلف الخزرجى فقال :

أفنحن الناس الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصين الى مصر
الى طنجة بل في كل أرض خيلنا تسري
لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر

ويعجب الانسان كل العجب أنه على الرغم من هذه الانتصارات الهائلة ، وعلى الرغم من قوة الباطل الذى دمغوه ، وعلى الرغم من المعارك العديدة التى فتحوا بسببها البلاد ، ودكوا المعاقل ، وهدموا الحصون – أقول على الرغم من ذلك لم يؤثر عنهم على مدى تاريخهم الطويل ، أنهم غدروا أو خانوا أو مثلوا بالقتلى أو اعتدوا على الضعفاء ، أو تعرضوا للنساء والاطفال ، بل كان شعارهم فى حروبهم التى خاضوها « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله » وبهذا الشعار اذا سلوا السيف سلوه بقانون ، واذا أغمدوه أغمدوه بقانون .

ويعجبني فى هذا المقام حديث « بنيامين » البطريق الأعظم للقبط عندما منح العرب مصر قال البطريق : « كنت فى بلدى ، وهو الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف ، واطمئنانا بعد البلاء وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة « الروم » وبأسهم وقد فرح القبط كما يفرح الأسخال ، اذا ما حلت لهم قيودهم ، وأطلقوا ليرتشفوا من لبان أمهاتهم »

وأبلغ من هذا الحديث حديث القائد الأعلى لحصن « بابليون » ، يتعجب هذا القائد ، كيف يفتح العرب مصر وغيرها فى أيام قليلة . ويقول : « ماذا فعل أريطون » ؟ (قائد من كبار قواد الروم) وماذا فعل « تيودور » (القائد العام لجنود الروم فى مصر)

لقد شهد حرب هؤلاء – أعنى العرب – فى مواطن كثيرة ، انهم يخرجون اليك كأنهم سراب الصحراء ، لاندرى من أين جاءوا ثم نراهم ينصرفون عنك حتى لانسمع عنهم شيئا كأنهم غاصوا فى رمال الصحراء ، ثم مايلبثون أن يعودوا اليك ، وأنت لاتتوقع عودتهم كأنهم أشباح لاتعوقهم مادة هذه الأرض »

لاتعجب أيها القائد ، انهم جنود الحق ، وتلاميذ محمد ، ورسل الهداية الى العالم . وان العرب فى معركتهم المقدسة ضد اسرئيل سيستلهمون هذه المثل ، ويصلون حاضرهم بماضيهم ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله .

قرابتهم قرابة الروح للروح ، والقلب للقلب ، على اختلاف أقطارهم ، وتباعد ديارهم اخوة ، .. ما دام الاسلام أبا لهذه الأمة ، فلا بد أن يعتصم الأبناء بحبله لأن فى هذا الاعتصام عزة «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » لأن التفرقة اذا أصابت شعبا جعلته كالرميم ، لايرجى له حياة ، يرمى بالذلة ولا يحس ، وتداس كرامته ولا يشعر ويساق الى الهوان ولا يثور .

بمقتضى هذه الوحدة بين أبناء الأمة ، وحدة العقيدة ، ووحدة الوجدان ، ووحدة المشاعر تستطيع الأمة اذا حزبها أمر ، أو ألم بها خطب ، أو انتابتها أزمة أن تتماسك لاعادة البناء ، وازالة آثار العدوان .

وبعد ، فقد علمنا التاريخ أن العرب حينما يواجهون عدوا مشتركا ، ينسون أنفسهم ويكونون كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . وفى مؤتمر الخرطوم ، وغيره ما يجعلنا على ثقة بأن النصر آت ، ويسألونك متى هو ، قل عسى أن يكون قريبا .

حكم منثورة

غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . فاقة الكريم أحسن من غنى اللئيم . قل الحق وان كان عليك . كيف يهدى غيره من يضل نفسه . كن للمظلوم عونا وللظالم خصما . كل علم لا يؤيده عقل مضلة ، وكل عز لا يؤيده دين مذلة . مرارة الدنيا حلاوة الآخرة . هلك من ادعى وخاب من افترى . هموم المرء بقدر هممه . الاحسان يستر الانسان . تعرف حماقة الرجل فى اثنين : كلامه فيما لا يعنيه ، وجوابه عما لا يسأل عنه . رأس الايمان الصدق ، ورأس الحكمة لزوم الحق . شكر المنافق لا يتجاوز لسانه . شر الناس من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره . صديقك من نهاك ، وعدوك من اغراك .

تصرفاتنا بين الدين والعادات

فضيلة الشيخ
ابو الوفا المراغى

ليست العادة فى حاجة الى تعريف فهى من الوضوح بحيث يفهمها الكبير والصغير ، ولكن قد يعيى التعبير عنها بعض الناس ويمكن تعريفها بأنها العمل المتكرر سواء من الافراد أم من الجماعات وهى من لوازم الجماعات البشرية ، فلكل فرد ولكل جماعة عادات طبيعية واجتماعية تولد معها أو تنشأ بينها ثم يتوارثها خالفها عن سالفها ، وبحكم استقرارها فى الجماعة والفها اياها تستعصى على التغيير ، وان استجابت له استجابت فى بطء وعسر ، وموقف الدين منها أن يقر ما فيه الخير وينسخ ما يستبين فيه الشر .

والدين بمعناه العام : هو القواعد أو الاحكام المقدسة بين الجماعات ، فان استمدت قداستها من السماء بالوحى كانت أديانا سماوية ، وان استمدتها من شخصية بشرية مرموقة بين جماعة من الجماعات أو أمة من الامم كانت أديانا وضعية .

والدين بمعناه الاسلامى الخاص : هو ما أوحى به الله الى الناس لهدايتهم فى سلوكهم وفى تفكيرهم وفى علاقتهم بربهم وعلاقة بعضهم ببعض ويجب الايمان به والطاعة له .

والاديان السماوية يكمل بعضها بعضا فلا تتناقض ولا تتدافع لان هدفها واحد وغايتها واحدة وهى اسعاد الجماعة بتنظيم شئونها وتنسيق علاقاتها، قال تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وقال تعالى :

« وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » .

والدين والعادات يحكمان تصرفات الناس وأعمالهم ، وكل ما تناوله الدين بالحكم من التصرفات والاعمال فأمره معروف ورأى الدين فيه هو القول الفصل، لا مجال فيه لآراء الناس واختلافاتهم ما داموا مؤمنين به مهتدين بهديه سالكين طريقه ، ومن حق الايمان به الوقوف عند حدوده أمرا أو نهيا ، عملا أو تركا .

ومن رحمة الله بعباده أنه تناول بالاحكام القاطعة تصرفاتهم الهامة التى يقوم عليها نظام حياتهم ، ويستقر على أساسها معاشهم ، فتناول المهم من المعاملات المالية كالبيع والربا والميراث ، والمهم من احكام الاسرة كالزواج والطلاق ورعاية الصغير ، والمهم من أحكام الدماء كالقصاص فى القتل والجراحات .

وما لم يتناوله الدين من التصرفات والاعمال فأمره مفوض الى الناس يتصرفون فيه كيفما شاءوا ما لم يفض تصرفهم الى ضرر بالافراد أو الجماعات فحينئذ يتدخل الدين لدفع ما فيه من الاذى . يقول الاستاذ محمد عبده : « فأما تفصيل طرق المعيشة والحذق فى وجوه الكسب وتطاول شهوات العقل الى درك ما أعد للوصول اليه من أسرار العلم فذلك مما لا دخل للرسالات فيه الا من وجه العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه ، وان شرط ذلك ألا يحدث ريبا فى الاعتقاد .. والا ينال شىء من تلك الاعمال أحدا من الناس بشر فى نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ما حدد فى شريعتها » .

وعلى ضوء ما ذكرنا ينبغى أن ننظر فى تصرفات الناس وأعمالهم ما يجرى منها الآن وما يستجد بعد ذلك فنقول : **كل ما تناوله الدين منها فينبغى أن يقوم بمعيار الدين ويوزن بميزانه، وما لم يتناوله فهو فى نطاق المباحات ومحيط العادات ..**

واذا أخذنا بهذا النظر اقتصدنا فى اطلاق الاحكام ، وارتفع من بيننا كثير من الخلاف فيما يقع من التصرفات ويستجد من الاحداث ، وما أكثر ما يستجد فى هذا العصر فى مختلف نواحى الحياة الاقتصادية والصحية والاجتماعية ، مما لم يكن له نظير مستبين النفع ، فلم يشهد العالم من قبل فكرة تنظيم النسل ، أو زرع أعضاء الجسم ، أو محاولات غزو الفضاء ، أو التقاط الاسرار بأجهزة التجسس ونحو ذلك مما يتمخض عنه التقدم الفكرى ، ولا شك أن الحكم فى التصرفات المستجدة النافعة هو الجواز ، وقد يسمو الى مرتبة الوجوب ، وان الحكم فى التصرفات المستحدثة الضارة هو الخطر على اختلاف درجاته من الحرمة أو الكراهية .

على انه قد تختلف وجهات النظر فى ترجيح جهة المنفعة أو المضرة فتختلف لذلك اجتهادات العلماء ، وتتباين أحكامهم ..

أما التصرفات التى سكت عنها الدين مما يجرى فى حياة الناس ولا يستبين فيها وجه الضرر فهى من قبيل العادات المباحة ، وقد روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((ما أحل فى كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، وان الله لم يكن ينسى شيئا وتلا قوله تعالى : ((وما كان ربك نسيا)) .

فاذا حاول بعض الناس أن ينسبها الى الدين ويلصقها به ويصفها بالبدعة ويحكم عليها بالحرمة أو الكراهية كان مخطئا وخالطا ، لان التصرف الذى يصح وصفه بالبدعة ويحكم على صاحبه بالابتداع هو التصرف الذى يمارسه صاحبه على انه شرع وقربة يتقرب بها الى الله ويقصد به المبالغة فى التعبد ، أى أن التصرف الذى يوصف بالبدعة هو ما يتصل بالعبادات ويدخله فاعله فى نطاق القربات اذ لا شك أن العبادات قد استقرت وتحددت بالشرع ، فلا يجوز الزيادة عليها ولا التفريط فى شىء منها **((فالابتداع فى الدين انما يكون فيما تعبدنا الله به من عقيدة أو عبادة أو حل أو حرمة)) .**

وقد يعرض للتصرفات المباحة ما يلحقها بالتصرفات التى قرر **الدين فيها أحكاما خاصة فتأخذ** ما قرره الدين فى أمثالها من الاحكام .

وعلى هذا لو استعرضنا كثيرا مما استحدث من تصرفات لوجدنا أغلبها مما تناولته أقلام العلماء ووصفوه بالبدعة لا حرج فيه لانه مستحدث لا قصد فيه للعبادة ولا يزعم صاحبه أنه من الدين . ومن أمثلة ذلك : الاحتفال بالمولد النبوى وبالسنة الهجرية أو الميلادية أو موالد العظماء ، أو بعيد شم النسيم ، أو الاعياد القومية ، أو اقامة السرادقات للعزاء، أو احياء ذكرى الاربعينيات أو السنوات للاموات ، وقراءة الفاتحة كوعد بالزواج وتقديم شبكة العروس اعرابا عن الرضا والقبول، ونحو ذلك من التصرفات التى لا حصر لها وتختلف فيها أمة عن أمة ،وبلدة عن بلدة ، وطائفة عن طائفة . فذلك كله من التصرفات العادية التى لم يتناولها الدين ولم يقرر لجزئياتها أحكاما خاصة فجرت مجرى الامور الدنيوية التى لا يصح وصفها بالابتداع .

قال بعض العلماء : ((الابتداع فى الدين : هو الابتداع الذى يغتصب به المبتدع حق الله فى تشريع هو لله وحده، هو الابتداع الذى يضع المبتدع نفسه موضع من يرى أن العبادات أو العقائد التى رسمها الله ليتقرب بها العباد اليه ناقصة أو فاسدة فأكملها أو أصلحها بابتداعه أو موضع من يرى أنه الرسول الذى اصطفاه الله لتبليغ دينه قد قصر فيما أمر بتبليغه وحجز عن عباد الله بعض ما يقربهم اليه)) .

وجملة ما نريد أن نقوله أن تصرف الانسان فيما لم ينص الدين على حكمه لا يوصف بالبدعة الا اذا اتصل بما تعبدنا الله به وادعى صاحبه أنه من الدين ، أما تصرفه العادى الدنيوى فلا حرج فيه الا ان يلحق أضرارا بالآخرين فيحظر حينئذ لما فيه من الضرر .

القرآن

حجر الأساس

فى بناء الفكر الاسلامى والثقافة العربية

الأستاذ
أنور الجندى

يتمثل أثر القرآن فى الفكر الاسلامى والثقافة العربية فى عديد من المواضـــع والمواقف والآثار :

١ - ففى مجال الأدب نرى أن أدب العرب قبل نزول القرآن كان قائما على الشعر والخطابه وكان أغلب الشعر فى الغزل والمديح والخمر ووصف الخيل والابل والسيف ..

فلما نزل القرآن اعطى الأدب « طاقة جديدة » ارتقى بهـا ، وتفتحت من ثم أمامه مجـالات جديدة للقـول ، وآفاق جديد للبيان ..

وكما أثرت اللغـه العربية فى وحدات عالم الاسلام وسيطرت على لغاتهـا ، أثر الأدب العربى بطابعه الاسلامى فى آداب اللغات الأخرى .

وكان للقرآن أثره فى التراكيب والأساليب ، فقد كانت لغـة الأعراب قبله خشنة الألفاظ .. بدوية الأســاليب ، فلم يلبث القــرآن أن استصفى هــذه الأساليب ومنحها الرقة فى الاداء والسمو فى المضمون .

كما كان للقرآن أثر كبير فى ألسنة الشعراء ونظمهـم ، وفى بيان الكتاب وأساليبهم ، اذ ألان القرآن القلوب ورققها ، وأعطى هذه النفوس مفاهيـم الخلق والطهر والفضـيلة ، فاكتست مناهج النثر والأدب طابعا جديدا

ومن ثم توافقت معانى الأدباء مع مناهج القرآن ، وكثر اقتباسهـم منه ، وطبعت كلماته وأساليبـه بيانهم ، فمال الى الســهوله .. والسلاسـه .. مع بقاء المتـانة والقوة ، ولم تلبث اللغة العربية والأدب العربى أن اتسما بعذوبة اللفظ ورقة الأســاليب ودقة التراكيب ، وانطوت الألفـاظ الجافة والأساليب المعقدة ، كما اتسعت دائرة اللغة باستحداث الألفاظ والمصطلحات الفكريه .

وبدأت علوم النحـو والصرف والاشتقاق والمعانى والبديع .. والبيان وعلوم اللغـة والأدب .. والحديث والتفسير.. والاصول والفقه .

وقد نقــل القرآن النثر من الجمل المسجوعـة المفككة (التى كان يطلق عليها سجع الكهان) ، والتى كانت قبل الاســلام ، الى تلك الصور الأنيقة التى تتمثـل فى أحاديث رسول الله وخطبه ، وكتبه .. وفى خطب الصحابة والتابعين ورسائلهم .

ومن ثم انفتـح أمام النثر العربى أفق ضخم فى مجـال الشريعة والفقه والعقائد والتاريخ والاجتماع والسياسة والجـدل واستحدثت ألفــاظ وتراكيب وموضوعات لم يكن يعرفها العرب

٢ - وفى مجال العلم يبدو أثر القرآن واضحا وحافلا ، ذلك أن أبرز ما كان للقـرآن من أثر

في الفكر العربي الاسلامي هو دعوته الى العقل والعلم « فبسبب من حض القرآن أتباعه على ابتغاء المعرفة وتنمية المدارك ولد في أتباعه روح البحث وحب الاستطلاع والتقصي الحر ، وهي الروح التي نتج عنها عصر الاكتشافات العلمية والبحث العلمي اللذين وضعا العالم الاسلامي في قمة شموخه الحضاري ، تلك الحضارة التي احتضنها القرآن ورعاها ، حتى تغلغلت بطرق متعددة في عقل أوربا في القرون الوسطى، وكان من ثمراتها الحضارة على الصورة التي نسميها عصر النهضة » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان « القرآن » مصدر دراسات الفكر الاسلامي والثقافة العربية ومرجعها .. فقد تولدت من القرآن ألوان من العلوم والمعارف والثقافات .. وتوالت النظرات الفلسفية والعلمية .. والاقتصادية .. والاجتماعية .. وما من علم الا وقد نظر أهله في القرآن وأخذوا منه مادة علمهم ، أو مادة الحياة له ، وكان القرآن مصدر نشأة العلوم العقلية والنقلية وعامل تطورها .

وقد كانت آيات القرآن دافعة الى البحث والعلم ، هذا البحث الذى تمثل في بناء الفكر الاسلامي للمنهج التجريبي ، الذى عدد أساسا من مفهوم آية القرآن :

« سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ..

وقد وردت كلمة العلم ومشتقاتها في القرآن ٧٧٨ مرة ، وقد حمل القرآن الدعوة الى التفقه والتذكر والتعقل ، فكانت **أكثر الألفاظ دورانا في القرآن ، حتى ليمكن القول بأن الدعوة الى العقل والعلم ، من أهم الأسس التي أقام عليها القرآن ورسالته العمرانية ودعوته الاجتماعية .**

وقد حض « القرآن » على وجوب النظر في النفس .. والكائنات ، وكان ذلك تحريضا على العلم في أصل التكوين، ومنه توصل العلماء الى معرفة علم الحياة ، وقد دفعت دعوة القرآن علماء الاسلام الى الاستنباط في مجال العلوم ، ودفعتهم الى التماس علوم البشرية مما سبقها فلما وصلت اليها لم تقبلها ، كلا بل فحصتها ونقدتها وأخذت منها ورفضت وأضافت اليها وأنشأت وابتدعت الجديد .. وأعادت صياغة بعضها ، باضافة أجزاء منها الى أجزاء أخرى فاستخرجت منها قواعد جديدة ..

وبفضل القرآن ظهر العلماء : الكندي وابن سينا وابن رشد والفارابي والحسن بن الهيثم ، ومحمد بن موسى الخوارزمي ، ومن المشرعين أبو حنيفة ، والشافعي ومالك وابن حنبل . ومن اللغويين : سيبوبة والخليل والسكاكي والأصمعي .

ولقد كان منهج القرآن في **الوصول الى الحقيقة : وهو المنهج العلمي « وهو المنهج الذى يقتضي الباحث أن يمحو من نفسه كل رأى ، وكل عقيدة سابقة ، وأن يبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم الاستقراء والموازنة والترتيب ، ثم الاستنباط القائم على هذه المقدمات ، فاذا وصل الى نتيجة من وراء ذلك كله ، كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص » .**

وقد حرص القرآن في مجال البحث العلمي الى تجريد النفس مما ألفته من العقائد ، ثم البحث والنظر والملاحظة والموازنة والاستنباط والملاحظة بعد التحرر من الوراثيات والعقائد القديمة ..

٣ ـ القرآن وحرية الفكر » :

وهذا أبرز ما كان للقرآن من أثر « تحرير الفكر واطلاق العقل من اساره ، فقد أعطى القرآن تقديرا بالغا للعقل والعلم . بل ان القرآن لم يدع أى وسيلة تهدف الى تحرير الفكر الا ودعا اليها ، فقد دعا الناس الى البحث عن علل ما تدركه حواسهم من الأحداث ، ليزيد من نشاط العقل ، وليقيم الايمان والتدين على أساس راسخ من اليقين .. والفكر ..

أمام الأحداث

عودة الأزهر

الأستاذ عبد العليم المهدي

قصد القرآن الى دعم قوى العقل وتوجيهها الى أداء وظائفها، وبعثها الى الحركة .. ومزق الحجب التى أقامها على مقومات العقل ، من التفكير الخالص ، والتبصر ، ورفع كل العوائق أمام سبيل العقل الخالص ، فقد دعا القرآن الى تحكيم العقل فى مختلف النوازع النفسية والغايات والمقاصد المتنوعة ، ودعا الى قبول ما يوجبه النظر والفكر ، ويجمع الباحثون على أن حريه الفكر التى دعا اليها القرآن هى من أكبر العوامل التى أنقذت البشرية وأحلت فى الناس مبادىء الاخاء والعدل والمساواة والحرية الاجتماعية .. وكان لهذه الحرية أثرها فى تطوير العلوم والمعارف .

ومزية القرآن أنه لم يفرض عقائده على الناس ، بل جعل الأساس الأول فى قبول دعوته الى الايمان والبحث والنظر ، بل قارع الماديين والدهريين وأرباب الملل والنحل بالبرهان وأقام عليهم الحجج بالدلائل العقلية .

وقد دعا القرآن الى اقامة الدول والممالك على الاصلاح العقلى والانسانى ، ونبذ العقائد المبطلة والتقاليد البالية .. ومحاربة الشهوات النفسية والأثرة الفردية .

« ظهر هذا الدين غريبا وسيعود كما بدأ » .

« انما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها » .

من بين هذين الحديثين الشريفين ، أتحدث عن عودة الأزهر الشريف الى مقعده فى قيادة الدعوة الاسلامية .

فقد استوحى الأستاذ محمد حسن الزيات من ذكرى مضى ١٤ قرنا على بدء نزول القرآن ، وحال العرب والمسلمين اليوم ، مشروعا يهدف الى انشاء **منظمة قيادية فى الأزهر** ، تسن منهجا لرعاية العقيدة وتنميتها فى نفوس شباب العلم ، ثم تقوم على تنفيذ هذا المنهج فى الأسرة ، والمدرسة ، والجامعة .

وان القائد الصالح المصلح جمال عبد الناصر ، قد دعا فى ميثاقه وخطبه ، الى رجوع الأمة الى رحاب الله، وبناء المجتمع على قواعد الدين ، ليجمع بين أسلحة المادة وسلاح الروح ، ويوائم بين نظريات العلم وروحية الدين ، ويبعث فى القلوب الزائغة ، وما مات فيها من فضائل الاسلام ، ومناقب العروبة ، ليعود مجتمعنا كما كان فى صدر الدعوة ، **حيا بالجهاد ، قويا بالصبر ، نقيا بالفطرة ، متآلفا بالحب ، متضامنا بالمروءة، متعاملا بالتقوى .**

ويضيف الأستاذ الزيات الى ذلك قوله :

لقد قطعت التربية المادية بين النفوس وذلك الينبوع الالهى ، الذى يفيض على الموات فيحيا ، وعلى الجديب فيخصب ، وعلى الصلب فيلين ، وعلى الخامد

فينشط ، وعلى العليل فيصح ، **حتى أصبحت النفوس من الجفاف تتناكر تناكر الغرباء ، وتتدابر تدابر العدو ، وتتلمس جوانبها المظلمة ، فلا تجد فيها شعاعا لقول الله تعالى :**

« انما المؤمنون اخوة » .

ثم يقول :

ان علاج ذلك بالنظم والقوانين علاج مسكن ، يخفف الألم ولا يحسم الداء ، **انما العلاج الناجع هو النور لمن أظلم عليه الليل ، والدليل لمن استبهم أمامه الطريق ، والأمان لمن ساورته مخاوف الحياة .**

وكل ذلك فى كتاب الله الذى أنزله هدى للناس ورحمة ، وجعله للمسلمين رباطا وعدة .

وان هذه الفكرة التى أقترحها اذا أنشئت على الأسس الصحيحة ، كانت خليقة بأن تبنى للعرب المجتمع المثالى الذى يسير على صراط الله ، بقيادة الحق ، ورعاية العلم ، ورقابة الضمير . ويومئذ يغتبط المصلحون بفتح الثورة ، ويعتز المواطنون بعز الوطن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله ..

ان التربية الدينية هى رياضة المجتمع الاسلامى ، على الرجوع الى النهج الذى سنه الله فى كتابه ، وبينه الرسول فى سنته ، واتبعه الصدر الأول فى سلوكه ، فبلغ بالعرب البداة الجفاة زعامة الدنيا فى السياسة والملك ، وقيادة العالم فى الحضارة والعلم ، وامامة الدول فى العدالة والحكم ، وريادة الأمم فى الجهاد والتضحية ..

وهذه الرياضة لا تدرك بالخطب فى المساجد ، ولا عظات المحافل ، ولا مقالات الصحف .. انما تدرك :

*** بالأسوة الحسنة فى البيت**

*** والتنشئة الروحية فى المدرسة .**

*** والحياة الخلقية فى البيئة .**

والسبيل الى ذلك كله هو :

١ ـ أعداد الأم النقية .

٢ ـ تخريج المربى الصالح .

٣ ـ تهيئة الجو الملائم .

٤ ـ وضع الحوافز والجوائز

٥ ـ الدين مادة اجبارية فى الامتحان .

٦ ـ أخذ الأطفال بعزائم الله .

٧ ـ الانتفاع بالشاشة والمسرح

فى تصوير الشمائل المحمدية فى مواقف الاحسان والعدل .

٨ ـ تمثيل الفتوة الاسلامية فى مشاهد الحق والخير .

٩ ـ تجسيد الخلال العربية فى ميادين الجهاد والمروءة .

١٠ ـ ترغيب النشء فى بيوت الله بالمنظر الحسن والفراش النظيف والدرس المشوق والخطبة البليغة .

سؤال ...

وبعد هذا العرض السريع لمشروع الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات ، باقتراح انشاء منظمة قيادية فى الأزهر نجد أمامنا سؤال ملح هو :

وماذا يقعد بالأزهر عن القيام عن القيام بمهمته القيادية ؟

ان السيد حسين الشافعى نائب الرئيس قد دعا الأزهر فى احتفاله بذكرى القرآن ، الى القيام بدوره القيادى فى خدمة الذكر الحكيم ، ليس فقط على المستوى المحلى ، بل على المستوى الاسلامى عبر القارات والمحيطات .

واننى مع الأستاذ الزيات فى أن التربية الدينية هى السبيل الى النصر فى معارك الحرب ومعارك السلام .

وليس أقدر على هذه المهمة من الأزهر الشريف ، وان قيادته للدعوة الاسلامية لا ينازعه فيها منازع ، ولا يرده عنها معوق ، ولا يجاريه فيها منافس .. فقد تزلزلت الأرض من حول الأزهر ، وحاق بالمسلمين ما حاق بهم من كوارث على مر العصور ، وبقى الأزهر ـ حتى فى أحلك الأيام ـ مصدرا « للنور الذى يهدى ، والطريق الذى يؤدى ، والقبلة التى توحد »

البقية ص١٥٢

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

حينما تحدث الرئيس جمال عبد الناصر الى الصحفيين العرب أشار الى عدة نقاط هامة وضح خلالها - فى صراحة وواقعية - المرحلة التى عاشهـا الشعب العربى أثناء النكسة وما قبلها . كما حدد - فى اخلاص - الطريق الفعلية والوحيدة ، التى تؤدى بالشعب العربى والأمة العربية الى النصر .. خصوصا فى هذه الظروف التى نواجه فيها حربا نفسية تستهدف تشكيكنا فى نفوسنا وفى مبادئنا ، وفى كيفية انتصارنا .. على أنفسنا أولا .. قبل انتصارنا على العدو .

ومن هنا يبرز الدور الطليعى والمسئولية القيادية التى يجب أن يضطلع بها العمل الاعلامى العربى فى هذه المرحلة الحاسمة من حياة الأمة العربية . وأوضح الرئيس ان هدف الاستعمار فى هذه المرحلة الدقيقة الراهنة، هو بث روح اليأس والهزيمة فى

« من أجل المستقبل يجب أن نعمل ويجب أن نخطط ، ويجب أن نجمع الأمة العربية ونجمع قدرات الأمة العربية .. تجميع حقيقى » .

« من كلمة الرئيس عبد الناصر فى المؤتمر الثانى لاتحاد الصحفيين العرب »

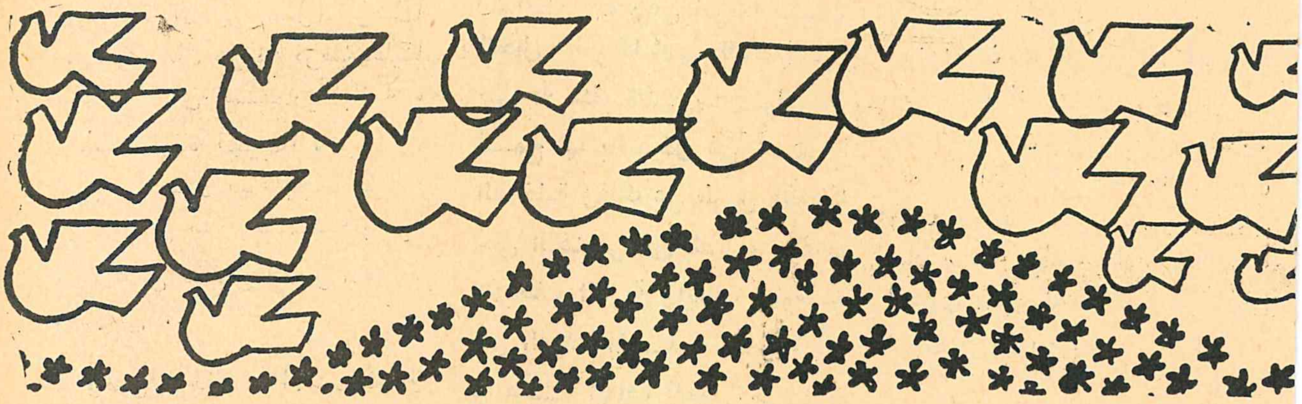

نفوس وقلوب أبناء الأمة العربية، ومن هنا تتضح خطورة المهمة الجسيمة الملقاة على عاتق الصحافة العربية وأجهزة الاعلام العربى فى هذا المجال ، التى يجب عليها ان تقوم برسالتها البالغة الأهمية فى مجال كشف المخطط الاستعمارى وما يستهدفه من بث روح الاستسلام والهزيمة واليأس فى نفوس أبناء الشعب العربى . ولكن مع ذلك ..

« رغم ان الشعب والشعوب العربية كلها عرفت بالهزيمة وهى كانت تنتظر النصر، رغم هذا فان ارادة الأمة العربية وارادة الشعب هنا فى مصر لم تتحطم » .

وهكذا فان دور الصحافة العربية فى هذه الفترة بالذات يجب أن تتركز حول توضيح سبيل النصر على العدو ، بتوضيح حقيقته وحقيقتنا ، وأهدافه وأهدافنا ، وعدالة قضيتنا ، وطابع تآمره العدوانى مع مصالح القوى الامبريالية .. كذلك فان ايضاح الطريق السليم لبناء أنفسنا بناء حقيقيا وجادا فى جميع نواحى الحياة هو مساهمة ضخمة يمكن أن يسهم بها الاعلام العربى فى معركة دحر الحرب النفسية المعادية ، ودعم ثقة شعوبنا فى قدرتها على تحقيق نصر انسانى عادل على قوى الغدر والعدوان ، وضد من يتربصون ويكيدون لها ولمصيرها ولنضالها من أجل الحفاظ على استقلالها وكيانها .

ونحن اذا كنا قد خسرنا هذه الجولة ، وهزمنا فى معركتنا الصريحة مع من يقفون خلف اسرائيل يؤازرونها ويساندونها ، فليس معنى هذا أننا قد خسرنا كل شىء ، وليس معناه أيضا أن نتوقف عن مواصلة العمل والكفاح والتخطيط وتنسيق الجهود والقوى من أجل الوصول الى نصر حقيقى وكامل .. لماذا ؟ يجيب على ذلك صانع السلام :

« فيه دول هزمت وكانت الهزيمة نهائية ، وفيه دول هزمت وكانت الهزيمة دافع وحافز الى زيادة النضال من أجل النصر » .

فليست الهزيمة أبدا أن نتوقف عن العمل أو عن الكفاح ، وليس معناها كذلك أن نتوقف عن الحركة – سياسية كانت أو عسكرية أو اقتصادية – أو أن نيأس من انفسنا أو ان نفقد الثقة فى قدراتنا ، بل يجب أن تكون الهزيمة بمثابة درس لنا يستوجب الدراسة والتأمل .. واعادة النظر ، حتى يمكن لنا أن نستفيد من هذا الدرس ، وبذلك تصبح الهزيمة منطلقا نحو النصر ودافعا وحافزا للهمة واسترجاع ما فقدناه ..

« فالهزيمة حدث ما يتلوه يتوقف على التصميم وعلى الارادة وعلى العزيمة وعلى الأخلاق وعلى القدرة وعلى امكانية أخذ الدروس والاستفادة بها » .

ونحن يجب أن لا نتوقف أبدا – وبأى حال – عن مواصلة المسير فى طريق الكفاح والمضى

فى طريق النضال كما انه يتحتم علينا أن لا تهن عزائمنا ، وأن لا يفت فى عضدنا أى عائق .. فى الآونة الأخيرة - وخصوصا حتى ولو كان هزيمة فرضت علينا بواسطة قوى استعمارية باغية ، خططت لهذه الهزيمة ، وأيضا نتيجة لقصور فينا يجب علينا أن نتخلص منه ونستبدله بكفاية وقدرة من تحقيق النصر الحاسم والنهائى ..

ونحن نلاحظ أن الاستعمار - عدونا الأول - وأيضا صنيعته اسرائيل التى مكنها منا بمؤازرته لها ضدنا بكل قواه - هذا الاستعمار وصنيعته ، يحاولان بعد هزيمة يونيو - الترويج لوهم باطل لا يمت الى الحقيقة بصلة ، وهو أن مليونين من الاسرائيليين قد هزموا مائة مليون عربى .. ولكن هذا وهم وليس واقعا ، بل انه تدليس وتزييف للحقائق الغرض منه هو بث روح الهزيمة واليأس والاستسلام فى نفوسنا لكى نتوقف عن المسير ، ونتقوقع ، ونقف نردد الجملة الخالدة .. **« مافيش فايدة » .. ولكن أبدا هناك فائدة .. بل وألف فائدة، ودائما هناك فايدة وأمل .. وعزم وقوة وتصميم .. ولن يكون هناك أبدا خنوع أو استسلام ، خصوصا اذا عرفنا أن اسرائيل بمليونيها من البشر، لم تكن فعلا هى نفس اسرائيل التى وقفت ضدنا فى المعركة .. أو تلك التى خاضت غمار حرب الأيام السوداء الستة .. كما أننا - نحن العرب - لم نكن - حقيقة**

وواقعا نمثل فى هذه المعركة المائة مليون عربى .. فاسرائيل تمثل « اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل » ، وهى أمريكا بطبيعة الحال ، أمريكا التى طلبت منا صراحة منذ ثلاث سنوات أن نسمح لها بالتدخل فى شئوننا الداخلية وذلك عن طريق منحها حق التفتيش فى بلدنا ، وايقاف الأبحاث الذرية وايقاف التوسع فى القوات المسلحة المصرية .. وأيضا ايقاف العمل خارج حدودنا .. وعندما رفضنا هذه المطالب التى تعنى قبولنا لمبدأ الوصاية الأمريكية كان رد أمريكا أنها ستسلح اسرائيل ولن تسمح للعرب بالتفوق عليها ..

وحدث هذا فعلا .. نفذت أمريكا تهديداتها وسلحت اسرائيل ... ووقفت بجانبها بكل قواها فى حرب يونيو لكى تؤدب العرب ، وكانت فرصة لأمريكا لم تتوان عن استغلال ولم تدعها تمردون أن تحقق من ورائها غرضا سياسيا كانت تحلم به منذ زمن ..اذن عندما نتكلم عن اسرائيل .. لا بد أن نضع فى أعتبارنا .. اسرائيل التى تتكون من مليونين من الاسرائيليين بالاضافة الى من هم وراء أسرائيل ..

وينطبق نفس القول أيضا - ولكن بطريقة عكسية هذه المرة - بالنسبة الينا .. نحن المائة مليون عربى .. فنحن فى هذه المعركة « لم نكن فى الحقيقة نمثل المائة مليون عربى .. لأننا لم نحشد قوانا ولم نكتل مجهوداتنا ، وان دلت الظواهر

على غير ذلك.. ففى حقيقة الأمر لم نكن كما كان يجب ان نكون عليه فى مواجهة الخطر الصهيونى والتحالف الأمريكى الاسرائيلى.. ودون أن ندخل فى تفصيلات لا حاجة لنا بها ، بل وليس من مصلحتنا أن نخوض فيها .. يمكننا أن نقول كلمة واحدة وأن نرد على هذا التزييف والتدليس بأن « **فيه مبالغة أما نقول انمائة مليون عربى ضد اثنين مليون اسرائيلى » ..**

ثم نخلص من ذلك كله الى أن هذه الحرب، بجانب أنها انتكاسة فى خط المد العربى وعقبة فى تطور ونمو القومية العربية .. فهى أيضا تحمل فى طياتها .. **« عبر لازم نأخذها ، والهزيمة التى حاقت بالأمة العربية هى بواسطة اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل فى الحرب والمال .. والنواحى الاقتصادية اللى بتمكن من الحصول على السلاح .. واسرائيل حصلت على السلاح مجانا » ..**

واذا كان صانع السلام قد حذر من محاولات الحرب النفسية المعادية للخلط بين المبادىء وبين الانحرافات ، فعلى العاملين فى حقل الاعلام العربى أن يكشفوا تلك المحاولات المغرضة المعادية ، وأن يقوموا - أيضا - بجهد ايجابى وخلاق ليكشفوا للشعب العربى بأبحاثهم العلمية - النظرية والتطبيقية - عن أفضل السبل لضمان سيادة المبادىء والمثل العليا فى المستقبل ..

ذلك أننا الآن - وبعد الهزيمة - **« يجب أن نفرق بين حاجتين**

أساسيتين ، مبادئنا ومبادىء النضال ، مبادىء قوميتنا .. مبادىء عروبتنا . وبين الممارسة والأخطاء والانحرافات » ..

فلا عمل بلا أخطاء ولا بشر بدون انحرافات، لأن العمل معناه الممارسة ، والممارسة قد تكون مصيبة وقد يجانبها التوفيق فتتردى فى الخطأ .. وهذا بالتالى يدفعنا الى التنبيه بالدور الهام والخطير الذى يقع على عاتق الاعلام العربى ، الذى يجب عليه - وخصوصا فى هذه الآونة بالذات ، أن يوضح الحقائق ويفسرها، وأن يفصل بين المبادىء والتطبيق العملى لها ، فالمبادىء ثابتة وواضحة ، أما العمل فهو الذى يتعرض دائما للخطأ فى التطبيق ، وهو أيضا الذى قد يقود - فى بعض الأحيان - الى الانحراف .. ولهذا يجب أن تضع أجهزة الأعلام العربى حدا فاصلا وواضحا بين المبادىء الثابتة والعمل الذى يتعرض للخطأ أو - أحيانا - الانحراف .

ومن ثم نبه صانع السلام ، أذهان الصحفيين العرب الى الواجب الوطنى الملقى على عاتقهم قبل شعوبهم ووطنهم .. وهو أن عليهم أن يوضحوا - عن طريق دراستهم لتطورات الفكر السياسى العالمى وبخاصة تجارب البلاد النامية والمتحررة - الحقائق الثابتة التى يجب أن تكون فى متناول أفهام الجميع ، كما أن عليهم أن يكشفوا لأمتهم بكل الاخلاص والنقاء الذى يجب أن يتسم به من يحملون على عاتقهم شرف حمل الكلمة وأمانة التعبير والتوجيه ، أن يكشفوا السبل التى يمكن أن تشكل صمام الأمان الحقيقى للشعب العربى والتى تقيه أخطار المؤامرات التى تحاك فى الظلام ضد مصيره .. ومستقبله ..

وعلى هذا الأساس ، فحين نتحدث عن المستقبل ، يجب ان نضع جانبا الأمانى والاحلام التى كانت فيما مضى أساسا للفكر العربى ، ويؤكد صانع السلام ، هذه الحقيقة بقوله :

« النهاردة مانقدرش نتكلم عن المستقبل والأمانى والأحلام - لا - نحن فى أوضاع مصيرية .. ولا يمكن أن نحتمل هزيمة أخرى أو صدمة أخرى أو نكسة أخرى »

فالمستقبل بالنسبة لنا هو عمل وتخطيط ودراسة وعزم وتصميم .. والطريق أمامنا طويلة .. وهذه المرة.. مفروشة بالأشواك التى تدمى الاقدام .. والعوائق التى يضعها الاستعمار عامدا متعمدا فى طريقنا لكى يعوق تقدمنا كثيرة وصعبة .. ولكن أبدا .. لن ننكص على أعقابنا .. ولن تعود عقارب الساعة الى الوراء .. مهماكلفنا ذلك من ثمن .. أو تضحيات.. فكما أن الهزيمة لم تستطع أن تنال منا .. طريقنا هذه المرة واضح ورؤيتنا له صافية .. لا تشوبها غشاشة .. وعزمنا أقوى مما كان .. وقدراتنا - الكامنة منها والظاهرة - متأهبة متحفزة ، وهى سلاحنا الحقيقى فى معركتنا ضد المستعمر .. وضد أنفسنا أيضا .. وضد أى انحراف يعوق طريق تقدمنا ..

ان المستقبل .. بوضوح وبساطة شديدين .. كما رسم خطوطه صانع السلام، عبارة عن **« عمل وتخطيط وتقويم .. وفى نفس الوقت المستقبل يحتاج الى موارد الأمة العربية كلها .. علشان فعلا نكون المائة مليون - يحتاج الى الصبر - يحتاج الى الصمود الى أن يجابه عوامل اليأس والحرب النفسية - وعوامل الهزيمة »**

وعلى هذا الدرب أوضح صانع السلام أن الثورة المصرية العربية تراجع نفسها مراجعة كاملة فى كافة النواحى لتتيح للشعب أن يعرف كل شىء ، ولذلك فان الجهد الاعلامى العربى يجب أن يتجه - لكى يكون ايجابيا - نحو مساعدة أمتنا ليس فحسب عن طريق معرفة ثغرات الماضى وأخطائه وقصوره ، وانما أيضا على تبين الطريق السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى يتعين على الثورة المصرية والعربية أن تسلكه وأن تستهديه ، اذا أرادت أن تثبت وجودها وتحقق لنفسها الوجود الانسانى والدولى الملائمين .

وأخيرا .. وقبل كل شىء ، يجب أن نعرف حقيقة هامة .. وهى أن الوقت لم يزل فى جانبنا **« لاننا بالوقت نستطيع ان نبنى قوانا الذاتية » ..**

وقد تحقق ذلك فعلا فى مصر .. اذ أننا قد أعدنا بناءنا الاقتصادى والعسكرى من جديد على أساس جديد يتلاءم مع ظروف المرحلة السياسية والعسكرية والنفسية التى يعيشها شعبنا ، وأعيد تنظيم القوات المسلحة ، وراجعنا الكثير

من الانحرافات فى كلّ القطاعات بما فى ذلك الجيش نفسه .. ايمانا منا بضرورة التغيير وحتميته وبأن المراجعة خطوة فى سبيل اعادة البناء على أساس سليم .

وهكذا ، كانت كلمة صانع السلام للصحفيين العرب ، تحمل فى طياتها من التصميم والصراحة والواقعية ما يفسر كل ما يجرى فى بلادنا .. فنحن لا نعترف بالحلول الوسط .. ولانستجيب لمراكز القوة .. ولا ننصاع لمطامع حفنة كانت تعتقد أنها الوريثة الطبيعية للحكم .. بل اننا .. دائما .. تمتلىء قلوبنا بالعزم والتصميم والقوة .. والأمل .. وحينما نتكلم عن المستقبل .. نصمم باذن الله على النصر .. ولن نبخل فى سبيل هذا بأى شىء .. لن نبخل بالتضحية .. ولن نبخل بالأرواح .. ولن نبخل بالمال » .. والله معنا .. وناصرنا وهو الموفق .

بقية مقال (عودة الأزهر)

فماذا يمنع الأزهر من العودة الى مكانه فى مقعد الربان ؟ ..

ان البشرية كلها اليوم قد يئست من جحيم المادة ، وعذاب الحروب ، وظلم الانسان للانسان ، والتهديد الدائم والمستمر بخراب الذرة وفتك الهيدروجين ..

وليس فى الشرائع السماوية والوضعية كلها ما يعصم الدنيا من ذلك كله سوى شريعة الاسلام ، ولكنها أحوج ما تكون الى التمسك بها ، والدعوة اليها ، والأزهر هو العمدة والقائد ، **وكل ما هو مرجو منه أن يعود سيرته الأولى ، فى تعبئة الجماهير العربية والاسلامية بقوة الروح التى تبنى ، والايمان الذى يصنع المعجزات .**

ولا نستطيع أن ندعو بدعوة الأستاذ الزيات الى انشاء منظمته المقترحة فان الأزهر كله مسئول عن أمانة الدعوة والتربية الدينية ، ولا حاجة بنا مطلقا الى انشاء منظمة محدودة داخل الحصن الكبير الذى يحمل رسالة الاسلام فى العالم ، وهو حرى بأن يؤدى هذه الأمانة ، بعد أن وفر لها القائد الصالح المصلح جمال عبد الناصر كل الامكانيات التى تساعد الأزهر على الانطلاق الى مكانته التى لم تسبقه اليها جامعة فى العالم .. من حيث أنه حامل لواء العقيدة الاسلامية ، منذ الفتح الاسلامى ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

اننا لانقنع بمنظمة تقام فى داخل الأزهر ، بل ينبغى أن نطلق قوى الأزهر كلها لتحارب معنا معركة المصير .. ومعركة اقرار السلام فى الأرض .

التأمين

ان الاسلام هو الوحيد من بين أديان السماء وقوانين الأرض : الذى قد كفل مصالح الأفراد والأمم جميعا : دينية ودنيوية على أوسع نطاق ، وصلح لذلك فى جميع الأزمان وكافة الشعوب ، فهو دين الانسانية الخالد .. وذلك لما اشتمل عليه : من المبادىء السامية ، والمثل العليا ، والقوانين العادلة ، والتشريعات الحكيمة : التى اوردها فيه رب الانسانية . لتنفق وصالح الانسانية .

ولا غرو .. فهو دين الحياة والاصلاح دين الرقى والحضارة ، دين الحق والخلود دين قيادة وتوجيه . دين تكافل وتعاون ، دين شرع من المعاملات مافيه راحة المجتمع احل البيع والشراء ؛ والرهن والقرض ، والحوالة والعارية ؛ والاجارة والشركة والقراض ؛ لتبادل المنافع على أحسن وجه دين صالح لكل زمان ومكان ، كافل لسعادة البشرية ، دين ارتضاه الله ليكون مسك الختام لجميع الشرائع الالهية .. دين لم يدع بابا من أبواب الخير ، الا أمر به ودعا اليه ورغب فيه ؛ ولم يدع بابا من ابواب الشر الا نهى عنه ونفر منه .. والى هذا المبدا العام يشير قوله تعالى : « ان هذا القران يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا . وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما ، وقوله جل شانه : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)

التشريع الاسلامى معلل بالمصلحة :

فكتاب الله وهو الدستور السماوى الخالد ، لم يترك ناحية من نواحى الاصلاح الا طرقها ، ولا نظامامن النظم الاجتماعية الا بينه لنا احسن بيان ؛ قال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) فهو ينادينا ان نخرج من الظلمات ، وان نقبل على النور ، وان نتلمس رضوان الله فى شريعته ؛ وحدوده وانظمته ، لأنها وحدها التى تهيىء لنا الحياة الطيبة ، وتضىء لنا طريق العظمة والخلود ..

التعاون الاجتماعى فى الميزان

فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود

قال الامام ابن القيم فى كتابه : (أعلام الموقعين) : فان شريعة الله مبناها فى الحكم مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى : عدل كلها ، ورحمة كلها ومصالح كلها وحكم كلها .. فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث .. فليست من الشريعة ، وان ادخلت فيها بالتأويل ..

فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها ؛ وهى نور الله الذى ابصر به المبصرون ، وهداه الذى اهتدى به المهتدون ، وشفاؤه التام به دواء كل عليل ، وطريقه المستقيم : الذى من استقام عليه ، فقد استقام على سواء السبيل ، وهى العصمة للناس . وقوام العالم ، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا) .

ذلك هو الصراط المستقيم ؛ والمنهج القويم ، وعلى ضوئه يستطيع رجال التشريع الاسلامى فى كل زمان ومكان : أن يقبسوا من قرآنهم ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم : الخير واليسر والعدل : الذى هو قوام المجتمع الانسانى ، وسبيل السعادة فى الدنيا والآخرة .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأتيتكم بالحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وتركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنة رسوله) ..

الاسلام دين وشريعة :

فالتشريع الاسلامى يدور مع الحياة ، ويتسع لكل الوانها ، لانه تشريع خالد متطور ، جاء لخير الناس وسعادتهم وتنظيم حياتهم .. يقول الامام ابن تيمية : (وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين وشريعة .. اما الدين فقد استوفاه الله كله فى كتابه الكريم ووحيه ولم يكل الناس الى عقولهم فى شىء منه. وأما الشريعة : فقد أستوفى أصولها ثم ترك للنظر الاجتهاد فى تفصيلها) .

ويقول الامام الشاطبى فى كتابه (الاعتصام) مفسرا لقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت الكم الاسلام دينا) فلم يبق للدين قاعدة يحتاج اليها فى الضرورات والحاجيات : الا وقد بينت غاية البيان .. نعم يبقى تنزيل الجزئيات على تلك الكليات موكولا الى نظر المجتهد ؛ فان قاعدة الاجتهاد أيضا ثابتة فى الكتاب والسنة ، فلابد من أعمالها ولا يسع تركها واذا ثبتت فى الشريعة : أشعرت بأن ثم مجالا للاجتهاد .. ثم يقول : (ولو كان المراد بالآية الكمال بحسب تحصيل الجزئيات بالفعل ، فالجزئيات لانهاية لها فلا تنحصر برسوم ، وقد نص العلماء على هذا المعنى ، فانما المراد الكمال بحسب مايحتاج اليه من القواعد الكلية : التى يجرى عليها مالانهاية له من النوازل) .

التشريع الاسلامى يدور مع واقع الحياة :

لقد قامت الشريعة الاسلامية ؛ لتكون شريعة عالمية ، ترتكز اسسها ودعائمها على مصالح العباد ، فلا ضرر ولا ضرار ، ولا ضيق ولا حرج ، و لاعسر ولا ارهاق .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل ولأبى موسى الأشعرى لما بعثهما الى اليمن : (يسرا ولا تعسرا ؛ وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا) رواه البخارى ومسلم ، وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى بعثت بحنيفية سمحة).

ولهذا اطلق عليها من منذ بزوغ فجر الاسلام بالسياسة الشرعية ، ومنطق السياسة هو المرونة والتطور الحضارى ، ومقتضيات العرف ؛ وملابسات الزمان .. يقول الخليفة الزاهد عمر بن العزيز رضى الله عنه : (تحدث للناس أقضيه ، بقدر مايحدثون من أمور) ..

ولقد فهم المسلمون الاولون هذا وعرفوا أن لهم : أن يأخذوا بما هو نافع لهم ، وتستلزمه مقومات حياتهم ، لأنه منوط بالمصلحة التى يقتضيها التيسير على المسلمين ، ودفع الحرج عنهم .. يقول العلامة (الطوفى) من فقهاء الحنابلة فى شرح حديث : (لا ضرر ولا ضرار) اذا تعارضت المصلحة مع النص والاجماع ؛ وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان) .. ويقول الامام (مالك) تعقيبا على ذلك الأصل التشريعى ان طريقة الطوفى هى التمشى مع المصلحة المرسلة) ..

والتشريع الاسلامى لا يستمد نظمه وقوانينه من القرآن والسنة فحسب ، بل تتسع آفاقه لكل تطور فى الزمان أو المكان فيضيف الى كلياته العامة فى الكتاب الكريم والسنة النبوية : العقل الانسانى باجتهاداته واقيسته واستنباطاته ، والتطور الزمنى وما ينشأ معه للناس من أقضية وحاجيات .. فيضيف الى الاجتهاد والقياس والاجماع قاعدتين عظيمتين تتسعان بآفاقهما الرحبة لكل طارىء على الحياة وجديد مستحدث قاعدتى : سد الذرائع والمصالح المرسلة ..

تضمين الصناع :

وليس أدل على ذلك من أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين : كانوا يقضون بتضمين الصناع ، فقد اثر عن على كرم الله وجهه أنه قال : (لايصلح الناس الا ذاك) اى التضمين .. ووجه المصلحة فيه : أن الناس فى حاجة ملحة الى الصناع ، والغالب عليهم التفريط والاهمال فى الامتعة التى تكون تحت أيديهم فلو لم يضمنوا مع شدة الحاجة اليهم ؛ لأفضى ذلك الى أحد أمرين : (١) أما ترك الاستصناع بالكلية وذلك شاق على الناس (٢) واما أن يعملوا ولا يضمنوا بدعواهم الهلاك والضياع ، فيقل الاحتراز ، وتضيع الأموال ، وتكثر الخيانة .. فان قيل : هذا نوع فساد وهو تضمين البرىء ، لجواز أنه ما أهمل ولا فرط ؛ وأنه صادق فى دعواه .. يقال انه اذا تقابلت المصلحة والمضرة فشأن العقلاء : النظر الى التفاوت واختيار

الأرجح ، ويشهد لذلك الأصول من حيث الجملة ، فان النبى صلى الله عليه وسلم « نهى ان يبيع حاضر لباد وقال : ذروا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » (ونهى عن تلقى الركبان حتى يهبط بالسلع الى الأسواق) وهو من باب ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فتضمين الصناع من هذا القبيل ..

تعذيب المتهمين :

والمتهم وان كان فى نظر القانون يعتبر بريئا حتى تثبت ادانته .. الا انه نقل عن الامام مالك رضى الله عنه : جواز الحبس فى التهم ؛ وان كان نوعا من التعذيب .. ونقل عن بعض أصحابه : جواز الضرب بالتهم لأنه قد تتعذر اقامة البينة ، فكانت المصلحة فى التعذيب ، وسيلة الى استخلاص الأموال من أيدى اللصوص والغاصبين .

وليس فى هذا فتح باب لتعذيب البرىء لأن فى تركه ابطال استرجاع الاموال ، بل ترك التعذيب اشد ضررا . والحال انه لايعذب المتهم بمجرد الدعوى ، بل مع قيام قرينة تجعل الشبه تحوم حوله بأنه الفاعل او المحرض ، فالتعذيب فى الغالب لايصادف البرىء ، وان صادفه اغتفر كما اغتفر تضمين الصانع مع جواز أنه برىء ..

التشريع الاسلامى يقوم على الاجتهاد :

ومن الأصول المقررة فى منطق الاسلام ان الله عز وجل ، لاتنفعه طاعة من اطاعه ولا تضره معصية من عصاه ، وانما شرعت الحدود والأحكام والزواجر ؛ لخير الناس وأمنهم وسعادتهم .. يقول العلامة عز الدين بن عبد السلام فى كتابه : (قواعد الأحكام فى مصالح الأنام) : والتكاليف كلها راجعة الى مصالح العباد فى دنياهم وآخرتهم ، والله غنى عن عبادة الكل ، لاتنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، وان مصالح الآخرة لاتتم ألا بمصالح الدنيا ..

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكره كثرة السؤال عن أمور الدين والتشريع ؛ لأنها من علامات الجمود والتزمت ، ولأنها قد تدفع الى تحريم أو تضييق .. عن أبى ثعلبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان (فلا تبحثوا عنها) رواه مسلم والدارقطنى وقال عليه الصلاة والسلام : (ماسكت الله عنه فهو مما عفا عنه .. وقد رغب القرآن المسلمين : فى أن يجتهدوا ؛ وان يستنبطوا ، وأن يسترشدوا بعلمائهم ومفكريهم .. قال الله تعالى : (واذا جاءهم امر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن قاضيا امتحنه فقال له : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى لا آلو .. قال معاذ فضرب بيده فى صدرى ، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ، لما يرضاه رسول الله ، رواه أبو داود ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرب أصحابه على القضايا والأحكام تدريبا عمليا ؛ ويشجعهم على الاجتهاد وحرية التفكير ، ويملأ قلوبهم ثقة وطمأنينة ، عند الخوف من الخطأ فى الاجتهاد ، حيث أن للمجتهد المصيب أجرين ، وللمجتهد المخطىء اجرا ؛ قال الله تعالى : (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) . وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر) رواه البخارى .. وجاء فى الأحكام للآمدى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن ابيه قال : (جاء خصمان يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : ياعمرو اقض بينهما قلت : انت أولى منى بذلك يارسول الله قال : وان كان ، قلت : على ماذا اقضى ؟ فقال : ان اصبت القضاء بينهما فلك عشر حسنات ، وان اجتهدت وأخطأت فلك حسنة) .

ليس من المصلحة غلق باب الاجتهاد :

لقد ظلت الأمة الاسلامية حية نامية فترة طويلة من الزمن ، ثم طرأ عليها الضعف والركود ، يوم نادى علماؤها وفقهاؤها بغلق أبواب الاجتهاد والقياس والاستنباط ، واهملوا قاعدتى : سد الذرائع والمصالح المرسلة .. يقول الامام ابن القيم مهاجما الفقهاء المتزمتين الجامدين : (جعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصالح العباد ؛ محتاجة الى غيرها ، وسدوا على انفسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له ، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعا : أنها حق مطابق للواقع) .. ويقول الدكتور محمد يوسف موسى : (لقد ذهبت تلك الروح العظيمة القوية : التى كانت تسير أولئك الفقهاء الاعلام المستقلين فى تفكيرهم ، والذين بلغوا الذروة فى زمانهم ، هذه الروح التى جعلت أبا حنيفة رضى الله عنه يقول : (ماجاءنا عن الصحابة فعلى الرأس والعين وما جاءنا من التابعين فهم رجال ونحن رجال) بل جعلت مالك بن أنس رضى الله عنه يقول : (ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله) ويقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته : (انتهى مد الفقه الاسلامى الى جمود وجهل بأمور الحياة وسياسة العمران ؛ واصبح التقليد هو التجارة الرابحة ، ولم يبق للفقهاء الا نقل الرواية عن أصحاب المذاهب الأربعة لا محصول اليوم للفقه الا هذا) ..

ويقول الدكتور السنهورى : (فالشريعة الاسلامية ، تعد فى نظر المنصفين : من ارقى النظم القانونية فى العالم ، وهى تصلح لأن تكون دعامة من دعائم القانون المقارن ، ولا نعرف فى تاريخ القانون نظاما قانونيا ؛ قام على دعائم ثابتة من المنطق القانونى الدقيق ما يضاهى الشريعة الاسلامية ، فاذا كان لنا هذا التراث العظيم ، فكيف جاز لنا ان نفرط فيه) .. ويقول الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج : (ان باب الاجتهاد لم يغلق على أناس يفهمون لغة القرآن الصحيحة ، ويستطيعون أن يحكموا على مايجد من أمور مستحدثة فى ضروب التعامل والعلاقات الدولية ؛ ويجب على أولى الأمر من المسلمين ، وعلى علماء المسلمين : ان يعلنوا حكم الاسلام فيها على الأسس والاصول الاسلامية) .

تاريخ ظهور التامين :

ومن النظم المستحدثة فى العصور المتأخرة ، والتى دعت اليها الحاجة او الضرورة فى البلاد الأوربية : نظام التامين واول ماظهر منه (التامين البحرى) وذلك فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وقد كان الأسبان والبرتغاليون : أول من أظهروا تشريعات خاصة بعقد التامين البحرى فى القرن الخامس عشر .. ويقال أن التامين على الحياة ظهر مع ظهور التامين البحرى .. اذ الثابت ان بعض عقود التامين البحرى كانت تؤمن أيضا على حياة القبطان والبحارة بنفس الاسعار التى تؤمن بها على السفينة وشحنتها .. وأخذت بعد ذلك انواع التامين المختلفة تظهر تباعا .. ثم انتقل التامين بجميع أنواعه الى البلاد الاسلامية ..

الحكمة ضالة المؤمن :

ولا يضيرنا كمسلمين : أن نستفيد من خبرات وتجارب الآخرين ، ومن بينها هذا المشروع الحيوى الخطير ؛ والحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها .. ولعلنا نرفع رؤوسنا عالية ، ونشعر بشىء من الفخر والاعزاز ، اذا علمنا أن أجدادنا العرب : قد سبقوا غيرهم فى هذا المضمار بقرون عديدة وطبقوه فيما بينهم بطريقة عملية سليمة .. فقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته : (ان العرب

عرفوا التامين التعاوني .. ففى رحلتى الشتاء والصيف .. كان أعضاء القافلة يتفقون فيما بينهم على تعويض من ينفق له جمل أثناء الرحلة ، من ارباح التجارة الناتجة عن هذه الرحلة ، وذلك بأن يدفع كل عضو بنسبة ماحققه من أرباح) .

معنى التامين :

والتامين كمايقول الأستاذ احمد جاد عبد الرحمن : (وسيلة لتعويض الفرد عن الخسارة المالية التى تحل به ؛ نتيجة لوقوع خطر معين .. وذلك بواسطة توزيع هذه الخسارة على مجموعة كبيرة من الأفراد ، يكون جميعهم معرضين لهذا الخطر ، وذلك بمقتضى اتفاق سابق .. فان كان الاتفاق لتعويض الخسارة الناتجة من اخطار التجار سميت الطريقة (بالتامين البحرى) وان كان لتعويض الخسارة الناتجة من خطر الحريق سميت (بالتامين ضد الحريق) .. وان كان الخطر هو السرقة سميت (بالتامين ضد السرقة) .. وان كان الخطر هو الوفاة سميت (بالتامين على الحياة) .. وهكذا

انواع التامين :

تنقسم انواع التامين فى جملتها الى ثلاثة اقسام :

(١) تامينات الأشخاص : وهذا القسم يشمل أنواع التامين التى يكون فيها الخطر المؤمن ضده ، من اخطار الأشخاص ..

(٢) تامينات الممتلكات : وهذا القسم يضم انواع التامين ، التى يكون فيها الخطر المؤمن ضده من اخطار الممتلكات .

(٣) تامينات المسئولية المدنية : وهذا القسم يضم انواع التامين ؛ التى يكون فيها الخطر المؤمن ضده ، من اخطار المسئولية المدنية ..

بعض مزايا التامين :

ان التامين لاشك يضمن للمستامن اصلاح مايصيب نفسه أو املاكه من أخطار .. وهو بهذه المثابة يحفز على الجد والعمل ، لأنه يبعث الطمانينة فى نفس الموظف او العامل ، تلك الطمأنينة التى تزيد فى مقدرته على الانتاج ، وتذهب من نفسه الخوف مما عساه أن يحدث فى مستقبله القريب أو البعيد ، من تقلبات الدهر وصروف الزمان ، استنادا على الاتفاق المبرم بينه وبين المؤمن ، لتعويضه عما يصيبه من اضرار لادخل له فيها ؛ ولا يستطيع دفعها عن نفسه .. ومع هذا فالتامين يعتبر لونا من التعاون الذى دعا اليه ديننا الحنيف قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم العدوان) ..

الاسلام فى التامينات

والنظم التامينية : وان لم تكن معروفة بوضعها الراهن فى الصدر الأول للاسلام ولا فى عصر ائمة المذاهب المجتهدين .. الا انها اصبحت الآن تحتل مكانا مرموقا بين الناس فى المعاملات فى المدن والقرى حتى اننا لنرى الكثيرين من المزارعين يتنافسون فى التامين على مواشيهم .

والاسلام وهو الذى يحمل فى صميم مبادئه معانى التطور باوسع معانيه .. لايمنع الأخذ بالحديث النافع ، الذى لايتعارض مع مبدأ من مبادئه ، ولا مع حكم من أحكامه ، لأنه دين قائم على التعاون ، ودفع الضرر عند الكوارث ..

التامين والضمان :

وعقد التامين : أقرب مايكون شبها فى نظرى بعقد الضمان (أى الالتزام) ويسمى الملتزم لذلك : ضامنا وضمينا وحميلا وكافلا وكفيلا وصبيرا .. قال الماوردى : غير ان العرف جاربان الضمين مستعمل فى الأموال ، والحميل فى الديات والزعيم فى الأموال العظام ، والكفيل فى النفوس ، والصبير فى الجميع .. والأصل فيه قوله تعالى : (ولمن جاء به حمل بعير وانابه زعيم) وهو وان كان شرع من قبلنا ، لكن ورد فى شرعنا مايقرره .. روى احمد وابو داود وابن ماجة والترمذى عن ابى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه سلم قال : (الزعيم غارم) (أى الكفيل ضامن) وعن جابر رضى الله عنه قال : (توفى رجل منا فغسلناه وحنطناه وكفناه ، ثم أتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : تصلى عليه ؛ فخطا خطى ، ثم قال أعليه دين ؟ فقلنا : ديناران ، فانصرف .. فتحملهما ابو قتادة ، فأتيناه فقال ابو قتادة : الديناران على ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حق الغريم وبرىء منهما الميت ، قال : نعم ، فصلى عليه) رواه احمد وابو داود والنسائى .. وفى الحديث دليل : على انه يصح ان يتحمل الواجب غير من وجب عليه ، وانه ينفعه ذلك .. وفى مغنى المحتاج مانصه : او قال شخص لآخر فى سفينة الق متاعك فى البحر وعلى ضمانه ، او على انى ضامن له او على أن أضمنه فألقاه فيه ضمنه ، وان لم يكن للملتمس فيها شىء ؛ ولم تحصل النجاة ، لأنه التزم اتلافا ، لغرض صحيح بعوض فيلزمه .. كما اذا قال : اعف عن القصاص ولك على كذا ، أو على أن أعطيك كذا .. فأجاب سؤاله فيلزمه ما التزمه .. فان قيل : ينبغى ألا يصح هذا الضمان لأنه ضمان مالم يجب .. أجيب بأن هذا ليس على حقيقة الضمان المعروف وان سمى به ، وانما حقيقة الافتداء من الهلاك ، فهو كما لو قال : أطعم هذا الجائع ولك على كذا .

وعند المالكية : الضمان والكفالة والحمالة كلها بمعنى واحد : وهو ان يشغل صاحب الحق ذمة الضامن مع ذمة المضمون ، سواء كان شغل الذمة متوقفا على شىء أو لم يكن متوقفا ، وبيان ذلك : أنه اذا ضمن شخص آخر فى مال ، فان ذمته تشغل بذلك المال ؛ كما شغلت به ذمة الأصيل ، بدون أن يتوقف على أمر آخر .

وعند الحنفية : لو قال شخص لآخر اسلك هذا الطريق ، فان كان مخوفا ونهب مالك فانا ضامن ، ففعل ونهب ماله فقد اختلف فيه : فقال بعضهم : انه يضمن مافقده من المال ، وبعضهم قال : لايضمن .. وذلك لأنه يشترط لصحة الضمان أن يكون المضمون معلوما ؛ وأمن الطريق مجهول ، فكيف يصح الضمان ؟ ..

وقد اجاب القائلون بصحة الضمان فى مثل هذا مع جهل المكفول عنه بطريقة استثنائية ، زجرا للناس عنه ، فان خطورة هذه الأمور تستدعى احتياطا خاصا ؛ فاذا عرف الناس عدم المؤاخذة فيما يقولونه من ذلك يقدمون عليه بدون مبالاة ، فيغررون بالناس ، ويوقعونهم فى الأخطار .

حكم التامين :

وبعد فقد تبين لى بعد دراسة مستفيضة للتامين : انه يباح شرعا بجميع أنواعه بدون استثناء اذا طبق تطبيقا سليما وتوفرت الثقة بين العاقدين ولم يكن هناك تحايل من أحدهما لتحقيق أغراض بطريقة غير سليمة .. وذلك لأنه يتمشى مع مبادىء الاسلام وقوانينه الكلية ، والتى اشارت اليها الاحاديث النبوية الآتية :

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا ضرر ولا ضرار) رواه ابن ماجة والدارقطنى ..

وعن عمرو بن عوف المزنى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا حرم حلالا ، أو احل حراما .. والمسلمون على شروطهم ، الا شرطا حرم حلالا او احل حراما) ..

وعن عائشة وانس أنه صلى الله عليه وسلم : (مر بقوم يلقحون النخل ، فقال لو لم تفعلوا لصلح ، فخرج شيصا فمر بهم فقال مالنخلكم ؟ قالواكذا وكذا .. قال أنتم أعلم بأمور دنياكم) رواه مسلم فى صحيحه ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما كان من أمر دينكم فالى ، وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به) رواه الامام أحمد .

ثمار التامين :

والتامين على ضوء ما ذكر : ماهو الا اتفاق بين طرفين يتعهد الطرف الأول وهو المؤمن أو هيئة التامين : بأن يدفع للطرف الثانى وهو المؤمن له أو المستامن مبلغا من المال ، فى حالة وقوع حادث معين ، خلال مدة معلومة .. فى مقابل أن يدفع الطرف الثانى الطرف الاول مبلغا ما أو جملة مبالغ أصغر نسبيا من المبلغ الذى يتعهد الطرف الاول بدفعه له .

ولاشك : أن هذه المبالغ التى تدفع لهيئة التامين تستغل فى دعم الاقتصاد القومى ، وتستثمر فى المشروعات العمرانية النافعة ، وتدر على الشركات التامينية أرباحا طائلة .. تعود على الوطن والمواطنين بأطيب الثمرات ..

والله ولى التوفيق .

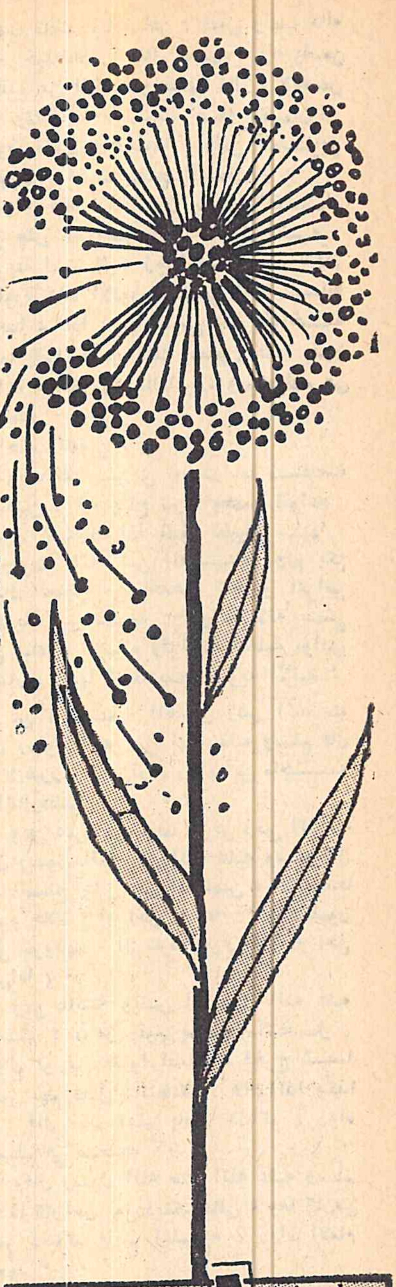

الأستاذ علي الجندي

تمحيص وتصفية

ذو القرنين

جرت عادة القرآن الكريم على اغفال ذكر الأسماء ، والأعمار ، والسنين الا فى الندرة ، لحكمة تقتضى ذلك .

فنجده مثلا يذكر آدم وزوجه ، ولا يذكر حواء ، ويذكر فرعون وامرأته دون ذكر اسميهما .

ويذكر أهل الكهف ولا يسميهم بأسمائهم ، ويذكر أزواج الرسول ولا يسميهن .

وقد ذكر القرآن قصة « ذى القرنين » فيما ذكر من القصص .

فكان من الجرأة العجيبة ، أن يتبرع المؤرخون واللغويون ، فيقولوا ، ان ذا القرنين ، هو الاسكندر المقدونى اليونانى المعروف !

ففى الصحاح : وذو القرنين : لقب اسكندر الرومى .

ويقال للرجل : قرنان : أى ضفيرتان .

وفى القاموس : وذو القرنين : اسكندر الرومى ، لأنه لما دعاهم الى الله - عز وجل - ضربوه على قرنه ، فأحياه الله - تعالى - ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فمات ! ثم أحياه الله - تعالى - أو لأنه بلغ قطرى الأرض ، أو لضفيرتين له .

ثم يقول . والمنذر بن ماء السماء لضفيرتين كانتا فى قرنى رأسه .

مع أن ذا القرنين يصفه القرآن بصفات الأنبياء والصديقين ، والاسكندر المقدونى لم يكن من هذا الطراز كما يؤخذ من تاريخه ! وأقل ما يقال فيه : أنه كان سفاحا سكيرا عربيدا !

وبمثل هذه الأقوال يتجنون على كتاب الله ، ويسندون اليه ما هو براء منه ، ويقرأ هذا من يقرأ فترين عليه الشك والبلبلة ، لاعتقاده أن هذه الخرافات جزء من الدين ، وفاته أن رواتها غير محققين ولا مدققين ، وأنهم علماء غير مثقفين ، والعالم الدينى غير المثقف أشد على الاسلام من المشركين .

ومثل هذا يقال فى فرعون ، فقد اقتصر القرآن على هذا اللفظ ، وهو لقب لكل من ملك مصر ، كما يقال: كسرى للفرس ، وقيصر للروم ، وخاقان للترك .

وتأتى كتب اللغة والتاريخ العربى ، فتقول : فرعون بلا لام - لقب الوليد بن مصعب ملك مصر ، وصاحب موسى !!

والوليد ، ومصعب : اسمان عربيان عريقان ، لا يتصور أن يكونا من أسماء الفراعنة المصريين ! الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يعد ، والاسلام هو المظلوم وظالمه أهله !

من وضع الملحدين !!

جاء فى بعض الأحاديث : أن النبى - صلى الله عليه وسلم -

سحره لبيد بن الأعصم اليهودى ! وأثر فيه سحره ! حتى كان يخيل له أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله ، أو يأتى الشىء وهو لا يأتيه ! وأن الله أخبره بذلك، فاستخرجت مواد السحر من أحد الآبار ! وعوفى — صلى الله عليه وسلم — من ذلك !

وهذا الحديث من الأساطير الضالة المضلة ، ومن أعجب الأعاجيب أن يجوز على علماء الحديث فيدونوه ! وهو مخالف لصريح القرآن والسنة والعقل والعلم والتاريخ !

مخالفته لصريح القرآن :

قال الامام الماتريدى نقلا عن أبى بكر الأصم : ان حديث السحر متروك ، لما يلزمه من صدق قول الكفرة : انه — عليه الصلاة والسلام — مسحور ! وهو مخالف لنص القرآن العظيم : « ان تتبعون الا رجلا مسحورا » .

وقال الامام الجصاص من أئمة الحنفية فى كتابه الجامع لأحكام القرآن — مفندا لهذا الحديث : وقد قال الله — تعالى — مكذبا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبى — صلى الله عليه وسلم — فقال — جل من قائل — : « وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا »

ثم قال — رضى الله عنه — : ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين !

مخالفته للسنة !!

فى الحديث الشريف : أنه قال لعمه العباس : « والله ياعم لقد عصمنى الله من الانس والجن » .

ومن قول السيدة آمنة للسيدة حليمة السعدية — حين رجعته اليها متخوفة عليه الأحداث ! : أفتخوفت عليه من الشيطان ؟ قالت : نعم .

فقالت : كلا ! والله ما للشيطان عليه من سبيل ! وان لابنى لشأنا ! ... وقد وقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض ، رافع رأسه الى السماء ! دعيه عنك وانطلقى راشدة !

وفى مناقب عمر — رضى الله عنه — : أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال له : « والله ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » .

وفى صحيح السنة : أنه — عليه الصلاة والسلام — عرض له عفريت ليلا فهم أن يربطه بسارية المسجد حتى يراه الناس فى الصباح ، لولا أن تذكر قول أخيه سليمان — عليه السلام — : « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » .

مخالفته للعقل !

لو كان اليهود يستطيعون أن يتسلطوا على الرسول المعصوم بالسحر « الأسود » ما تركوه فى راحة ، فان فى السحر فنونا من الأذى لا حصر لها ، بل ما هموا بقتله بالقاء الحجر عليه، بل لكان من باب أولى أن يتسلطوا على أصحابه وهم غير معصومين ! وحسبنا فى هذا قول رئيسهم الذى أسلم عبد الله بن سلام : لو كان اليهود يستطيعون أن يؤذوا الناس بالسحر ما عشت بينهم حتى اليوم !

ومن غير المعقول : أن يعصم الله رسوله جسديا من الناس ، ولا يعصمه عقليا من سحرهم والعقل مناط الرسالة ، وموت الأنبياء شهادة لا عار فيه ، وقد قتل زكريا وابنه يحيا — عليهما السلام — والله يقول : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل »

والشاعر العربى يقول :

يهون علينا أن تصاب جسومنا
وتسلم أعراض لنا وعقول

وانما الطامة الكبرى أن يقدر يهودى قدر فى العهد الجاهلى ، أن يسوق شيطانه الخبيث ليسلط على أشرف الخلق ، وخاتم الأنبياء المحفوف بروح القدس والملائكة ، على حين أن الله — تعالى — يقول : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » وأن رئيس الشياطين ابليس يقول : « الا عبادك منهم المخلصين » .

وأن كثيرا من الصوفية كالجيلانى والصاوى وغيرهم ،

تمثل لهم ليغويهم فهزئوا به وسخروا منه ! وكان ابن تيمية - كما يحدث عنه تلميذه ابن القيم - يرسل الى من لبسه شيطان - من يقول له : يقول لك الشيخ : اخرج ، فلا يسعه الا أن يخرج صاغرا ذليلا ! فان أبى ذهب اليه الشيخ بنفسه وألحق به النكال ! أى ان ابن تيمية - وهو من أتباع محمد يستطيع أن يدفع الشيطان عن الناس ، ولا يستطيع محمد المعصوم أن يدفع الشيطان عن نفسه ، ولا أن يعتصم منه !

مخالفته للعلم !

أجمع العلماء على أن السحر - ان صح أن له حقيقة - فلا يؤثر الا فى النفوس الضعيفة الخاوية من الايمان ! يقول ابن القيم : ومن أنفع علاج السحر ، الأدوية الإلهية ، بل هى أدويته النافعة بالذات ، فانه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية ! ودفع تأثيرها انما يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات ، التى تبطل فعلها وتأثيرها ! ... فالقلب اذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره ، وله من التوجيهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به، يطابق فيه قلبه لسانه ! هذا من أعظم الأسباب التى تمنع أصل السحر له ! ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه !

ثم يقول : وعند السحرة : ان سحرهم انما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة ، والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات ! ولهذا غالبا ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال وأهل البوادى ! ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ! ومن لا نصيب له من الأوراد الالهية ، والدعوات والتعوذات النبوية ...

ثم يقول : والمسحور هو الذى يعين على نفسه ، فانا نجد قلبه متعلقا بشىء كثير الالتفاف اليه ، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات . والأرواح الخبيثة انما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها ، بميلها الى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة ، وبفراغها من القوة الالهية ، وعدم أخذها للعدة التى تحاربها ، فنجدها فارغة لا عدة معها ، وفيها ميل الى ما يناسبها، فتتسلط عليها ، ويمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره .

ومن الغريب أن هذا الكلام النفيس الذى يسلم به كل عاقل، والخارج من امام جليل ثبت فاهم لأسرار الدين ، لا يمنع ابن القيم من التناقض والتهافت ، فنجده يسلم بحديث السحر ، كان الرسول الأكرم ، واحدا من هؤلاء الذين وسمهم بالصفات المتقدمة ! وحاشاه من ذلك !

الطعن فى السنة :

هذا بعض ما نقوله فى متن هذا الحديث المنحرف عن الجادة والذى يكذبه العقل والنقل ! بقى أن نورد ما قيل فى سنده ، لنأتى على بنيانه من القواعد !

راوى هذا الحديث هشام، عن أبيه عروة بن الزبير ، وقد كان هشام فى الحجاز يروى عن أبيه مباشرة ، ولكنه حينما ذهب الى العراق ، أخذ يرسل عن أبيه ما سمعه من غيره !

ويكفى أن ابن خراش يقول : كان « مالك » لا يرضاه ، وقد نقم منه حديثه لأهل العراق !

بل يقول ابن القطان : ان هشاما تغير قبل موته !

مخالفة التاريخ :

والقصة يقولون : انها وقعت بالمدينة بعد الهجرة طبعا ، والمعوذتان نزلتا بمكة على بعض الأقوال ، ويشهد بصحة ذلك ان عليهما وسم السور المكية : من تقرير الربوبية ، والقصر والسجع .

ويقول الأستاذ الامام محمد عبده - قدس الله روحه - فى تفسير سورة الفلق من كلام طويل شاف كاف : ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه - عليه السلام - حتى يصل به الأمر الى أن يظن أنه فعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان ، فى بعض الأمور العادية ، بل هو ماس بالعقل ، آخذ بالروح ، وهو مما

يصدقُ قول المشركين فيه : « ان تتبعون الا رجلا مسحورا » وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله ، وخيل له : أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل اليه : أنه يوحى اليه ولا يوحى ! وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة ولا ما يجب لها ؟ : ان الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ! لأنه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر ! فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح، والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة ؟ نعوذ بالله ! يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعده من افتراء المشركين عليه ! ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك ...

ثم يقول ـ عليه رضوان الله ـ : وأما الحديث ـ فعلى فرض صحته ـ هو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد . وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد ، لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ! ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون ! على أن الحديث الذى يصل الينا من طريق الآحاد ، انما يحصل به الظن عند من صح عنده، أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة !

ثم يقولُ ـ أجزلَ الله ثوابه ـ ولو كان هؤلاء يقدرون الكتاب قدره ، ويعرفون من اللغة ما يكفى لعاقل أن يتكلم ، ما هذروا هذا الهذر ، ولا وصموا الاسلام بهذه الوصمة !

وكيف يصح أن تكون هذه السورة نزلت فى سحر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أنها مكية فى قول عطاء والحسن وجابر ، وفى رواية ابن كريب عن ابن عباس ، وما زعموه من السحر انما وقع فى المدينة ؟ لكن من تعود القول بالمحال ، لا يمكن الكلام معه بحال ، نعوذ بالله من الخبال !

النفاثات فى العقد

واذن ما معنى النفاثات فى العقد ؟ قال الزمخشرى : ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله ـ تعالى ـ : « ان كيدهن عظيم » تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد .

أو يراد بهن اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم ، وعرضهن محاسنهن ، كأنهن يسحرنهم بذلك ا هـ .

أى ان ذلك من مجازات القرآن ، كما قيل فى قوله تعالى: **« وامرأته حمالة الحطب »**

فقد ذهب بعض المفسرين : بأن ذلك كناية عن المشى بالنميمة . والعرب يقولون للمشاء بالنمائم، المفسد بين الناس ـ : يحملُ الحطب بينهم أى يوقد النائرة ، ويسعر الشر !

ولو أن هؤلاء المتورطين قالوا كما قال من أراد أن يجمع بين صحة الحديث ، وعصمة الرسولُ العظيم : وهو أن اليهود قاموا بسحر الرسول ، دون أن يؤثر فى ذاته الشريفة المحروسة بعين الله ! المحفوظة بركن الله ! وأن الله أطلعه على سحرهم ، ليتبين للمسلمين غدرهم وخستهم وعدوانهم ، وليعلموا : أن الله مخزيهم وناصر عبده ونبيه عليهم ! وليستيقن اليهود نبوة النبى ، وخفارة الله له من كيدهم ، واحباطه صنعهم ، وأنه وأصحابه الأعزون ، وهم الأذلون ! لو أنهم قالوا بهذا القول لقبلنا ذلك منهم ، ويكون ابطال السحر ، ونقضه معجزة لصاحب الرسالة العظمى ، باخبار الله له ما يدبره أعداؤه ، كما أخبره بذراع الشاة المسمومة التى أهدتها له بعض اليهوديات فلم يأكلها ! وهذه مثل تلك !

والعبرة مما سلف : ان كثيرا من الرواة ـ فى ظل التقليد والجمود ـ يصدق كل ما دون فى الكتب من الخرافات ، وان خالفت المعقول والمنقول! وصدمت المعارف الضرورية ، ناسين أن الدين الصحيح لا يخالف العلم الصحيح !

ولا يبالى ـ وهو متشبع بهذه الأفكار القاصرة ـ أن يجعل

الحديث الآحادى، حجة على النص القرآنى الصريح ! والنصوص لا تتأول ـ كما يقررون ـ والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول : « اعرضوا حديثى على كتاب الله، فان وافقه فهو منى وأنا قلته » رواه الجامع الصغير .

وفى مسند الامام أحمد « اذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم (جلودكم) وترون أنه منكم قريب ، فأنا أولاكم به ، واذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه بعيد منكم، فأنا أبعدكم منه » .

ثم لا يبالى ـ فى ظل الغيرة الزائفة على النقول والآثار ـ أن يحرص كل الحرص على توثيق الراوى فى عهود سادها الزنادقة والملاحدة والوضاعون ! دون أن يحرص بعض الحرص على تنزيه الرسول من النقص والحطة ، والوصم بما يأنف منه أوساط الناس ، بله الأنبياء والمرسلين ، فيجعل الحديث الأسطورى فوق الكتاب العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! ويحتج بأوهام الرواة على نقص الرسول ، ولا يحتج بكمال الرسول على أوهام الرواة ! ولا حول ولا قوة الا بالله ! مع أن الاتفاق واقع بين العلماء على أنه ليس كل حديث صحيح السند ، صحيح المتن ! لجواز أن يكون فى بعض الرواة من أخطأ فى الرواية عمدا أم سهوا ، بل قالوا : ان الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحا فى الواقع ، وأن الصحيح السند ، قد يكون موضوعا فى الواقع !

وقد نقل البدر العينى فى شرح البخارى عن صاحب « التلويح » :

فان قال قائل : هذه الأخبار قد رواها قوم ثقات ، ونقلها أهل العلم والأخبار !

والجواب : يجب على كل مسلم الدفاع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان كان الرواة لها ثقات ، فلا يعرون عن الخطأ والنسيان والغلط !

هذا قولهم فى الرواة الثقات ، فما الظن بالرواة الكذبة الذين دخلوا فى الاسلام ، للكيد للاسلام بانتقاص رسول الاسلام ؟!

وحسبنا فى ذلك : أن الامام الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير ، الا شبيه بمائة حديث !

مع أن لابن عباس تفسيرا كاملا ضخما للقرآن يمكن أن تراه فى « دار الكتب »

والامام أحمد يقول : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير : والملاحم والمغازى !

« أى ليس لها اسناد ، لأن الغالب عليها المراسيل » .

والنسائى صاحب السنن يقول : الكذابون المعروفون بوضع الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعة : ابن أبى يحيى بالمدينة ، والواقدى ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن سعيد ـ ويعرف بالمصلوب ـ بالشام !

واذا صح هذا القول فى هؤلاء ـ وهم معدودون من أحبار الملة ـ فغيرهم أولى بأن يحترس منه !

وأحب أن أصرح ـ خوفا من ناعق ينعق بما لا يعرف ـ أننى أجل السنة الصحيحة ، وأعدها الدستور الثانى بعد القرآن ، وأومن بقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « أوتيت القرآن ومثله معه » ، ولكن يجب أن نفرق بين الأحاديث النابعة من مشكاة النبوة ، وبين الأخبار الموضوعة التى تسيىء الى الاسلام وهو الدين الوحيد الذى يعتمد على « العلم » ـ « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ويرتكز على العقل » « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » و « العقل متبوع ، والشرع مسموع » .

وهو الدين الوحيد الذى نشأ فى ظل العزة والقوة ، فحفظت أصوله وفروعه !

وهو الدين الوحيد الذى درج فى ضوء التاريخ الكامل ، فلم تضع معالمه ولم تدرس آثاره ، وبرىء من الخرافات والأساطير والضلالات .

والله الهادى الى سواء السبيل !

من التراث
الفني
الإسلامي

مطرقة الباب

الدكتور حسن الباشا

قد يتساءل البعض كيف نعتبر مطرقة الباب – رغم ما يبدو من ضآلة شأنها – من التراث الفني الاسلامي . غير أنه من المعروف أن الصناع والفنانين المسلمين لم تقف عنايتهم عند حد الاشياء الضخمة أو الواضحة الأهمية ، بل تطرقت أيضا الى الأدوات الصغيرة والأجزاء التى قدلا تسترعى انتباه الكثيرين مثل شباك القلة ، وصنبور الابريق ، وقاعدة الاناء : مما يشهد من غير شك على رقى الذوق الفنى والتقدم المدنى والحضارى .

ولقد استرشد الصناع المسلمون فى تلك العناية بالتعاليم الاسلامية التى تحض على اتقان العمل مهما قل شأنه كما يتضح من قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ومطرقة الباب عبارة عن أداة صغيرة من المعدن تشبك بالباب من الخارج بحيث يمكن تحريكها والقرع بها على قاعدة معدنية لاحداث صوت يسمعه من بداخل البيت فيفتح للطارق ان شاء . ويمكن تسميتها أيضا بمقرعة الباب ، وتسمى فى اللغة المصرية الدارجة (السماعة) .

وتلعب مطرقة الباب دورا هاما فى آداب دخول البيوت التى عنى الاسلام باقرارها ..

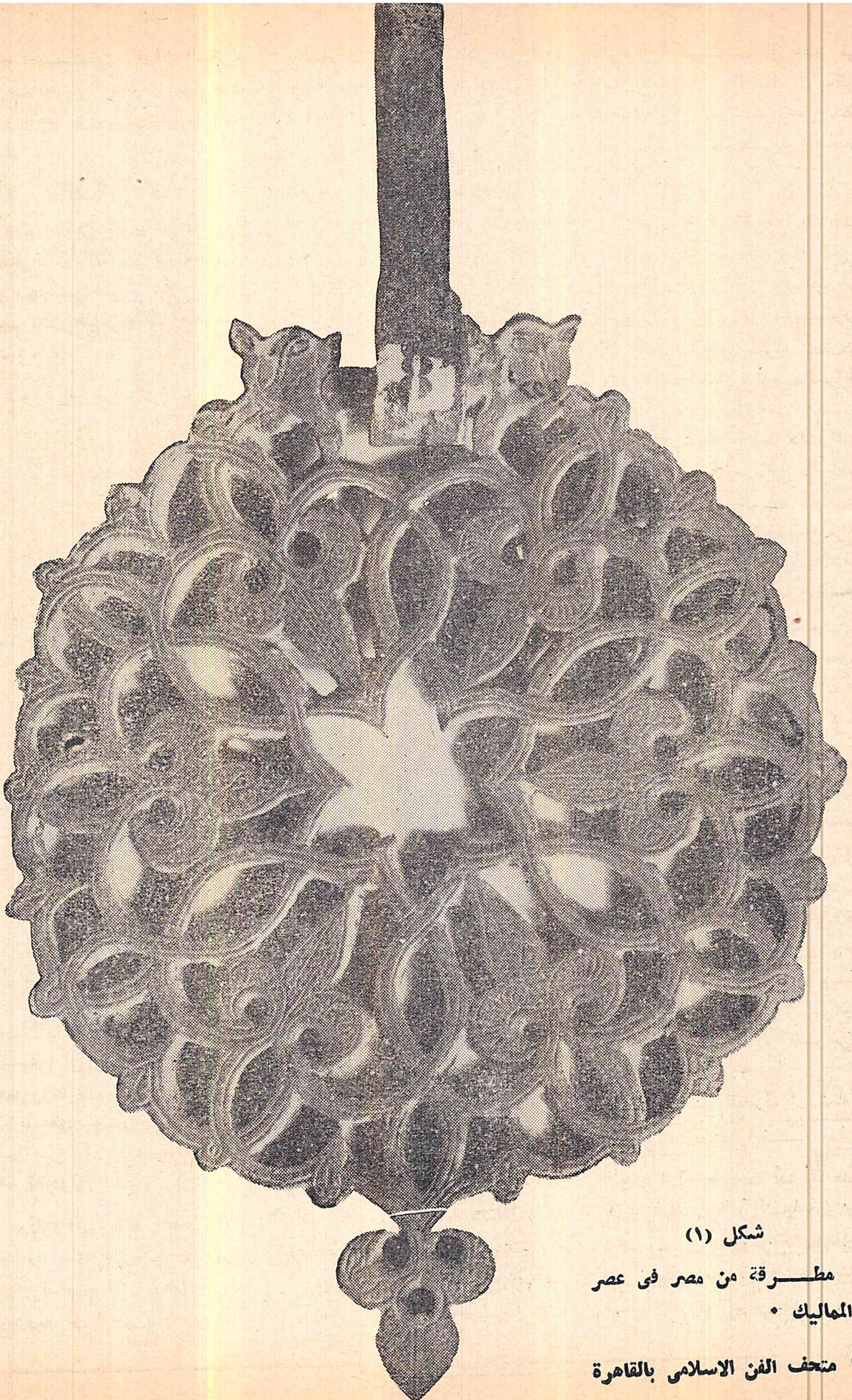

شكل (١)

مطـــرقة من مصر فى عصر المماليك .

متحف الفن الاسلامى بالقاهرة

ولقد استهجن القرآن الكريم تصرف الذين جاءوا ينادون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من وراء الحجرات .. فقال - جل شأنه - :

« ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » .

سورة الحجرات آية ٤ .

ونهى عن اتيان البيوت من ظهورها ، وأمر باتيانها من أبوابها ، فقال سبحانه وتعالى :

« وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

سورة البقرة آية ١٨٩

كما حتم على الداخلين أن يستأذنوا قبل الدخول ، وأن يسلموا على أهل البيوت ، يقول الله سبحانه وتعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وما تكتمون » .

سورة النور آيات ٢٧ - ٢٩

وقد حث النبى - صلى الله عليه وسلم - على الاستئذان قبل الدخول على الغير ، وحين سأله بعضهم ان كان يستأذن على أمه أجابه عليه الصلاه والسلام بقوله **« اتحب أن تراها عريانة ؟ »**

ولقد كانت هذه التعاليم الكريمه من غير شك حافزا على العناية بمطرقه الباب باعتبارها وسيلة اساسيه من وسائل الاستئذان فى دخول البيوت من جهه ، وباعتبارها بديلا مهذبا عن النداء من وراء الحجرات من جهه أخرى .

وربما كان من أسباب العناية بمطرقه الباب ايضا أنها اول مايشاهده الضيف من المنزل ، ومن ثم فانها بمثابه عنوان لما يكون عليه البيت واثاثه من حسن وجمال ، وما يتمتع به أهله من ذوق فنى أو من ثراء ورخاء .

ولقد حظيت مطرقة الباب بعنايه صناع المعادن المسلمين فاهتموا بتجميلها وتحسينها عن طريق التشكيل الجميل والزخرفة بالرسوم البارزة والمحفورة والمفرغة ، كما اهتموا بمتانتها حتى تتحمل القرع والطرق لا سيما وان البعض يلح فى الطرق حتى يؤذن له .. كما قال الشاعر اسماعيل صبرى :

طرقت الباب حتى كل متنى

فلما كل متنى كلمتنى

وكان يراعى فى تشكيل مطرقة الباب أن تكون متلائمة مع شكل الباب نفسه وحليأته وزخارفه .. ففى حالة كسوة الباب مثلا بحليات برونزية مستمدة من الأشكال النباتية او الهندسية كانت مطرقة الباب تشكل حسب الأسلوب نفسه .

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بمجموعة من المطارق البرونزية تنسب الى مصر فى عصر المماليك . ويلاحظ أن بعض هذه المطارق قد شكلت على نمط حليات الابواب التى كانت مشبكة بها .

ومن مطارق الأبواب بالمتحف نفسه مطرقة من البرونز المفرغ « سجل رقم ٢٢٤ » تتألف من رسوم عروق نباتية محورة تتشابك وتتداخل مكونة شكلا دائريا مفصصا تملؤه مناطق منتظمة يحتوى كل منها على صورة ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص ، وتحف هذه المناطق بشكل نجمى فى الوسط له ست زوايا ، ويتدلى من أسفل المطرقة شكل على هيئة ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص ، ويزخرف السطح كله رسوم محزوزة ومحفورة ، ويوجد فى أعلى المطرقة صورة حيوانين متماثلين يتواجهان على جانبى مشبك المطرقة .

وبالمتحف نفسه مطرقتان متشابهتان قد شكلت كل منهما على هيئه منطقة دائرية مفصصة ويزخرفها شريطان دائريان متداخلان من الدوائر المفرغة التى تتبادل مع ألسنة بارزة ، وفى وسط المطرقة ترس نجمى مفرغ ذو ثمانى شعب . ويتدلى من أسفل المطرقة شكل على هيئة ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص .

وشاع اتخاذ مطارق الأبواب المشكلة على هيئة رسوم مستمدة من اللفائف النباتية العربية المورقة التى عرفت عند علماء الفنون والآثار باسم «الأرابسك» وقد وصلنا عدد من هذه المطارق التى تعتبر من اجمل من أنتجه صانع المعادن العربى .

وكان بعض ملاك البيوت من أمراء المماليك يحرصون على أن يثبتوا على مطارق أبوابهم أشعرتهم أو أسماءهم على نمط ماكان متبعا فى عصر المماليك من اثبات الأشعرة والأسماء على العمائر والثياب وسائر الأدوات، وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مطرقة باب حفر عليها شعار على هيئة كأس ، وكان هذا الشعار يتخذه عادة الأمراء الذين كانوا يشغلون وظيفة الساقى .

ولكنيسة ورتبرج بألمانيا الشرقية باب له مطرقة عليها كتابة دائرية تشتمل على أدعية وألقاب مكتوبة بخط عربى زخرفى جميل . ومن الواضح ان هذا الباب قد نقل من أثر اسلامى .

وقد جرت العادة أن يشكل الصناع المسلمون بعض الأدوات المعدنيه على هيئة حيوانات أو طيور .. كان تشكل المبخرة على هيئة أسد ، وصنبور الابريق على هيئة ديك ، وغطاء الاناء على هيئة طائر وهكذا .. ومن ثم فان بعض مطارق الأبواب قد شكلت على هيئة حيوانات مختلفة .

وربما كان تشكيل مطرقة الباب على هيئة حيوان يتضمن فى بعض الأحيان اعتبارها طلسما ذا أثر سحرى أو تميمة تمنع الشر من الدخول .

ومن المعروف أن الأشوريين القدماء قد اعتادوا أن يقيموا عند مداخل معابدهم وقصورهم تماثيل شديدة البروز على هيئة حيوانات خرافية تتألف من جسم أسد أو ثور ورأس انسان وجناحى نسر . وكانوا يعتقدون أن تلك التماثيل عبارة عن حراس تحمى المعبد أو القصر من دخول الأرواح الشريرة .. ويبدو أن التنين قد اتخذ لغرض قريب من ذلك عند الصينيين وبعض شعوب الشرق الأقصى .

وقد انتقلت بعض هذه الأوهام الى بعض الشعوب الاسلامية .. ذلك أن السلاجقة عندما جددوا سور بغداد شيدوا فى سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) بابا فى سور المدينة كان يطلق عليه اسم باب الطلسم نسبة الى ما كان يزخرف أعلاه من نقوش بارزة كان يعتقد انها طلسم ذو أثر سحرى قوى . وكانت هذه النقوش تمثل تنينين متماثلين يتواجهان حول رجل .

وقد يستشف غرض طلسمى مشابه فى مطرقة من البرونز محفوظة بمتحف برلين يمكن نسبتها الى عصر السلاجقة .. وهى مشكلة على هيئة تنينين متقابلين فى وضعة تراصف يحف رقبتاهما بشكل يشبه رأسا محورا .. ويلاحظ أن كلا منهما له جسم ثعبان يلتف بعضه حول بعض ، وجناح طائر ، ورجلا حيوان ، كما شكل طرف ذيله على هيئة طائر .. وتتخذ المطرقة بصفة عامة شكلا زخرفيا جميلا مفعما بقوة التأثير والتعبير .

وربما كان تشكيل بعض مطارق الأبواب على هيئة حدوة فرس يتضمن هدفا مشابها .. لا سيما وأنه من الشائع بين بعض العامة اتخاذ حدوة الفرس كتميمة ضد الحسد ولجلب الخير ..

وقد عرف فى عصور متأخرة تشكيل المطرقة على هيئة قبضة يد ، وهذه تمثل من غير شك اليد التى استبدلت بها المطرقة فى قرع الباب .. وربما كان تشكيل مطرقة الباب على هيئة يد ذات خمسة أصابع يتضمن فى الوقت نفسه دفع الحسد : ذلك أن بعض العامة قد يطبعون على أبوابهم أو واجهات منازلهم كفا بأصابع خمسة كتميمة ضد الحسد وعين السوء .

وليس من شك فى أن بعض مطارق الابواب يتضمن معانى رمزية ولا سيما تلك المطارق المشكلة على هيئة أهلة التى تحتفظ المتاحف بأمثلة منها .. ذلك أن الهلال يرمز الى الاسلام من جهة ، كما كان يرمز الى الخير عند الساسانيين فى ايران من جهة أخرى .

وهكذا نجد أن مطرقة الباب قد استوحى الفنان الاسلامى العناية بها من التعاليم الاسلامية واتقن صناعتها وجملها .. مسترشدا بروح الاسلام .. ثم لعبت الأوهام والخرافات أحيانا دورها فى صوغها وتشكيلها .

وأيا كان الهدف الذى يكمن وراء تشكيل مطرقة الباب بصورة معينة أو زخرفتها بطريقة خاصة فانها قد اتخذت فى جميع الأحوال الأسلوب الذى كان يميز الصناعات المعدنية الاسلامية فى العصر الذى صنعت فيه ، كما أن الفنان المسلم قد استطاع أن يصنع من هذه الأداة الصغيرة تحفة فنية جميلة .

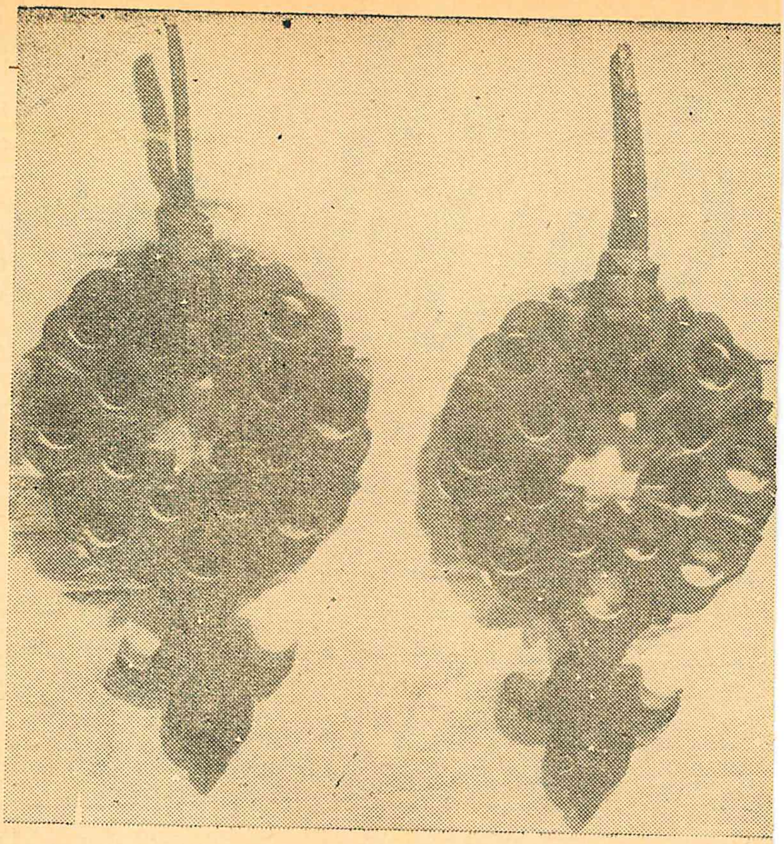

شكل (٢)

مطرقتان من مصر فى عصر المماليك .

(متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

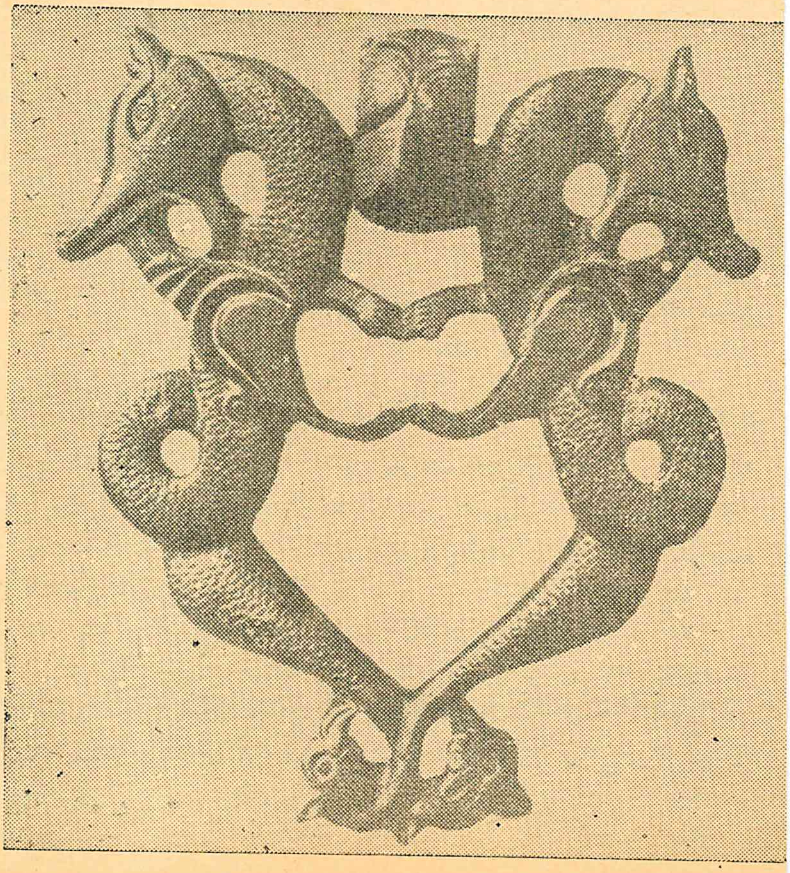

شكل (٣)

مطرقة من العراق فى العصر السلجوقى .

(متحف برلين)

مصرى آخر ·· واعتبره زنيما أثيما ·· قـال له يا يهودى ·· أنتم تسكبون علينا من هذه اللفظة ·· لعنة ··

ـ ماذا تعرف عن والدى ·· هل هو من الأسلاف الحاكمين

ـ لا ·· أبوك رجل من الشعب ·· ولهذا حسبتك أكثر عقلا وحكمة من أبناء الملوك الصلفاء ·

ـ ومن حكم مصر قبل والدى

ـ محرر مصر من الهكسوس ·· أحموس ··

ـ من الذى أتى بالهكسوس الى مصر لاحتلالها

ـ لا أدرى

ـ بل هم اليهود ·· جبناء ·· أنذال ·· ويرسمون لغرضهم ·· بالتحازف ·· ولقد طردنا الهكسوس بيد احموس ·· ونحن الآن نستعد لطـرد خونة العيش والملح ·· الذين يعضون اليد التى تطعمهم ·

ـ واذا همست لك يا أمينوفيس ·· بسر عظيم

ـ قل ياموسى

ـ لقد اختارنى الله أن أكون نبيا ·· فما بالك اذا دعوت الى دين الله فى مصر ·· وبين المصريين

ـ أحقا ياموسى

ـ أقسم لك بالله ان ذلك حق

ـ اذن فتقبل منى تهنئتى الحارة ·· كل الذى أرجوه أن تعرف حقيقة واحدة ··

ـ هى

ـ أن يكون الله رب الناس جميعـا ·· لا رب أهلك وحدهم ··

وحاول ان تنسى هذه الواقعة · تعصبك لعبرانى ·· وقتلك مصرى باللكز ·· لانه شتم اليهودى ··

ـ ولكن لم كل هذا التعب

ـ حتى يصدقك الناس ·· ان الناس اذا اعتبروك عبرانيا ·· فلن يصدقوك ولن يصدقوا دينا يعطف على الأنجاس ··

ومتى أبدأ الدعوة يا أمينوفيس

ـ ان (يوم الزينة) ·· تذكار انتصارنا على أحلافكم ·· الهكسوس ·· قريب ·· وأنت تعرف أن حب مصر لحريتها يدع الناس يفدون الى هنا ·· وكان (يحشر الناس ضحى) على شواطىء النيل ··

ـ سأفعل يا أمينوفيس ·

ـ فقط ·· وطد نفسك على الخروج من مصر اذا لم يصدقوك أنت والجنس اليهودى كله

ـ ولكنى ·· اذا وقع ما تظن ·· ستكون مع من أنت

ـ أنا ·· طبعا من روح مصر ياموسى ·

ضراعة

الشاعرة روحية القليني

أنا عند بابك يا حبيبى لم اجد الاه بابا
أنا ما لجأت لغيره بضراعتى أرجو الثوابا
فاشمل بعطفك يا الهى من اليك أتى وتابا
انى أرى الدنيا بغير رضاك يا ربى سرابا
والأرض دون نداك لا تبدو لنا الا يبابا
أنا ما قصدتك مرة الا وذللت الصعابا
واذا لجأت اليك يصبح مطلبى أملا مجابا
ان قلت يا ربى ترد مع الرضاء لى الجوابا
لبيت أمرك يا الهى هل ترى أخشى الحسابا
الليل يعرفنى سهادا بالتقى دمعا مذابا
والفجر يشهد كيف أتلو بالضراعات الكتابا
فاذا هفوت فعفوك المرجو يلهمنى الصوابا
أنى اتجهت أراك يا ربى فتكشف لى الحجابا
فأرى الحقيقة فى ضمير الكون تمحو الارتيابا
ناديت بالقرآن يا رحمن قلبى فاستجابا
وأطاع أمرك مسلما فامنحه يا رب المثابا

الى الأقدام الثابتة فوق الأرض الصلبة

الربيع الباكي

الشاعر احمد عثمان المراغي

انى شغلت بنكسة الأوطان
عن كل حسن رائع فتان

وجلست فى ظل الربيع أبثه
ألما تلقف ناره وجدانى

وتزاحمت حولى شدائد أمتى
فبكيت بالدمع الذى أضنانى

وتاوهت نفسى وبحت بزفرتى
ونسجت من حلل الأسى أوزانى

فأنا على شط الصراع مناضل
صلب المراس وعدتى ايمانى

يا موطنى لهفى عليك فأينما
وليت ألقى وصمة العدوان

وأرى الذئاب تجول فى أرباضنا
وأحس بالطعنات والطعان

وهنا على أرضى أبات مؤرقا
وأظل طول اليوم فى الأشجان

فكأننى يا موطنى فى موطنى
رهن السجون ونكستى سجانى

تفرى الضلوع مواجعى ويزيدنى
ألما عناد الزيف والبهتان

ما كنت أحسب أن مثل قضيتى
تلقى الذى ألقى من النسيان

لكنه طمع العداة يريدنى
حملا تقسمنى يد الطغيان

أبدا سأنصر بالنضال قضيتى
وأعيش فى وطنى عزيز الشان

وعلى اليقين أسير أحمل مشعلى
وعلى الفدا سأظل يا أوطانى

لا الغدر يحطمنى ولا كل الألى
حشدوا من الأذناب والذؤبان

فالأرض أصلب تحت أقدامى أنا
من كل طود شامخ البنيان

وغدا سترجع يا ربيع ببسمة
فوق الشفاه تطوف كل مكان

والى البلابل فوق أغصان الربى
تهفو الى صدحاتها آذانى

وتعطر الدنيا بأعبق نسمة
ستهب من ثأرى على البلدان

قسما سترجع يا ربيع فتلتقى
بتحرر الربوات والوديان

قسما سأحفظ بالعزيمة تربتى
فالشبر من أرضى وجود ثانى

قسما بتاريخ ملء بالفدا
لأحطمن الظلم بالبركان

قسما ببيت القدس سوف أصونه
بدمى ويكبرنى أنا الحرمان

قسما ليغسل عار آلام الحمى
يوما دم سيسيل كالطوفان

سأبر للدين القويم لأمتى
سأبر للانجيل للقرآن

سأبر للماء الزلال لنبعه
للزرع للاشجار للاغصان

للطير للطفل الرضيع لزوجة
مكلومة للشيب والشبان

لبراعم الأمل المرنح فى الدجى
ترنو الى نصرى بكل حنان

عد يا ربيع ببهجة بين الحمى
عد يا ربيع ببسمة الأوطان

من وحي خطاب حلوان

أعطيت عمرك ياجمال لشعبنا

الشاعر محمد حليم غالى

وتساءلوا ماذا تقول؟ واشفقوا ... وترقبوا منك الحديث المشرقا
أصغوا بوجدان اليك ، وكلهم ... قد زاد ارهافا وزاد تعلقا
يبغون وجهك كى تطل بطلعة ... عرفوك منها ، شامخا ومصدقا
عرفوا بك الاخلاص يملأخافقا ... عرفوك فى الوطن الحفى المشفقا
عرفوك انسانا تذوب لأجلهم ... وراوك فى الظلمات تبدى المشرقا
وتطلعوا بين الصفوف اذا بهم ... يجدون وجهك ضاحيا متألقا
ينسون أنفسهم اذا واجهتهم ... والكل حولك: هاتفا، ومصفقا
يعطونك التأييد انك رمزهم ... أعطيتهم قلبا : يفيض ترفقا
خلقاطبيعته السماحة والرضى ... كم جاد للشعب الأبى وأغدقا

* * *

عبر الأثير اذا سمعتك عانقت ... روحى السماء وزدت منك تعلقا
كلماتك البيضاء تقطر فى دمى ... سحرا، وتعطينى الحياة تدفقا
وتثير فى النفس البطولة والعلا ... وشموخ من للخالدات تشوقا

* * *

أعطيت عمرك « ياجمال» لشعبنا ... فاختال فى الدنيا وعز وحلقا
واشتد ساعده بعزمة ثائر ... ونما كما تنمو الغصون وأورقا
سيظل رغم الحادثات مظفرا ... يعطى الحياة ويستزيد تعمقا
وتفيأ الظل الكبير ، مواقفا ... خلدت وروحا فى الطموح تحققا
دفع انطلاقته «جمال» لم يدع ... سحبا تغيم، ولا غموضا مفرقا
عزت عروبته الشريفة فانبرى ... يضع الأساس مغربا ومشرقا
متوثبا يعلى البناء فما ونى ... يوما .. ولا أبقى هناك معوقا
نادى فأيقظ فى الضمائر خاطرا ... «للوحدة الكبرى» وسار موفقا
تمضى مواكبه الكبيرة فى العدا ... فيفزعون .. ويزعون تفرقا
ويهب الاستعمار يغرس نابه ... ليصير جمع اليعربى ممزقا

* * *

غص العدو بثائر من شعبنا ... جعل الحكومة عزة وتخلقا
ينزاح الاستعمار من جنباتها ... ليست مجالا للدخيل فتسرقا
فارادة الشعب العظيم عظيمة ... أعطتك فى ظل الطموح الموثقا

* * *

رشف الجميع حديثكم مستمتعا ... فازداد ايمانا وزاد تعشقا
رشفوا الأمان مع البطولة والمنى ... عرفوا من الأحداث ماقد أغلقا
قسم عظيم للتحرر قلته ... والله حولك هاديا وموفقا

الشعر الديني

من الشعر المنسوب إلى الوصى على كرم الله وجهه

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

أعظم الرثاء

وعن الكشكول أن عليا رضى الله عنه رثى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

كنت السواد لناظرى … فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت … فعليك كنت أحاذر

العين لا تنظر الالوان ولا ترى الاشكال الا بسوادها فاذا فقد هذا السواد فلا رؤية ولا نظر ، وحين قبض النبى صلى الله عليه وسلم بكت العين لا على شيء خارج عنها بل على أعز شيء فيها وهو سوادها التى ترى به غيرها وتتحقق به من وجودها

ولا قيمة للاحياء ولا لمناظر الحياة والوانها وحدود أشكالها اذا ذهبت حدقة العين ، فاذا شمرت الاحياء للذهاب وازمعت الحياة على الاغتراب فلا اهمية للحدقة والسواد مع انه ليس أغنى للعين من حدقتها ولا أغلى من سوادها .

ولو صح أن يكون الامام قد قال هذا الكلام فهو غاية الحزن والفقد وغاية ما ينفض الطائع يده من دنيا تنقطع فيها الانباء ويتوارى عنها الانبياء .

انخذال الأعداء

عن معجم الشعراء : روى يونس النحوى لعلى ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فى عداوة قريش له :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم
بذات وقبين لا يعفو لها أثر

لقد تمنت قريش حين كانت فى ضلال الشرك أن تقتل عليا مرات ومرات : تمنته عندما كان أول من أسلم من الصبيان ، وتمنته عندما فدى النبى - صلى الله عليه وسلم - وبات على فراشه ليلة الهجرة ليوهمهم أن النبى نائم فى فراشه حتى لا يبحثوا عنه فى خارج داره ، وتمنته حين فعل بها الافاعيل فى بدر وأحد وفى الغزوات كلها .. ثم ما زالت تؤلب عليه حتى فى عزة الاسلام وغرته ..

وعلى يلوم قريشا على هذا التمنى ويلومها عليه من ناحيتين :

الأولى أنه ليس تمنيا للخير ولكنه شهوة فى قتل من ينصر نبيا مجتبى من السماء مبعوثا لخيرهم وهدايتهم وليسودوا به العالم كله

والثانية أنه تمنى الضعفاء الذين لا يقدرون على تحصيل الرغائب ولا نيل المطالب .

وهذا اللوم يرمى قريشا المشركة بسيئتين : أولاهما سواد القلب بالحقد .. والثانية : الخور والجبن عن المقابلة والمواجهة ، ولعل هذا نكتة الكلام ومقصد الاتهام .

ولكن عليا لا يدرى ماذا تكسب نفسه غدا ولكنهم اذا غدروا به فان ذمته لن تسقط عنهم وديته لن تنخلع من رقابهم .

والوقب نقرة فى الصخرة يجتمع فيها الماء ، أو شبه البئر فى الصفا تكون قامة أو قامتين ، وتكون ذات الوقبين الصخرة التى استجمع عليها الماء فى مكانين أو تكون هى البئر العميقة الملأى الى قامتين ، ومأؤهما لا يفرغ ولا ينفد .

فاذا كان المراد بذات الوقبين هذا الذى أفرغنا له جهد الفهم كان غرض هذا الشعر انه اذا هلك صاحبه بيدهم وبغدرهم وعدوانهم ، فان دمه لن يجف وسيظل نديا ابدا كالماء المتجمع الذى لا ينشف والبئر التى لا تنضب ولا يغيض مؤها .

وحيث كانوا على الدوام مطالبين بذمته ودمه فأولى لهم أن يعزفوا عن أمانى الشيطان ويطلبوا لأنفسهم الأمان بالاسلام والايمان .

أشباه الرجال

وعن زهر الربيع للجزائرى .. فى ديوانه - عليه السلام - :

أبنى ان من الرجال بهيمة
فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل رزية فى ماله
واذا أصيب بدينه لم يشعر

المعنى فى البيتين من المعانى التى خاض غمارها وفض أبكارها على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فهو القائل : يا أشباه الرجال ولا رجال ، ثم هو القائل : رب حامل علم لا بصيرة له ينقدح الشك فى قلبه لأول شبهة .

ولعله حين ينادى ابنا من أبنائه بهذا النصح يريد كل أبناء المسلمين فيحذرهم ويوعيهم ويدعوهم الى امتحان الرجال بعد فتح الأقفال ، فرب رجل فى زينة الطاووس وانتفاش الديك وهو من داخله خاوى اللب محطوم القلب .. فهو أعجم كالبهيمة التى ترتع فى الطين وان كان فى صورة الأناسين .

واشبه الناس بهذه الصورة رجل مفهوم بالدنيا مكبوب الوجه على الشهوات مفارق للدنيات .. فاذا أصيب من طرف شهوته وبدنه وماله صرخ وبكى وولول واشتكى ، بل هو حريص دائما على أن لا يصب فى دنياه وأن لايبتلى فى الرخيص من نعماه .. أما فى دينه وخلقه فانه لا يشعر بمصابه فيهما لأنه غليظ الجلد من ناحية الفضل ، رقيق الحاشية من ناحية الخسة والجهل .. وقانا الله شر هذه البلية وأبعدنا عن هذه الدنية .. انه سميع مجيب ..

من العين :

أغلى النصح

عن نور الأبصار ، نقلا من الفصول المهمة ، ومن كلامه - رضى الله عنه - :

وكن معدنا للحكم واصفح عن الأذى
فانك لاق ما عملت وسامع
وأحبب اذا احببت حبا مقاربا
فانك لا تدرى متى الحب راجع
وابغض اذا أبغضت بغضا مقاربا
فانك لا تدرى متى البغض رافع

هذا الكلام يبدو وكأنه بقية لكلام سبقه ، ولكن الشبلنجى لم يذكره .. أما هذا القول فيوصى بأن يكون ميزان المرء للاشياء على ميزان عدل لا يميل ولا يجور وأن يكون معدنا من المعادن التى تتخذ للوزن والتقدير لأنها لا تزيد بالصدأ .. ولا تنقص بالذوبان ..

وأولى بذى النظر الصائب والحكم الصادق أن لا يهتم بغير الفصول المهمة والأمور الملمة ، وأما الأذى فان الصفح عنه داخل فى باب العدل .. أو باب الفضل متى كان الشر غير مستفحل والضر لا يستحق حدا من حدود الله ، اذ العدل كائن لرد الحقوق والصفح كائن لاصلاح النفوس .

والأذى هو الضرر اليسير الذى لا يهلك ولا يفسد وان كان يترك أثرا زائلا ولونا حائلا ، وهو من قوله تعالى :

« لن يضروكم الا أذى »

وجزاء الأعمل والأقوال مكتوب واقع ، وكل انسان رهن عمله وقوله .. فان كان محسنا رأى جزاء الاحسان ضعفا أو أضعافا .. وان كان مسيئ ففضل الله قد كتب أن لا تجزى السيئة الا بمثلها ..

والبيت الأول يحتاج الى تكملة من نفس القارىء اذ كان تمامه أن يقول : فانك لاق ما عملت وسامع ما قلت .. ولكنه حذف ما يفهم بالسليقة ، وهو ما يسميه أهل البلاغة : الاضمار على شريطة التفسير وذلك حذف جملة من الكلام اذا كان فيه ما يدل عليها .

وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - يوصى فى الكلام بان يكون المرء معتدلا مقاربا فى حبه وبغضه غير مفرط ولا مغال فيهما ، لأن المغالى المندفع قد يفرط فى الحب فيبتعد حبيبه عنه ولا يعود فتهلك نفسه وينشق قلبه ، أو يفرط فى بغضه ثم لايجد ما يطفئه حين لايحين له ان ينتصر على عدوه ، واذن « فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ »

من الكاف :

غاية الشجاعة

عن نور الأبصار عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : انى لحاضر عند على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فى وقت اذ جاءه عبد الرحمن ابن ملجم يستحمله ثم قال : أريد حياته ويريد قتلى .. ثم قال : هذا والله قاتلى :

قال جابر : قلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تقتله ؟! قال : لا .. فمن يقتلنى ؟ ثم قال :

اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
اذا حل بناديكا

والعجب أن تكون هذه عقيدة الامام وأنه مقتول لا محالة بيد خارجى فلا ينفذ وصيته جابر .. ولم تكن هذه الظنون التى صارت يقينا عند الامام الا من تلويحات النبى له ثم من صفء نفسه وحدة ادراكه واستشفافه لمواقع الأحداث .

ولقد تمكن الدين والعدل من نفسه فلم يسبق الى قتل الخارجى ابن ملجم لأنه لم يكن عنده على الا ظنا ولم يكن الخارجى قد فعل قتلا أو ارتكب جرما .

وعلى فى هذا الكلام يقول لنفسه هذا القول .. والحيازيم جمع حيزوم وهو ما استدار بالظهر والبطن أو هو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر ، ويريد على بها أجزاء نفسه ومجتمع فؤاده ، يدعوها كلها الى أن تجتمع وتحتشد لتتلقى الضربة القاتلة والطعنة النجلاء .

ثم هو يدعو نفسه أن لا تجزع من الموت ، أى قبله وعند لقائه - لا بعده - لأن النفس بعد الموت تجمد فلا تجزع ولا تشتاق .

وحلول الموت بالنادى كناية عن قربه ومجالسته ومحادثته كما يحدث فى النادى بين الرفيق والرفيق ، واذا قرب الموت وجالس وحادث ، فقد وقع بالأجساد .

وانتظار على للموت كان - كما قلنا - أمرا عجيبا ، وقدرا مرتقبا ، وقد قال تميم بن المغيرة :

كان على - رضى الله عنه - فى شهر رمضان من السنة التى قتل فيها يفطر عند الحسن ليلة وعند الحسين ليلة وعند عبد الله بن جعفر ليلة .. ولا يزيد فى الأكلة عن ثلاث لقم أو أربع ويقول : يأتينى أمر الله وأنا خميص - جائع - انما هى ليال قلائل !

فلم يمض الشهر حتى قتل رضى الله عنه وأرضاه ..

من قصص المثنوى لجلال الدين الرومى

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

قبل أن نسترسل مع صاحب المثنوى فى أقصوصة الأسد والأرنب لابد لنا ان نقرر أنه حين صدر المقال الأول والثانى من ترجمة بعض فصول المثنوى لمست اتجاها يهدف الى ما نحن بسبيله نحو هذه الموسوعة من التصوف والأدب العالمى فاغتبطت لذلك لانى حين أعمل فى سبيل أمنية غالية رجوت تحقيقها حتى قبل دراستى للغة الفارسية انى لست فى الطريق وحدى وحمدت الله على أن أدباء فضلاء يشعرون نفس الشعور ويبذلون نفس الجهد وليس كتاب المثنوى بأقل من رباعيات عمر الخيام التى التقى على ترجمتها ستة من الشعراء لكل منهم محاولاته فى تقصى المعانى ومذهبه فى تصوير أخيلة الشاعر ولقد التقيت مع المترجمين فى بعض ما كتب الا انى لا التزم الترجمة الحرفية والترقيم والترتيب العددى للابيات أو مسايرة المترجمين الآخرين وتتبعهم ولا يعنينى الا افادة القراء أنفسهم بما يقرأون وأرجو أن يعفينى القارىء من تبعة التغاضى عن مصطلحات لا تلتقى مع اسلوبنا العربى أو تعبيرنا الأدبى أو نهجنا الدينى .

ونعود الى القول بان موضوع الأسد والأرنب أقصوصة صغيرة يقرؤها الدارسون ثم تنتهى الى موضوع هو أقرب الى التسلية منه الى شىء آخر . ولكن حين يتناولها صاحب المثنوى تخرج عن أفقها الضيق ودائرتها المحدودة الى فضاء رحيب يجول فيه الحوار وتلتقى فيه العبرة بالفكرة ، والحقيقة بالخيال والشعر بالعلم كما هو الشأن فى كل ما اشتمل عليه المثنوى من موضوعات ذاخرة بالحكمة القوية والزهد المناضل والايمان العامل « ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »

قرأنا فى المقال السابق حوارا بين الأسد والوحوش حول الجبر والاختيار وعرفنا كيف أقنعها الاسد بوجوب السعى والعمل وانه لابد من استثمار مواهب الله فيما خلقت له وان رب الخليقة قد استودع الانسان أجل المواهب والقوى وجعله خليفة الأرض ليستخرج كنوزها ويعمر بالعمل والكفاح كل مكان فيها ما استطاع الى ذلك سبيلا .

والى هنا وعلى حد تعبير المؤلف اقتنع الأرنب والثعلب وابن آوى وامتنعت الوحوش عن القول بالجبر ثم قالت للاسد ان رزقك سيصل اليك كل يوم دون أن تجشم نفسك العناء وسنبعث اليك قوت يومك فى واحدة منا وكانت الوحوش تجرى القرعة وأيها خرج اسمه كان يسرع تلقائيا الى الأسد .

وجاء دور الأرنب لتتجرع تلك الكأس المريرة فصاح قائلا : اما لليل الظلم من آخر ... فأجابته الوحوش : لا مناص من الوفاء فلطالما ضحينا فى سبيل الوفاء بالعهد فلا توغر علينا صدر الأسد ولا تثر علينا شراسته .

قال الأرنب : لا تعجلن باللوم حتى أنقذكن من موت محقق وحتى ندرك بحيلتى أمنا يبقى لنا ومن بعدنا ميراثا فى الأجيال والاعقاب ، لقد دعا كل نبى أمته الى مثل ما ادعوكن اليه لينقذها من الهلاك والبوار بما أفاض الله عليه من نوره وما ألهمه من وحيه ولكن المعاندين لم يروا فى كل نبى الا صورته البشرية يبدو أمام أعينهم صغيرا كانسان العين ولم يفكروا فى قدره الأسمى وفى رسالته العليا ولا فيما أودعه الله فيه من سر العظمة والموهبة.

قالت الوحوش : أيها المغرور لا تتعدى طورك ولا تجاوز بنفسك قدرها ، ألم يراود هذا الخاطر من هو أعلى منك شأنا وأبعد نظرا ، ما نرى الا ان العجب قد انتابك فصعرت به خدك وان الغرور قد اصابك لمحنة ينزلها القدر بنا على يديك .

قال الأرنب : فيم العجب أيها الأصحاب .. أمن المحال ان يلهمنى الله ما فيه السلامة والنجاة لعشيرتنا ، ورب ضعيف مثلى له من قوة الرأى ما يكسبه منزلة الأقوياء وقوة الحقيقة كثيرا ما تكمن خلف مظاهر الضعف ، ألم يلهم الله النحل ما غاب عن الاسد حين أوحى اليها « ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » وهى تقيم فى خلاياها مصنع الشهد فيه شفاء للناس . ان قدرة الله هى التى علمت دود القز أن ينتج الحرير وهو على ضآلته قد تعلم مايجهله الفيل على ضخامته .

وهذا آدم أبو البشر خلقه الله من طين وعلمه الأسماء كلها مما لم يصل الى علم الملائكة المقربين « فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » وحاول ابليس الذى ظل آلاف السنين متعبدا أن يحجب آدم عن نور العلم وألقى الله فى سويداء القلب ومستقر الضمير الانسانى جوهرة لم يودع مثلها أصداف البحار ولم يرصع بشبيه لها قبة الفلك الدوار .

أيها السالك لا تكن عابدا للصورة فان الانسان وهو كريم على ربه لا يمكن أن يقوم بصورته الآدمية وحدها والا لاشتبه الناس بعضهم ببعض ولتساوى الصالح والطالح والبر والفاجر ، واذا شاهدت صورة منقوشة على الجدران فلا تبهرك براعة الفنان وتامل كم ينقص تلك الصورة من الصفات .. لقد أمعن المصور فى رسمها واحكامها وابداع ملامحها ومع ذلك فستبقى كما هى صورة لاخير بلا روح وبلا حياة .

كم من صورة جميلة بلا روح ولكنها جماد وكم من روح يغمرها النور من كل مكان ولكن لا يعيبها أن الجسم غير مكتمل الجمال ، ان الروح تعيش فى المعانى الطلقة التى لا تجدها أمامك ولا خلفك ، انها تنفذ الى الجسم وشمس الروح تضيق عن جلالها سعة الأفلاك .

ولنعد بك أيها السالك الى قصة الأرنب ، اصغ اليها بغير اذنك المادية لتعلم كيف يصطاد الأرنب أسدا بقوة العلم وكيف تقلم حيلة الضعيف أظفار الوحش الضارى بسلامة الادراك .

ان العلم يصنع كل شىء فالعالم صورة والعلم هو الروح وبفضل العلم لم تبق لحيتان البحر ولا لوحوش القفار حيلة أمام عقل الانسان وعلمه فالنمر يرهبه والسباع تهابه ، تنهار أمامه كل تلك الكائنات الضارية وتفر كالجرذان ويرتعد من جلجلة صوته تمساح البحر ومن مخافته يفر الشيطان وتتخذ الجن لخوفها منه مكانا قصيا .

ما أكثر الخلائق التى تختفى خلف حجاب المظاهر فيها الخير ومنها الشرير وانك لو ذهبت الى النهر لتسبح وشعرت بالألم من شوكة أصابت جسمك فانك لم تعلم بوجود هذه الشوكة الا من وخزها وقد كانت مختفية فى القاع . وان وخزات أشواك الجبل لا تجىء من شخص واحد بل من الآلاف فاصبر حتى يتبدل حسك المادى فترى هذه الكائنات الخفية ويومئذ تعلم حقيقة خصومك ومخالفيك وتدرك كنه من أوليتهم ثقتك .

قالت الوحوش للارنب أيها المخلوق السريع الوثبة هل خف عقلك ، افصح لنا عن مكامن رأيك وصرح لنا يا مصارع الأسد عما يدور بخلدك والعقل يلقى العون من العقول سواه .

ونحن نساندك بكل رأى سديد يكون فيه الخير لنا ولك ، ان الشورى تكشف الحجاب وتبدى وجه الحقيقة وتلهم الصواب ومهما يكن العقل حكيما فلا مندوحة له من الاستعانة بغيره ففى كلام الله جل شأنه « وشاورهم فى الأمر » وفى حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « المستشار مؤتمن » « ولا ندم من استشار »

قال الأرنب : رويدا فما كل نبأ يذاع وكل سر جاوز الاثنين ضاع ، فاقلل من الحديث عن ذهبك وذهابك ومذهبك ، ان لك أعداء فى كل واحد من هذه الثلاثة .

وتاخر الأرنب فى الذهاب الى الأسد ساعة ثم مثل أمامه فاذا الأسد متحفز المخالب بادى الأنياب يكاد يزلزل الارض تحت قدميه ويهز صياصى الجبال بزئيره وهو يصيح فى وجه الأرنب : انني اخطأت حين صدقت أولئك الوحوش الاخساء ، ان خديعتهم أسقطتنى من فوق جوادى وانحرفت بى عن طريق رشادى .

اهملت السعى والاعتماد على نفسى وخدعتنى المظاهر ، وكم من طريق يبدو فى رأى العين ممهدا مستقيما تكمن فيه الحفر فخليق بك أيها السالك أن تنقب عن الحقيقة فى حذر من خداع المظاهر ، وانشد الحكمة ، ان الحافظ للحكمة يصبح مرآة اللوح المحفوظ وتجنب التراخى والتواكل ولا تتمادى فى طريق الجبن فمن اتخذ الجبن مذهبا لازمه الى القبر فقد أرشدتنا السنة المطهرة أن المتمارض تصيبه الأمراض وتلازمه العلة حتى ينطفىء كالسراج ، الجبر أين يوجد ومتى يحتمله سلوك المؤمن ؟ حين يكون ربطا لعضو قد كسر أو وصلا لعرق قد قطع ، فاذا كانت قدمك سليمة لم يصبها كسر فى طريق العمل فعلام تربطها ؟ ومن يصيب العجز قدميه وهو يسلك سبيل الاجتهاد سيحمله براق القدرة ويصل به الى أسمى الغايات ، فجدد ايمانك بالفعل لا بالقول وبالساعد لا باللسان ولا تكن ذاهلا عن مواهب الله فبك كالفارس الذى يصيبه من الوهم مايشبه الذهول فيحسب جواده قد ضاع منه ويصيح أين جوادى ، عد الى وعيك ورشدك ولا تقل أين جوادى ؟ انه يسرع بك فى الطريق وأنت على صهوته .

لا تكن ذاهلا عن قوة روحك فالروح ظاهرة قريبة وان بدت غائبة عن أعيننا وكيف ترى الألوان اذا لم تشهد النور وحين يخيم الظلام تتشابه صور الاشياء وجميعها خلف الحجاب سواء .

تقدم الأرنب الى الأسد وهو يحث الخطى مسرعا غير هياب عابس الوجه لا تبدو عليه أمارة من الرهبة والتردد ليدفع التهمة ويبعد الشبهة كى لا يرتاب به الأسد .

ولما دنا منه قال له ها أنت ذا أيها الأرنب الخسيس قد أتيت أخيرا أيها المخلوق الضئيل ، أنا من مزق الثيران بمخالبه وعرك آذان الفيلة ذات الأجسام البدينة بقوته .

قال الأرنب : الأمان أيها الجسور المملاق فان لى من العذر ما يجعلنى جديرا بعفوك .

قال الأسد : وأى اعتذار تحاول أن تخدعنى به ؟ بالقصور البلهاء .. لا اصغاء لعذر الاحمق ، ان اعتذار الاحمق ذنب يضاف الى ذنوبه وكلماتك الضارعة هذه لن تجد طريقها الى أذنى .

قال الأرنب : سيدى لا تغلق باب حلمك عن قبول حجة المظلوم ولا تدفع ضالا عن طريقك ، وفى هذا العفو زكاة عن جاهك . والبحر الذى يمد الانهار لا يضيق بحمل القش فوق أمواجه ولا ينقصه الكرم شيئا حين يرتفع منه السحاب فيسقى الصحراء واليباب .

قال الأسد : ولكنى أضع البر فى موضعه وألبس كل جسم ثوبه على مقدار قامته

قال الأرنب : اذا لم يكن عذرى جديرا بالقبول فاصنع بى ما شئت

قال الاسد : هات ما عندك

قال الأرنب : لقد سلكت هذا الطريق اليك صبيحة يومنا هذا ومع رفيقى فتصدى لنا فى الطريق أسد استوقفنا محاولا الفتك بنا فقلت له اننا من عبيد ملك الملوك ونحن رفيقان صغيران على قدم الطاعة عند بابه فقال فى سخرية من يكون ملك الملوك هذا سامزقكما واياه كل ممزق اذا حاولتما الفرار والتحول عنى فقلت له خل سبيلى حتى أرى وجه سيدى مرة أخرى وأوافيه بخبرك قال دع رفيقك رهينة عندى والا كنت أنت الضحية الأولى وطال الحديث معه فى غير جدوى وقد أمسك برفيقى وانطلق به وقد كان سمين الجسم شحيما يعدلنى ثلاثة أضعاف فاسرعت اليك وما أشك فى أن ذلك المعتدى سيأخذ علينا الطريق كل يوم وينقطع بذلك رباط معاهدتك واتصالنا بك فان تركته وشانه فلا أمل لك فى رزق تنتظره أو طعام ترقبه منا بعد اليوم وقد صارحتك بالحق وان كان مرا فاذا كان لك مأرب فى أن يصلك قوت يومك دون شقاء فأمن الطريق وادفع عنا غائلة هذا الجسور .

قال الأسد : هيا بنا اليه .. أين مكانه سأسرع اليه حيث يكون ، تقدم أمامى ان كان صحيحا ما تزعم والا فالويل لك.

وسار الارنب دليلا ولكن الى الهاوية ومضى به نحو بئر عميق جعل منه فخا لعدوه

تقدم كلاهما نحو البئر

يا للقشة التى تحمل جبلا ويا لذلك المكسر الذى صنع من الحيلة شباكا ويا عجبا لأرنب صاد أسدا ، ان البعوضة هى التى شقت رأس النمرود وهزم الله بها الطاغية الجبار .

لقد كان حريا بالأسد الايتمادى فى غفلته واغلاق عين بصيرته عما عساه يتعرض له ولكنه أمن العدو وصدق الحسود وهون شأن الضعيف فذاق وبال أمره .

لا تصغ للشيطان أيها المؤمن « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » عد الى اليقظة وقل يا علام الغيوب لا تكلنا الى قدرتنا الواهنة وبصرنا المحدود وهب لنا من لدنك نورا وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

اقترب الأسد من البر وتوانى الأرنب.

قال الأسد : لماذا تبطىء فى المسير .. أقبل ولا تتخلف

قال الأرنب لم تعد رجلاى يا سيدى تحملاننى ، لقد وهنت قدماى ويداى واضطربت روحى حتى اكتسى وجهى باصفرار الذهب ، ان منظرى يدلك على مخبرى . والبستان يكتسى حلل النضارة والخضرة حين تلمسه أنامل الربيع ولكن سرعان ما تتساقط أوراقه ويتمزق نسيجه

حين يعصف به الخريف وهو فى ذلك يمثل الانسان فى حالتى الشكر على النعمة والصبر على البلاء والشمس أيضا تتهادى الى المغيب والنجوم يدركها الأفول والقمر يدركه الشحوب ويبدو ناحلا كالخلال وكالخيال ، والجبل الاشم تتحطم على صخوره العاتية وتصبح كالرمال ، والنار العاتية المتطاولة تهب عليها الرياح فتحيلها رمادا والاسد المفترس تتحطم أنيابه حين توافيه ساعته وتلك سنة الله ما من شيء فى هذا الوجود يستعصى على جلال قدرته ولله وحده المشيئة والتقدير فى خلقه .

ثم قال الأرنب : ان الخوف كان قيدا لقدمى .. وهذا الاسد الضخم يقيم فى الخلوة آمنا من الآفات .

قال الاسد : لاحطمنه بضرباتى ، تقدم أيها الأرنب وانظر كيف أفتك بعدوى

ان الاسد رأى عدوه فى صورته وصورته فى عدوه فيا من تستمع الى كم من ظلم تشكوه من الناس وما هو عنك ببعيد ، انه طبعك الذى ركب فيهم وسرى منك اليهم فهو صدى لصوتك وصورة لسلوكك . فاذا كنت صافيا وجدتهم أصفياء والمؤمن مرآة المؤمن ، لا تضع المنظار الاسود على عينيك حتى لا تبدو الحياة أمامك مظلمة سوداء . ان المؤمن ينظر بنور الله فيميز الخبيث من الطيب والشر من الخير .

لقد بدت صورة الأسد والأرنب على وجه الماء فظن الأسد أنه يرى أمامه ذلك العدو الذى وقف بالمرصاد فى طريق رزقه وفى غير تبصر ولا روية ألقى بنفسه فى البئر فكانت نهايته .

انه نسى مذهبه فى الحياة وتخلى عن ايمانه بالعمل الدائب والاعتماد على النفس ونفاذ البصيرة وركن الى التواكل وأسند رأسه الى يد عدوه وأحسن الظن به ولم يتدبر الأمر على حقيقته فكانت عاقبة أمره خسرا .

وعاد الأرنب فرحا يختال بين المروج الخضراء مصفقا بيديه وقدميه وقد تحرر هو وقبيلته من غاصب كان وشيكا أن يقضى على الجميع وقد رجع الى صحبه يتمايل كالغصن الندى ويهتز كالزرع الذى انطلق من سجن التراب فنما ورفع هامته يداعب الهواء ويستقبل الضياء ويحيل الأزهار الى ثمرات « تؤتى أكلها كل حين باذن ربها »

وكذلك الأرواح التى تتحرر من ظلمات الوساوس وقيود الاهواء وتنمو فى أنوار عشق الحق والتقت هذه الكائنات فى مهرجان وهى تتطيف بذلك الذى كان مصدر نجاتها .. لا لا .. بل هو الفضل من عند الله .

العقل وشرفه وحقيقة أقسامه

الدكتور أحمد غلوش

بيان شرف العقل

العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى من العقل مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين . وشرف العلم عظيم جدا بحيث لايستراب فيه ابدا فالبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته » وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله

فشرف العقل مدرك بالضرورة وكفاه شرفا ان العلم المستفاد منه قد اسماه الله روحا ووحيا وحياة فقال تعالى : — وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وقال سبحانه " أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله تعالى « يخرجهم من الظلمات الى النور » .

وقال صلى الله عليه وسلم « يايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به ونهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم » .

وقال عليه الصلاة والسلام « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل « وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أعاقب »

وعن أنس رضى الله عنه قال أثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقال نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع الناس غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم . وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما اكتسب رجل مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم ايمانه ويطيع ربه ويعصى عدوه الشيطان .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتميم الدارى ما السؤدد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يأيها الناس ان لكل شىء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم على قدر ما قسم لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازلهم شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم .

وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الاخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة وهل عملوا الابقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ماأعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ماعملوا يجزون .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمنين العقل ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل ولكل امرىء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل .

وقال صلى الله عليه وسلم ان أحب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب نفسه فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فافلح وانجح .

وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم من الله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا .

حقيقة العقل وأقسامه

وقد اختلف الناس فى حد العقل وحقيقته حتى كشف العلماء المقربون الى الله عن ذلك وأخصهم الملهمون الذين أضاء الله بصائرهم بنور القرب والطاعة فاوضحوا أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجرى هذا المجرى .

فالاول الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفيفة والفكرية وهو الذى اراده بعض العارفين الحكماء وعبر عنه بقوله انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد الانسان لادراك الاشياء على ماهى عليه فى ظاهر الامر .

الثانى من معانى العقل هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الناشىء المميزة بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لايكون فى مكانين فى وقت واحد وهذا الوصف هو ماقال به أهل المنطق وعلماء الكلام وهو صحيح فىذاته اذ هو التسليم الواجب بجوازالجائزات واستحالة المستحيلات ولا مشاحة فىأن هذا الوصف من البداعة لايحتاج الى بيان .

الثالث : هى علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال عنه أنه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال له انه غبى غير جاهل .

الرابع أن تنتهى قوة تلك الوهبة الفطرية الى قوة سامية تسمو بصاحبها الى ادراك عواقب الامور وقمع الشهوات الداعية الى اللذة العاجلة وقهرها وضبطها فى نطاق محدود لاتتعداه بحال فاذا ما حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب مايقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان وان كان بعض الحيوانات البهيمية يصدر منه ما يدل على نوع التبصر الا أن ذلك فى الواقع يكون عنده صادر عن غريزة حيوانية لا عن عقل حقيقى كما هو الحال عند القرد والنتباهه .

فالمعنى الاول هو الاساس والمنبع .

والثانى هو الفرع الاقرب اليه .

والثالث فرع الاول والثانى اذ بقوة قبول العلم الضرورية وبقوة هذه العلوم تستفاد علوم التجارب .

والرابع هوالثمرةوهى الغاية القصوى لكل انسان عاقل .

فالاولان بالطبع والاخريان بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه .

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل »

والأخير هو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى الدرداء رضى الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبى أنت وأمى وكيف لى بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعزة .

وروى عن سعيد بن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل . قالوا : فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا : فمن أفضل الناس قال : العاقل قالوا : أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كلذلك لما متاع الحياةالدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقى وان كان فى الدنيا خسيسا ذليلا أى فى أعين عوام الخلق .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته .

وعندى كما اختاره بعض المحققين من العارفين أن أصل التسمية أى تسمية العقل بهذا الاسم فى أصل اللغة انما هو لتلك الفطرة المغروزة فى جبلة الانسان العاقل وهى التى يسترشد بها الى ماهو ضار وما هو نافع وما هو جائز وما هو مستحيل وكذا فىالاستعمال والاصطلاح ولكن هذه التسمية أطلقت على العلوم من حيث أنها ثمرة العقل كما يعرف الشىء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم هو من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم .

والخلاصة أن هذه المعانى الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ثم أن

https://t.me/megallat

العلوم التى تكتسب بالعقل الفطرى فى الانسان ليست فى الواقع بشىء وارد عليه من خارج بل كأنها مستكنة فيه كما يظهر الماء فى الارض بحفر البئر وكما تظهر النار فى الزناد بالقدح وكما يستخرج الزيت من الزيتون والدهن من اللوز بواسطة العصر والمعالجة وهكذا

ومن ذلك ماورد من أن كل مولود يولد على دين الفطرة الى آخر الحديث المشهور ومعنى ذلك أن الايمان بالله عز وجل مركون فى جبلة الانسان بالفطرة العقلية وهو يقربها اقرارا اذا لم يوجد بينه وبين هذا الاقرار حائل يمنع ظهوره . فهذه الجبلة أو الفطرة هى العقل بعينه وما يصدر عن العقل من الآثار يسمى كذلك عقلا أو علما أو فهما أو ادراكا الى غير هذه المسميات العديدة .

وأما من غاب عنه عقله فلا يصدر عنه الا الحمق والجهل والغباء ومثله كمثل الاعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالاوانى المصفوفة فى الدار فيقول ما لهذه الاوانى لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها فى مواضعها وانما الخلل فى بصرك .

تفاوت النفوس فى العقل

وقد اختلف الناس فى تفاوت العقل فى المعانى التى ذكرناها ما عدا المعنى الثانى وهو الذى قلنا انه عبارة عن العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان كل انسان ما خلا المجنون يقر معنا بان الواحد أقل من الاثنين وأن الاربعة أكثر من الثلاثة وأنه من المستحيل أن يكون الجسم الواحد فى آن واحد فى مكانين أو أن يكون الشىء الواحد قديما وحديثا وكذا سائر النظائر وكل ذلك يدركه الانسان العادى ادراكا محققا من غير شك .

وأما المعانى الثلاثة الاخرى فالتفاوت يتطرق اليها حتما ولنتكلم عن المعنى الرابع منها وهو المتعلق باستيلاء القوة الانسانية على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فى ذلك بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فى هذا الشأن ويرجع التفاوت فى تلك القوة تارة الى تفاوت الشهوات اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون البعض الآخر ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا فاذا كبروتم عقله قدر عليه وشارب الخمر قد تشتد به الرغبة فى تناولها حتى تأتيه الامراض بسببها من بين يديه وفى أحشائه وفى أخص أعضاء

وقد تكون نسبة التفاوت فى العلم المعروف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب عادة على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من لا يساويه فى العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا كأن يعتقد على الجملة أن فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها .
وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى العالم الحقيقى الذى قال الله فى حقه (انما يخشى الله من عباده العلماء .

وأما المعنى الثالث وهو عدم التجارب فتفاوت الناس فيه لاينكر فانهم يتفاوتون فى الفطرة الاصلية وسرعة الادراك ويكون سببه أما تفاوت فى الفطرة وأما تفاوت فى الممارسة فأما الاول وهو الاصل أعنى الفطرة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه أى فى أول النهار ومبادىء اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا على التدريج الى أن يتكامل قرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فانه فى أوائله يكون طفيفا ثم يتدرج الى الزيادة الى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الايجاد حتى أن غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى ولولا هذا التفاوت فى الغريزة لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهم الا بعد تعب طويل من التفهم والى ذكى يفهم بادنى رمز واشارة الى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور بدون التعليم كما قال الله تعالى « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور » وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عنه بالالهام الربانى وعن مثله عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به وهذا النمط من التعريف بالالهام الربانى يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن

حقهم « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى » أى أنهم أيضا يدعون الى الله على بصيرة من الامر . وأما الوحى فهو شىء آخر بالمرة يختلف عن الالهام ونور البصيرة ومعرفة حالات الوحى لاتستدعى منصب الوحى اذ لا يبعد أن يعرف الطبيب حالات الصحة ودرجاتها ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وحالاتها وان كان ذلك الطبيب خاليا من الصحة والعالم خاليا من العدالة فالعلم شىء ووجود المعلوم شىء آخر فما كل من عرف النبوة والولاية نبيا أو وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا .

وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لاينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج منه الماء الى القنوات والى مالا ينفع فيه الحفر وهو اليابس من الارض وذلك لاختلاف جواهر الارض فى صفاتها فكذلك اختلاف النفوس فى مزية العقل . ويدل تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت ياربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحيط بعلمه الخلق هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فانى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والاربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك .

هذا هو العقل أيها السادة وتلك بعض صفاته وذلك بعض قدره وجلاله وهو الذى تجنى عليه الخمر أول ما تجنى على شاربها .

فتبا وسحقا لمن يجنى على عقله بتعاطى الخمر وهى التى تغطى العقل وتذهب بضوئه ونوره وتحول بينه وبين التمييز بين ما هو حق وما هو باطل ، وسلام على من عرف للعقل حقه وجلاله وقدره فاحتفظ بما يزيده نورا وابتعد عن كل ما يشينه ويحط به فى دياجير الظلام ولا جرم أن الخمر أم الخبائث ومن عمل الشيطان تجعل من العاقل مجنونا ومن الصحيح عليلا ومن الغنى فقيرا ومن

https://t.me/megallat

الضمير بين نوازع الخير والشر

الأستاذ منصور نسيم

(٢)

لقد قضت حكمة الخالق بأن تجهزنا بعديد من الغرائز ، التى لولاها لما استطاع هذا الانسان أن يفوز ويبقى بشخصه وجنسه فى معركة تنازع البقاء مع الطبيعة ، ومع الحيوانات ومع بنى جنسه ، فلولا غريزة البحث عن الطعام لكان مصير الفرد الى الموت جوعا ، ولولا غريزة المحافظة على النسل لكان مصير الجنس البشرى الى الانقراض والفناء ، ولولا غريزة الادخار للغد المجهول لم يكن سعى ولاكسب ولا حذر ، ولولا غريزة حب الظهور لم يكن تنافس فى القوة والفضيلة، ولولا غريزة الغضب والمقاتلة لم يكن دفاع عن الحياة وعن الذات والأولاد والضعفاء والوطن ، ولولا غريزة حب الاستطلاع لم يكن حذر ولا اكتشاف ولا علم .

ولكن هذه الفرائز التى سلح بها الانسان ، لخيره وخير المجتمع ، تنقلب الى شر على الفرد والجماعة ، حين تترك جامحة لايقيدها العقل السليم والدين القويم بقيود الاخلاق ، فتصبح غريزة البحث عن الطعام شرها وبطنة ، وغريزة الأنساب زنا وفسقا وعدوانا على أعراض الناس وغريزة الادخار والاقتناء طمعا وشحا وسرقة ، وغريزة حب الظهور خيلاء وكبرا واستبدادا وعلوا فى الارض واستكبارا ، وغريزة الغضب والمقاتلة جنونا وسفكا للدماء ، وغريزة حب الاستطلاع تجسسا وبحثا دنيئا عن عيوب الناس وعوراتهم .

ومن هذه المعركة بين العقل والغرائز تكونت التجارب الانسانية ، وتحددت مكارم الأخلاق ، التى تواضع الناس عليها ، للتوفيق بين الغرائز وحاجاتنا الفردية وحاجات المجتمع .

والعقل فى معركته مع الغرائز لم يكن دائما هو الظافر ، لأن الغرائز خلقت كاملة فى الانسان بكل قوتها ومتساوية فى الأفراد، فنرى الطفل يولد ومعه غرائزه التى

الظلام والنور ، لأن العقل يتكامل تدريجيا مع التجارب الطويلة التى تمر بالفرد وتمر بالمجتمعات ، ولذلك لاتتحقق فيه المساواة بين الأفراد ، ولا بين الأجيال ، فكان لابد من اختلاف العقول ، ولابد من اختلاف الآراء ، ولابد من عون السماء لتحديد مكارم الاخلاق ومساوئها ، وهذا عمل الوحى فى الكتب السماوية قبل القرآن حيث تولت تحديد مكارم الأخلاق بالأوامر والنواهى .

ولما بلغ عقل الانسانية ، فى التطور والتكامل ، الحد الذى تستطيع معه أن تعتمد على عقولها فى معركة الحق والخير، أنزل الله سبحانه وتعالى آخر كتبه على آخر رسله ، وجعل للعقل بمقتضى هذه الشريعة الأخيرة السلطان الأعلى فى ادراك حكمة ما حدده القرآن من المبادىء العامة، لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق ، وفى مراعاة هذه الحكمة على أساس تلك المبادىء فيما سيكون من أحداث ووقائع، وهذا السلطان العقلى ، الذى أمر الله الناس فى آيات كثيرة من القرآن أن يحتكموا اليه ، هو سلطان مطلق شامل ، يتناول بسلطته كل معنى فى الوجود ، ابتداء من فهم أتفه الأشياء كاماطة الأذى عن الطريق، الى فهم أعظمها وهو معنى الألوهية ..

ان حرية الانسان هى حق طبيعى وضرورى وحقيقة بديهية فى نظر الشريعة الاسلامية فالواقع الطبيعى للانسان أنه خلق حرا ليتنفس بحرية دون مانع ، وينظر بحرية بدون عائق ، ويحرك يديه ورجليه بحرية ليسعى الى قوته ، ويفكر بحرية ليأخذ بالنافعات ويتجنب المضرات ، وحكمة الخالق جل وعلا تقضى بأن تكون للانسان هذه الحرية فى التفكير ، لأن تعطيل حريته فى التفكير يتناقض مع مصلحته فى الحياة ويتناقض مع معنى العبادة التى خلقنا الله لأجلها ويتناقض مع التكاليف التى أمرنا الله بها ، ولاسيما فى اتباع مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها ، فالله تعالى الذى خلق الناس أحرارا فى تفكيرهم لم يكرهم على أن يؤمنوا به ويعبدوه ويلتزموا أوامره ونواهيه اكراها آليا ، لأن معنى العبادة الحقة ، ومعنى التكليف المعقول، لا يتلاءمان مع الاكراه الآلى الذى يجعل عقل الانسان قطعة من حديد فى آلة متحركة .. وهذا ما قرره القرآن حين قال « لا اكراه فى الدين » ، وحين قال لمحمد صلى الله عليه وسلم « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

والمحصى لأنواع الأخلاق الذميمة التى حرمها القرآن ، يكاد يظن أنها أكثر عددا من أصول الأخلاق الكريمة التى أمر بها القرآن وحض عليها ، ولكن هذا الوهم ينقشع اذا تذكرنا أن كل أمر بخلق كريم يتضمن النهى عن نقيضه الذميم ، وكل نهى عن خلق ذميم يتضمن الأمر بنقيضه الكريم ، ثم تذكرنا أن الفروع الكثيرة

الزور تدخل تحت الأمر بالصدق وكذلك النهى عن الظلم والقذف والغيبة والنميمة والخيانة تدخل تحت الأمر بالعدل والاحسان وهكذا ، ولكن القرآن لم يترك للناس أمر هذا الاستنباط بل سمى الذميمة بأسمائها ، لأن هناك دقائق من مساوىء الاخلاق والآداب يصعب استنباطها على الخاصة فضلا عن العامة، وهم المقصودون بالهداية أكثر من العلماء والفلاسفة ، وقد يحمل الانسان ضعفه أو جهله، أو رغبته فى تقديم العذر لنفسه على أن يقول عن بعض الاخلاق الذميمة أنها غير محرمة فى كتاب الله ، كما يقول كثير من سفهائنا عن الخمر : انه لم يجد لها فى القرآن تحريما صريحا سوى الأمر بالاجتناب ، ولو فكر وتدبر لأدرك أن هذا الاجتناب الذى سبقه وصف «الرجس» والذى يقترن به ذكر أشنع ضروب الكفر والشرك وهو الاقبال على الأوثان ، هو أصرح وأبلغ فى الدلالة على التحريم، ومن ثم كان من هدى القرآن وعنايته فى تربية الأخلاق التى هى ثمرة الايمان بالله أن يسد باب الاعتذار على الجهال والفساق والمجادلين فذكر كل خلق ذميم باسمه . قال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » وقال : « ان المنافقين هم الفاسقون » وقال « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول » وقال « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » وقال « ويل لكل همزة لمزة » وقال « واجتنبوا قول الزور » وقال « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وقال « ولا تجسسوا » وقال « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » وهكذا فى كل خلق ذميم ورد النص الصريح بشأنه حتى لا يكون لأمرىء عذر ، وحتى تتضح المعالم أمام الأعين فتأخذ بنصيبها من الوعى والادراك ..

ونحن أمام هذا اذا أردنا تحليلا للنفس البشرية نجدها تدور فى حلقة تجمع أطرافها بين الغرائز التى تنشأ فى الانسان منذ صغره ، وبين العقل الذى ميزه الله به دون سائر خلقه بالفهم والاستنباط ، فاذا أضفنا الى هذا ناحية تقلب الغرائز وعجز العقل عن الحيلولة بين التردى فى مهاوى الرذيلة ، راعنا النور السماوى الممثل فى الشريعة التى لم تترك شاردة ولا واردة، لتأخذ بيدنا الى الطريق السليم .

والى هنا قد يكون الموقف منطقيا وطبيعيا الى حد كبير ، لكن الحياة التى طغت على جوانبها المادة وتغلغلت فى نواحيها شتى الموبقات ، جعلت العاقل المنصف يقف متلفتا يبحث عن جادة الصواب، والادراك الواعى لحقيقة الحياة ، والحكمة من وجودنا ، ويأتيه الجواب حاملا فى طياته أنات وتشنجات ليروى قصة الضمير الانسانى ممثلا فى الافراد والجماعات وهو يخبو يوما بعد يوم وفى

https://t.me/megallat

باب العلم

https://t.me/megallat

دلائل الحق في عظمة الوجود

المياه
مصادرها وخواصها وأهم منافعها

الدكتور
عزت محمد خيري

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ٢٤ سورة الروم

تكن أهم المواد الكيمائية على الاطلاق . فالماء يغطى حوالى ثلاثة أرباع سطح الارض ،ويصل فى اعماقه فيما يتراوح بين الامتار بالنسبة للانهار والاميال بالنسبة للبحار . ويدخل الماء بنسب كبيرة فى تكوين الكائنات فى الدم والخلايا والانسجة ، وفى النبات والحيوان والانسان ، فيحتوى جسم الانسان على حوالى ٦٥ ٪ من وزنه ماء ، ويحتوى اللبن على ٨٥ ٪ ، وثمار البطيخ مثلا على ٩٢ ٪ ، والطماطم على ٩٤ ٪ منه . ومن ناحية أخرى يحتوى جو الارض على حوالى ١-٥ فى المائة بالحجم من بخار الماء تتغير من مكان الى آخر . وان وجود بخار الماء فى طبقات الجو العليا له من الاهمية العظمى للحياة على الارض ما يجعلنا نسجد لله شاكرين اذ أنه يمتص الاشعة تحت الحمراء من الشمس فلا يسمح بأن يصل منها الى الارض الا القدر الذى يحفظ الحياة عليها ، وكذلك يعمل بخار الماء فى الجو كحافز لكثير من عمليات الاحتراق والعمليات الطبيعية الاخرى .

وللماء من الخواص الطبيعة المميزة له عن المواد الاخرى مما يؤثر تأثيرا أساسيا فعالا على الحياة الطبيعية والبيولوجية مما سيأتى ذكره فيما بعد .

وكان القدماء يعتقدون ان الماء عنصر وليس مركبا ، الى ان تمكن العالم كافندش من اثبات تكونه عند احتراق الهيدروجين فى الهواء وكان ذلك عام ١٧٨١ ميلادية ، وفى عام ١٧٨٣ اثبت لافوازييه التركيب الجزئى للماء من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الاكسجين ، ويوجد العنصران فى

https://t.me/megallat

البحر والمحيط . والماء ينزل من السماء الى الارض ويتبخر من الارض الى السماء فى دورة موزونة وبقدر معلوم منظوم . تتجمع السحب وتزخر ، وتتحرك وتلقح ، وتتطابق وتتعانق ، وتتشاحن وتتكهرب ، وتبرق وترعد ، وتفيض وتهطل ، وتهبط الى الأرض فتحيى وتبهى . يقول تعالى فى سورة البقرة :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لايات لقوم يعقلون » ـ ١٦٤

وماء المطر يكاد يكون نقيا خالصا الا من الآثار الضئيلة من الغازات المذابة الموجودة فى الهواء وأهمها النتروجين والاكسجين وثانى اكسيد الكربون ، والقليل جدا من النشادر وحمض النتروز وحمض النتريك ونترات النشادر ، وفى بعض المناطق الصناعية قد يذيب ماء المطر آثارا من حمض الكبريتوز والكبريتيك ، كما يحمل ماء المطر معه بعض ذرات التراب . هذا ولا تزيد نسبة الشوائب فى ماء المطر على أجزاء صغيرة فى المليون (تتراوح بين ٥ـ٧ فى المليون) . ويمكن ان يستقبل ماء المطر فى خزانات طبيعية أو صناعية . أو يتجمع على سطح الارض فى أنهار أو جداول تسير شرايين للحياة ومنابع للخير والفضل وتصب فائضها فى البحر ، وقد تنساب مياه الامطار تحت سطح الارض الى اعماق صغيرة أو كبيرة وتتفجر من هذه الاعماق تحت الظروف المناسبة كينابيع وعيون أو تحفر لها الآبار لتفتح أمامها طريق الخروج الى سطح الارض .

أما ماء البحر (والمحيطات) فيكون حوالى ٩٨٪ من المحتوى المائى للكون وهو يحتوى على نسبة من المواد المذابة تبلغ فى المتوسط ٥ر٣٪ من وزنه ـ وقد تصل هذه النسبة الى ٢٥ ٪ فى البحار المقفلة كالبحر الميت مثلا ـ منها حوالى ٦ر٢٪ على هيئة كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ، والباقى يشتمل على أملاح المغنسيوم والبوتاسيوم والكالسيوم وغيرها من العناصر على هيئة كلوريدات أو كبريتات أو بروميدات أو يوديدات . وفى الحق على كل العناصر المعروفة بنسب متفاوتة . ومن الطريف والمفيد ان نعلم ان الحجم الكلى لماء البحر يقدر بحوالى ٣٢٠ مليون ميل مكعب ، يحتوى كل ميل مكعب منها على ٤ مليار طن من ماء البحر .

ولكل من النهر والبحر فوائده العديدة ومنافعه الكبيرة لا يبغى أحدهما على صنف الآخر بل يبقى كل منهما محتفظا بصنفيته محافظا على رسالته ، والاثنان تتكامل منافعهما لمصلحة الأرض البرزخ محط الحياة ، يقول تعالى فى سوره الرحمن :

(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان) ١٩،٢٠

ينبع النهر ومصدره مدرار من عذب مياه الامطار ويسير فى طريقه من مستواه العالى الى مستوى البحر المنخفض فيلتقى به ويصب فيه ما زاد على مستوى مساره وما فاض عن مجال استغلاله . واذ يلتقى ماء النهر العذب الفرات بماء البحر الملح الاجاج يحتفظ كل منهما بصفاته اللهم الا من جزء صغير قصير يقع فى جوار المصب تجد على جانبيه الماء العذب فى النهر والماء الملح فى البحر وقد أثبت العلم بنظرياته هذه الحقيقة الملموسة على سطح الارض كما أثبتها بالنسبة للمياه الجوفية وأمكن تحديد المستويات التى يوجد عندها الماء العذب والمستويات التى يوجد عندها الماء الملح ، بما يدلل على عظمة الخلق وبقاء النعمة والفضل . فماذا كان يحدث لو اختلط العذب بالملح : أكانت هناك حياة لنبات أو حيوان أو انسان بمثل هذا اليسر والفيض ؟ أما كنا محتاجين لنشرب ونسقى ونروى الى الطاقات الهائلة والوسائل المعقدة والتكاليف الباهظة لكى نجعل من الملح الاجاج عذبا فراتا ؟ يقول تعالى فى سورة الانعام :

(وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ـ (٩٩) .

قلنا ان للماء من الخواص الطبيعية والتركيبية ما يؤدى دورا هاما فى الحياة بمختلف صورها وفيما يلى نقتطف اثنتين من هذه الخواص لاهميتها الخاصة :

https://t.me/megallat

الى ماله من خاصية القطبيـــة الكهربية والى ثابت العزل الكبير له ، وتعزى هاتان الخاصيتان للتركيب الالكترونى والفراغى لجزيئـــات الماء اذ أن هـــذه الجزيئات تترابط مع بعضها البعض عن طريق ما يسمى بروابط الهيدروجين بفعل قوى الجذب بين الشحنة الموجبة حول الهيدروجين والسالبة حـــول الاكسجين فى كل جزىء وبين الشكل الأول هـــذه الروابط ؟

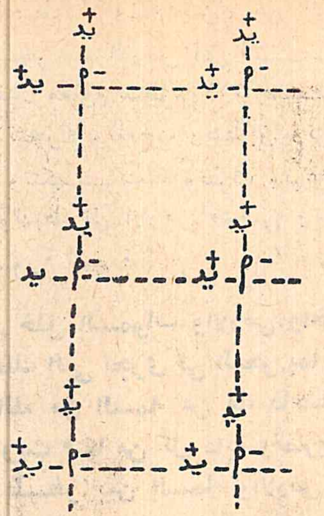

ومن ثم يصبح الماء وسطا مهما لسائر العمليات والتفاعلات الكيميائية والبيولوجية . ولعـــل من أبسط الخصائص التى يتميز بها الماء فى هـــذا المجال وأهمها اثرا هو ان الماء قادر على ان يذيب الاكسجين بنسبة اكثر من اذابتـــه النتروجـــين (وكلتاهما نسبة صغيرة) . وعلى ذلك فان الهواء المذاب فى الماء يحتوى على نسبة أكثر من الاكسجين عنه فى الجو ولولا ذلك ما تمكنت الاسماك وسائر الاحياء المائية أن تعيش فى الماء ومعلوم أنهـــا لا تستطيع الحياة فى الهواء خارج الماء .

٢ — يتميز الماء بأنه المركب الوحيد الذى يكون وزن الحجم المعين منه أكبر فى الحالة السائلة عنه فى الحالة الصلبة ولذلك نجد الثلج يطفو فوق سطح الماء السائل . ويعزى ذلك الى انه نظـــرا لتركيب جزيئات الماء السابق بيانه تزداد نســـبة الروابط

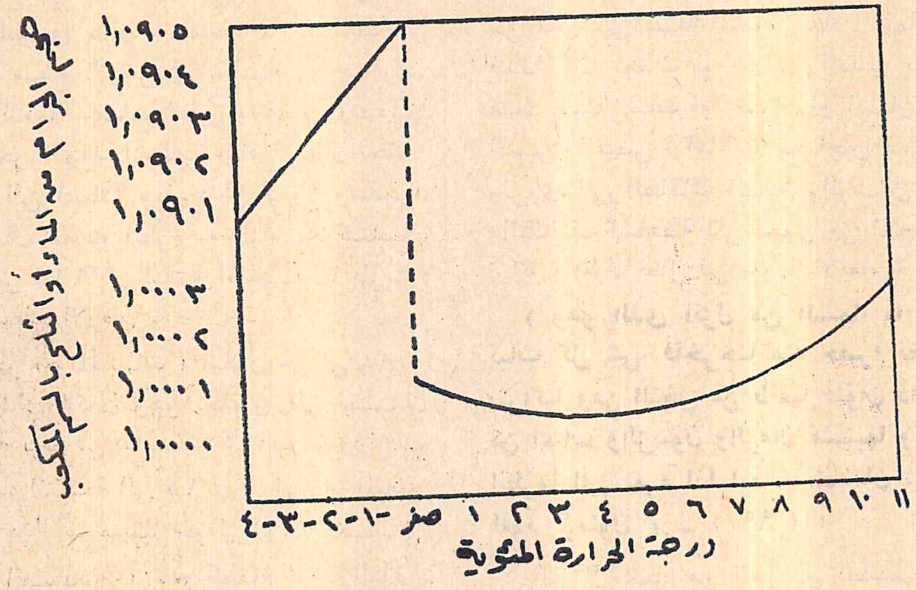

الهيدروجينية وبالتالى يزداد تجمع هذه الجزيئات فى الحالة الصلبة عنه فى الحالة الســـائلة وبالتالى يكون الحجم فى الحالة الصلبة أكبر منه فى الحالة

(درجة الصفر المئوى) .

وقد ثبت أن الماء تكون له كثافة كبرى عنـــد درجة ٤ مئوية وهى الوحـــدة . ويتبين ذلك من الشكل الثانى الذى يوضح تغير حجم الجرام الواحد من الماء أو الثلج عند درجات الحرارة المختلفة .

ولعل هذه الخاصية هى احدى النعم الكبـــرى التى خص بها الله عباده فى الارض فلو ان المـــاء سلك مسلك غيره من المواد لهبط الثلج فى الشتاء الى قاع المحيطات والبحار بل والانهـــار فى بعض البقاع ، ولما تمكنت حرارة الشمس ان تصل اليه فى الربيع والصيف ، ولتراكمت الثلوج ، ولتجمدت الاحياء فى المحيطات والبحار ، ولحدث ما يتضاعف عن ذلك الشىء الكثير .

سفن الأسطول العربي

وأنواعها ومعداتها في العصور الإسلامية

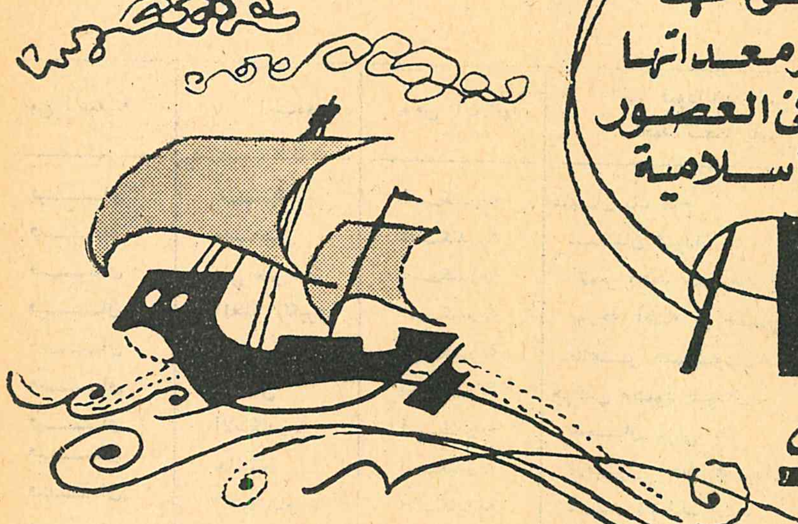

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

((نبذة تاريخية عن سفن الاسطول العربى الاسلامى قبل الاسلام وبعده)) .

صناعة إنشاء السفن وما يلزم لها من الآلات في المدرسة البحرية بالاسكندرية

« ١٠ »

ذكرنا فى المقال السابق ـ خدمة للتاريخ واتماما للفائدة وتعميما للنفع ـ القوى البحرية فى عهد « محمد على » واهتمامه لتشييد « دار صناعة » ترسانة مهمة بالاسكندرية ، ومع ماتحتاجه من المعامل والمصانع لانشاء وترميم السفائن . ونذكر فى هذا المقال مابلغه النظام بالاساطيل المصرية حتى وصلت العمارة المصرية درجة رفيعة جدا تماثل عمارة « الدولة العلية » فى العدد والعدد فى ذلك العهد ونذكر كشفا ببيان أسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها فى أيام « محمد على » .

وبالمقارنة بين ما بلغته هذه القوى ، وما وصلت اليه القوى البحرية فى عهدنا « عهد حكومة الثورة المجيد » بتوجيه رئيسنا البطل المظفر القائد المنتصر رائد العروبة المحبوب من جميع شعوب العالم المحبة للسلام «جمال عبدالناصر» رئيس الجمهورية العربية المتحدة ـ حفظه الله وأيده بنصر من عنده ـ نجد الفرق شاسعا ، والبعد عظيما ، والمعدات الحربية البحرية شاملة: فمن سفن حربية متعددة ، ومدمرات ، وغواصات ، وزوارق طوربيد وغيرها مما شاهده الحاضرون فى الاحتفال العظيم الذى أقيم فى «يوم البحرية » بالاسكندرية

وكان « محمد على » جعل « عثمان بك نور الدين » سر عسكر على « الدونانما المصرية » منذ سنة ١٢٤٣هـ « ١٨٢٧ م » ـ وقد بذل هذا الرئيس الماهر قصارى جهده وعنايته فى اكمال التعليمات ، وتنظيم قواعدها بماكان يصدره دائما من الاوامر

على رجال البحرية لتطبيق القوانين على التعليمات ، واهتم قبودانات السفن بتنفيذ هذه الاوامر بالدقة ، حتى بلغ النظام بالاساطيل المصرية، فوق ماكانت تتطلع اليه الامال ، وكان يخرج بالسفن سنويا – زمن الصيف – لاجراء المناورات وتدريب الجنود على الحركات البحرية مدة ثلاثة شهور ، حتى وصلت العمارة المصرية درجةرفيعة جدا ، واصبحت – كما ذكرنا فى اول المقال – تماثل عمارة الدولة العلية فى العدد والعدد . ولبس القطر المصرى بها حلة الفخر ، حيث لم ير مثلها جميع الدهر ، سيما عندما بنى المنار الموجود الان برأس التين ، وازداد به الامن على السفن الصادرة والواردة الى

نوع السفينة	اسمها	محل انشائها	اسم قبوداناتها زمن سر عسكرية محمد سعيد باشا	عددالمدافع	عددالطائفة
قبطاق	عكا	اسكندرية	عثمان بك قاح	١٠٦	١١٤٨
قبطاق	مصر	اسكندرية	شنان قبودان	١٠٦	١٠٩٧
قبطاق	بنى سويف	اسكندرية	الامير محمد سعيد باشا	١٠٢	١٠٣٤
قبطاق	المحلة الكبرى	اسكندرية	بوزجة اطه لى خليل بك	١٠٠	١٠٣٤
قبطاق	المنصورة	اسكندرية	طاهر قبودان	١٠٠	١٠٣٤
قبطاق	حمص	اسكندرية	جركس محمود قبودان	١٠٠	١٠٣٤
قبطاق	الاسكندرية	اسكندرية	عثمان بوتى بك	١٠٠	١٠٣٤
قبطاق	حلب	اسكندرية	ازميرلى محمد قبودان	١٠٠	١٠٣٤
قبطاق	الفيوم	اسكندرية	عبد اللطيف بك	١٠٠	١٠٣٤
قبطاق	بيلان	اسكندرية	حسين شيرين بك	٨٦	٩٠٠
قبطاق	ابوقير	اسكندرية	حافظ خليل قبودان	٨٤	٧٣٦
فرقاطة	منوف	اسكندرية	عثمان بوتى بك	٦٤	٥٥٨
فرقاطة	رشيد	تريستا	السيد على قبودان	٦٠	٥١٠
فرقاطة	الجعفرية	ليفورن	برغمه لى أحمد قبودان	٦٠	٥١٠
فرقاطة	شير جهاد	ليفورن	نورى قبودان بك	٦٠	٥١٠
فرقاطة	البحيرة	تريستا	كاور خورشيد قبودان	٦٠	٥١٠
فرقاطة	دمياط	اسكندرية	محمد هدايت قبودان	٥٦	٤٧٠
قرويت	بومبه	تريستا	بيجان قبودان	٤٥	٣٠٠
قرويت	رهبر جهاد	مرسيليا	على رشيد قبودان	٣٠	٢٠٠
قرويت	طنطا	اسكندرية	دلى خسرو قبودان	٢٨	١٨٦
قرويت	واسطة جهاد	جزاير الغرب	دلى محمد خورشيد قبودان	٢٨	١٨٦
قرويت	دمنهور	اسكندرية	مرجان قبودان	٣٦	١٨٦
قرويت	جناح بحرى	جنوة	زتيل قبودان (وكانت لتعليم التلامذة)	٢٤	١٨٥
قرويت	بلنك جهاد	مرسيليا	غير معروف	٢٤	185
قرويت	جهاد بيكف	جنوة	حسن اباظة قبودان	٢٤	١٨٥
قرويت	فوه	اسكندرية	مرجان قبودان	٢٤	١٨٥
قرويت	شاهد جهاد	اسكندرية	ابراهيم قبودان	٢٤	١٨٥
ابريق	بادىء جهاد	أمريكا	غير معروف	٢٤	٨٩
ابريق	سمند جهاد	مرسيليا	أحمد شاهين قبودان	١٨	٨٩
ابريق	نمرة ٢	أمريكا	الياس قبودان	١٨	٨٩
ابريق	شهباز جهاد	ليفورن	حسن الارناؤد قبودان		٨٩
غوليت	صاعقة	مرسيليا	طاهر قبودان	٢٤	٨٨
غوليت	تمساح	اسكندرية	غير معروف	١٦	٨٨
غوليت	كوتر نمرة ٢	مرسيليا	سرهنك قبودان	١٢	٥٢
فرقاطة بخارية	النيل	انجلترا	غير معروف	٦	٥٢

ضباط وجنود محمد على النظامية يقسمون يمين الطاعة على العلم . وكان من عادتهم
انهم متى أتموا يمين الطاعة ذبحوا كبشا اعظاما واجلالا لهذا اليمين .
نقلا عن تاريخ مصر من الفتح العربى الى « محمد على »

ميناء الاسكندرية ، وكان المباشر لبنائه المهندس الشهير « مظهر باشا » وجعل ارتفاعه ستين مترا ، ونوره يشاهد من ستين ميلا ، بل أكثر من ذلك .

« راجع مؤلفنا « قلعة محمد لا قلعة نابليون » ص ٨٨ ـ ٩٥ طبع مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢ ـ ١٩٢٤ م ـ نقلا عن كتاب « حقائق الاخبار عن دول البحار » تاليف الميرالاى اسماعيل سرهنك ناظر المدارس الحربية ج٢ ص ٢٤١ـ٢٤٤ طبع بولاق سنة ١٣١٤ هـ » .

وقال المرحوم الميرالاى « اسماعيل سرهنك » فى كتابه المذكور أيضا مانصه:

« وكان أغلب رؤساء الدونتنما يوظفون فى ذلك الوقت فى مصالح «دار الصناعة» مدة اقامة الدنتما فى ميناء الاسكندرية ،

وأمر « محمد على » اذ ذاك بعمل حوض فى « الترسانة » وأحال هذا العمل على « مظهر باشا » و « بهجت باشا » وكانا قدما حديثا من أوروبا ، وضم اليهما « لينان بك » Linant ثم « موجيل بك» Mougel وهو الذى قام بانشاء الحوض المذكور . وكان تمامه سنة ١٢٦٠ « ١٨٤٤ م »

وعاد هذا العمل على سفن مصر والسفن الاجنبية بالفوائد العظيمة . وفى هذا الوقت استعملت الجنازير والسلاسل فى السفن المصرية بدل الاحبال سنة ١٢٥٧ هـ ـ ١٨٤١ م ـ فترقت بذلك حالة السفن وقد عثرت على أسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها فى الوقت المذكور ، محررة بيد المرحوم « حسن باشا الاسكندرانى » عند ولده صاحب السعادة « محسن باشا » فاوردتها كما هو مبين بالجدول السابق ص ١٨٦

« ملاحظة » : وتتبع هذه السفن ثلاث بواخر أخرى ، وهى وابور « برواز بحرى » صنع سنة ١٢٦٦ هـ ، ووابور « أسيوط » سنة ١٢٦٢ هـ ، ووابور « جيلان بحرى » سنة ١٢٦٥ هـ ، ووابور « الشرقية » وسمى فيما بعد : بفرقتين مخبر سرور سنة ١٢٦٢ هـ ، ثم ركبت آلاته بلندرة ، ووابور « رشيد » وهو قرويت سنة ١٢٦٢ هـ ، وسفائن التجارة الاميرية ، وهى سفن للنقل وغيرها ، ولم يكن ضباط هذه السفن وقبودناتها تبقى فى سفينة واحدة ، بل كانت تنتقل من

سفينة الى اخرى بحسب الترقيات وظروف الاحوال ، وغير ذلك كما هو معلوم .

النفقات البحـرية المنصرفة على هذا الاسطول : « ٣٧٧٥٥٣ جنيهـا » بيان ماخص كل جندي في النفقات التى صرفت على الجيش البحرى : عدد الجنود ١٦٨٠٦ على ٣٧٧٥٥٣ جنيها النفقات يخص الجندى ٢٢ جنيها و ٤٦٥ مليما .

والميزانية المصرية فى سـنة ١٣٨٧ م كان مقدارها ٢٤٢١٦٩٠ جنيها .

وفى ختام هذه السلسلة التاريخية عن عن سفن الاسطول العربى الاسـلامى وانواعها ومعداتها فى العصور الاسلامية نقول : ومازالت قوة الاسلام فى البحر غالبة ، وكلمته هى العليـا حتى خرجت صقلية من يدى المسلمين ، وكانوا قبل ذلك قد افتتحوا كل جزائر البحر الابيض المتوسط ومهدوا كورسـكة وسردانيـة « سردانيا » واقريطش « كريد » وقبرص وميورقة ومينوقة ويابسة ومالطة .وتطرقوا الى البر الشمالى ودخلـوا فرنسا وشادوا ارتفاع الحصـون ، وهزموا الفرنسيين والايطاليين وأقاموا فى بلادهم مدة .

وبقيت السفن العربية الاسلامية ملكة البحر المتوسط حتى أدرك دولة بنى أمية بالاندلس والعبيديين « الفاطميين » بمصر فتقوت الامم التى وراء البحر شيئا فشيئا واسترجعت بعض جزرها وموانيها بعد ان أفاقت من سباتها العميـق بفضل تاثير التمدن العربى عليهـا ، وما اقتبسه عن العرب من العلوم والاداب والفنون ، وسائر الصناعات التى كانت سـببا فى تاسيس نهضتها ، واحياء تمدنها .

ولما كانت الحروب الصليبية سيروا مراكبهم العـديدة فى البحار ، واستعمل الفريقان نوعا من السفن البحرية واعظمها وهو « البطس » تلك السفن التى لم ير مثلها كبرا ووثاقة وحجما « تقدم وصفها»

وفى ذلك الوقت بقيت القوة البحرية محفوظة عند ملوك المغرب ولاسيما فى دولة الموحدين ، فقد كانت لهم قـوة بحرية عظيمة ، وفى اثناء دولهم نبغ « احمد الصقلى » قائد اساطيل المغرب فى القرن السادس للهجرة . قال العلامة المؤرخ « ابن خلدون » فى مقدمته : « وانتهت أساطيل المسلمين فى أيامه الى مالم تبلغه قبله ولا بعده » .

ومن بعد المرابطين والموحدين ضعفت قوة المسلمين فى البحـر الا ماكان لبعض ملوكهم فى مصر والمغرب . وما زال الامر كذلك حتى ظهرت الدولة العثمانية فعظمت قوتها البحرية وبلغت سـفنها النهاية من الكثرة والمنعة الى أن انحطت بحريتهم فى القرن السادس عشر للميلاد .

وبعد سقوط الجزائر فى ذلك العهد ضعفت البحـرية الاسـلامية . وتفنن الاوربيون فى بنـاء المـراكب واستعملوا البخار ، وجـروا على هـذا النمط من الضخامة فى البنـاء وشـحنوا المراكب بالمدافع الكبيرة ودوخوا البحار .

ولا شك فى أن سـفن الاسطول العربى الاسلامى كانت قدوة الاوربيين عند أول نهضتهم فى انشـاء سفنهم التى تقدمت بفضل التمدن الحديث .

ولم يستعمل البخار فى تسيير السفن الا منذ قرن ونصف تقريبا . فان السفن مازالت تجرى بالريح الى أوائل النصف من القرن السابع عشر الميلادى ، والعمارة التى جاء بها نابليون بونابرت الى ميـاه الاسكندرية ثم حطمها قائد الاسـطول الانجليزى « نلسن » فى جون أبى قيـر كنت مسلحة بالمدافع ولكنها كانت شراعية

والامريكان أسـبق الامم الى انشـاء السفن البخارية ، فان أول سفينة سارت بالبخار أنشأوها هنـاك سنة ١٨٠٧ م وسموها « كليرمون » وأما أوربا فالانجليز أسبق دولها الى اسـتخدام البخار فى السفن . وأول سـفينة مخرت فى مياه أوروبا بناها الانجليز فى اسكوتلندا سنة ١٨١٢ م وسموها كومت

أما اليوم وفى وقتنا الحاضر « عصر الكهرباء والـذرة » فقد أصبحت الدول العربية ، والجمهوريات العربية والاسلامية وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة والجزائر والعـراق تملك من الاساطيل البحرية الحربية كالمدمرات والغواصات وزوارق الطوربيد مايحرس حدودها ومياهها الاقليمية فى عزم وقوة وايمان .

« للمقـال بقية »

نرجو من السـادة المشتركين سـداد اشتراكات المجلة بحوالات بريدية حكومية ، باسم السيد السكرتير العـام للمجلس الأعلى للشـئون الاسـلامية ..

• الخلفاء الراشدون
• أعلام الإسلام

عمر

ابن الخطاب

الأستاذ محمد عبد العزيز حسن

كان عمر ـ رضوان الله عليه ـ منذ أسلم قلبه لله ، وتعرض لنور الحـــق ، قريب الاسباب من السماء ، من هديها ومن نفحاتها ، وثيق الصلة بمن اختارته السماء اماما للبشرية ومخرجا لهـــا من الظلمات الى النور صلى الله عليه وسلم .

ومنذ أسلم عمر ، وشغله الشاغل هــذا الدين ، روحه وغاياته ، وهؤلاء الذين نتزل عليهم هـــذا الدين ، لا يفتر لحظة عن تأمل ، ولا يشغله التأمل عن المشاركة الجادة فى مسيرة القافلة المهتدية .

ولقد كان عمر بقلبه وعقله مرآة صافية تنعكس عليها أنوار الاسلام ، وأرضا صلبة يشمخ عليهـــا البناء الاسلامى المكين .

ولقد وعدت القارىء الكريم بأن أعرض لبعض ما كان منه فى صحبة الرسول صلوات الله عليـــه وسلامه ، وفى صحبة صديقه رضوان الله عليه ، وأنا فى هذه السطور أحاول الوفاء بمـــا وعدت ، معتذرا عن التقصير ان هو كان ، وانى لاراه ، فما الحديث عن عمر ، كما سبق القول ـ بالامر الهين ـ وما الاحاطة بما كان منه فى صحبة الرسول وصحبة أبى بكر بالامر الميسور .

اعزاز الاسلام بعمر

ولعل أول وأولى ما ينبغى البدء به ، هو ما كان من شأن عمر حين استجاب الله فيـــه الى دعـوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله أن يعز الاسلام بعمر ، فأسلم عمر ، اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى لحظات اسلامه الأولى .. فيم لانجهر بالدعوة الى الله ، السنا على الحق ان متنا أو حيينا ، وكان الجهر بالدعوة الاثر الاول لاعزاز الله سبحانه وتعالى الاسلام بعمر ، اذ خرج المسلمون يطوفون بالبيت ، ويجوبون أرجاء مكة فى جماعتهم ، يحيطون برسول الاسلام صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، يعلنون حقهم ، ويفصحون صراحة عن ايمانهم .

ذلك هو عمر فى لحظات اسلامه الاولى ، ليس صاحب حق فحسب ، وانما هو يجند فى سبيـــل ما آمن به كل ما يملك من حول ومن قوة ، ومن وضوح ، فعن عمر أنه أتى النبى صلى الله عليـــه

وسلم فقال : يا رسول الله انى لا أدع مجلسا جلسته فى الكفر الا أعلنت فيه الاسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وقال صلوات الله وسلامه عليه على ما روت عائشة رضى الله عنها : ما كان نبى الا فى أمته معلم او معلمان ، وان يكن فى أمتى منهم احد فهو عمر بن الخطاب ، ان الحق على لسان عمر وقلبه .

هذا هو قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر، وهذا هو عمر فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى الرأى فينزل هدى الله موافقا لرايه ، ولو احصينا الموافقات القرآنية لما رآه عمر وحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم لضاق بنا هذا المقام ولكنى أورد هنا أشهر ما ورد من هذه الموافقات لنعرف قدر هذا الملهم وجدارته يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موافقات الوحى

حين انتصر المسلمون فى غزوة بدر وقع كثير من أسرى المشركين فى أيدى المسلمين ، وشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى شأن هؤلاء الاسرى فمنهم من رق لهم لقرابة تربطه بهم أو صلات قديمة يحفظون ظلا لها لسماحة فيهم او رغبة فى الانتفاع بما يفتدى به الاسرى ، ولقلة حيلة هؤلاء الاسرى وهوان شأنهم ، ولكن عمر يطلب الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ان يحكم فيهم السيف فقد كفروا بالله وصدوا عن سبيله وآذوا من آمنوا به أشد الايذاء واخرجوهم من ديارهم واستبدوا بأموالهم ولو ظهروا عليهم لاوسعوهم قتلا ، وليس أمر هؤلاء الاسرى كأمر الأسرى فى غير هذا الحال لان هؤلاء يعادون الله ورسوله ويحاربون دين الله ، ومن بين هؤلاء الاسرى أقارب لعمر وأناس كانت تربطه بهم روابط وثيقة قبل الاسلام، ولكن الحق الذى يجرى على قلب عمر ، والذى يجرى على لسان عمر يأبيان عليه الا أن يكون بكيانه كله لدين الله ، ويأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأى الرفق فلعل منهم من يؤمن ، بل لقد آمن منهم بعد ذلك كثير ، ويقبل الرسول صلوات الله عليه وسلامه افتداء الاسرى وينزل القرآن معاتبا للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

هكذا يوافق الوحى رأى عمر لان عمر يصدر عن اتصال وثيق بروح الدعوة وأهدافها ..

* كان عمر فى جاهليته - على ما سبق - صاحب خمر ، ولكنه حين يدخل فى الاسلام تتصعد روحه الى منابع الهدى ، فيسأل الرسول ان يبين له فى الخمر بيانا شافيا ، وتتنزل الآيات آية من بعد آية ، ولكن هذه الآيات لا تقطع بحرمة الخمر فيعاود السؤال طالبا بيانا شافيا ، لان الخمر تذهب العقل وتثير بين الناس كوامن الشر ، وتبعث فيهم نوازع الفتن ولا يقر لعمر قرار حتى يتنزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» عند ذلك ، عندما يأتى القرآن موافقا لرأى عمر يهدأ عمر نفسا ويطمئن بالا ، ويعرف أنه على طريق الحق يمضى ، وعلى هدى الله يسير .

* ويطلب عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحجب نساءه وأن يمنع دخول الناس عليهم أو مخاطبتهم الا من وراء حجاب ، فان الرسول يدخل بيته البر والفاجر وما يزال يلح فى هذا حتى يتنزل الوحى بآية الحجاب ، حتى لتقول له ام المؤمنين زينب زوج الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نزول آية الحجاب .. وانك علينا يا ابن الخطاب والوحى ينزل فى بيوتنا ، ولكن الله سبحانه وتعالى ينزل قوله تعالى «واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » أو قوله تعالى « يايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » . تنزل هذه الآيات بموافقة عمر لروح الدين ونهجه الامثل على خطاه .

* ويموت عبد الله بن أبى الذى كان يظهر اسلامه ويخفى عداوته للمسلمين ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه ويعترض عمر فى حديث عن ابن عباس ان عبد الله بن عبد الله ابن أبى ـ وكان من خيرة الصحابة ـ قال له ابوه أى بنى اطلب لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا من ثيابه فكفنى فيه ومره يصلى على ، فقال عبد الله يا رسول الله قد عرفت شرف عبد الله بن أبى ـ أى فى قومه ـ وانه أمرنى أن أطلب اليك ثوبا نكفنه فيه وان تصلى عليه فأعطاه ثوبا من ثيابه وأراد ان يصلى عليه فقال عمر : يارسول الله قد عرفت عبد الله ونفاقه وقد نهاك الله ان تصلى عليه ، قال : وأين قال . قال . « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانى سأزيده ، فأنزل الله عز وجل « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » وأنزل « سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » فوافق الوحى رأى عمر الذى استلهمه من روح الدين ومن صدق اخلاصه فى اتباعه .

التسليم بالحق

ومع كل هذا الذى خص الله به عمر من شفافية مهتدية فلقد كان يبدى الرأى فى أشياء ثم يبين له وجه الحق فى مخالفة ما رأى فيخضع خضوع المؤمن الراشد الذى يبين له الحق فيتبعه ، ومن ذلك ما كان منه عند صلح الحديبية فلقد رأى بعض شروط الصلح مجحفة بالمسلمين فقال لابى بكر فيم نعطى الدنية من ديننا ، ويذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ما قاله لابى بكر من قبل ، ويبين لعمر بعد ذلك أن الشروط وان كان ظاهرها الاجحاف ، كان عائد فائدتها على المسلمين خيرا كثيرا .

ولا استطيع أن أحصى كل ما كان منه فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقات لهدى الله ،نتيجة لاخلاصه العبودية لله ، مع التيقظ المؤمن لروح الدين وأهدافه ، وتحرجه من أن يرى لحظة من عمره بعيدا عن هدى الله حتى لتقول أم سلمة ان عبد الرحمن بن عوف دخل عليها فقال يا أمة قد خفت أن يهلكنى مالى ، أنا اكثر قريش مالا ، قالت : يابنى فانفق فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان من أصحابى من لا يرانى بعد أن أفارقه ، فخرج عبد الرحمن بن عوف فلقى عمر فأخبره بالذى قالت أم سلمة فدخل عليها عمر فقال : بالله منهم أنا ، فقالت لا . ولا أبرىء أحدا بعدك .

فى صحبة أبى بكر

أما صحبته لابى بكر رضوان الله عليه فكانت خير صحبة ، وكان خير وزير ،ولعل أكبر ما ينبغى ان يذكر له فى هذه الصحبة هو اشارته بجمع القرآن بعد أن استحر القتل بالقراء يوم اليمامة ، ومراجعة أبى بكر له لان ذلك شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما يزال عمر بأبى بكر حتى يفتح الله له بابا واسعا من أبواب الخير فيستجيب لرأى عمر ويجمع القرآن ، ولعل عمر رضوان الله عليه قد نظر الى قوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فالتمس لذلك أسبابا أمسك بها وأجرى الله هذا الحق على يديه.

ولقد طلب الى أبى بكر الخليفة ـ رضوان الله عليه ـ أن يعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش لاسباب رآها وقدمها بين يدى الخليفة ، ولا ينسى وهو يطلب ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى خالد انه سيف الله المسلول ، وانما هو ينظر قبل كل شىء وفوق كل شىء أن يكون المسلمون جميعا أمام الاسلام رجلا واحدا ، بلا تمييز ولا تفرقة ، وان المخطىء مهما كان شأنه لا بد ان يحاسب على ما قدمت يداه ، ولا يأخذ الخليفة برأيه ،فلا يمنعه هذا ان يكون المخلص الامين ، والتابع الراشد ، والصاحب الوفى ، ويخالفه الخليفة من قبل فى حروب الردة فلا يخرج عن طاعته وانما يأتمر بأمره ويجند نفسه فيما يراه الخليفة

وكثير غير هذا ينبىء عن هذه الشخصية الفذة فى تاريخ الاسلام كله ،ونرى ذلك ان شاء الله فى عمر بن الخطاب حين يلى أمر المسلمين فى العدد القادم .

مواقيت الصلاة

الأيام	المحرم ١٣٨٨	ابريل ١٩٦٨	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
السبت	١	٣٠ مارس	١٩	٤	٤٧	٥	٠٠	١٢	٣٠	٣	١٢	٦	٣٠	٧
الأحد	٢	٣١ «	١٨		٤٦		٥٩	١١	٣٠		١٣		٣١	
الاثنين	٣	١ ابريل	١٧		٤٥		٥٩		٣٠		١٤		٣٢	
الثلاثاء	٤	٢	١٦		٤٤		٥٩		٣٠		١٤		٣٢	
الأربعاء	٥	٣	١٤		٤٢		٥٨		٣٠		١٥		٣٣	
الخميس	٦	٤	١٣		٤١		٥٨		٣٠		١٥		٣٤	
الجمعة	٧	٥	١١		٤٠		٥٧		٣٠		١٦		٣٥	
السبت	٨	٦	١٠		٣٩		٥٧		٣٠		١٧		٣٦	
الأحد	٩	٧	٩		٣٨		٥٧		٣٠		١٧		٣٦	
الاثنين	١٠	٨	٧		٣٦		٥٧		٣٠		١٨		٣٧	
الثلاثاء	١١	٩	٥		٣٥		٥٧		٣٠		١٩		٣٨	
الأربعاء	١٢	١٠	٤		٣٤		٥٦		٣٠		١٩		٣٩	
الخميس	١٣	١١	٣		٣٣		٥٦		٣٠		٢٠		٤٠	
الجمعة	١٤	١٢	٢		٣٢		٥٦		٣٠		٢٠		٤١	
السبت	١٥	١٣	٠٠		٣١		٥٥		٣٠		٢١		٤٢	
الأحد	١٦	١٤	٥٩	٣	٣٠		٥٥		٣٠		٢١		٤٢	
الاثنين	١٧	١٥	٥٧		٢٩		٥٥		٣٠		٢٢		٤٣	
الثلاثاء	١٨	١٦	٥٦		٢٨		٥٥		٣٠		٢٣		٤٤	
الأربعاء	١٩	١٧	٥٥		٢٧		٥٥		٣٠		٢٣		٤٥	
الخميس	٢٠	١٨	٥٤		٢٥		٥٤		٣٠		٢٤		٤٦	
الجمعة	٢١	١٩	٥٣		٢٤		٥٤		٣٠		٢٤		٤٦	
السبت	٢٢	٢٠	٥١		٢٣		٥٤		٣٠		٢٥		٤٧	
الأحد	٢٣	٢١	٥٠		٢٢		٥٤		٣٠		٢٦		٤٨	
الاثنين	٢٤	٢٢	٤٩		٢١		٥٤		٣٠		٢٦		٤٩	
الثلاثاء	٢٥	٢٣	٤٧		٢٠		٥٣		٣٠		٢٧		٥٠	
الأربعاء	٢٦	٢٤	٤٦		١٩		٥٣		٣٠		٢٨		٥١	
الخميس	٢٧	٢٥	٤٥		١٨		٥٣		٣٠		٢٨		٥٢	
الجمعة	٢٨	٢٦	٤٤		١٧		٥٣		٢٩		٢٩		٥٣	
السبت	٢٩	٢٧	٤٣		١٦		٥٣		٢٩		٢٩		٥٣	
الأحد	٣٠	٢٨	٤١	١٥	١٥	٥	٥٢	١١	٢٩	٣	٣٠		٥٤	

أسد الله

حمزة بن عبد المطلب

الأستاذ حسين السكرى

هو أحد الأبطال المغاوير ، المشهود لهم بقوة الشكيمة ، ورباطة الجأش ، وهو أيضا أسد الله ، وسيد الشهداء ، هذا فضلا عن أنه أول قائد فى الاسلام وقبل هذا كله فهو عم رسول الله – صلوات الله وسلامه عليـــــه – ولا يخفى علينا أن الرسول كان له اثنا عشر عمـــا ، وكلهم أولاد عبد المطلب ، ولكن حمزة – رضى الله عنه – كان أقربهم الى قلب الرسول ، وأحبهم اليه ، وألصـــقهم به ، كما أن سنهما كانت متقاربة ، فكانا صـــديقين يبوح أحدهما للاخر بخلجات قلبه، ومكنون نفسه ، ولقد وصفه الرسول – صلى الله عليه وسلم أعظم وصف فقال « خيـــر أعمامى حمزة » ولقد شاءت الأقدار أن يرضع الرسول وحمزة من لبن واحـــد ، لذلك لم يكن عجبا أن نرى بينهما موفور الثقة المتبادلة ، والحب الصادق الأكيد، وأصدق دليل على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم – الى حمزة عندما أراد الزواج من السيدة خديجة ، فقد كان أسد الله هو أول من اختاره الرسول ليفضى له بذلك السر ، ثم أخبر بذلك سائر أعماله بعد ذلك ولقد أثبت حمزة فعلا أنه جدير بثقة الرسول ، فبادر معـــه حتى دخل على عمرو بن أمية عم السيدة خديجة ، فخطبها اليه ، وقد حضر معهما آنذاك ابو طالب ، عم النبى ، ورؤساء مضر ، فخطب أبو طالب خطابا رائعا ، وقد جاء فيه قوله : « الحمد الله الذى جعلنـــا من ذرية ابراهيم ، وزرع اســـماعيل ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواسى حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا وحـــرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبدالله ، لا يوزن به رجل الا رجح به ، فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته .. وهو والله بعد هذا له نبـــأ عظيم ، وخطب جليل »

نستشف من مبادرة حمزة – الى خطبة السيدة خديجة – أنه كان يحب ابن أخيه ولهذا سارع فى تحقيق أمله ، لأنه يعلم أن خديجة كانت ترغب فى ذلك ، ثم هى من أوسط قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا ، وكل قومها كان يحرص على الزواج منها ، ولكنها أبت الا الزواج من محمد – صلى الله عليه وسلم – ثم نلمس مرة أخرى أن الرسول كان يأتمن حمـــزة على أسراره ، ويبوح له بما فى قلبه لأنه كان قريبا الى قلبه ، كريما لديه .

ويتجلى هذا واضحا فى قصة اســـلام حمزة ، فكلنا نعلم أن حمـــزة لم يعلن اسلامه الا فى اللحظة الحاســـمة ، وفى صورة مشرفة من أكرم الصـــور وأروعها وأشرفها فقد كان طريقه الى الاسلام ، هو أسمى طرق التعاطف والتراحم والعظمة والشهامة مع أنه كان لايحفل قبل هذا الا بالصيد والقنص والســـيادة ، فكان متفردا بالسيادة بين قريش ، وحسبه أنه كان يسمى سيد فتيـــان قريش ، وأما الصيد والقنص فقد كان لا ينازعه فيهما منازع .. ثم يحدث بعدها ذلك الحـــادث الجلل فيجعـــله ينصرف عن كل ذلك ، وينصاع للاسلام انصياع المؤمن المدافع ، الذى لا يهاب الردى ولا يخشى الموت ، وذلك عندما تعرض ابو جهل بن هشـــام لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند الصفا فآذاه وشتمه ، وجعل يعيب دينه ويشكك فى أمره ، فلم يكلمه رسول الله – صـــلى الله عليم وسلم – ثم انصرف أبو جهل قاصدا الى نادى قريش عند الكعبة ، وهناك أخذ يتندر بما حدث، ويتحدث مع أعداء الله ورسوله من كفار قريش ، وقد ملأ الشيطان قلوبهم غـــلا وحقدا ، ويشاء الله أن يمر حمزة بالصفا بعد منصرف أبى جهل ، وكان حمـــزة حينئذ عائدا من قنص له ، وقد أقبـــل متوشحا قوسه ، وهو كما عرفنا أعـــز فتى فى قريش ، فاذا بامرأة تستوقفه لتقص له ما حدث ، وهى مولاة لعبد الله ابن جدعان وكانت قد ســـمعت ورأت ما حدث من أبى جهل ، فقالت لحمـــزة وكان يكنى « أبا عمارة » « لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى جهل بن هشام ، فقد وجده ها هنا جالسا فآذاه وسبه ونال منه ، ثم انصرف عنـــه ولم يكلمه محمد »

وما أن سمع أسد الله هذا الحديث حتى غلت نفسه ، واحتدم الغيظ فى قلبه فخرج مسرعا حتى دخل المسجد ، فاذا به وجها لوجه أمام أبى جهل ، فنظر اليه جالسا فى القوم ، ثم أقبل نحـــوه حتى وقف على رأسه . فرفع القوس وضربه بها ، فشج رأسه شجة منكرة . ثم قال: أنا على دينه أقول ما يقول ، فرد على أن استطعت ، فقامت رجال بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل ، دعوا أبا عمارة ، فانى والله قد ســـببت

ابن أخيه سبا قبيحا . وليس ثمة شك فى أن أبا جهل كان يدرك ما يضطرم فى نفس حمزة من أحاسيس تجاه ابن أخيه، وأنه قد جاء ليجهز عليه اذا لزم الأمر ، وعلى متابعيه ، وكلهم يعلمون شدة شكيمته ، وقوة عزيمته ، فلا غرابة فى أن نرى أبو جهل يلوذ بالمصانعة والاقرار بالذنب ، وينحنى للعاصفة حتى تمر بسلام منذ ذلك الحين أعلن حمزة اسلامه على رؤوس الملأ من قريش ، وأدركت قريش وقتها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد عز وامتنع ، فكفوا أيديهم عن بعض ما كانوا ينالون منه قبل ذلك ، وقد كان اسلامه فى السنة الثانية من البعثة المحمدية على القول الراجح ..

اذا عرفنا هذا ، وعلمنا أيضا أن رسول الله كان يفطن الى صلابة عمه حمزة وشجاعته لأدركنا سر اختيار الرسول – صلى الله عليه وسلم – له على رأس أول سرية اسلامية ، بعث بها الى الشام ، للاستطلاع والالتحام بطلائع قريش العائدة من الشام وعلى رأسها أبو جهل وقد كان ذلك ، بعد أن استقر أمر المهاجرين بالمدينة ، وحانت الفرصة للصراع العنيف ضد أعداء الاسلام ، فيكون حمزة بذلك أول قائد فى الاسلام ، ويشاء القدر مرة أخرى أن يسخر من أبى جهل ويجلله بالخزى والعار ، فاذا به وقد احتمى بابن عمر الجهنى ولاذ به يطلب سفارته لدى حمزة ، فيقبل حمزة سفارة ابن عمر الجهنى ، ويسجل على أبى جهل المذلة والانكسار ..

ثم جاءت بعد ذلك غزوة بدر ، فاستعرت الحرب ، واشتد أوارها ، وتأججت نارها وعلا لهيبها ، والفريقان يتصارعان ، حتى اذا بلغ شواظها الذروة ، رأينا الأسود بن عبد الاسد المخزومى يخرج من صفوف المشركين ، ويقول ساخرا من المؤمنين ، أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه ! وكان يعتقد أن الامر لا يتطلب كثيرا من الصعوبة ، فما عليه الا أن يخترق صفوف المسلمين لبلوغ الحوض وهو وراءهم ، ولن يجرؤ أحدهم على الوقوف أمامه ، هكذا سولت له نفسه ، ولكنه ما أن برز حتى تلقاه حمزة بضربة من سيفه قطعت ساقه ، فوقع على الأرض وساقه تنزف دما ، ولكنه برغم هذا أصر فى عناد وعتو على الزحف فوق الأرض، حتى يصل الى الحوض ليشرب منه ، أو يهدمه أو يموت دونه ، ولكن حمزة لم يدع له الفرصة ليتمادى فى غيه فعاجله بضربة قاضية أجهزت عليه ، كل هذا حدث فى سرعة مذهلة ، أذهلت المشركين ، وخلعت قلوبهم ، فقد استحال حمزة فى لمح البصر أسدا ضاريا ، فرأى المشركون أن الأمر ليس أمر أبى جهل وأشباهه ، وان المسألة ليست – كما قيل لهم – مسألة اقامة بهيجة على ماء بدر (تنحر الجزر ، ويطعم الطعام ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا بعدها .. »

وهنا نجد أن الكفار يتشاورن فيما بينهم ، فيتحمس بعضهم ، ويتردد البعض الآخر وأخيرا يخرج عتبة بن ربيعة وهو من سادات قريش ، وأخوه شيبة ، وابنه الوليد ، فيتحدون المسلمين ، ليبرز لهم من يجرؤ على الخروج من رجالهم ، فأراد بعض الأنصار أن يخرجوا لهم ، فرفض الكفار صلفا واستكبارا ، أن يقاتلوا الا قرشيين ، فاختار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبيدة بن الحارث ، وحمزة ابن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب فبرزوا لهم ، ولم يكد عتبة يتقدم حتى تلقاه حمزة بضربة من سيفه قضت عليه ، ثم جاء شيبة فاستقبله هو وعبيدة فأجهزا عليه ، ولم يلبث أن جاء الوليد حتى قضى عليه على وكان حمزة يصول ويجول فى المعركة ، وهو يزار زئير الاسود الضارية ، وكان يضع ريشة نعامة قد ثبتها فى صدره ، وقد أخذ ينقض على المشركين انقضاض الصاعقة ، فلا يرى واحدا من المسلمين الا وقد خف لنجدته ، وسانده على عدوه

ويحدثنا عبد الرحمن بن عوف فى ذلك فيقول أسرت أمية بن خلف وابنه ، واقتدتهما الى صفوف المسلمين ، وانى لسائر بينهما اذ سألنى أمية : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ فقلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فقال أمية : ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل !

أعتقد أنه لايخالجنا شك بعد هذا فى شجاعة حمزة ، وانه بطل بدر ، وقاهر قريش وفارس الحلبة ، فلا عجب اذا رأينا زعماء قريش ، يترصدون الأيام ، ويهتبلون الفرصة المثار منه ، فجعلوا يستعدون ليوم يبلغون فيه غايتهم ، وأخذوا يدبرون لهذا الأمر محكم تدبيرهم ، ولم يبق رجل أو امرأة من قريش ، الا وكان له نصيب مقسوم فى التدبير والمشاركة بالمال أو الرأى ، وبالولد أو النفس، وكان على رأس نساء قريش هند بنت عتبة زوج أبى سفيان وأم معاوية ، وكان حقدها مركزا على حمزة قاتل أبيها وعمها وأخيها فى بدر فلما جاء يوم أحد ، وكان حمزة فيه المفرد العلم ، لا يلقى مشركا الا صرعه، وقد أخذ يضرب بسيفه يمينا وشمالا ، والعيون ترصده عن كثب ، وكل مشرك يتحين الفرصة لأخذه على غرة منه ، وكان بين هؤلاء غلام حبشى يجيد رمى الحربة الطويلة ، واسمه وحشى ، وكانت هند بنت عتبة قد أغرته بالمال والعتق ، لانه مولى لجبير بن مطعم احد أعداء النبى ، فانتهز ذلك اللعين فرصة انشغال حمزة بسباع بن عبد العزى احد حملة لواء قريش ، ورآه وهو يقضى عليه ، وعندها رماه بالحربة فتمكنت منه ، فسال دمه غزيرا ولم يلبث أن تعثر وسقط على الارض وأسلم روحه الطاهرة .

ثم لما انتهت المعركة ، ذهبت هند تبحث عن مبتغاها لتنقع غلتها ، وتشفى غليلها ، فلما بصرت بجثمان حمزة مثلت به اشنع تمثيل ، ولما جاء الرسول الكريم ، يلتمس عمه الشهيد ، ورآه على هذه الصورة المفجعة بكى بكاء شديدا وقد ملك الحزن عليه أقطار نفسه ، حتى قال : « لن أصاب بمثلك ابدا ، ما وقفت موقفا قط أغيظ لى من هذا »

ويجمع الثقاة من رواة السيرة المحمدية على أن رسول الله لم ير باكيا قط أشد من بكائه على حمزة حتى لقد وقف فى فى جنازته ، بعد أن وضعه فى القبلة وانتحب حتى شهق من البكاء وهو يقول : « يا حمزة . يا عم رسول الله . وأسد الله ، وأسد رسوله ، ياحمزة . يا فاعل الخيرات . يا حمزة يا كاشف الكربات، ياحمزة ياذابا عن رسول الله » وكان صلوات الله عليه ، اذا صلى على جنازة كبر أربعا ، ولكنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة ، وقد قال عنه « والذى نفسى بيده انه لمكتوب عند الله فى السماء السابعة »

لا ريب بعد هذا أننا نجد أنفسنا أمام صورة من أروع الصور ، وابرزها ،قداسة وشجاعة وشهامة وعلوا فى المنزلة والمكانة فى الدنيا والآخرة ، فهو حرى بقول الشاعر :

علوا فى الحياة وفى الممات
لحقا أنت احدى المعجزات

شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد علينا ؛ وان أبيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب مانريد منكم . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم) .

أما عن قيام حالة الحرب هذه بين الدولة الاسلامية وبين الامبراطورية الرومانية الشرقية ، فترجع كما يذكر أصحاب السيرة الى ذلك الاعتداء الأثيم الذى وقع على مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامل هرقل على بصرى ، ذلك أن الحارث بن عمير الازدى رسول رسول الله لما نزل مؤته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب بصرى أخذه شرحبيل بن عمرو الغسانى ، وضرب عنقه باسم هرقل ؛ فبعث رسول الله بالذين قاتلوا فى مؤته لتاديب هذا العامل ومن ينصره .

وقد كان صلى الله عليه وسلم متيقظا لكل عدو متربص ، ولكل غادر مترصد ، يعد الجيوش لمواجهة أى عدوان محتمل أو مفاجيء ، وفيما كانت عينه على بلاد العرب جميعا حتى لاينتقض فيها منتقض وحتى يستتب الامن فى ربوعها من اقصاها الى أقصاها ، اذ اتصل به نبأ من بلاد الروم أنها تهيىء جيوشا لغزو حدود العرب الشمالية غزوا ينسى الناس انسحاب العرب الماهر فى مؤتة ؛ وينسى الناس ذكر العرب وسلطان المسلمين الزاحف فى ناحية ليتاخم سلطان الروم فى الشام وسلطان فارس فى الحيرة . واتصل به هذا النبأ مجسما أيما تجسيم . فلم يتردد هنيهة فى تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه والقضاء عليها قضاء يقضى فى نفوس سادتها على كل أمل فى غزو العرب أو فى التعرض لهم .

وظلت حالة الحرب هذه التى بدأت بالعدوان والتهيؤ لغزو الدولة الاسلامية فى عقر دارها من جانب الدولة البيزنطية وانطلق جيش المسلمين قاصدا تبوك وكانت الروم قد بلغها أمر هذا الجيش وقوته فآثرت الانسحاب بجيشها الذى كانت قد وجهته الى حدودها ليتحصن داخل بلاد الشام فى حصونها . فلما انتهى المسلمون الى تبوك وعرف محمد أمر انسحاب الروم ونمى اليه ما أصابهم من خوف لم ير محلا لتتبعهم داخل بلادهم . واقام عند الحدود يناجز من شاء أن ينازله أو يقاومه ، ويعمل لكفالة هذه الحدود حتى لايتخطى من بعد ذلك اليها أحد .

ظلت حالة العدوان قائمة حتى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ أعد جيشا بامرة أسامة بن زيد لتاديب جموع الروم التى تنتهك الحدود وتتربص بالدولة الاسلامية أن تغزوها وتقضى عليها الى ان قرر المسلمون مواجهة هذا العدوان من جانب الرومان بفتح معاقل هذه الدولة التى استعبدت شعوبا كثيرة واذلتها واستغلتها ، فوجه الخليفة ابو بكر الصديق رضى الله عنه الجيوش لتحرير سورية ؛ ومن بعده امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتحرير مصر من الاستعباد الرومانى ، وكان من نبأ جيش عمرو بن العاص ماتعرضنا له فى المقال السابق وهذا المقال .

فلم يكن المسلمون يكرهون احدا على الدخول فى الاسلام بقوة السيف ، وما كانوا غزاة ، ولكن كانوا دعاة الى الحرية يحملون مشعلها ، ويقاتلون من أجلها فى كل زمان ومكان .

ثم بعد هذا الايضاح ، الذى لابد منه ، نقف وقفات ، لنعقل كلمات لها وزنها فى عالم العقائد والقيم والمبادىء .

فهذا عبادة حين يتقدم فيهابه المقوقس لسواده ويقول (نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى) فقالوا جميعا (ان هذا الأسود أفضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعها الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما أمره وأمرنا الا نخالف رأيه وقوله) . فقال المقوقس (كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود افضلكم انما ينبغى أن يكون هو دونكم ؟ قالوا (كلا انه وان كان كما ترى فانه من افضلنا موضعا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا) . فالى دعاة التفرقة العنصرية فى أمريكا وأوربا تسوق هذه الكلمات وهذه الشعارات التى جعلت الحرية والاخاء والمساواة عقيدة للمسلمين يجاهدون فى سبيلها ويستشهدون من اجلها ، فليس لأبيض على أسود فضل الا بالايمان الصحيح والعمل الصالح وتقوى الله من أن يظلم أحد من الناس مثقال ذرة .

وأما عن دور الدعوة وجهاز الاعلام فنوجه النظر الى حكمة عمر بن العاص حين استبقى وفد المقوقس فترة ليروا عن قرب كيف حال المسلمين مع ربهم وفيما بينهم ومع أميرهم ، فما أن رجعوا الى المقوقس والى قومهم حتى قالوا (رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ؛ والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، وانما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ؛ يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم) ولقد كانت هذه الصورة متضحة عند المقوقس مما بلغه وسمعه عن هذا الجيش الداعى الى الحرية والى السلام والى صرط مستقيم . فلم يستغرب ماقاله الوفد وانما قال (والذى يحلف به لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها ومايقوى على قتال هؤلاء أحد)

فهل بعد ما رأى وفد من أهل مصر اخلاق هؤلاء الرجال الأبطال ، ومايتحلون به من كريم الخصال ، مايحملهم على قتال أمثال هؤلاء الأتقياء الانقياء .

ووقفة أخرى عند قول المقوقس لعبادة (أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وماذكرت عنك وعن أصحابك ؛ ولعمرى مابلغتم مابلغتم الا بما ذكرت ، وماظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها) .

من سيرة عبادة بن الصامت الصحابى الجليل والقائد العظيم ومن هذه المواقف الخالدة مع المقوقس والصور البطولية نلمح صفات قواد المسلمين الذين دوخوا العالم ودانت لهم الدنيا بمقوماتهم الدينية ودرايتهم الحربية وحسن المعاملة ولانهم وهبوا نفوسهم لله وكرهوا كل شيء فى هذه الدنيا وأحبوا الموت فوهبت لهم الحياة

زاهد من الأنصار

عمير ابن سعد

للأستاذ صلاح عزام

كان عمير بن سعد واحدا من الذين تلقوا العلم من المدرسة المحمدية فى صدق واخلاص .

وكان واحدا من الصحابة ..

وواحدا من أبر ابناء صحابى جليل . فقد كان ابو سعد بطلا من الرعيل الأول فلم يتخلف عن مواقع النضال ولم يترك معركة الا وساهم فيها مع النبى ومن أتى من بعده صلى الله عليه وسلم ..ليرفع راية الاسلام ولينشر مبادىء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى استشهد فى موقعة القادسية ليترك وراءه واحدا من عظماء الدنيا هو عمير

أخذ من الرسول أجل شهادة وعاش طوال عمره مع النبى وبعده أياما مباركة.

فرغم صغر سنه فقد اشترك كما يؤكد بعض الرواة فى مواقع قتال بجوار النبى وأخذ يعب من العلم المحمدى فى تواضع ولم تغره مكانة أبيه ولا نضاله حتى انه ليقال ان مكانه المفضل كان فى الصفوف الأخيرة أيام السلم .. والصفوف الأول فى حلقات العلم ومواقع القتال الى أن اطلق عليه وبحق .. انه نسيج وحده .

ومن أجل ذلك .. كان له مفهوم من وحى المدرسة المحمدية يسير على هداه فى حياته مؤمنا بأن الدين أولا وبأن الله ورسوله قبل كل الدنيا .. وكل الناس ـ وبأن ولاءه المطلق لدين الاسلام قبل كل ما يتعارف عليه الناس .

فقد حدث ذات يوم ان كان عنده احد اقاربه ـ جلاس بن سويد الصامت ـ وبعض نفر آخرين من أهله ولم يكن قد مضى على اسلام جلاس طويلا .. ولم يكن اسلامه عن صدق فى أول العهد به بل آمن بالاسلام خوفا وطمعا .. واذا بجلاس يقول عن النبى :

لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر .

ولم يكد جلاس يطلق هذه العبارة حتى تفجرت فى نفس عمير كل معانى الثورة. اذ كيف يقول رجلا يؤمن بالله ورسوله هذا القول على نبيه .. ثم كيف يصبر هو على مثل هذا الكلام .. ولكن تنازعته طبيعة العربى وشدته الى واجب الضيافه فكيف ينقل ما دار فى داره .. وفى الوقت نفسه هز من اعماقه طبيعة المسلم المؤمن الغالبه فكيف يصبر على هذا الحديث ..

وما بين الثورة والحيرة .. والغيظ والألم وجد عمير مخرجا يتفق مع كونه فى اسلامه ((نسيج وحده)) فقال لابن سويد :

والله ياجلاس انك لمن احب الناس الى وأحسنهم عندى يدا وأعزهم أن يصيبه شىء يكرهه ولقد قلت الآن مقالة لوأذعتها عنك لآذتك . ولو صمت عليها ليهلكن دينى .. وان حق الدين أولى بالوفاء وانى مبلغ رسول الله ما قلت ..

وذهب عمير الى الرسول صلى الله عليه وسلم ..

كان كل الذى يخشاه أن يقول عنه بعض الضعاف ما يؤذيه وكان يخشى أكثر أن ينزل فى أمره قول من السماء ولذلك غادر البيت مسرعا وهو يقول :

لأبلغن رسول الله قبل ان ينزل وحى يشركنى فى الأمر .. بالتستر عليه ..

وعرض الأمر على رسول الله واستدعى جلاس فانكر رواية عمير .. بل حلف بالله كذبا بانه لم يحدث شيئا من ذلك.

ولكن كلام الله جاء يفرق بين حق وباطل .. فقد قال الله تعالى ((يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير ..))

واضطرب جلاس عند قول الله تعالى وجاء الى النبى معتذرا .. معترفا .. وصار من احسن الناس اسلاما بعد ذلك ويومها لا ينسى عمير والتاريخ ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم ..

يا غلام وفت أذنك وصدقك ربك ..

×××

ولانه نسيج وحده كان يرفض كل المناصب وكل جاه الدنيا .. ولكنه كان يضع كل ذكاءه وايمانه فى خدمة الجهاد الاسلامى بلا تردد وفى وعى وشجاعة وصلابة يعرف لقدمه موضعها قبل أن يطأ الأرض فقد بعثه عمر بن الخطاب يوما على جيش الى الشام فجاءه يوما يعرض عليه الموقف وقال له ((يا أمير المؤمنين ان بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها عرب السوس تطلع عدونا على عوراتنا فيعقلون ويفعلون))

فقال عمر خيرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم وتعطيهم مكان كل شاه شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شىء شيئين فان فعلوا فاعطهم ذلك وان أبوا فانبذ عليهم على سواء ثم أجلهم سنة

فقال عمير : اكتب لى يا أميرالمؤمنين ذلك ..

فكتب له .. ثم عرض عمير عليهم ما أشار به عمر فأبوا .. فأجلهم سنة ثم نابذهم .. ونقل الى عمر ان عميرا ضرب عرب السوس وفعل كذا وكذا .. فتغيظ عمر حتى قدم عليه عمير فأعلاه بالدره وقال ضربت عرب السوس .. وسكت عمير حتى انتهى غضب عمر فاستأذنه لحظة فدخل الى داره وجاء بأمر عمر واطلعه عليه فخجل منه أمير المؤمنين وقال له عبارته الشهيرة التى يتناقلها المسلمين ..

غفر الله لك .. فانك نسيج وحدك .

ولهذا .. وفى عهد عمر أيضا ..أراد الخليفة أن يعلم الدنيا كيف يكون الوالى الاسلامى .. وكنموذج مشرق عمير

بن سعد فأصر على أن يتولى امارة حمص ورفض عمير ولكن عمر أراد فكان له ما يشاء ..

وذهب عمير .. ومرت الأيام .. ولم يصل المدينة شيء من فيء حمص .. ولكن أخبارا مشرقة عن الحكم الاسلامى وعن ازدهار الحـــياة بها كانت تأتى دائما وباستمرار فتملا المجالس ..

وارسل الخليفة عمر الى عمير يقول : اقبل بما جبيت من الفيء

عبارة واحدة لا أكثر .. ومعهذا فان عبد الملك بن هارون يروى للتاريخ عن أبيه وجده اسطورة هذا الوالى عميرا فيقول ..

ان عميرا عندما وصلته رسالة أمير المؤمنين أخذ جرابه وقصعته وعلق أدواته على كتفه وأخذ عصاه وأقبل المدينة راجلا واستمر فى سيره حتى بلغ المدينة وجاء مجلس أمير المؤمنين

فقال : السلام عليكم يا أمير المؤمنين فقال عمر بعد الرد . ما شأنك

فقال : ألست صحيح البدن . معى الدنيا . فظن عمر انه جاء بمال وقال . جئت تمشى . فقال عمير . نعم .

فقال عمر : أما كان احد يتبرع لك بدابة .

قال : ما فعلوا ولا سألتهم

قال عمر : بئس المسلمون

قال : يا عمر ان الله قد نهاك عن الغيبة

قال عمر : ما صنعت

قال : أتيت البلد الذى بعثتنى اليه فجمعت صلحا أهله ووليتهم جباية فيئهم وأموالهم حتى اذا جمعوها وضعتها فى مواضعها ولو بقى لك منها شيء لأتيتك به .

قال عمر : أما جئتنا بشيء

قال : لا

فقال عمر لمن حوله جددوا لعميرعهدا

فقال : لا عملت لك ولا احد ..

وترك عمير المكان وانطلق الى داره على بعد أميال من المدينة ليفكر عمر بن الخطاب فى الأمر فقد جاءته الرسل تقول ان عميرا كان من أزهد الناس وانه كان نعم الحاكم .. كان لا يأخذ الا الكفاف ولم يكن بينه وبين الناس حجابا .. كان عندما يطلبونه .. وفى كل مايحتاجونه وكان معلما يدرس لهم الدين نديا كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم

وكان قويا عملاقا فى الزود عن الحق والدفاع عن المظلومين وكان شجاعا فى ملاقاة خصوم الاسلام كالأساطير التى يسمعون عنها ، ولم يستطع أن يجمع له ثوبين ، وانه رسم واجبات الحاكم المسلم فى أول عهده بالامارة فقال من على منبر المسجد « الا ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق .. فحائط الاسلام العدل . وبابه الحق . فاذا نقض الحائط وحطم الباب استفتح الاسلام . ولا زال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان . وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل »

ومع هذا كله .. فقد أراد عمر أن يزداد يقينا من حسن اختياره فبعث ابن الخطاب كما تقول رواية عبد الملك بن هارون رجلا بمائة دينار وقال انـــزل بعمير كأنك ضيف فان رأيت أثر شيء فاقبل وان رأيت حالا شديدة فادفع اليه هذه المائه .. فانطلق فرآه يغسل قميصه فقال له عمير انزل فنزل فساءله وقال كيف أمير المؤمنين .

قال ضرب ابنا له على فاحشـــة فمات . فنزل به ثلاثا ليس الا قرص شعير يخصونه به ويطوون فقال . انك قد أجعتنا وأخرج الدنانير فدفعها اليه فصاح عمير وقال لا حاجة لى بها وردها عليه . فقالت امرأته تطلب منه أن يأخذها فان احتجت اليها والا ضعها مواضعها

فقال عمير مالى شيء أجعلها فيه فشقت الزوجه من درعها فاعطته خرقة وجعلها فيه ثم خرج يقسمها بين ابناء الشهداء

وعاد رسول عمر الى المدينة والتقى بالخليفة ليقص عليه الخبر فأرســـل رضى الله عنهما الى عمير يستدعيه .. فسأله عن الدنانير وما فعله بها فأجابه . ما سؤالك ؟! .. قدمتها لنفسى فأمر له بطعام وثوبين

فرفض الطعام وقبل الثوبين

لأن أم فلان ـ زوجته ـ عارية

وأخذ أمير المؤمنين يستحثه على البقاء معه وعلى ان يتولى له احدى الامارات ولكنه رفض وعاد الى معزله يتدارس مع المسلمين أمور دينهم وينتظر أمرا واحدا من عمر كما ذكر له .. وهو ان يستدعيه فى حالة واحدة ..

ان الأمر دعوة الى الجهاد فى الثغور أو فى أى معركة .

من أجل انتشار الدعوة المحمدية .

ولكن سعد لم يطل به الانتظار فقد طواه الموت ..

وانتهت حياة مباركة ..

لرجل مبارك ..

نسيج وحده فى اسلامه .. وايمانه حتى لتقول الرواه ..

زهاد الانصار ثـلاثة ... وعمير بن سـعد ..

ابن خلدون

من أسرة اشبيلية بالأندلس انتقل أجداده من اشبيلية الى تونس فى أواسط القرن السابع للهجرة عند غلبة الجلالقة ويرجعون بأنســـابهم الى وائل من عرب اليمن نزح جدهم الأعلى خلـــدون الى الأندلس فى القرن الثالث للهجـرة ولد المؤرخ فى تونس سنة ٧٣٢ هـ وتفقـــه بالعلوم المعروفة فى عصره ثم غادر تونس فرارا من الطاعون الى هواره ونزل على صاحبها ابن عبدون فأعانه على السفر الى المغرب وتنقل فى بلاد كثيرة وهولايزال فى مقتبل الشباب ثم استقدمه السلطان أبو عنان المرينى صاحب تلمسان الى فاس سنة ٧٥٥ هـ وقربه واستكتبه ورقاه فحسده أقرانه وسعوا فيه بتهمة المؤامرة فاعتقله وما زال معتقلا حتى مات السلطان سنة ٧٥٩ هـ فأطلقه الوزير ابن عمر وخلع عليه واحتفظ به واتفق أن السلطان أبا سالم المرينى أقبل من الأندلس يطلب مكة فاستعان بابن خلدون لما بينه وبين شيوخ بنى مرين من المحبة ففاز ودخل فاس وابن خلدون فى ركابه سنة ٧٦٠ هـ فجعله كاتب سره فأجاد وبرع ولـــكن الخطيب ابن مرزوق غلب على هـــوى السلطان وسعى فيه فانقبض ابن خلدون وغيره من رجال الدولة فتغيـروا على السلطان وانقضوا عليه فمات وعاد النفوذ الى ابن خلدون بواسطة الوزير عمر بن عبدالله وأراد السفر الى الأندلس فمنعه ثم قبل التوسط فسافر الى الاندلس سنة ٧٦٤ هـ والسلطان يومئذ ابو عبدالله من بنى الاحمر فى غرناطة فقصده فاهتـــز السلطان لقدومه وهيأ له منزلا فى أعلى قصوره وبالغ فى اكرامه ثم رحل سنة ٧٦٥ هـ الى قشتاله ولقى صـــاحبها وتوسط فى عقد الصلح بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة فرغبه صاحب قشتاله فى المقام عنده فأبى فأركبه بغلة فارهـــة

فيلسوف العرب ...

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

بلجام ذهب فلما رجع الى غرناطة اهداهما الى صاحبها فأقطعه بلدا وأنزله على الرحب والسعة ثم اشتاق الى أهله فرحل الى بجايه فلقيه سلطانها أبو عبدالله وتهافت عليه اهل البلد يقبلون يديه وقلده السلطان أعمال دولته فخدمه بقلمه وعلمه ونفوذه لكن أبا العباس صاحب قسطنطينة تغلب على أبى عبدالله صاحب بجايه وملك بلده واستبقى ابن خلدون وأكرمه ثم كثرت السعايات فيه فاستأذن فى الانصراف وذهب الى العرب ثم كتب اليه أبو حمو صاحب تلمسان يستقدمه ليتولى الحجابة والعلامة فاعتذر لأنه رغب فى العلم عن السياسة وأراد الخروج الى الأندلس فاستأذن أبا حمو بذلك فأذن له وحمله رسالة الى ابن الاحمر لكنه عجز عن ركوب البحر وبلغ السلطان عبد العزيز المرينى صاحب المغرب الأقصى خبره وأن معه وديعة الى سلطان الأندلس فأستقدمه ولم يجد الخبر صحيحا فأكرمه واستبقاه عنده واستعانه على بجايه فى حديث طويل وفى النهاية استقر الحال بابن خلدون فى تلمسان مع أهله وولده ونزل بهم فى قلعة بنى سلامه من بلاد بنى توجين فأقام بها أربع سنين وهناك شرع فى تأليف تاريخه فأكمل المقدمة وكتب بعض التاريخ ثم رأى العودة الى تونس مسقط رأسه فاستأذن فأذن له فوصلها سنة ٧٨٠ هـ وأكرمه سلطانها واختصه بأسراره وأخذ بناصره وحرضه على اتمام تأليفه فكتب ما تيسر له وأحس بالسعايات عليه فاستأذن بالسفر الى الاسكندرية فجاءها سنة ٧٨٤ وانتقل منها الى القاهرة وجلس للتدريس فى الأزهر واتصل ببرقوق صاحب مصر فأكرمه وولاه قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ فقام بالمنصب حق القيام واشتهر أمره وكثر المعجبون به وتكاثر حساده فوشوا به وأشاعوا عنه الأراجيف وكان قد بعث يستقدم أهله وولده من تونس ليقيموا معه فى القاهرة فغرقوا جميعا فى أثناء الطريق فعظم الأمر عليه فاستقال من منصبه وانقطع للتدريس والتأليف وفى سنة ٧٨٩ هـ خرج من القاهرة للحج ورجع فى السنة التالية الى مصر وعاد الى العمل فأتم كتابه فيها سنة ٧٩٧ هـ ومصر ملجأ أهل العلم والأدب من قديم وما زال مقيما بها حتى وافاه الأجل سنة ٨٠٨ هـ .

ابن خلدون وعلم الاجتماع : ويعتبر كتاب التاريخ لابن خلدون من أهم المراجع فى التاريخ العام وهذا الكتاب لا تعتبر قيمته التاريخية فى دقائقه فحسب وانما فى مقدمته التى فتحت بابا جديدا للمؤرخين حيث تزودهم بقانون عام يحكمون به على الحوادث والأمور الاجتماعية فقد درس ابن خلدون نشأة المجتمع البشرى وتطوره فى جميع أدواره ولأهميتها ترجمت الى عدة لغات وتنافس الناس فى اقتنائها وحرصوا على الاستفادة منها وتناولتها أقلام الكتاب والمؤلفين بالشرح والتفصيل واذا كان علم الاجتماع دراسة للحاضر فهو دراسة للماضى حيث يلقى ضوءا على التاريخ وهكذا يكون التاريخ مادة لعلم الاجتماع الذى عرفوه بأنه دراسة المجتمع البشرى فى أشكاله المختلفة فابن خلدون رسم فى كتابه علم اجتماع عام وعلم اجتماع سياسى وعلم اجتماع المدينة وعلم اجتماع اقتصادى وعلم اجتماع للمعرفة وبذلك يعتبر هذا المفكر الذى فتح للمعرفة آفاقا واسعة هو أول من يقول ان علم الاجتماع صورة صادقة لتنظيم الجماعة البشرية فهو يقوم على العصبية التى تعنى القومية ويقول ابن خلدون أن المجتمع مظهر طبيعى وضرورى وذلك لأن الفرد لا يستطيع أن يدفع عنه هجوم الحيوانات كما لا يستطيع أن يؤمن حاجياته الاقتصادية وحده ولكن مطامع الأفراد تقف حائلا دون تحقيق الوجهة القومية لذلك يلزم أن توجد فكرة العقاب وتمثل هذه الفكرة بوجود فرد يفرض ارادته على الباقين فتوجد الدولة عندئذ بمجرد الحاجة والشعور ببساطة عامة ويعيد ابن خلدون فكرة العصبية والقومية الى روابط الدم فيقول ان القومية القائمة على رابطة الدم قوية عند القبائل وذلك بسبب حاجتهم للتعاون والتساند ويعتقد أن الدولة لا تحقق الا بالجهاد وهكذا يعطى أهمية للدين فالدين هو أقوى الروابط بين البشر

المعرفة عند ابن خلدون : لم يهمل ابن خلدون فروع المعرفة فهو يعتقد أن الوجود يتدرج من المادة ويرتفع من خلال النبات والحيوان والانسان حتى يصل الى الملائكة فهو يعتقد أن الفلسفة مهما كان نوعها يجب أن تؤدى الى الايمان فما لا يمكن ادراكه بالعقل يمكن الوصول اليه بالتصوف والاشراق .

مركز ابن خلدون فى تاريخ الفكر : ازداد لمعان نجم ابن خلدون من خلال الظلام الذى اكتنفه فى عصره المظلم فقد عاش فى عصر وصل فيه الانحطاط والضعف والانحلال أقصاه فقد كانت أقطار الامبراطورية العربية ممزقة فظهر ابن خلدون من بين هذه الانقاض فدرس المفكرين العرب من مؤرخين وجغرافيين وفلاسفة كما درس مفكرى اليونان واقتبس منهم ولكنه بالرغم من اعتماده على هؤلاء كان أصيلا فى فكره حيث أتيحت له سبل الاطلاع والدراسة فعلم الكثير عن أحوال بلاده وقد ساعدته الأحوال التى عاش فيها على النبوغ والتفوق لان الفكر يتمخض أثناء الازمات والشدائد .

الإمام محمد عبده

الدعوة روح الفكرة

الاستاذ عبد السميع البطل

مقدمة :

قبل أن نتكلم عن دخول الأستاذ لجنة الامتحان ، وما لقيه فيها من عنت وتعجيز . نقدم كلمة نتبين بها العلوم والكتب التى كانت موضوع الامتحان ، والطريقة التى يجرى عليها التدريس والامتحان مما منيت به الثقافة العلمية بعد عصور القوة فى اللغة والعلوم والفنون وبعد أن تدلت اللغة من أوجها ، تبعتها لغة التأليف ، فتناول التأليف الأعاجم ، الذين ليس لهم ذوق اللغة ، ولا القدرة على التعبير عن المعانى بأسلوب سهل واضح ، ولا الاكثار من ضرب الأمثلة التى تجلى المعنى المطلوب ، وأصبحت لغة التأليف مناقشة فى ألفاظ المؤلفين ، والتوفيق بين عبارة الشارح وعبارة المحشى ، فهذا يعترض على العبارة ، وذاك يجيب وهذا يقول : يحتمل أن يكون المقصود كذا ، والآخر يقول لو كان ذلك هو المقصود لقال كذا ، وأجيب بكذا ، واعترض عليه بكذا ، وهكذا أصبحت العبارة هى المقصد الأول للبحث ، وتركت القاعدة العلمية ، أو المسألة المطروحة للبحث وصار العالم النحرير هو الأقدر على ايراد الاحتمالات ، أو الرد عليها ، فكانوا — كما قال الأستاذ الامام : يقرءون كتبا لا علما .

ولهذا مضى على الأزهر ردح من الزمان طويل لم يخرج عالما بالمعنى الذى كان يفهم من كلمة عالم .

ففى الأصول يقرأ (جمع الجوامع) ولا يقرؤه الا شيخ متهدم عبر السمنين فى قراءته وقراءة أمثاله ، واشتهر جماعه يقال عنهم: أنهم يقرءون (جمع الجوامع) ، وقل مثل ذلك فى علوم البلاغة فكتاب (السعد) للتفتازانى بغية طلاب البلاغة المنتهين وأشهد ويشهد كل منصف ان جمع الجوامع والسعد تدريسهما مضيعة للعمر ، وأن الله تعالى سيحاسب الانسان على عمره فيم أفناه ؟

الغرض من دراسه الاصول التمرين على الاجتهاد فى التشريع، وجمع الأدلة الواردة فى الموضوع، وغربلتها ، وبيان الراجح من المرجوح منها ، واختيار الأرجح الذى يشهد له الدليل ، والذى تطمئن اليه النفس ، ويكون أقرب الى روح الشريعة وسماحتها ، ولكنهم أغلقوا باب الاجتهاد من زمن ، وأصبحوا مقلدين لعلماء مذهبهم ، ويا ليتهم يقرون كتب المتقدمين منهم ، ولكنهم عكفوا على قراءة الكتب المتأخرة الجامدة . مع أن الأصوليين لا يطلقون كلمة عالم الا على المجتهد ، أو الذى يقدر على الترجيح على الأقل ، وقد نهى الائمة كلهم عن تقليدهم ، لأنهم لم يستنبطوا مذاهبهم ، الا مشاركة فى خدمة الشريعة ، وتقريب أحكامها لمن لا يستطيعون ذلك ، وكان المفتون حين يسألون ، فيقولون : الحكم فى هذه المسألة كذا ، لأن الله تعالى يقول : كذا ، أو لأن الرسول أو عمل السلف كذا ، فيكون الجواب موحيا بالاقناع عن دليل .

وأما البلاغة فالغرض منها أولا ، بيان ما فى الكتاب الكريم من بلاغة بهرت الفصحاء من العرب ، وجعلتهم يقبلون التحدى ، حين ظهر عجزهم عن مجاراته ، ولا شك أن هذه الدراسة لأعلى الكلام وأبلغه تربى فى النفس ملكة الذوق والاقتدار على محاكاة البلغاء فى أساليبهم ، وتصرفهم فى مناحى الكلام ، فيكون من يكسب هذه الملكة خطيبا مصقعا ، أو كاتبا بليغا ، أو شاعرا مفلقا ، أو نقادة ذواقة ، بربك لو أن طالب العلم قرأ السعد مثنى وثلاث ورباع هل يتربى عنده ذوق الفقه ، أو تحصل له ملكتها ؟ نسأل أهل الذكر

ان الشيخ أحمد الرفاعى من علماء الرعيل السابق درس (المطول) وهو أكبر كتاب فى البلاغة ، ومع ذلك يعترف بأنه لا يحسن كتابة رسالة ولو غير بليغة ، لأن هذا من عمل تلاميذ المدارس المدنية ، والشيخ أحمد الرفاعى هذا كان من أشهر علماء عصره ، وأساس شهرته أنه يحسن تحليلها الجميل ، وخلق الشبهات حتى يعقد السهل ويغمض الواضح ، والشيخ عليش ، كان من المشهورين بالتدين والعصبية ورمى الناس بالكفر لضيق أفقه ، وشدة غيرته على الدين الذى فهمه ، وسيأتى له ذكر فى هذه الترجمة الآن .

ولكن كان بجانب هؤلاء جماعة ساعدتهم الظروف للاتصال بالدنيا وحركة التعليم المدنى ، فكانوا أوسع أفقا أو ألين عريكة من هؤلاء كالشيخ البسيونى امام المعية ، والشيخ حسن الطويل وكانت له نظرات فى الفلسفة فرمى بالالحاد ، وقد أختير للتدريس فى دار العلوم حين انشائها ، وهو من أساتذة الشيخ محمد عبده وأصدقائه .

هذه نبذة عن الكتب التى كانت تدرس ، وطريقة تدريسها . أما الكتب النافعة السهلة العبارة التى تقرأ فيها علما فقد حجبت عنها الأنظار ، لذلك نرى (السعد) يطبع مرات ويقرا ، وكتب عبد القادر لا يعرف عنها خبر . يقول السيد رشيد رضا ، ان مثل الكتب النافعة السهلة العبارة التى لا تروج عند الأمم حين تتدلى فيها الثقافه ، ويضعف مجتمعها لأن الأمة تكون مريضة ، وهذه الكتب القيمة ككتب عبد القادر ومقدمة ابن خلدون كتب دسمة لا تهضمها الا الامم التى تعرف قيمتها ، والغذاء الدسم لا تتحمله المعدة الضعيفة ، أو ما هذا معناه ، لذلك عرف الغربيون قيمة مقدمة ابن خلدون ودرسوها واستنبطوا منها ما سمى بعد بعلم الاجتماع ، وكتب عبد القاهر أحياها الأستاذ الامام بقراءته لها كما ستعلم .

وقد أراد الشيخ المراغى وهو شيخ للأزهر أن يقرأ كتابا من هذه الكتب فى الأصول وهو كتاب التحرير للكمال بن الهمام ، واختار لدرسه مسجدا قريبا من قصر عابدين واتسم الدرس بأنه درس ارستوقراطى ، يقرؤه شيخ الأزهر على طلبة كلية الشريعة ، وكان يحضره بعض رجال الدين والقانون ، والكتاب كما يقول سادتنا الأزهريون غير مخدوم ، أى ليس عليه شروح كثيرة ولا تقارير ، ولكن الشيخ - رحمه الله - كان أديبا عظيما ، كاتبا انقطع عن الدرس .

والشيخ عبدالله عفيفي – رحمه الله – كان أديبا عظيما ، كاتبا وشاعرا ، وقد أختير ليكون اماما للمعيه ، بعد أن قطع عدة سنين فى وزارة التربيه والتعليم مدرسا لامعا ، وكان منتدبا لتدريس الأدب العربى فى كليه الشريعه ، فاعطاه بعض الطلبة كراسه من هذا الكتاب ، حين راى الطلبة يشكون صعوبة عباراته ، وأراد أن يمتحن نفسه فى فهم بعض عباراته، ولكنه لم يفتح عليه ، فقال للطلبة يامشايخ أنا لا أتهم نفسى ، ولكنى أقرأ حروفا عربية لا تدل على معنى بحسب فهمى وكتب فى الجرائد يقول : لو أن رجلا حلف بالطلاق أن هذا الكتاب بلغة غير العربية لما وقع اليمين .

لذلك اقترح على أهل الأزهر وفيهم العلماء النجباء الأذكياء أن يضعوا كتابا فى الأصول يختارونه من جملة كتب مليئة بالعلم ، مع سهولة الأسلوب ، أذكر منها ، الموافقات والاعتصام للشاطبى وكتب ابن القيم وفى مقدمتها أعلام الموقعين ، وارشاد الفحول للشوكانى والأحكام لابن حزم وبعض كتب الغزالى ، والمسودة لآل تيمة، وفى البلاغة يرجعون الى كتب عبدالقاهر، وكانوا يدرسونها الى عهد قريب ، ولا أدرى لماذا هجروها ؟

وبلغنى أنها تقرأ فى الدراسات العليا الآن .

نعود الى الموضوع ، دخل الأستاذ الامام لجنة الامتحان بعد أن درس على شيوخ الأزهر ، والسيد جمال الدين ، وندع الأستاذ – رحمه الله – يحدثنا عن امتحانه :

عرضت نفسى على مجلس الامتحان فى ١٣ من جمادى سنة ١٢٩٤ هـ وابتليت فى الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش، وكان يعادينى على الغيب ، اتباعا لا لرأى من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ألا يمنحونى درجة ما فى العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ، ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية ، وصرت مدرسا من مدرسى الجامع الأزهر ، وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية الخ ..

يقول السيد رشيد رضا نقلا عن الشيخ : وقد اخبرنى – رحمه الله – أن بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان يمينا موكدة : لا يأخذن فلان درجة ما ، ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون، طفقوا يناقشون ويراجعون ، ويتنقلون به ويستطردون ، حتى صار الامتحان مناظرة ، تتولاها المشاغبة والمكابرة، فعندذلك حلف الشيخ العباسى : أنه لم ير أحدا امتحن فى عصره مثله ، وأنه لو كان فوق الدرجة الأولى درجة ممتازة لاستحقها . فأراد أحد الشيوخ ، وأظنه الشيخ الرافعى أن يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية، وطفق يعرضها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوقعوا عليها فوقعوا، ثم أعطوها للشيخ العباسى فأمضاها لهم ، ولم يحب أن يراجعهم بعد أن رأى منهم ما رأى ، فظفروا ببعض المطلوب ، وهو حرمانه من الدرجة الأولى وما كانوا ضائرين .

طريقة التحضير للامتحان

قبل التقدم للجنة الامتحان

ولعل من الطرافة أن أتحف القارىء بطريقة التحضير لدخول الامتحان .

كان طالب امتحان العالمية يمتحن فى عشر مواد ، ويعين له أبواب خاصة للامتحان ، ويعطونه مهلة عشرة أيام للمراجعة والمذاكرة والاستعانة ببعض العلماء ليطالعوا له دروس التعيين ، ثم يدخل اللجنة فى اليوم المعلوم ، وكانت الطريقة أن يمتحن فى أربع مواد أولا : الأصول والفقه والبلاغة والنحو – على ما أذكر ، فاذا رأت اللجنة منه استعدادا وسدادا فى الاجابة ، طلبت له كوبا من الشاى دليلا على الرضا ، واذا رأت منه اخفاقا فى الاجابة أشارت عليه أن يقوم ليشرب الشاى خارج اللجنة، ومعنى هذا أن يذهب الى بيته مذءوما مدحورا .

وقد قدر لى أن أطالع لواحد من أهل بلدى تعيينه فى البيان وكان موضوعه التشبيه التمثيلى من أسرار البلاغة لعبد القاهر ، وقد نجح والحمد لله ، وهذه الطريقة على حسنها لها مساوىء ، فأحيانا يخرج الممتحنون مع الطالب الى مجالات واسعة لا تمت الى العلم فى شىء ، وانما هى استطرادات يقولون : انهم يكشفون بها قدرة الطالب ، ولمقدار تحصيله ، وقد يكون أكثرها ألغازا لتعجيزه ، وأحيانا يتساهلون مع الطالب ، فلا يكون الامتحان بهذه الطريقة مقياسا واحدا، ولا ميزانا يزن كل طالب بالقسطاس المستقيم .

تدريسه بالأزهر

ابتدر الشيخ طريقة فى التدريس لم تكن سابقة الشباب فى الأزهر . فلم يدرس فقها ولا حديثا ولا لغة ، بل توجهت همته الى تدريس ايساغوجي فى المنطق، والعقائد النفسيه للتفتازانى مع حواشيه وغيرهما من الكتب التى لم تكن مألوفة فى الأزهر ولا متداولة ، وكان لا يزال طالبا فالتف الطلبة حوله ، وكانوا ينهبون الليل ساهرين يتناقشون والشيخ يفيض عليهم من بيانه ، حتى تكاد فحمة الليل تنقضى وهم لا يشعرون ، فأما الأذكياء ففتنوا بذكائه ودقة بيانه ، وأما الحاسدون ـ وما أكثرهم ـ فأوغروا صدر الشيخ عليش عليه وكان شيخا مغربيا حديد المزاج ، أذنا صاغية ، وكان الرمى بالكفر والزندقة أقرب الى لسانه من الكلمة الطيبة فقال له ابنه وطالب آخر : ان الشيخ محمد عبده يقرأ العقائدالنسفيه،وقد رجح مذهب المعتزلة على مذهب الأشاعرة ، فكبر عليه أن طالبا يقرأ العقائد النسفية التى لا يتسامى كبار العلماء الى قراءتها وأن يرجح مذهب المعتزلة .

موقفه مع الشيخ عليش

ذهب الشيخ عليش الى مسجد الامام الحسين حيث يقرأ الشيخ محمد عبده الدرس ، فقال الشيخ ـ والدرس حافل ـ بلغنى أنك تقرأ العقائد النسفية ؟ وبلغنى أنك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الأشعرية . فقال الأستاذ : اذا له الدليل . قال الشيخ : أخبرنى الثقة بذلك . قال الأستاذ : هلم الثقة الذى يشهد بذلك ، فليقرر ما قلت وليبين هنا ما بين المذهبين من فروق . قال الشيخ : أو مثلك يفهم شرح العقائد ؟ قال الأستاذ: الكتاب حاضر، وأنا حاضر فسلنى ان شئت . فكبر على الطلبة أن يسمعوا مثل هذه المحاورة من شاب طالب ، مع شيخ كبار مهيب ، وقال بعضهم : انه يرسل شعره ويجمعه تحت العمامة . فأخذ عمامته من على رأسه وحدث لغط فتركهم الأستاذ وهو حاسر الرأس ومع ذلك استمر الأستاذ بعد فى الدرس، وأشيع أن الشيخ عليشا منعه قراءة الدرس ، ولكن الأستاذ كان يضع بجانبه عصا ، ويقول : اذا جاء الشيخ بعكازه فله هذه العصا .

وهذه الحادثةشبيهة بما حدث للسيد جمال الدين فى تركيا ، وأمثال هذه الاشاعات التىيذيعها الحاسدون ، ومن لا يفقهون ، لا تزيد المحسودين الا قوة وشهرة ، كما أسلفنا ، ورحم الله الامام الغزالى حيث يقول فى فاتحة كتابه « فيصل التفرقة بين الالحاد والزندقة » واستصغر من بالضلال لا يعرف ، واستحقر من بالكفر والزندقة لم يقذف، ومعنى عبارة الغزالى أن الشجاع المتمكن من دينه ، الجرىء فى اظهار معتقده، لا يساق بعصا الجماهير ولا يبالى ما يتهمونه به ، فاذا جبن

كانت دروسه أساسها الاقناع وقوة الدليل وكانت حلقة دروسه واسعة المدى ، وكان يقرأ فى بيته كتبا فى السياسة والأخلاق ، كتهذيب الاخلاق (لابن مسكويه) وكتاب (كيزو) فى السياسة .

كانت هذه الدروس فتحا جديدا فى الأزهر ، أحدثت حولها دويا من الاشاعات والأخبار ، بعضها صدق ، وبعضها كذب ، وكان الشيوخ الكبار يصدون تلاميذهم عن دروس الأستاذ ، أو يسلطونهم بايراد الأسئلة السطحية الفارغة التى كان يضيق صدره بتفاهتها ، وبعضهم حملته هذه الاشاعات على أن يذهب اليها مختبرا فكانوا يعثرون ـ عن غير قصد ـ على كنز من العلم فيه التبر والدر ، هؤلاء هم الرعيل الأول الذين اتصلوا بالأستاذ وحملوا علمه، فكانوا من ألمع نوابغ الأمة ، وأعظم قادتها ، كل فيما هيأته له ظروفه .

اصلاح اشتباه

نشرت بعدد ذى القعدة الماضى، بصدد الكلام على خلط تعاليم الصوفية بتعاليم الباطنية الكلمة التى وصف بها الغزالى الفاطميين وهى (ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض) فعزوتها الى ابن

الحومانى ....

الاستاذ على الجمبلاطى

لقد كانت حيـــاة شاعرنا العظيم « الحومانى » حياة كلها هجرة ، وكانت هجراته كلها منبعثة من معنى عظيم امتلأ به قلبه وآمنت به نفسه هو معنى الحرية والاباء والرغبة فى الانطلاق من القيود ــ لقد هاجر الى بلاد العالم الغربى كماتنقل بين بلاد العالم العربى وكان فى كل هجرة الى بلد من البلاد يجد مايكفيه ويغنيه عن رغد العيش ونعيم الحيـــاة لو انه أراد الاستقرار والاخلاد الى الراحة والمتاع ــ ولكن نفسه كانت نفس المجاهد الأبىالذى لا يستقر له قرار ولا يهدأ له بال الا حيث يرى أفكاره ومثله تنمو وتزدهر ويستطيع أداء واجبه الذى يؤمن بأن الله تعـــالى يسره له وهيأه لادائه كرجل يشعر بأن له فى الحياة رسالة يحيا من أجلها . ولهذا كان « الحومانى » مهاجرا طول حيـــاته وكانت هجرته هجرة قلب قبل أن تـكون هجرة جسم وهمته كانت أعلى من أن يؤخذ بمتاع الحس عن متاع النفس

ولقد كانت لهذه النفس الحيـة الوثابة جولات فى كل هجرة من هذه الهجـــرات كانت من ثمراتها تلك الدواوين والمؤلفات التى أوحت بها فى كل ظروفه وأحواله مما يدل على أن « الحومانى » لم يكن يعيش فى بلد ما معتزلا أهله غير عاكف الا على

توجيه صادر عن تجربة وعرفان واخلاص وايمان ــ وقد ظل كما يقول ثلاثين عاما جبت خلالها مشرق الارض ومغربها أتحرى موضوعا أبنى عليه تلك الرسالة فكانت فى مطلع شبابى وفى غضونه ثم فى قمتـــه قلقة بين حكمة فجة وشهوة عارمة تشرق بالناشىء المتطلع الى رسالة الأدب على حياة وعرة المسالك مظلمة الأفق مجهـــــولة الأهداف » وقد اجتـــاز الشباب الى الكهولة ودخل « نيويورك » مرة أخـرى وقد توجته الكهولة بشباب الشيخوخة ومنها الى « شيكاغو » ثم الى مهبطروحه الشاعرة « ديتريت » ثم هبـــط منها الى « رجينيا فميامى فممفيس » ثم صـعد الى « بوسطن فمتشغن فصوفالس » ثم زار « لندن » و « باريس » وفى كل هذه الفراديس كان يبحث عن موضوع رسالته التى يوجه بها انسان اليـــوم الغافل . وأخيرا عاد الى وطنه العربى حتى هبط به منطاد القرن العشرين على مطارالقاهرة أم العروبة والاسلام وتغلغل فى معـــاهد مصر وأنديتها ووعى من أفواه الفتيـــــة والشيوخ على منابر التوجيه باسم الدين تارة وباسم الدنيا تارة أخرى ما يعصم الأفكار بالحق عن الزيغ ويحمى الـروح من طغيان النفس ويصرف القلب عن أن يستجيب للزائف من الحياة وهنا يقـول

آمنت فى مصر اذ جاء « نخيـــلى » على ضفاف نيله مقـــدمة لرسالتى الـكبرى « أنت أنت »

والآن لا ندحة لنا من أن نقدم عرضا وجيزا لسيرة شاعرنا الفذ قبل التعرض لرسالته الانسانية السامية فقـــد ولد « محمد الحـــومانى » عام ١٩٠٠ فى أسرة كريمة عامرة بالقيم من الشعراء والأدباء فقـــد كان والده « أمين الحـــومانى » شيخ الافتاء فى بلدته وشـــقيقه الشيخ « حسن الحومانى » الذى أخذ مكان أبيه فى الافتاء كان شاعرا لا يزال يتردد شعره حتى الآن برغم أنه مات منذ أربعين عاما وشقيقته « آمنة الحومانى » كانت شاعرة شعبية معروفة وأخيرا فقد نشأ فى بيئة أدبية ومناخ شاعرى ــ ولد شاعرنا بقرية « حاروف » فى جنوب لبنان ونشـــــأ وتربى فيها ثم أكمل تعليمه الثـــانوى فى « النبطية » وهى حاضرة جنوب لبنان أيضا وبعد أن أتم دراســـــــته تخصص فى العـــلوم الدينية فى معهـــد (النجف الاشرف الدينى » وقد نظم الشـــعر فى العاشرة من عمره وأم المجالس الادبية منذ الخامسة عشرة وابتـــدأ يتصــــدرها بشخصيته الزاخرة بالحياة المتدفقـــــة بالأدب والشعر والحماسة الوطنية المقومية العربية وقد وضع ديوانه الاول « ديوان الحومانى » وطبعه فى الاردن حيث كان يعمل مدرسا وعلى أثر صـــدور الديوان دعته جمعيات « المهاجرين العرب » فى

https://t.me/megallat

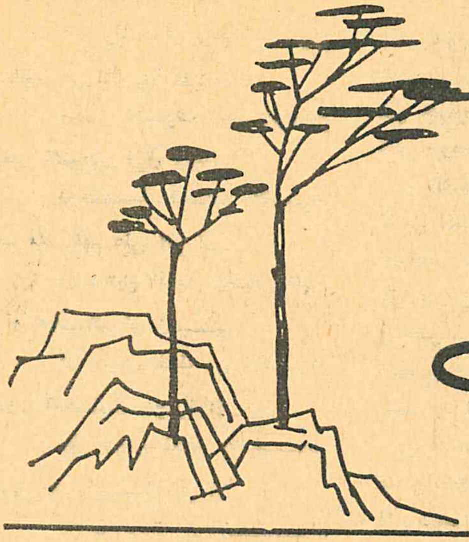

شاعر لبنان

الأجنبى وأعداء القومية العربية فى جميع آفاق الوطن العربى الكبير ثم عاد من أمريكا بعد عامين وطبع ديوانه الثالث « نقد السائس والمسوس » وهو كما نرى من اسمه من الشعر الملتهب الذى ناهض به الاستعمار الفرنسى ولذلك صودر عقب اصداره وفرض على صاحبه غرم مالى كبير - ولقد أصدر مجلة « العروبة » فكانت سيفا مسلطا على رقاب المستعمرين البغاة فى لبنان خاصة وفى الوطن العربى عامة ولقد اقفلت أبوابها وشرد صاحبها بعد أن ناضلت خمسة عشر عاما ولكن « الحومانى » الشاعر المناضل لم يستسلم بل ظل يصدر كتب النثر والشعر أيضا فى مجال القومية العربية والاصلاح الاجتماعى حتى بلغت كتبه اثنين وعشرين مؤلفا ما بين شعر سام ونثر رفيع .

أما الجمعيات التى أسسها فهى جمعية « الاصلاح الخيرية الاسلامية » واتخذ لها مقرا أسماه « نادى الحسين بن على » واستهدف منها احياء النهضة الأدبية والاجتماعية والقومية العربية ضد الاستعمار البغيض كما أنشأ جمعية «رواد الثقافة» وهى جمعية أدبية بحتة وقد أصدرت مجلة « الأمالى » وكان شاعرنا « فلان » وقد قدمت له الجامعة السورية شهادة عليا فخرية فى الأدب العربى وفى عام ١٩٣٢ عين أستاذا للادب العربى « فى كلية طرابلس » وما زالت محاضراته تدرس فى الكلية بعد أن انتظمها كتاب ضخم ومن تلاميذه فيها من لهم الآن شأن يذكر من المجاهدين العرب وبعد أن تحررت لبنان من الاستعمار الفرنسى تولاها حاكم عربى جائر كان حكمه فى تقدير الشاعر أكثر فسادا من الاستعمار فنظم شاعرنا الثائر فى كفاحه ديوانه الذى يعج بالثورة على الظلم والظلام وأسماه « فلان » وقد صادره الحاكم ليخنق فيه الصوت الجهير الذى يجأر بالحق - وفى القاهرة أسس « جماعة الاصفياء » من خيرة علماء العالم العربى وادبائه وكانت ندوات هذه الجماعة تمثل وحدة الأمة العربية أصدق تمثيل فكان يجتمع فيها أدباء العرب وعلماؤهم من كل شعب لا يعرفون الا عروبتهم واسلامهم وقد أخرج ثمرة هذه الندوات فى سنتها الاولى سفرا قيما باسم « الاصفياء » وكان مهتما باخراج ثمرتها فى سنتها الثانية كما أصدر فى مصر « ديوان النخيل » وديوانا آخر نرجو أن يكون له ذخرا عند الله هو ديوان « أنت أنت » ولقد نال هذا الديوان الجائزة الأولى للشعر فى مجمع مصر اللغوى عام ١٩٥٧ المسلمين جميعا أخوة وان باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التى يجب الايمان بها.

ومن تراثه الضخم الذى أثرت به المكتبة العربية دواوينه القيمة « ديوان الحومانى » و « القنابل » و « نقد السائس والمسوس » و « فلان » و « حواء » و « بلا سم » و « النخيل » و « أنت أنت » وتواليفه النثرية « مع الناس » فى مجلدين و « بين النهرين » فى مجلدين أيضا و « دين وتمدين » فى ستة مجلدات و « الأصفياء » فى مجلد واحد - ولقد كان « الحومانى » خطيبا بليغا يشهد له بالمقدرة الخطابية والتأثير الآسر على عواطف الجماهير واطالة الوقوف على المنبر فى غير كلال حتى سمى « أبو المنابر » وكان مع ذلك النشاط الجم الذى يزحم وقته كثير الاسفار فى أنحاء العالم فجال فى افريقيا والهند مرتين وفى أوروبا أربع مرات وقد قضى فى القاهرة عامين منذ ١٩٤٧ ثم غادرها الى أمريكا وعاد الى مصر فى أخريات الحكم البائد عام ١٩٥٠ وعاش فيها ارهاصة الثورة التى كان ينشد منها عزة الايمان بالله وبالنفس وبالمثل العليا

أجل عاش فى القاهرة أيامها الهوج وعلى مشارف الثورة حيث ساد الانحلال فى الدين والأخلاق على يد ملكها والمقربين

https://t.me/megallat

ملكوا الأمر بالخيانة فينا
فرعونا لكن رعاء سوام

يتعالون فى القصور علينا
وندس الأنوف تحت الرغام

يا لهذى التيجان فوق رءوس
دوختها فظائع الاجرام

لم يقم ملكهم على غير أس
من رجيع الهوى وخفض الهام

ملك أو محكم أو زعيم
أو رئيس خلط من الأقزام

ينشدون الحياة مجلوة الأ
فق بعينى غلامة أو غلام

ما عليهم وهم نيام عن الأ
مه أن هومت مع النوام

فاستعاضت عن سادة الحكم
فى الأبهاء بالسيدات فى الأفلام

ثم عاد الى وطنه لبنان فلما كانت ثورة مصر العارمة التى كانت معركة التحرر العربى وسنادا لعزة العروبة هاجر الى مصر عام ١٩٥٢ وفيها رأى شمس الحرية تشرق وتزحف مشاعل النور لتبدد كثف الظلام فينهار الاستعمار وعملاؤه وينداك عرش الملكية الطاغية والطغمة من الاقطاعيين أمام ثورة يوليو المجيدة التى صنعت تاريخ الأمة العربية وقد انفعل « الحومانى » بها وتفاعل معها فنظم مطولته الشماء « منقذ مصر » وقال فيها يمجد هذه الثورة المؤمنة :

جددى وثبة الهمم
وابعثى نهضة الأمم

ابعثيها وجددى
وثبة السيف والقلم

يا ابنة النيل هللى
للظبا فوقها العلم

فوقه عزة السها
فوقها قمة الهرم

تحت عهد تزعزعت
فوق بركانه القمم

طبق الارض قصفه
ورمى الدهر بالحمم

آن لليعربى أن
يتعالى وينتقم

أن تحجب السماء

وقد أسهم بكثير من شعره السامق فى هذه الثورة المفداة ثم ظل يتنقل بين البلاد العربية ويعود الى القاهرة وقد اتخذها مقر جهاده الأدبى والوطنى فالقى روائع شعره ومحاضراته فى جميع نواديها وطبع كتبه الشعرية والنثرية واتخذ من ضفاف النيل الخالد مسرحا لأفكاره ومهبطا لعواطفه ينظم ويكتب ويخطب مرموقا من كل عين وقريبا من كل قلب حتى لم يبق فى مصر — كما يقول هو فى كتابه « دين وتمدين » — أديب أو عالم الا وأنزله من نفسه منزلة الأخ من أخيه . ويترجم عن شعور سامعيه حين يجلجل بشعره فوق منابر القاهرة فيقول متوجها بخطابه هنا الى سيد الرسل صلى الله عليه وسلم .

أنت أسلوبى الذى يعكف
الفن عليه ويلهب الجمهورا

فاذا بالأكف تعصف هوجا
وغلاة العيون ترمق عورا

لهب الحس أغمض العين فى الق
لب فما تبصر العيون بصيرا

وتكاد اللحاظ تأكل من قال
وتطويه فى القلوب سعيرا

كلهم يهتفون باسمك مضفين
عليه التهليل والتكبيرا

وفى عام ١٩٦٣ توفيت زوجه فى موطنه لبنان فرحل اليها وقد انحدرت بصحته الأيام ومنعه الطبيب من المطالعة والكتابة فعمد الى الاملاء لاتمام الجزء السادس من كتابه الأخير « دين وتمدين » وكذلك كتابه الثالث والعشرين من تواليفه واسمه « الحسين بن على » وفى الحادى عشر من ابريل عام ١٩٦٤ — اختاره الله الى جواره الكريم مع الابرار والصديقين

وحسبنا فى هذا المقال ما قدمناه من سيرة شاعرنا المؤمن الذى تيقن أن الدين بمفهومه الاسلامى لا ينعزل عن الحياة لأنه يشمل الحياة والذى عاش يحرق أعصابه وأيامه لينير الطريق أمام أبناء العروبة والاسلام

والى المقال التالى ان شاء الله لنعرض شعره الاسلامى .

تعرف الى الله فى الرخاء

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا » .

فى رضا الله الغنى والكفاية

كتب ابو الدرداء الى معاوية (رضى الله عنهما) : اما بعد — فان من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الله بسخط الناس وكله الله الى الناس . .

المكتبة الإسلامية

الإسلام انطلاق لا جمود!

قدمت لك الشهر الماضى الجزء الاول من كتاب : الاسلام انطلاق لا جمود للسيد الدكتور مصطفى الرافعى وهو ضمن سلسلة أعمال لجنة التعريف بالاسلام احدى لجان المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وقلت لك فى التقديم ان الاسلام بحيويته وشبابه الدائم يوائم كل عصر ويسابق كل حضارة وينطلق بأبنائه الى عمر أسبق من عمرهم الزمنى .

واذا كان العصر الحديث ينادى بنظريات يباهى بها ويفاخر بابتكارها فان الاسلام بنظرياته الخالدة ، ومبادئه السامية التى نادى بها منذ أربعة عشر قرنا تؤكد سبق الاسلام وانطلاقه .

وقد قدمنا لك الشهر الماضى جزءا من الكتاب ، فقد قدمت الفصل الاول وهو عبارة عن نظرة عامة على الاسلام عبر العصور وفى الفصل الثانى قدمنا الحريات العامة فى الاسلام ومنها حرية المعتقد وموقف الاسلام منها وحرية الرأى وحرية المرأة وحرية العمل ثم يختتم الفصل بعنوان حرياتنا العامة فى الميزان . وقدمت الفصل الثالث من الكتاب وهو عن المجتمع المثالى وعن الصورة الحية النابضة التى رسمها الاسلام لمجتمعه وأسس هذا المجتمع المثالى ومنها المساواة وارساء قواعد العدالة الاجتماعية وان من أهم هذه القواعد اسقاط الفروق فى العدالة بين الناس فهم جميعا امام العدل الالهى سواء .

والآن اليك الجزء الثانى والاخير من الكتاب وأبدأه بحديث المؤلف عن واحدة من أهم مقومات المجتمع المثالى وهى التكافل الاجتماعى .

حلقات التكافل الاجتماعى

يجعل المؤلف ختام الفصل الثالث لبعض الأشياء التى قررها وجعلها ضمن حلقات التكافل الاجتماعى وعبر عنه المؤلف بالأمور الآتية :

بالزكاة وهى فريضة غايتها الحد من مساوىء النظام الاجتماعى وقد نجحت الى حد بعيد فى تحقيق العدالة الاجتماعية بوجهها الاقتصادى .

ثانيا : بالصدقة .

ثالثا بالوصية فى المال وفى وجوه الخير وقد كان الرسول أيضا يرغب بها ويحث عليها .

رابعا : بالميراث الذى يهدف الى تفتيت الثروة واشاعتها بين أكبر عدد ممكن من أفراد الأسرة منعا لتحجر رءوس الأموال وتجمعها فى يد واحدة . ص ٦٧ ، ٦٨

المجتمع الاسلامى وانطلاقة الاسلام

ومع الكلمات الأخيرة لهذا الفصل يذكر المؤلف بالفخر والاعزاز ماكان من سبق للاسلام فى بناء المجتمع الاسلامى. ويدلل على أن الاسلام دائما فى انطلاق ومعالجته للامور تدل على تشريعاته التى وضعها الحكيم الخبير لأجل رفاهية الناس وتحقيق العدالة فى الأرض ، والمؤلف هنا يقول :

لا أحسب أن نظاما من الأنظمة الاجتماعية الحديثة مهما بلغ من الحرص على تأمين العدالة يستطيع أن يؤمن هذه العدالة ويوفرها للمجتمع كما أمنها الاسلام ووفرها . ص ٦٨

الديمقراطية المفقودة

وفى هذا الفصل الجديد من الكتاب يؤكد الكاتب أن مانراه وما نسمعه فى عصرنا الحديث من الوان الديمقراطية كلها لاتنهض أن تكون شيئا يذكر بجانب الديمقراطية الاسلامية وهو مافتىء يذكر فى مقدمة الفصل .

أن الديمقراطية الحديثة كلمة جوفاء أما ديمقراطية الاسلام فسلوك انسانى رفيع يرتكز الى أنبل مافى النفس الانسانية من نزعات . انه يقوم على دعائم الحق والحرية والعدل والمساواة .

كما يذكر عنها :

انه كثر الحديث فى عصرنا عن الديمقراطية وكثر المتشدقون بهذه الكلمة ومن واجبنا أن نبين للناس الفوارق بين ديمقراطية مزعومة وبين ديمقراطية صحيحة هى ديمقراطية الاسلام ، ذلك الدين الذى أراده الله نظاما للحياة المثلى ومطهرا للنفس الانسانية من أدرانها وشوائبها . ص ٧١ ، ٧٢

ويضرب المؤلف للديمقراطية بأروع مثل مازال يذكره وسيذكره التاريخ عبر العصور تلك هى ديمقراطية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

فلقد استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يدحر قريشا بعدما أرغمته على أن يخوض معها معركة حياة أو موت .. أتراه سينسى كيف أرغموه هو وأتباعه على الهجرة وكيف حاصروه مرتين فى الشعب حتى اضطر هو وهؤلاء الأتباع أن يأكلوا العشب ويتغذوا بأوراق الشجر ؟ كلا .. ان محمدا لم يبعث ليؤجج نار الضغينة ولم يرسل ليعطى الاماثيل فى الانتقام والثأر لذلك وقف بين كفار قومه ليسألهم ماترون انى فاعل بكم ؟ ولاحظ أن بعضهم يرتعد فزعا ولكنه قال مالم يفعله فاتح فى التاريخ لاعدائه .. قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ص ٧٢ ، ٧٣

وهذا اللون من الديمقراطية ليس قاصرا على الرسول بل نراه فى الخلفاء الراشدين ومن أتى بعدهم وشواهد التاريخ أكثر من أن نحصى وهى دالة على أن

الاسلام قد ابتكر لونا من الديمقـراطية للامة الاسلامية أن تباهى بها أبد الآبدين وسنحاول مع المؤلف أن نستعرض من كلامه بعض العينات من ديمقراطية الغرب وهو بنفسه يقول :

لن أحدثكم عن محاكم التفتيش فى اسبانيا وعن تلك المجازر الرهيبة التى اقترفها الوحش الهائج وقضى على مئات الالوف من العرب لا لذنب الا لانهم حملوا الى الغرب رسالة النور والتهذيب والسمو والتمدين . ص ٨٠

ولكن ..

اليك مثـالا صغيرا على ديمقراطية بريطانيا : اسألوا ثرى النيل وساحات بغداد وربوع الهند بل اسألوا فلسطين الشهيدة ، اسألوا مليون متشرد عربى أرادت لهم ديمقراطية الانجليز أن يموتوا جوعا وبؤسا وعريا ارضـاء لحفنة من الافاقين وحثالات الشعوب . ص ٨٤

وما قولك بديمقراطية الامريكان - حماة الحريات الأربع - ان أمريكا التى تعتز بحرياتها الاربع هى اليوم موطن العبودية .. موطن التمييز العنصرى فى زمن انهارت فيه كل العبوديات بما فيهـا الالوان فلا تزال فى أمريكا بعض المناطق يحرم على الزنوج دخولها . وبعض الاماكن لايبـاح لهم ارتيادها . وقد حرمت بعض المقاطعات الامريكية على الزنوج أن يركبوا القطار أو الاتوبيسات التى يركبها البيض . ص ٨٤ ، ٨٥

أبعد هذا كله يحق للغرب أن يتشدق بالديمقراطية ؟ اهى ديمقراطية حقـا تلك التى نراها ونسمع عنها اليوم ؟

ليعلم المتشدقون بالديمقراطية أن الديمقراطية التى نؤمن بها ونعمل لها هى ديمقراطية الاسلام التى أعطى أمثال الخلفاء الراشدين وسواهم من الابطال الذين أسهموا فى تقدم الانسـانية ورفاهية البشرية وملأوا الدنيا عـدالة ومحبـة وأخوة ومساواة ونشروا فى الأرض الطمأنينة والحق والسلام . ص ٨٨

الاشتراكية الاسلامية

وفى الفصل الخامس من الكتاب يذكر المؤلف أن الاسلام أبو الاشتراكية قبل ماركس وانجلز وأضرابهما وان الاعتدال صفة ملازمة للاسلام فى تشريعاته المالية وقد تعرض الاسلام للنواحى الراسمالية وقنن لها قوانينه الخـالدة التى ضربت للناس مثلا فريدا على سمو الاسـلام وعدالته .

فقد رأى الاسلام ان الفقر اساس كل مشكلة وانه هو الذى يقيم نظام الطبقات وينمى الحقد الطبقى فنادى بالاشتراكية المنظمة التى تقضى على الفروق المـادية القائمة بين الناس وجعل للفقراء حقـا معلوما فى اموال الأغنياء (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وفرض على الأثرياء الموسرين ان يخرجوا زكاة أموالهم ويعطوها للفقراء والمحتاجين لا كصدقة تذل كرامة الفقير وتطعن كبريائه بل كحق له مفروض ونصيب له معلوم .

وبذلك كانت فريضـة الزكاة ركيزة اشتراكية ضخمة للمجتمع الاسـلامى اذ أنها أقامت التوازن الاقتصـادى بين الطبقات .

ان المال فى نظر الاشـتراكية ملك الدولة أما فى نظر الاسلام فهو ملك الله يتصرف به الانسان فى حدود المصلحة العامة أولا ، فمصالحه الخاصة ثانية . فان أساء التصرف بالبخل أو التبذير أو سوء الاستعمال ؛ أوجب الاسـلام على الدولة مصادرة المال واعادة توزيع الثروة العامة بحسب المقتضيات والاحوال .

ولم يحرم الاسلام الملكية الخاصـة الا لانه وضع من ناحية ثانية ضوابط لهـا تكفل بقاء التوازن الاقتصادى دائمـا . وهذه الضـوابط هى الزكاة . والوقف وقانون الوراثة وتحريم الاسراف والتبذير والفائدة والربا . ومبدأ المصـالح المرسلة ومبدأ شيوع الموارد العامة ومبدأ تحريم الترف والاسراف ومبدأ تحـريم الكنز . ص ٩١

وبهذه الأشياء التى ذكرها المؤلف نلمح عدالة الاشتراكية الاسلامية ، فهى تعطى ولا تمنع وهى ترسى نظاما اقتصاديا تظهر فيه بوضوح خطوط التوازن الاجتماعى بين جميع الطبقات .

بين الاشتراكية والقومية

وقد عقد المؤلف هذا الفصـل الذى سماه (بين الاشتراكية والقومية للاجابة على سؤال هام وهو هل هناك تناقض بين الاشتراكية والقومية ؟ أو بتعبير آخر هل يمكن فصل الاشتراكية عن القومية أو القومية عن الاشتراكية ؟ ويبدأ بتعريف الاشتراكية بقوله :

يمكننا أن نفسر الاشتراكية بوجه عام على أنها نظريات أو حركات اجتمـاعية وبالتالى سياسية واقتصادية تهـدف الى تنظيم مجتمع يقوم على صالح الغالبية من الشعب وذلك عن طريق الملكية الجماعية والرقابة الجمـاعية لعناصر الانتـاج والتوزيع . ص ١٠٢

وقد ذكر المؤلف فى تعريف القومية عددا من التعاريف اختار منهـا تعريف (رمزى موير) والذى جاء فى الكتاب ص ١٠٥ عن التعريف بالقـومية حيث يقول :

القومية ليست الا دلالة اجمـالية على صفات الوطن وخصائصه . ويرى موير أن القومية مجموعة من الناس الذين يشعرون بروابط طبيعية تجمعهم وبميول طبيعية تبلغ من القوة ومن الحقيقة انها تتيح لهم الحياة المشتركة وتجعلها ممكنة بل مستحبة وتجعلهم لايرضون ان تفرض عليهم العبودية للشعوب الأخرى .

ويذكر المؤلف بعد ذلك :

وخلاصة القول أن اجماع العلماء فى الفقه قائم على أن عناصر القومية هى الجنس والأرض والدين واللغة .

ولكننا نعود الى تعليل السؤال الذى

للدكتور مصطفى الرافعى

عرض وتقديم
رياض خليفة

قدم المؤلف هذا الفصل من اجل الاجابة عليه والذى ذكرته أولا وهو : هل هناك تناقض بين الاشتراكية والقومية ؟ وبعد أن قدمنا - للمؤلف تعريفـا لكل من الاشتراكية والقومية نستطيع كما يقول المؤلف .

نستطيع دون تردد ان نجيب على هذا السؤال بكلمة لا .. فالقومية تحقيق لميل طبيعى فى البشر يدفعهم الى التعاون ، والاشتراكية ميل من البشر ارفع مستواهم وتحسين ظروفهم الحياتية والمساواة فيما بينهم فى الفرص . ص ١٠٨ .

ميلاد القومية العربية

وفى نفس الفصل يتحدث المؤلف عن ميلاد القومية العربية ويقول عن ذلك : ص ١١١

لايمكننا كباحثين ان نحدد للقـومية العربية - كفكرة وشعور وحقيقة - يوما توضح فيه تاريخ تكوينهـا وصيروراتها عاملا من اهم العوامل الفعالة فى البلاد العربية ولكننا نستطيع ان نلاحظ خلال الأزمات التى مر بها الشعب العربى عبر تاريخه الطويل أن هذه القـومية كانت أثرا من الآثار الخالدة التى واكبت تطور هذا الشعب منذ طفولته الجـاهلية حتى شبابه الاسلامى .. الى ان تعاقبت عليه فيما بعد شتى المحاولات الرامية الى تفتيته وتضييع معالمه والتى قام بها الشعوبيون تارة والأعداء الخارجيون تارة أخرى .

القومية العربية متحركة

ويعود المؤلف بعد ذلك ليؤكد هذا الكلام فيقول :

ان القومية العربية متحركة وليست جامدة وانها متطورة وليست متأخرة فهى فى كل مرحلة من مراحل حياتها ذات رسالة وهدف بدأت رسالاتها وأهدافها بالتدريج

١ - بالاستقلال .
٢ - الحكم الصالح .
٣ - القوة .
٤ - التحرر .
٥ - الوحدة .

٦ - واخيرا : تطوير المستوى الاجتماعى ولقد حققت القومية العربية أهدافها واحدا واحدا بعزم شديد ويقين عظيم . وستحقق هدفها الأخير بالطريق العلمى الصحيح .. طريق الاشتراكية الصحيحة . ص ١١٨

الاشتراكيه طريق القوميه

ويختم المؤلف هذا الفصل السادس من كتابه بأن الاشتراكية هى الطريق الوحيد لتحقيق الوحدة العربية اذ يقول :

لان القومية العربية تنشد الرخاء الاقتصادى ولا شىء يحقق ذلك الا التصنيع ولا وسيلة لتعميم التصنيع الا وسيلة الاشتراكية وتسخير ثروات الشعب من أجل رخاء الشعب وعزته .

ويؤكد المؤلف كلامه هذا بفقرة اتى بها بعد الكلام السابق حيث يقول :

وانه لما يملأ القلب فخرا واعزازا ان تنهض فى الجمهورية العربية المتحدة أسس المئات من المصانع ، وان ترسى القواعد لأضخم المؤسسات الصناعية فى الشرق التى ستكون - ولا شك - المنارات الحديثة التى تستهدى بها العروبة طريقها وترفع القومية هامتها وترسخ أقدامها . وتعود الى سابق عهدها : رسالة انسانية نبيلة تساهم فى اسعاد البشر وتوفير الرخاء لبنى الانسان . ص ١٢٠

بين العروبة والاسلام

وهذا هو الفصل السابع من الكتاب وفيه تعرض المؤلف لمختلف القضايا وسأختار منها اثنين .. القضية الأولى :

ان الاسلام فى كافة مظاهره فى عقائده وعباداته ونظمه ومعاملاته : لم يكن لطائفة معينة أو لجنس خاص .

القضية الثانية :

ان العروبة هى واقعنا الذى لاغنى لنا عنه . وحاضرنا الذى لاحياة لنا بدونه ومستقبلنا الذى لاوجود لنا الا به مسلمين ومسيحيين ، والذين يخلقون الأكذوبة القائلة بأن الاسلام هو القومية العربية هم المستعمرون . ص ١٢١

أما القضية الأولى وهى أن الاسلام لم يكن لطائفة معينة أو جنس خاص يذكر المؤلف : ص ١٢٤

لننظر الى الاسلام نظرة عاجلة . ولنحاول أن نستخلص منه بعض الصور الناطقة بانه لم يكن فى يوم من الأيام دين العرب فقط لاعتبار واحد بسيط وهو أن الله حسب المفهوم الاسلامى هو رب العالمين وان محمدا حسب التعبير القرآنى رسول للناس كافة . والاسلام فى كافة مظاهره فى عقائده وعباداته فى نظمه ومعاملاته لم يكن أنانيا قط ، ولم يحارب الأديان التى سبقته . بل دعاها اليه للمجادلة والبحث بروح من الفهم العميق والسماح الرائع وسعة الصدر وحسن الخلق .

الى أن يقول :

ولو أن الاسلام أقر للعرب بشىء من الفضل أو السابقة : لرفع قدرهم وأجل شأنهم وأظهر ذلك للملأ ، ولكنه جعلهم مسئولين عن الفكرة وتنفيذها كغيرهم من الناس وانه ليس لواحد من بنى البشر ان يفضل أخاه أبدا الا بالتقوى . ص ١٢٥

اما الجواب عن القضية الثانية وهى أن العروبة واقعنا الذى لاغنى لنا عنه مسلمين أو مسيحيين فنقرأ معا مايقوله المؤلف : ص ١٣٨

كيف لايكون العربى عربيا لأنه اعتنق المسيحية أو الاسلام ؟ وما علاقة الدين بالقومية المختصة بشعب من الشعوب ؟ لقد كانت العروبة ثم كانت المسيحية وكان بعدها الاسلام . فعاشت هاتان الديانتان السماويتان فى الأرض العربية شقيقتين متجاورتين متجانستين . فمن اين جاء هذا الوهم الشائع بأن العروبة تعنى الاسلام ؟ وبأن المسيحيين فى هذا الشرق غرباء ليس لهم من أمجاد هذه الأمة العريقة ما للمسلمين ؟ انه الاستعمار الاستعمار الذى يحاول دائما ان يندس فى صفوفنا ليفرق ويسود .

ولكن الفئات الواعية كانت تلقم هذا الاستعمار حجرا كلما طاب له أن يردد هذه النغمة ليمتص خير أرضنا ويسرق رخاءها .

الا فليطمئن الاستعمار أيا كان نوعه على سلامة المواطن أى مواطن فى هذه الديار وليفهم أن المسيحيين من هذه الامة عرب قبل غيرهم لهم مالغيرهم من أمجاد العروبة ، ساهموا فى بناء عزها وانهمرت دماء شهدائهم مع دماء اخوانهم المسلمين كلما تعرضت هذه البلاد لجور الطغاة الغزاة ونكباتهم . ص ١٣٩

ان معركتنا مع الاستعمار هى المعركة الفاصلة الى معركة المصير .. الى الأجيال القادمة مبدأنا الذى لايتغير ولا يتحول هو : نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد ص ١٤٣

المرأة والحرية

ويناقش المؤلف قضية هامة من قضايا العصر وهى مشكلة حرية المرأة منذ أقدم العصور وماكانت تعانيه من قسوة وحرمان فى مختلف الأمم وانها لم تجد من ينصفها ويعطيها من الحقوق والامتيازات سوى الاسلام الذى أعطاها من ذلك القدر الذى يجعل المطالبة بالمساواة بينها وبين الرجل وهما من الأوهام ، والمؤلف يقدم لهذه المشكلة بقوله :

تعتبر مشكلة حرية المرأة من أخطر مشاكلنا الاجتماعية وتحتل حيزا كبيرا من تفكير سياستنا وحكامنا وذوى الرأى فينا .. ولا غرو فى ذلك فالمرأة نصف الأمة من أهم العوامل الفعالة فى بناء المجتمع وخدمه الانسانية . ص ١٤٤

وبعد أن يسرد المؤلف تاريخ المرأة فى الجاهلية ويذكر الشرائع القديمة وموقفها منها ومشاكل المرأة منذ اقدم العصور يذكر بعد هذا كله فترة الخلاص او اللحظة الحاسمة فى حياة المرأة لحظات انقاذها مما كانت تعانيه منذ قديم وغربت شمس يوم الاحتقار العام للمرأة وبزغ فجر الاحترام الكامل لها ببزوغ فجر الاسلام .

فاذا بمحمد بن عبد الله ترسله القدرة الى هذا العالم المضطرب ليحد من طغيانه ويخفف من غلوائه وهيجانه . فقرر للمرأة على الفور كامل انسانيتها وحريتها وسواها بالرجل فى النفس والجاه والكرامة وبذلك رفع عنها تلك الآصار وحررها من قيود الذل والاستكانة والهوان ونزل قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ص ١٥٠

معطيات الاسلام للمرأة

ويمضى المؤلف فيذكر بعضا مما منحه الاسلام للمرأة قائلا :

كفل الاسلام للمرأة العربية حرية التصرف وأباح لها أن تملك العقار وأن تهب وتشترى وتبيع وأن توصى كما تريد على حين أن الدول الكبرى وصاحبات الدعوة الى حرية الشعوب لم تتوصل الى ما وصل اليه الاسلام فيما يتعلق بحقوق المرأة وانصافها الا فى مستهل القرن العشرين .. أعطى الاسلام للمرأة كل الحقوق التى اعطاها للرجل مدنية كانت ام سياسية فلها حق العمل بمزاولة كل مهنة شريفة تعجبها ولها حق الانتخاب والتمثيل النيابى والبلدى والادارى ولها أن تتولى مناصب القضاء . ص ١٥٠

ويختتم هذاالفصل بكلمات تسجل ما للأمة العربية من يد على المرأة حيث يقول :

وما من أمة تحت السماء أنصفت المرأة وناصرتها وقررت حقوقها وحررتها مثل الأمة العربية وفى ذلك يقول فون كرومر ان العرب كانوا مفطورين على احترام النساء . ومنهم تعلم الغربيون احترام نسائهم . ص ١٥٧

افتحوا باب الاجتهاد

هذا هو الفصل الأخير من ابحاث الكتاب القيم (الاسلام انطلاق لا جمود) وهذا الفصل كما يرمز اليه المؤلف ..

محاولة متواضعة من أجل تطور فكرى مرتقب نقدمها الى جميع العاملين فى حقل الدعوة الذين نذروا أنفسهم من أجل اعلاء كلمة الله . ص ١٧٤

وقد ركز المؤلف فى هذا الفصل اهتمامه الى الاجتهاد عامة وكيف كان المسلمون منذ عهد الرسول يباشرون الاجتهاد ولهم فيه النصيب الأكبر . ومخالفة ظواهر النص واستلهام روحه كثيرة وحوادث عمر بن الخطاب فى ذلك مشهورة لعل أشهرها مسالة المؤلفة قلوبهم ومنعه اياهم نصيبهم من سهامهم المفروضة لهم بنصوص القرآن وعلل ذلك بأن الاسلام انما اعطاهم نصيبهم اتقاء

البقية ص ٢١٦

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

عرض وتلخيص

محمد محي الدين سالم

وقفنا فى الحلقة السابقة من عرضنا لكتاب حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه لاستاذنا المرحوم عباس محمود العقاد عند مبحث الحرية الاسلامية .

واليوم بموضوع الأمة نتابع ما بدأناه .

لا مصدر للسلطة العامة فى الاسلام غير الأمة .

ولا مرجع فيه للمسئولية العامة غير الأمة .

ولا تعارض بين هذا ، وبين نصوص الكتاب وسنة الرسول .

ذلك أنها تأتمر بنصوص الكتاب والسنة ، وهى المسئولة عن صوابها وخطئها حيث ائتمرت به ، واتفقت عليه ، أو اختلفت فيه .

وأول ما تكرر من ذلك الحق كان فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه كان مأمورا بمشاورة أمته ، وكان الأمر بينهم شورى فى كل شأن من الشئون غير التبليغ الذى خصه الله به ، ولولاه لم تكن الدعوة الى هذا الدين .

ولقد أدرك استاذنا مدى أهمية موضوع الأسرة ، وعلاقته بالأمة ، وما دار حوله من شبهات ، وارهاصات .. لذلك أتبع الأمة بالأسرة فمنها تعلم النوع الانسانى أفضل أخلاقه الاجتماعية ، وهى فى الوقت نفسه أجمل أخلاقه ، وأنفعها .

ومنها أيضا تعلم النوع الانسانى الرحمة والكرم .

وبالاسلوب الشيق الأخاذ يأخذ استاذنا بيد القارىء الى معرفة أهم ما تقوم عليه الاسرة فى الاسلام .. فهى كيان دائم تراد له السعة والامتداد والوئام وتتحقق سعة الاسرة وامتدادها ووئامها بنظامين من النظم التى شرعها لها الاسلام وهما :

ا ـ نظام المحارم فى الزواج ب ـ نظام الميراث .

فالاسلام يحرم الزواج بالأقربين ، ولا يبيح من ذوى القرابة الا من أوشكوا أن يكونوا غرباء ، فالزواج يجمع منهم فى الاسرة من أوشكوا أن يتفرقوا كأبناء العمومة والخؤولة .

يقول سبحانه وتعالى فى سورة النساء :

«حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم ...... »

● ●

ويشرع الاسلام نظام الميراث لأن الاسرة كيان يعيش ، ويتصل عمره بعد انقضاء أعمار أعضائه ، ولا اعتراض على نظام الميراث من وجهة النظر الى طبائع الأحياء ، ولا من وجهة النظر الى المصلحة الاجتماعية فان الأبناء يرثون من آبائهم ما أرادوه ، ومالم يريدوه ، وحق لهم أن يرثوا ما خلفوه من عروض كما ورثوا عنهم ما خلفوه من خليقة لا فكاك منها .

ويستطرد استاذنا الى ان وئام الأسرة يتحقق بما فرضه الاسلام من حقوق لكل عضو من أعضائها ، فلا حق لانسان على انسان أعظم من حق الآباء ، والأمهات فى الاسلام على الأبناء والذرية . وبحسبك أنه كاد أن يكون البر بهم مقرونا بالايمان بوحدانية الله .. يقول سبحانه وتعالى فى سورة الانعام :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا »

أما حقوق الاسرة من حيث الروابط الزوجية ، فقد جاء الاسلام فيها بالجديد الصالح ، وأقام حقوق الزوجين على أساس العدل بينهما ، وأقام العدل على اساس المساواة بين الحقوق والواجبات ، وهى المساواة العادلة حقا .

ولم يهبط الاسلام بمنزلة المرأة فى جانب من جوانب حياتها العامة أو حياتها البيتية التى وجدها عليها ، ولكنه ارتفع بها من الدرك الذى هبطت اليه فى الحضارة الغابرة ، وعقائد الأمم التى تأثرت بتلك الحضارات .

فالمرأة فى الحضارة الرومانية كانت تابعا له حقوق القاصر أو ليست له حقوق مستقلة على الاطلاق .

وكانت فى الحضارة الهندية عائقا للخلاص من دولاب الحياة الجسدية ، وخلاص المرء مرهون ـ بالموكشا ـ أى بالانفصال عنها ... وكان حقها فى الحياة منتهيا بانتهاء أجل الزوج تحرق على جسده عند وفاته ، ولا تعيش بعده حتى لا تلاحقها اللعنة الابدية .

وكان للمرأة فى الحضارة المصرية القديمة حظ من الكرامة مع أن الأمة المصرية كانت من الأمم التى شاعت فيها عقيدة الخطيئة بعد الميلاد ، وشاع فيها مع اعتقاد الخطيئة الأبدية أن المرأة هى علة تلك الخطيئة وخليفة الشيطان ، ولا نجاة للروح الا بالنجاة من أوهاقها وحبائلها

وكانت معيشة البداوة فى الجاهلية العربية تمنح المرأة بعض الحرية لأنها كانت عضوا نافعا فى تلك المعيشة البدوية .. لكن هذه المعيشة البدوية نفسها كانت ترغب الآباء فى ذرية البنين ، وتزهدهم فى ذرية البنات لأن البنين جند القبيلة ، وعدتها فى شن الغارات ، والتأهب لردها ومن هؤلاء الآباء من كان يئد البنات اشفاقا من العار ان لم يئدهن خشية املاق .. والى ذلك يشير القرآن الكريم فى سورة النحل :

« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء مايحكمون »

كان هذا شأن المرأة ..لامنزلة مرضية ، ولا حقوق مرعية فى وطن من أوطان الحضارة أو البداوة .. فلما بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة الاسلامية رخص الاسلام عن المرأة هذه

الوصمات ، وخولها من الحقوق مايساوى حقوق الرجل فى كل شىء الا فى حق القوامة .

« الرجال قوامون على النساء بمافضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم »

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة »

● ●

وما دمنا نتابع موقف الاسلام من المرأة، فلابد لنا من معرفة رأيه بالنسبة لموضوع تعدد الزوجات يقول استاذنا :

« لم يأت الاسلام ببدعة فيما أباح من تعداد الزوجات ، وانما الجديد الذى أتى به أنه أصلح ما أفسدته الفوضى من هذه الاباحة المطلقة من كل قيد ، وانه حسب حساب الضرورات التى لا يغفل عنها الشارع الحكيم ، فلم يحرم أمرا قد تدعوا اليه الضرورة ، ويجوز أن تكون اباحته خيرا من تحريمه فى بعض ظروف الأسرة أو بعض الظروف الاجتماعية العامة لكن الاسلام مع ذلك اشترط العدل ، ونبه الرجال الى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه

يقول سبحانه وتعالى فى سورة النساء .

« فان خفتم الا تعدلوا فواحدة »

« ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

وتحتوى الشريعة الاسلامية تفصيلا مسهبا عن حقوق كل من الزوجين قبل الآخر ، وقبل الاسرة فى مجموعها ، وكلها تتجه الى هذه الغاية المقصودة من اقامة الاسرة على المودة والرحمة .

● ●

وكانت لفتة من استاذنا أن يقف عند موضوع هام هو موضوع زواج النبى ذلك أنه يندر أن يطرق خصوم الاسلام موضوع الزواج دون أن يعرجوا منه الى زواج النبى ، ويتدرعوا به الى القدح فى شخصه الكريم والتشكيك من ثم فى دعوته المباركة ، ودينه القويم .

وما أتفق خصوم الاسلام عن سوء نية على شىء كما اتفقوا على خطة التبشير فى موضوع الزواج على الخصوص فكلهم يحسب أن المقتل الذى يصاب منه الاسلام فى هذا الموضوع هو تشويه سمعة النبى — صلى الله عليه وسلم — وتمثيله لأتباعه فى صورة معيبة لا تلائم شرف النبوة ، ولا يتصف صاحبها بفضيلة الصدق فى طلب الاصلاح .

وانهم — أى هؤلاء الخصوم — لعلى أشد الخطأ فى اختيارهم هذه الخطة بعينها اذ أن جلاء الحقيقة فى هذا الموضوع أهون شىء على المسلم العارف بدينه المطلع على سيرة نبيه ، فاذا بمغتلهم المظنون حجة يكتفى بها المسلم ولا يحتاج الى حجة غيرها لتعظيم نبيه وتبرئة دينه من قالة السوء الذى يفترى عليه .

فلا حجة للمسلم على صدق محمد صلوات الله وسلامه عليه فى رسالته أصدق من سيرته فى زواجه وفى اختيار زوجاته وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها فى معيشة نبى الاسلام من مطلع حياته الى يوم وفاته .

● ●

وما أن ينتهى موضوع زواج النبى ، حتى يطالعنا الاستاذ بموضوع اخر يدور حول معنى الطبقة فى المجتمع يقول :

الطبقة فى المجتمع هى الفئة التى تتشابه به فى درجة العمل ، ونمط المعيشة ومأثور الخلق والعادة ، وهى — بعد الأمة والاسرة — اكثر الوحدات الاجتماعية ذكرا ، واكبرها خطرا فى العصر الحاضر .

وخير المجتمعات اذن مجتمع يسمح للكفايات ، والمزايا الخلقية بالمجال الذى يناسبها فى الحياة العامة ، ولكنه لايسمح لها بأن تحرم أحدا حقوقه ، أو تقف بينه وبين مجاله الذى استعد له بما هو أهله ولو لم يولد منه ، ولم يكن منه بالنسب والوراثه .

وهذا المجتمع هو الذى يأمر به الاسلام، ويحمده ، ويزكيه بتعاليمه ووصاياه . فهو لا يمنع التفاوت بين أقدار الناس ، وان كانوا من الأنبياء والمرسلين يقول سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات » ولا يسوى الاسلام بين العلماء والجهلاء ، ولا بين المؤمنين فى صدق الايمان « هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون »

وليس من العدل فى الاسلام أن يختلف الناس فى العمل ويتساووا فى الارزاق فهم مختلفون فى درجات الرزق كاختلافهم فى درجات العلم والايمان الا أن هذا التفاضل فى العلم أو فى الرزق لا يقوم على النسب الموروث ، ولا على الغصب والسطوة ، وانما يقوم على العمل ، ولا يحق لأحد أن يحتفظ به الا بمقدار ما يبتغى فيه بعمله .

وينتهى استاذنا الى أن يقول أنه لاتحل مشكلة الطبقات إلا بازالة حرب الطبقات فالعالم بخير ما دام فيه أنواع الكفايات، وفوارق المزايا والصفات وما دامت هذه الأنواع والفوارق فيه يتمم بعضها بعضا ويجرى بعضها على معونة بعض ، والعالم على شر ما يكون اذا زال فيه كل خلاف بزوال الاداة المختلف عليها يتنازع الناس الأموال فتزول الأموال وماهم فى الحق بقادرين على ازالة شىء واحد يتنازعون عليه ، ولو أزالوا فوارق الأرزاق لم يزيلوا الفوارق بينهم على الذكاء والغباء، أو على القوة والضعف أو على الجاه والخمول أو على الوسامة والدمامة ، أو على الذرية والعقم ، ولو أنهم أزالوها لزالوا أجمعين ، ولكنهم باقون برحمة الله ولا يزالون مختلفين .

● ●

ومن موضوع الطبقة انتقل بنا الاستاذ الى موضوع آخر هام طالما شغل الانسانية فترة طويلة من الزمن هو .. الرق ، شرع الاسلام العتق ، ولم يشرع الرق اذ كان الرق مشروعا قبل الاسلام فى القوانين الوضعية والدينية بجميع أنواعها .. رق الاسر .. رق السبى فى غارات القبائل بعضها على بعض .. ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة أو الوفاء بالديون .

وكانت اليهودية تبيحه .. ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه . ولقد رجع بنا الاستاذ الى مذهب ارسطو فى الرق الذى يقرر أن فريقا من الناس مخلوقون للعبودية لانهم يعملون عمل الالات التى يتصرف فيها الأحرار ذوى الفكر والمشيئة .

وأيضا يعرج بنا الأستاذ العقاد الى رأى أفلاطون استاذ أرسطو الذى كان يقضى فى جمهوريته الفاضلة بحرمان العبيد حق المواطنه واجبارهم على الطاعة والخضوع للاحرار من سادتهم أو من السادة الغرباء ومن تطاول منهم على سيد غريب اسلمته الدولة اليه ليقتص منه كما يريد .

واذا ما تركنا افلاطون وارسطو على وجه الخصوص ، وجدنا الحضارة اليونانية كلها وقد شرعت نظام الرق العام ، كما شرعت نظام الرق الخاص ، أو تسخير العبيد فى خدمة البيوت ، والأفراد .

وهكذا فالباحث يجد أن العالم أنقضى عليه عصور بعد عصور وهذا النظام شائع فى أرجائه .. وعلى هذه الحالة ايضا كان العالم كله يوم مبعث الدعوة الى الاسلام .. والذى أباحه الاسلام من الرق مباح اليوم فى أمم الحضارة التى تعاهدت على منع الرقيق منذ القرن الثامن عشر الى الان لان هذه الامم التى اتفقت على معاهدات الرق تبيح الاسر واستبقاء الاسرى الى ان يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو التعويض عنهم بالفداء والغرامة وهذا هو كل ما أباحه الاسلام من الرق أو الاسر على التعبير الصحيح . يقول سبحانه وتعالى فى محكم آياته :

« فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها »

« والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ».

● ●

وبعد أن يرد استاذنا على فرية اباحة الرق فى الاسلام ، ويبين المقصود من تلك الاباحة أنها ما أتفق على تسميته حديثا بمعاهدات الاسرى فى الحروب .. نراه يقدم لنا فصلا تحت عنوان حقوق الحرب يقول :

شاع عن الاسلام أنه دين السيف ، وهو قول يصح فى هذا الدين اذا أراد قائله أنه دين يفرض الجهاد ، ومنه الجهاد بالسلاح ، ولكنه غلط بين اذا أريد به أن الاسلام قد انتشر بحد السيف أو أنه يضع القتال فى موضع الاقناع .

وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربى كبير هو توماس كارليل صاحب كتاب - الابطال وعبادة البطولة - فانه اتخذ محمدا - صلى الله عليه وسلم - مثلا لبطولة النبوة وقال ما معناه .

« ان اتهامه بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم . اذ ليس مما يجوز فى الفهم ان يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته ، فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من اعدائهم قبل أن يقدروا عليها»

وبعد أن عرض لنا الاستاذ شيئا من أقوال أحد كتاب الغرب استطرد يقول : ولم يعمد المسلمون قط الى القوة الا لمحاربة القوة التى تصدهم عن الاقناع ، فاذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة ، واذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء .

لذلك سالموا الحبشة ولم يحاربوها ، ولذلك حاربوا الفرس لأن كسرى أرسل الى عامله فى اليمن يأمره بتأديب النبى أو ضرب عنقه ، وارسال رأسه اليه، وحاربوا الروم لانهم أرسلوا طلائعهم الى تبوك فبادرهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بتجريد السرية المشهورة الى تخوم الحجاز الشمالية ، وعادت السرية بغير قتال حين وجدت فى تبوك أن الروم لا يتاهبون للزحف على بلاد العرب آنذاك .

وفى الجزيرة العربية نفسها لم تقع حرب بين المسلمين وقبائلها الا أن تكون حرب دفاع أو مبادرة الى اتقاء الهجوم المبيت فى أرض تلك القبائل . فهذا حق السيف كما استخدمه الاسلام فى اشد الأوقات حاجة اليه حق السيف مرادف لحق الحياة ، وكلما أوجب الاسلام فانما أوجبه لأنه مضطر اليه أو مضطر الى التخلى عن حقه فى الحياة ، وحقه فى حرية الدعوة والاعتقاد ، فان لم يكن درءا للعدوان والافتيات على حق الحياة ، وحق الحرية فالاسلام فى كلتيه هو دين المحبة والسلام.

* *

ولقد حرص استاذنا على أن يعرض موضوع له أهميته اذ تقع عليه تبعة الأمة كلها .. الا وهو الامام ، وحقه على أبناء أمته ..

الامام فى الاسلام هو وكيل الأمة فى اقامة حدود الله فحقه مرادف لحق الأمة ما قام بهذه الأمانة ، لأنه يتولى الامامة لايتاء كل ذى حق حقه ويملك الأمر ، وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد .

وليس للامام أن يعطل حدا من حدود الله ، وليس له أن يقيم حدا منها فى غير موضعه .

وعلى الامام أيضا تقع تبعة الأمة كلها فى تقدير مصالحها وضروراتها ، وتقدير ما يترتب على هذه المصالح والضرورات من اجراء الأحكام أو وقفها أو التوفيق بينها وبين أحوالها .

ولم يترك استاذنا القارىء دون أن يفصل له الكثير من الضوابط والآداب التى لابد أن تتصف بها الامامة ذلك لأنها مصدر التشريع لكل زمن بما يستجد فيه ، ولكل حالة بما يناسبها .

وينهى استاذنا موضوع حق الامام بهذه العبارة .

« وختام القول فى هذا الحق المحيط بجميع الحقوق - حق الامامة - أنه باب مفتوح للتشريع فى كل عصر ، وكل مجتمع وانه يكفل للامة الاسلامية ما يكفله حق السيادة وزيادة .. فلا منفذ لنقد التشريع الاسلامى فى جميع مصادره ما بقى له هذا المصدر مستمدا من ضمير الانسان وحكمة الله » .

* *

وكان مبحث الأخلاق والآداب آخر مباحث الكتاب يقول استاذنا :

قد توصف الأخلاق فى الاسلام بانها - أخلاق محبة - لأن أصول العلاقات بين الناس قائمة فى الاسلام على شرعة المحبة والاخوة كأنهم من اسرة واحدة .. ولكن الاسلام ينكر من المسلم أن يحب الخبيث كما يحب الطيب ، ويعرف العداوة فى الحق كما يعرف الصداقة فيه .

وليس قوام الأخلاق كله فى التوسط أو فى القصد والاعتدال على مذهب الفلسفة اليونانية أو فلسفة أرسطو على الخصوص ، وليس مآل الأخلاق كله فى الاسلام الا وحى المجتمع أو وحى الانسانية لا ترتفع الى ما فوق جوانب الضعف فيها ان لم يكن لها من المثل العليا ما يسمو عليها أو تسمو هى اليه جيلا بعد جيل .

وكعادة استاذنا فى مقارناته المفيدة أورد لنا تعريف أخلاق القوة عند كل من هوبز ، وفردريك نيتشه الذى يقسمهما الى :

ا - قسم للسادة لا يقبله العبيد

ب - قسم للعبيد لا يقبله السادة

وليس بين الفريقين جامعة انسانية تلتقى بهم فى صفة من الصفات ، بل هم اعداء يتسلط منهم القادر على العاجز ولا يحسن بالمتسلط أن يقبل من العاجز غير الخنوع والهبوط فى الذلة من هاوية الى هاوية ، لا نهاية لها غير الانقراض والفناء .

وظاهر أن مذهب نيتشه بهذه الصورة، وتلك التقسيمات يناقض جميع الأديان الالهية .

وتفسير هوبز للقوة لا يقرب أيضا مذهب القوة كثيرا الى حقيقة الأخلاق الاسلامية لأن الاسلام لا يحمد من الأخلاق أنها حيلة ملتويه أو مستقيمة الى طلب القوة ، بل يحمد منها فى كل شأن من شئون الانسان أنها وسيلة الى طلب الكمال .

ويستطرد استاذنا الى أن مدارس الأخلاق فى زماننا تؤول بالفضائل كلها الى باعث واحد وهو باعث المصلحة الاجتماعية أو باعث الغرائز النوعية التى يتصل بها بقاء نوع الانسان .

وينتهى بنا الى أن الأخلاق الاسلامية لا يمكن أن تدخل فى نطاق مذهب القوة فى فلسفة نيتشه أو مذهب الطبقة فى فلسفة الماديين .

ذلك لانه لابد من الفضائل الالهية فى تعليم الانسان مكارم الأخلاق وما اكتسب الانسان أفضل أخلاقه الا من الايمان بمصدر سماوى يعلو به عن طبيعة الأرضية .. وهذا هو المقياس الأوفى لمكارم الأخلاق والآداب الاسلامية .

وبعد فهل لنا بعد هذه الاشراقات الممتعة لاستاذنا الراحل عباس محمود العقاد أن نردد معه ما قاله :

« نحن لم نكتب فصول هذا الكتاب لنبشر بالاسلام هؤلاء الماديين المتعطشين الى انكار كل معنى شريف من معانى الحياة البشرية ، ولكننا كتبناه للمتدين المنصف الذى يستطيع أن ينظر الى دينه والى هذا الدين نظرة واحدة ، وكتبناه أولا وآخرا للمسلم الذى يتلقى حملات خصوم الاسلام مع المتدينين وغير المتدينين ، ليعلم أنه خليق أن يطمئن الى حقائق دينه فى هذا العصر سواء نظر اليها بعين العقل أو بعين الايمان ، وانه خليق أن يواجه الغد بما يؤمن به من عقائد دينه ومعاملاته وحقوقه وآدابه ، وأخلاقه فلا يعوقه عائق منها أن يجارى الزمن فى المستقبل الى أبعد مجراه ».

والى هنا أخى القارىء الكريم نودع احدى الذخائر التى أثرت المكتبة الاسلامية بحرارة وداعنا لمؤلفه العملاق الذى سنظل نذكره بالخير فى مماته ، كما ذكرناه فى حياته .

والى لقاء جديد ان شاء الله

الاسلام دين الفطرة

للشيخ عبد العزيز جاويش

عرض وتلخيص

ابراهيم الفحام

عندما كان المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش أستاذا للغة العربية فى جامعة أكسفورد بانجلترا ، زاره ذات يوم لفيف من طلبتها ، فتحدثوا معه فى أمر الاسلام . وهاله جهلهم به ، حتى أنهم كانوا لايفقهون عنه الا أنه دين الاسترقاق والطلاق وتعدد الزوجات . فأخذ يبين لهم أصوله وفضائله ، حتى انطلق أحدهم قائلا « يخيل لى أيها الشيخ أن هذا الدين لاينافى الفطرة فى شىء » . فأيده فى قوله ، وقال له : أن النبى صلى الله عليه وسلم سماه كذلك فى قوله : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه » .. ثم طرأ له أن يضع رسالة فى هذا المعنى قدمها بعد ذلك الى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى الجزائر سنة ١٩٠٥ ثم طبعت فى نفس العام ولقى نشرها رواجا عظيما . فأعيد طبعها عند ذلك أكثر من مرة ، مع بعض الاضافات التى دونها المؤلف على هوامشها ، وفند بها بعض شبهات المغرضين فى الاسلام

وسنقدم فيما يلى عرضا وتلخيصا لتلك الرسالة

الاسلام والفطرة

لو بحث الانسان فى أصول الاسلام وقواعده ، لثبت له أنه دين الفطرة حقا . ولو ترك الطفل وشأنه حتى كبر لما اختار غير الاسلام دينا .

فكل انسان يشعر بفطرته أن ثمة الها واحدا قد نظم هذا العالم ودبره . لايمكن أن يشابه الكائنات فى شىء من صفاتها ، ليس بجسم ولا عرض ولا محدود ولا متميز ، لايستطاع ادراكه الا بآثاره الشاخصة ، وقد جاء الاسلام مصداقا لما تستشعره هذه الفطرة السليمة . ولم يزد فى الاستدلال شيئا سوى أنه أيقظ العقول ونبهها الى النظر فى آثار الله تعالى .

ولذلك فان النبى لم يعتمد على الخرافات والخوارق فى اثبات نبوته ، برغم ماكان يطالبه به معاندو اليهود والمشركين ، اذ كان ينفى لهم وجود شق الارض ونحوه من المعجزات . وكان يتنقل من اجابة مطالبهم ، على ما كان سائدا فيها من الضلال المبين .

ولم تكن مطالبهم هذه ناشئة عن ترو وصدق رأى ، واصرار منهم على أن يقبلوا شيئا الا ببرهان . ولكنهم كانوا يفعلون ذلك اما عبثا أو عنادا . اذ كان النبى يدعوهم الى العمل بمقتضيات الفطرة الانسانية ، ويطلب مالا يخالف سنة الله التى لن تجد لها تبديلا .

ولا شك أن الاسلام برىء من الخرافات وما انحرف اليه بعض المفسرين ، مما يأباه العقل السليم .

هل أسس الاسلام على السيف :

وقد لهج معظم الاوروبيين ، وضعاف العقول من المسلمين ، بأن الاسلام لم ينتشر ، ولم ترسخ أقدامه الا بالسيف لا أن الحقائق التاريخية تثبت غير ذلك قد دخل كثير من أشراف العرب في الاسلام ، منذ بداية دعوته غير مهددين لا ملجئين . ولم تدفعهم الى ذلك رغبة جادة ولا توقع ثروة . بل ان أكثرهم كان وسع ثروة ، وأعظم جاها ، وأنفذ كلمة ن ذلك الفرد الذى أطاعوه ، واحتملوا الاذى فى تأييده .

ولقد أباح الله لرسوله محاربة الذين آذوه من كفار قريش وأخرجوه وأصحابه ن ديارهم . ولما تمالأ على المسلمين غيرهم من القبائل أباح الله للنبى أن يقاتل كل معتد عليه ، فقال فى كتابه العزيز « وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة » .

وقد نهى الله المسلمين عن الاعتداء ، ولم يبح لهم الا مقاتلة الظالمين البادئين بمقاتليهم ، فقال « فلا عدوان الا على الظالمين » .

ويشهد التاريخ أن الرسول لم يستل سيفا فى حياته لارغام أحد من الناس على الدخول فى دينه ، ولكن الهدى هدى الله يهدى به من يشاء

دعوة النبى عامة لكل المكلفين :

من الافتراءات التى يرددها بعض الكتاب الاوروبيين أن شرائع الاسلام وسننه ، جاء بها نبى عربى لم يعرف من أحوال الامم الاخرى الا قليلا . وأن الاحكام التى جاء بها لا تناسب الا بيئته وزمنه .

وقد جهل أولئك الادعياء أن دين الله فى كل الامم واحد ، لايختلف أصوله باختلاف الامم وأحوالها ، وأمكنتها وأزمانها . وانما الذى يختلف باختلاف ذلك هى الاحكام الفرعية

وقد جاء الرسول لتقرير الحق والاعتراف به ، وحث الناس على التمسك به . فما كان له أن يطلب حقا أو ينكر صالحا. ولكنه جاء مؤذنا فينا بانه قد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، غير مفرق بين أحد منهم . ولم يات النبى ببدع من الشرائع ، ولكن بما قرره الله من الحق ، وأوصى به الى أنبيائه من قبل .

ونحن نعلم ما تقرر فى الاسلام من أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يكن له ناسخ .

فالاسلام لم يخالف مقتضى الفطرة السليمة فى اعتبار ماسبقه من الشرائع والاخذ بما تقرر من النواميس العادلة .

واذا قيل أن أكثر الاحكام النظامية والتعاملية قد وضعها بعد النبى الخلفاء والفقهاء ، فلم يحط الاسلام فى بدء نشأته بكل مايلزم البشر من القوانين والاحكام ، فاننا نرد على ذلك بأن كل هذه الأحكام بنيت على ما أباحه الشرع الشريف من الاجتهاد والقياس ، كما قدرت بالأحكام العامة التى قررهـا الشرع . فكل ماجاء مبنيا على قواعد الدين فهو دين ، سواء نص عليه الشارع نفسه ، أم استنبطه أهل الفكر والنظر الصحيح . وهذا وجه كون الدين الاسلامى دين الأبد ، وخاتم الأديان .

ولنأت الان بشيء من قواعد الاسلام الأصيلة ، التى تقدر بها الأحكام ، حسبما تقتضيه الأحوال ، بين الأمم المختلفة، وعبر الأزمان المتباينة :

١ ـ الاجتهاد :

وهو استنباط الأحكام من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة حسبما تصل اليه الافهام السليمة . فكل من يعرف لغة القرآن لاينبغى أن يقلد غيره متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح فى السنة ، فلم ينسد ـ ولن ينسد ـ باب الاجتهاد ، برغم أنف من أرادوا أن يحجروا على العقول البشرية ، ويقيموا عليها أوصياء من الأولين حتى تسير كما ساروا ، وتقول ماقالوا .

٢ ـ اقامة مالا يشق على النفوس من التكاليف :

فقد طالما نص القرآن الكريم على ان الله لايكلف نفسا الا وسعها . والمراد بالوسع أن يكون العمل بحيث لايجهد فاعله ، ولا يوقعه العناء والتعب .

ولذلك فانه لاينبغى لمسلم أن يتغالى فى دينه أو يتباعد عن المباحات ، وأن يحمل نفسه فوق طاقتها . قال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقال (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

٣ ـ لاضرر ولا ضرار :

لايجوز لمسلم أن يفعل مافيه ضرر لجسمه أو عرضه أو ماله . كما لايجوز له أن يضار غيره . فيدخل فى ذلك تكليف الجسم بما لايطيق ، وشرب المسكر والمقامر ، وايذاء الغير بأى نوع من ضروب الأذى . حتى لقد قرر بعض الفقهاء اباحة التخلف عن الجمعة لأسباب كثيرة منها أن يكون بالانسان بخر أو رائحة ثوم أو مرض كالجزام والبرص ونحوهما ، ممايضر المسلمين أو تشمئز منه نفوسهم.

ولا يخفى أن هذا الأصل يبنى عليه كثير من الأحكام الفرعية ، والنوازل اليومية فى كل عصر .

٤ ـ سد الذرائع ، واعطاء الوسائل احكام المقاصد والغايات :

فكل ما افضى الى مباح فهو مباح ، وكل ما اوصل الى مكروه فهو مكروه ، وكل ما اوقع فى محرم فهو محرم . فكلما اردت ان تحكم على وسيلة بحكم ، فقدرها بمعيار غايتها . ومن أهم اصول الدين الحنيف اعطاء الظن الغالب حكم اليقين المجزوم . فاذا غلب على الظن ان العمل مفض الى محرم أو مكروه ، فانه يعطى الى حكم غايته فيحرم او يكره .

٥ ـ تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض :

ويدل تقرير هذا الأصل على أن الدين المحمدى لم يمزم العقل ان يخالف بالقضيه نظره وبحثه بل أنه فوق ذلك قدمه فى العمل والاعتقاد على ظاهر المنقول

٦ ـ اباحه التجمل بانواع الزينة :

أباح الاسلام لاهله التجمل بانواع الزينه ، والتمتع بالمشتهيات على شريطة القصد والاعتدال ، وحسن النية ، والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجوليه .

٧ ـ وجوب امتثال ماقاله النبى شرعا دون ماذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأى :

روى مسلم أن رسول الله قدم المدينة وهم يؤبرون النخل ، فقال لهم (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا) فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له ، فقال (انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رايى فانما أنا بشر) .

وروى أيضا أنه مر بقوم يلقحون فقال (لو لم تفعلوا لصلح) قال فخرج شيصا، فمر بهم فقال (مالنخلكم) قالوا (قلت كذا وكذا) قال (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .

وهكذا صرح الرسول بأن عصمة الرسول مقصورة على ما أبلغوه عن الله من شرائعه . ولذلك لايجب الاخذ بما ورد عن النبى من أمور الدنيا واحوالها وحرفها وطبها وصنائعها لأن هذا ليس مما أوحى اليه من الشرائع .

٨ ـ المساواة بين المسلمين فى الأحكام :

وكذلك وبين من لهم ذمة وعهد . فان لهم مالهم وعليهم ماعليهم . فلا يفضل أحد أحدا الا بالتقوى والعمل الصالح .

٩ ـ ان لا تزر وازرة وزر اخرى :

قال تعالى (كل امرىء بما كسب رهين) وقال (كل نفس بما كسبت رهينة) ولا يصح ان يقال أن من أحكام الشريعة مالا يقتصر على الجانى ، كما فى دية القتل فانها على عاقلة القاتل ، فان أمرا الدية فى العاقلة فى الشعوب التى لها عصبية قائمة ، بحيث تكون يدا واحدة على من سواها ، كما هو الشأن بين البدو . ولذلك ينص الفقهاء على أن لا عاقلة فى الامم التى لاتتضامن قبائلها ، ولا أثر فيها لتلك اللحمة التى تجعل كلا منها كرجل واحد .

١٠ ـ تقدير الزواجر طبقا لما يقتضيه العرف :

وقد حدد الشرع الشريف بعض العقوبات كجزاء القتل والسرقة ونحوهما ، وهى قليلة جدا بالنسبة لما ترك الشارع أمر تحديده الى الحكام ونوابهم . فقد أجمع الائمة على أن التعزير مشروع فى كل جناية لا حد فيها ولا كفارة . كما أباح الشرع التحكيم فى الاصول المالية .

١١ ـ تقدير كثير من الأحكام بما تعورف بين الناس :

وقد أوسع هذا الأصل دائرة الأحكام الشرعية حتى شملت كل النوازل على تباين أشكالها وأحوال أربابها • وقد فوض الله تعالى أمر تقدير كثير من المعاملات الى ماجرى به العرف والعادة من غير تقيد بأهل مكة أو أهل المدينة أو غيرهما ، بل أطلق الامر اطلاقا • ولا ريب أن العرف يختلف باختلاف أهله وطبقـاتهم وما اعتادوه بينهـم حسبما يقتضيه الزمان والمكان •

ولـذا كان من القصور تعرض بعض الفقهاء لتقدير كثير من الاحكام بما جرى عليه عرف أهل المدينة ، بحجة أنهم أعلم الناس بما مات عنه الرسول •

تعليق على هذه الأصول :

والخلاصة أن الدين الاسلامى ــ لما احتوى عليه من تلك القـواعد الكلية والأصول العامة وأشباهها ــ جاء صالحا لأن يبتغى بواسطته كل خير ، فى كل زمان ومكان ••

ومن هنا يتضح جليا وجه كون الرسول خاتم النبيين ، وأن شرعه خاتم الشرائع الالهية ، كما أنه لم يخالف فى شىء من أصوله وقواعده سنن الله الفطرية •

ولذلك لاحرج علينا من تسميته (دين الفطرة) •

الرق فى الاسلام :

اتبع نظام الاسترقاق منذ فجـر التاريخ ، واعترفت به الديانتان اليهودية والمسيحية • ولم يكن الاسترقاق بين مسيحيى أوربا أخف بطشا مما كان بين الوثنيين والمجوس • وقد وضعت قوانينهم أشد العقـوبات صرامة لزواج الرقيق بالحرة ، فقضى بالقتل على الحـرة التى تتزوج عبـدا ، كما قضى على الزوج أن يحرق حيا ، وظل ذلك حتى القرن الثالث عشر الميلادى • وقد اتخذت الكنائس فى أوروبا الارقاء ، وأباحت لغيرها اتخاذهم

أما الاسلام فقد عصم لكل من أسلم من الاسرى نفسه وماله ، وأباح للرقيق ان يتزوج بنت سيده ، فينقلب سيد البيت وجعلت معظم المذاهب مجرد دخول العدو المحارب دار الاسلام أمانا له من السبى • وكان النبى يرغب الناس فى العتق ، ويعده من أجل العبادات •

وقد جعل العتق كفارة لبعض الخطايا ، كما جعل من مصارف الزكاة عتق الرقاب بأن يعطى الحاكم الرقيق مايستعين به على فك رقبته ، أو أن يشترى الحاكم العبيد المملوكين ويعتقهم • وقضى الشرع بأن من اقترن من أمة وأتى منهـا بأولاد فهى أم ولده ، لايجوز له أن يبيعها ، ولكنهـا لاتتحرر تماما الا بعد موته • واستوصى النبى بالأرقاء خيرا فجعل حقوق العبـد على سيده كحقوق المترافقين والمتجاورين والمسافرين • فلا يجوز للسيد أن يكلف رقيقه مالا يطيق من العمل ، أو أن يدعوه بألقاب الازدراء والتحقير • كما لايجوز للسادة أن يفرقوا بين أنفسـهم وبين عبيدهم فى المأكل والملبس ونحوهما •

المرأة فى نظر الاسلام :

كانت المرأة عند عرب الجاهلية تعـد سلعة محضة ، تورث بعد موت زوجها • وكان للرجل عند الفرس أن يتزوج من الناس من شاء ، من غير الوقوف عند حد ولا يتقيد بشرط ، ولا يسأل عن حق •• ولم تكن منزلة البنت اليهودية عند أبيها أرفع شأنا من ملك اليمين • فلقد كان للاب أن يبيع ابنته قبل بلوغها • كما كان لابنه الذكر أن يفعل ذلك •

وجاء الاسلام فسوى بين الذكر والأنثى فى كل التكاليف الشرعيـة الا فى أحوال خاصة قليلة ، كما ساوى بينهما فى الحقوق الدينية •

تعدد الزوجات :

يتخذ خصوم الاسلام من اباحة التزوج بأكثر من واحدة مطعنا فيه ، وجهـلوا أو تجاهلوا أن تلك الاباحة مشروطة بالعدل كما أن مجرد خوف الظلم سـبب كاف لتحريم التعدد • (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) • ولم يصرح القرآن بتحريم تعدد الزوجات لأنه أرسل رسوله للناس كافة ولاريب أن ثمة أحوالا يحسن أو يجب فيها التعدد ، مثل حـالة الزوجة التى تصاب بمرض مزمن • فاما ان يصبر الزوج مع العنت والمشقة ، واما ان ينحرف الى الفاحشة • ولاشك ان تعدد الزوجات مهما بلغت مثالبه أسلم عاقبة من اتيـــان الفاحشة •

اباحة الطلاق :

يعد بعض الكتاب الغربيين اباحة الطلاق وصمة فى الاسلام • والواقع أن الاسلام لم يبحه الا للضرورة • أما حيث لاضرورة فقد سماه الرسول (أبغض الحـلال الى الله) • كما أن المسلمين اتفقوا على النهى عنه عند استقامة الزوجين ، فمنهم من قال انه نهى كراهة ، ومنهم من قال انه نهى تحريم • وقد رأى الحنفية تحريم الطـلاق بلا سبب • أما الطلاق بسبب فلم يرفضه أحد ، ولكن اختلفوا فى بيان الأسباب ، وقد قال ابن عابدين أن الاصل فى الطلاق الحظر أى الحرمة •

وأما الاباحة فللحاجة الى الخلاص ، فاذا كان بلا سبب اصلا ، لم يكن فيه حاجة الى الخلاص • بل يكون حمقا وسفاهة رأى ، ومجرد كفر بالنعمة •

بقية (الاسلام انطلاق لا جمود)

لشرهم يوم كان الاسلام طرى العود ضعيف الجانب ، أما الآن وقد قوى الاسـلام وانبسط ظله فلا حاجة لاسترضـاء هؤلاء وامر بصرف المال فى وجوه أخرى تضمن الخير للمسلمين •

ثم أورد المؤلف شروط الاجتهاد وهى كما وضعها الأقدمون :

منها أن يكون عالما بمواضع الآيات التى يريد الاستدلال بها • وأبواب الحديث وان يعرف الناسخ والمنسوخ فى القرآن وأن يكون ملما بالاجماع وأن يكون فوق هذا كله عالمـا بلغـة العرب وأسرارها • ص ١٧٦

بعد هذا يذكر المؤلف أنه لاعجز ولا جمود فى الاسلام ولكن للاسف فان عقليتنا التشريعية تسمرت حيث تركها الأقدمون وجمدت عند النصوص التى خلفوها ومعنى ذلك أننا اعترفنا بتقصير العقل الحديث عن اللحاق بالعقل الغابر ••بل لم لانقول أن معنى ذلك كان الغاء كليا لعقولنـــا وملكاتنا الفكرية حتى ظن الكثيرون خطأ أن هذا الجمود التشريعى انما هو نابع من طبيعة ديننا وأن هذا الدين فشـل فى مسايرة التطور والانسجام مع المدنيات الحديثة •

ولكن المؤلف يسارع بنفى هذه التهمة الباطلة بقوله :

هناك حل واحد ينفى عن الاسلام تهمة الجمود : وهذا الحل يقضى بأن يفتـح باب الاجتهاد على مصراعيه دون الالتفات لأولئك الذين اقاموا أنفسهم حراسا على ارثنا الفقهى واعتبروه من مقدساتنا التى لاتمس ثم أن على الذين يقولون بسد باب الاجتهاد ، فان كان التقليد فاننا لم نسمع أن أحدا من صحابة الرسول صـلى الله عليه وسلم وتابعيهم قـال به وان كان الاجتهاد فلماذا لايحق لمن بعـدهم أن يجتهد وهم يجتهـدون • ان بين رجال المسلمين اليـوم من أوتوا من الانطلاق الفكرى وصدق الايمان ونير العقـلية مايمكنهم من استنباط الأحكام الجـديدة المنسجمة مع روح العصر وما يساعدهم على أن يظهروا الاسلام بمظهره الصحيح من التقدمية وسعة الصدر • ١٧٧ ، ١٧٨

واخيرا يترك المؤلف هذه الأمنية لتحتل السطر الاخير من مؤلفه وهـذه الأمنية بكلماتها :

ارجو أن يعيد الزمن دورته ويسترد الاجتهاد مكانته ويمنحنا الله قوته •

وبعد •••

فمع هذا العرض السريع لأهم مشكلات العصر ودور الاسلام فيها كنا مع السيد الدكتور مصطفى الرافعى وقـدمت لك مؤلفة (الاسلام انطلاق لاجمود)

وأرجو أن أكون قـد وفقت فى عرض الكتاب بالقدر اللائق • وعذرا اذا كنت قد تركت فى العرض ــ دون عمد ــ بعض المسائل فذلك لأنى اكتفيت بعرض أمور مشابهة لها فلم أشأ أن أشير اليها مرة أخرى •

والله الموفق الى الخير والصواب •

من تراثنا الاسلامي

كتاب العقد النفيس
للإمام أحمد بن ادريس

عرض وتلخيص
الأستاذ محمد بدر الدين سالم

قال رضى الله عنه ، قال عبد القادر الجيلانى رحمه الله تعالى : ((طلبت الله تعالى من باب الصلاة فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصدقات فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصوم فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الذل فولجته ، ثم التفت فوجدته خاليا)) ، فالذل لله تعالى أصل العبادة ، فان الصلاة عمود الدين ، لأن فيها الخضوع ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وذلك أنه وضع وجهه الذى هو أشرف أعضائه وفيه أشرف جوارحه فى الارض الذلول .

وقال الله تعالى : ((ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)) ، وقال تعالى : ((يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)) — فنصرهم الله تعالى فى يوم بدر أذلاء ، وفى يوم حنين لما أعجبتهم كثرتهم ، وظنوا العزة من أنفسهم حتى قال أحدهم لن نغلب اليوم من قلة ، غلبوا ، قال تعالى فى حقهم ((ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا)) ، فعمت المصيبة .

فلا ذل الا لله ، ولا عز الا بالله ، ((من كان يريد العزة ، فلله العزة جميعا)) .

وأما الذل لغير الله ، فهو الذى تعوذ منه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : ((أعوذ بك من الذل الا لك)) ، فمن تذلل لربه وخضع له ، فحق على الله أن ينصره ويعزه فى الدنيا والآخرة ، فالذل لله هو العز ، وأى عز أعظم وأكبر من تذلل العبد لمولاه ، فقد ترى رجلا عزيزا فى ظاهر الأمر ،وهو عند الله بالعكس ، ورجلا ذليلا وهو عند الله عزيز ، ففى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر رضى اللهعنه ((انظر الى أحقر الناس ، منظرا فى عينيك — وهو حينئذ فى المسجد فنظر يمينا وشمالا فوجد رجلا فى ذلة ، عليه ثوب رث ، فقال هذا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر يا أبا ذر من أعز الناس فى نظرك ، فنظر الى رجل فى هيئة وعليه حلة ،فقال هذا يا رسول الله ، فقال : هذا عند الله — وأشار الى الحقير — أفضل من ملء الأرض من مثل هذا — وكلا الرجلين من الصحابة ، وبينهما هذا التفاوت ، فانظر الى قدر الذل لله والافتقار والاستكانة اليه ، اللهم خلقنا بأخلاق من اصطفيت من عبادك يا أرحم الراحمين

● وطلب أحد أصحابه رضى الله عنه أن يكتب كلاما ينفعه الله به ، فكتب له :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ((أما بعد)) فالأمر الجامع والقول النافع والسيف القاطع فى طريق الله تعالى أن على العاقل الذى يريد نجاة نفسه من جميع المهالك، ويحب أن يدخله الله تعالى فى سلك المقربين فى جميع المسالك اذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره قولا أو فعلا فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه تعالى ويسأله عن ذلك الأمر ، فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أنيدخل فى ذلك الأمر ، فان رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه، فليدخل فى ذلك الأمر ، فعاقبته محمودة دنيا وأخرى ، وان رأى ذلك الجواب لا يقبله الله تعالى منه ولا يرتضيه ، فليشرد من ذلك الأمر — أى أمر كان — فانه وبال عليه ان دخل فيه .

وهذه القاعدة هى أساس الأعمال والأقوال كلها ، فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا ، لا يدخلها خلل بوجه منالوجوه، وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ((حاسبوا أنفسكم قبل أنتحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا))

(القاعدة الثانية) أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى، فان صحح القصد فيه لوجه الله تعالى ، وغسل قلبه من كل شائبة لغير اللهتعالى، صار لا يتكلم كلاما ولا يفعل شيئا الا عن تثبت وتأن ، وهذا معنى قول خالقنا جل جلاله لرسوله الأعظم وحبيبه الاكرم صلى الله عليه وسلم : ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)) ، أى لا غيره فى جميع أمورهم ، وقال عز وجل : ((ومالأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى)) .

(القاعدة الثالثة) أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهموصغيرهم ويعطيهم حقالاسلام من التعظيموالتوقير، فان رسخ فى هذه القاعدة قلبه واستقام فيها ، أفاض الله على سائر جسده أنوار الرحمة الالهية وأذاقه حلاوتها ، فنال من الارث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عز وجل ((وما أرسلناك الا رحمة

للعالمين » وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « ان لله عز وجل ثلاث حرمات ، فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن ، لم يحفظ الله عليه شيئا ، حرمة الاسلام وحرمتى وحرمة رحمى » ، وهذا معنى قو ل النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر الصديق رضى الله عنه « لا تحقرن أحدا من المسلمين ، فان صغير المسلمين عند الله كبير » .

(القاعدة الرابعة) مكارم الأخلاق التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمامها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق » وهذه القاعدة هى زبدة الدين ، وحقيقتها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قبعثرى » ، قالوا يا رسول الله وما قبعثرى ؟ قال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشير ، وقال مولانا العظيم « وقولوا للناس حسنا » أى لا قبحا ، وقال عز وجل : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » ، والأحسن هو الذى جمع الحسن وزيادة ، وبالجملة ، فالذى تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل ، فافعله مع خلق الله تعالى ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والعمل الكريه ، فاترك الناس والخلق منه ، فان الله عز وجل يعامل العبد بوصفه وخلقه الذى يعامل به الناس ، فان المجازاة على الوصف بالوصف ، جزاء وفاقا ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبدا لمراعاة سيده ، فانما أكرم السيد نفسه ، ولذلك جاء فى الحديث القدسى عن الله عز وجل انه يقول للعبد يوم القيامة « جعت فلم تطعمنى ، واستسقيتك فلم تسقنى ، ومرضت فلم تعدنى » فيقول العبد ، كيف تجوع وأنت رب العالمين وكيف تمرض وأنت رب العالمين وكيف تستسقى وأنت رب العالمين !؟ فيقول الله سبحانه مفسرا لذلك : أما انه مرض عبدى فلان ، فلو عدته لوجدتنى عنده ، وجاع عبدى فلان ، أما انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، واستسقاك عبدى فلان ، أما انك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى » ، ففسر سبحانه نفسه قوله جعت ومرضت واستسقيتك بقوله جاع عبدى فلان ومرض عبدى فلان واستسقاك عبدى فلان ، فمعاملة العبد لملاحظة سيده هى معاملة السيد بلا شك ، فمن رسخ قدمه فى هذا المقام وصارت معاملته مع الحق تعالى فى كل شىء ، فلا يراقب غير الله تعالى ، ويجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده كقول النبى صلى الله عليه وسلم « اكرموا الله تعالى أن يرى منكم ما نهاكم عنه » وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

والأمر الذى يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شىء رقيب ، وعلى كل شىء شهيد ، وهو قوله تعالى « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » ، فاذا شغل العبد نفسه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتاد عليها وألفها ، ألزمته الحياء من الله تعالى بأن لا يقول قولا ولا يفعل فعلا لا يرضاه الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب « وهو معكم أينما كنتم » بأن الله تعالى معه وناظر اليه ، فان العبد اذا أراد مثلا أن يسرق أو أن يزنى والناس ناظرون اليه ، فانه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس اليه ، ويستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه ، فاذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذى لا يملك ضرا ولا نفعا ، وأن الحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس وينحط قدره عندهم ، فلا شك انه اذا كان حاضر القلب عند الشروع فى الفعل الذى لا يرضاه الله تعالى ، فانه يترك هذا الفعل قطعا ، وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »

فمن كان بهذه الحالة ، لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر اليه فيها

وقال رضى الله فى التوكل : قالت رسل الله « وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون » أى نتوكل عليه سبحانه فى أمورنا جميعها ، وهو سبحانه قد هدانا سبلنا ابتداء منه ، وليس لنا اختيار ، فأوجدنا من العدم ، وعرفنا التوحيد ، ولم نتطلب معرفته قبل وجودنا فكيف لا نتوكل عليه الآن ؟

وتوكلهم عليه سبحانه توكل مطلق ، لا لينصروا ، فالتوكل عليه سبحانه وتعالى هو التوكل المطلق ، لا لأجل علة ، فاما اذا كان معلولا ، فلا يسمى توكلا ، فان الله سبحانه كان وكيلا لنا قبل وجودنا ، خاصم عنا الملائكة حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك » ثم جعل تعالى اسمه الرحيم وجميع أسماء الرحمة غالبة لأسماء الغضب ، فسبقت رحمته غضبه ، ثم جعل باب التوبة مفتوحا الى أن يغرغر (الانسان) ، ثم هو كل يوم ينادى فى الثلث الأخير من الليل « هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ »

فهو سبحانه يدعونا اليه ، حتى الأعضاء منا تدعونا اليه ، فان الأعضاء تناشد الانسان تقول استقم ، فان استقمت استقمنا ، وان اعوججت أعوججنا ، ثم ان كل يوم يقول للانسان : أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل فى شهيد ، فاغتنمنى ، فانى اذا غربت شمسى لم تدركنى ، وكل ليلة تقول : يا ابن آدم أنا ليلة جديدة ، وأنا على ما تعمل فى شهيدة ، فاغتنمنى ، فانى اذا طلع فجرى لم تدركنى ... وكذا جميع من فى الكون يدعو الانسان ، وأعظمها الرسل والقرآن

ثم لما كان سبحانه وكيلا قبل وجودنا هدانا سبلنا لمعرفة هذا كله بالعقل والنقل وذلك قبل أن نتوكل عليه ، فكيف بعده ؟ ولذا قالت الرسل : « ومالنا الا نتوكل على الله » وهو سبحانه يريد بذلك كله نجاتنا ، لأنه وكيل ، والوكيل لا يريد الا جلب المنافع لموكله ودفع المضار بقدر علمه ، فكيف بالوكيل سبحانه وتعالى الذى يعلم غيب السماوات والأرض .

وقد يحصل للمتوكل حقيقة ما يكرهه فى الظاهر ، لكن الخير له فيه ، فان الطبيب ربما يكوى بالنار من طبه ويجرعه شرب المر ، لكن لشفائه فى ذلك ، فان الله سبحانه كتب علينا القتال ، فهو فى الظاهر كره ، لكنه الدواء الأعظم الذى به السعادة التى ليس مثلها سعادة ، كذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، كرهوا أن يكون آدم خليفة فى الارض ، فكان الخير فى ذلك ، لأن أول من نال الخير من آدم هم الملائكة بتعليمه لهم الاسماء « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » فالأنبياء والرسل لما توكلوا على الله وصبروا على أذى قومهم ، أوحى اليهم ربهم « لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم »

حكى أن أبا يزيد استدان دينا صيره فى مرضاة الله متوكلا على الله فى قضائه ، ثم لما مرض مرض الموت ، أقبل غرماؤه « دائنوه » يطالبونه ، فأتاه أحد أصحابه وأخبره بأن فلانا يسأل عنك – أى من أصحاب الديون – فرفع يديه وقال « اللهم انك جعلتنى رهنا فى أيدى هؤلاء ، فكيف تقبضنى قبل أن توفيهم »

فما استتم كلامه حتى سمع مناديا فى الأسواق : « من كان له على أبى يزيد دين فليأتنا » ، وقضى عنه دينه ثم فاضت روحه ، فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال له ، ما صنع الله بك ؟ فقال : أكرمنى الا أنه عاتبنى على ذلك الدين فقال « أخذت من الدنيا شيئا قليلا وضمنتنا اياه ، فلو أخذت الدنيا بحذافيرها وأنفقتها فى مرضاتنا ، ترى هل نؤديها عنك أم لا ! ؟ »

الإفتاء • المرأة المسلمة • الرياضة
بريد القراء • بريد التعارف

أنت تسأل

والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون

س ١

من السيد المهندس عبد السلام فهمى
٢٠ شارع وهبى ـ بنى سويف

ورد عن عائشة وأم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصوم رمضان . رواه البخارى ومسلم واحمد.

فهل يفهم من هـــذا أن النبى الكريم وهو امام المصلين والحفيظ الامين علـى أداء الصلــوات فى أوقاتها كان يهون عليه أداء صلاة الفجـر بعـد أن يصبح الصباح على حد قول الراوية ؟

الجــواب

هذا السؤال سبق ان وجه الينا وأجبنا عنه على صفحات مجلة منبر الاسلام فى أحد أعدادهـا القريبة وحاشا لله ان يهون على الرسول صـلى الله عليه وسلم أداء صلاة الفجر فى وقتها والله تعالى يقول : « ان الصــلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

غير ان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله كقوله تشريع للمسلمين فيما يتعلق بأحكام دينهم يلتقى باحدى امهات المؤمنين فى ليلة الصيام ولا يغتسل حتى يطلع الفجر عليه وهو جنب فيغتسل ويؤدى صلاة الفجر فى وقتها ولا بد ان تمضى فترة من الوقت ما بين طلوع الفجر والرسول صلى الله عليه وسلم جنب وبين طهارته من الجنابة وهى فترة من النهار بدأ الصوم فيها من طلوع الفجر . يفعل المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك ليبين للمسلمين ان الجنابة فى نهار رمضان لمن استيقظ جنبا لاتفسد الصوم .

* *

س ٢

من محمد عبده محمد ـ من الحمالصة مركز القوصية محافظة أسيوط

لنا مسألة ميراث نرجو التكرم بالاجابة عنها حتى يأخذ كل منا حقه ـ وهى :

رجل توفى وترك زوجة واخــوة اشقاء ذكورا واناثا وابن أخ شقيق وابن أخت شقيقة علما بأن

والد ابن الاخ توفى سنة ١٩٥٣ ووالدة ابن الاخت توفيت سنة ١٩٥٥ وقد سمعنا ان الميراث يعطى ابن الاخ وابن الاخت مع اعمامهن سنة ١٩٤٦ — فمن يرث ومن لا يرث ؟

الجواب

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال ولم يترك المتوفى سوى زوجته واخوته الاشقاء وابن اخيه الشقيق وابن اخته الشقيقة فان لزوجته ربع تركته فرضا والباقى لاخوته الاشقاء تعصيبا للذكر منهم ضعف نصيب الانثى ولا شىء لابن الاخ الشقيق لحجبه بالاخوة الاشقاء ولا لابن الاخت الشقيقة لانه من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام مع أحد من أصحاب الفروض والعصبات — أما ما يشير اليه السائل عن القانون الصادر فى ١٩٤٦ فذلك هو قانون الوصية الواجبة وهو خاص باولاد ابناء وبنات المتوفى ولا يعطى أولاد الاخوة شيئا .

والله أعلم .

* *

س ٣

من مسعود سعد — مجلس مدينة طنطا :

مات رجل عن خمسة أولاد ذكور وبنت واحدة وزوجة واربعة اولاد ابن متوفى فى حياة ابيه — ثلاث بنات وولد ذكر واحد فكيف توزع التركة حسب قواعد الميراث ؟

الجواب

اذا كانت وفاة المورث فى ظل قانون الوصية الواجبة المعمول به من اغسطس سنة ١٩٤٦ فان التركة تقسم تقسيما مبدئيا على اعتبار ان الابن المتوفى قبل وفاة المورث موجود ليعرف نصيبه فى التركة لو كان حيا فيكون للزوجة الثمن فرضا وهو ثلاثة اسهم من ٢٤ سهما تقسم اليها التركة والباقى وقدره ٢١ سهما تقسم بين الابناء الستة والبنت تعصيبا للذكر منهم ضعف الانثى وبتصحيح أصل المسألة الى ٣١٢ سهما تقسم اليها التركة يصير نصيب الزوجة ٣٩ سهما والباقى وقدره ٢٧٣ سهما يقسم بين الاولاد الستة والبنت للذكر ضعف الانثى فيكون نصيب الابن المتوفى ٤٢ سهما وهو أقل من ثلث التركة فيأخذه أولاده وصية واجبة يوزع بينهم توزيع الميراث للذكر ضعف نصيب الانثى وباقى التركة بعد نصيب اصحاب الوصية الواجبة يقسم تقسيما فعليا بين ورثة المتوفى وهم الزوجة والاولاد الذكور الخمسة بالبنت للزوجة الثمن فرضا والباقى للاولاد تعصيبا للذكر ضعف الانثى — واذا كانت الوفاة قبل العمل بقانون الوصية الواجبة فان التركة تقسم بين الزوجة والاولاد فقط للزوجة الثمن فرضا والباقى للاولاد الخمسة والبنت تعصيبا للذكر ضعف الانثى ولا شىء لاولاد الابنت .

والله أعلم .

* *

س ٤

من نفس السائل :

ما رأيكم فى رجل زنى وسرق كثيرا واراد التوبة الى الله هل تقبل توبته مع انه لم يقم عليه الحد عن هذه الجرائم ، أم ان توقيع العقوبة وهو الحد شرط لقبول التوبة وكيف يمكن التوبة الى الله من جريمة الزنا المتكررة وهى توبة تدخل ضمن قوله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ؟

الجواب

اذا وقعت هذه الجرائم فى بلدة اسلامية تقام فيها الحدود وثبتت بالبينة الشرعية امام القاضى فلا بد من اقامة الحد لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » — فاذا اقيمت الحدود فهل تجبر الذنب الذى ارتكبه فاعله أم أن الحدود للزجر والردع فى الدنيا فقط — وعذاب الآخرة باق لايكفره الا التوبة ذلك خلاف بين العلماء فمن قائل ان الحدود زواجر فقط ومن قائل انها جوابر تجبر الذنب وتكفره .

فاذا لم تقم الحدود وتاب المذنب توبة نصوحا الى الله وأناب ورد الحقوق الى صحابها فانه يرجى من الله قبول توبته فالله تعالى يقول : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » ويقول سبحانه : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » بل ان الله سبحانه بواسع

رحمته وعظيم فضله يبدل سيئات من تاب الى ربه واخلص الله العمل الصالح الى حسنات .

قال الله تعالى فى سورة الفرقان : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا »

**

س ٥

من المهندس يوسف عبد الرحمن ابو زيد ـ القاهرة أثر النبى الشركة العامة للثروة المعدنية :

يقول ان عمته أرضعته وهو صغير مع ابن لها وقد انجبت بعد ذلك اولادا لم يرضع معهم ومنهم بنت يريد ان يتزوجها فهل يعتبر اخا لهم جميعا من الرضاع أم انه اخ ـ فقط لمن رضع معه ؟

الجواب

برضاعك من عمتك الرضاع المحرم وهو ما كان فى زمن الارضاع وهو سنتان ولو مصة واحدة عند الامام ابى حنيفة ومالك وخمس رضعات عند الامام الشافعى واحدى الروايتين عن احمد تصير اخا من الرضاع فجميع أولاد عمتك سواء من رضعت معهم ومن لم ترضع معهم ويحرم عليك التزوج بالبنت المذكورة قال تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة » . وقال صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » فان كانت الرضعات أقل من خمس فلا تحريم عند الامام الشافعى وفى احدى روايتى احمد بن حنبل وهو ما عليه الفتوى .

والله أعلم .

**

س ٦

من السيد/مصطفى ابراهيم احمد ـ اسكندرية أرسل له رد خاص بعنوانه المبين بخطابه .

**

س ٧

من المواطن العربى عدنان عبد النبى ـ من بغداد العراق :

يسأل عن الانسان الذى فقد عقله وبقى مجنونا طوال حياته ـ هل يحاسب على ما عمل فى حياته ؟

الجواب

يقول صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق » ـ ومن هذا يتضح أن لا حساب على المجنون مدة جنونه وقد اجمع الفقهاء أخذا من نصوص الشريعة الاسلامية على ان من أهلية التكليف العقل فالمجنون ليس أهلا للتكليف فلا حساب عليه فيما يفعله وهو مجنون .

**

س ٨

من نفس السائل

ما هو العمر المناسب للاولاد حتى يتعلموا الصلاة ويمكن ان نعلمهم قواعدها ؟

الجواب

يقول صلى الله عليه وسلم : « مروا اولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » ـ وهذا تكليف لولى امر الصغير أن يأمره بالصلاة متى بلغ السابعة وان يضربه عليها اذا بلغ العاشرة ضربا غير مبرح بقصد التوجيه والتهذيب فقط ـ فنحن مأمورون بتوجيه الصبى

الى عبادة الله وتفهيمه قواعد الصلاة وآدابها والوضوء والطهارة متى بلغ سن السابعة حتى يتعود الصلاة اذا بلغ سن التكليف .

* *

س ٩

من احمد على النشار ـ مزارع بعزبة الست ـ تبع بلدة الغابة مركز أبو حمص :

يقول انه يزرع مع شقيقتيه اثنى عشر فدانا بطاطس صيفى وأنها تتكلف تقاوى وأسمدة حوالى ٨ جنيهات ويسأل ان كان هذا الزرع عليه زكاة المال أم زكاة الزرع ؟

الجواب

الواجب فى هذه الحالة هو زكاة الزرع والثمار وتجب حين الحصاد قال تعالى : « وآتوا حقه يوم حصاده » وعلى السائل وشقيقتيه اخراج عشر ما يحصد من الارض اذا كانت تسقى من غير مؤونة كثيرة ونصف العشر فيما سقى بالنواضح ونحوها مما فيه مؤونة كثيرة ـ قال النووى وهذا متفق عليه لما روى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت الانهار والغيم العشور وفيما سقى بالسانيةنصف العشور رواه احمد ومسلم والنسائى وابو داود وقال الانهار والعيون .

والغيم هو المطر والسانية هى البعير الذى يستقى به الماء من البئر ويقال له الناضح وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عشريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر ـ رواه الجماعة الا مسلما لكن لفظ النسائى وابو داود وابن ماجة بعلا بدل عشريا جاء فى نيل الاوطار قال الخطابى هو الذى يشرب بعروقه من غير سقى .

* *

س ١١

من ع . ع . بالاسكندرية :

يقول ان سيدة نشأت بينه وبينها علاقة شريفة تطورت من صداقة الى عاطفة ، وفى احد الايام احضرت مصحفا شريفا بين يديها وقالت هذا كتاب الله بينى وبينك شاهدا والله تعالى خير الشاهدين بأنى زوجتك نفسى على كتاب الله وسنة رسوله ومذهبى الامام الاكبر ابى حنيفة النعمان على صداق قدره .... عاجلا وآجلا وقبلت ودفعت لها المهر المسمى بيننا ويسأل ان كان هذا العقد صحيحا شرعا ؟.

الجواب

هذا العقد وجد ركناه وهما الايجاب والقبول الا ان شرط صحته لم يتحقق وهو وجود الشاهدين فمذهب ابى حنيفة الذى عليه العمل بالمحاكم والذى تزوجتما عليه يقول بعدم صحة عقد الزواج اذا خلا من الشاهدين وعلى هذا جمهور الفقهاء ، وعلى السائل ان يصحح عقد زواجه هذا شرعا وقانونا وذلك بأن يتم هذا العقد بحضور شاهدين مسلمين وان يوثق العقد عند المأذون الشرعى حتى تحفظ حقوق الزوجية بين الزوجين فان القانون فى مثل هذه الحالة يمنع القاضى من سماع دعوى الزوجية عند الانكار ما لم تكن معهما وثيقة رسمية والله أعلم .

لقاء مع

جهادية القرغولي

رئيسة جمعية الأسرة العربية بالعراق

إعداد: نجاة الزنيري

خاضت المرأة العراقية معركة طويلة فى سبيل حقوقها ونجحت بكفاحها فى اقتحام آفاق التعليم العالى وتولت مناصب قيادية هامة كمعيدة فى الجامعات ومديرة ومفتشة وعضو فى البعثات الدبلوماسية ومجالات العمل الطبى والهندسى والقانونى كما حصلت على حق الانتخاب والترشيح لمجلس الأمة واثبتت وجودها فى مجالات الفن والادب وساهمت فى الحركات الوطنية وعرفت بتفانيها وتضحياتها فى سبيل خدمة الوطن العربى والقومية العربية الشاملة والى جانب نضالها السياسى لم تتخل عن دورها الكبير فى خدمة مجتمعها عن طريق الجمعيات النسائية التى تنتشر فى انحاء الوطن العراقى وساهمت بنصيب واف فى فضح اساليب المستعمرين واعوانهم وشجبت كل انحراف عن طريق الوحدة وقدمت ضحايا عزيزة فى سبيل الجهاد الطويل فى المعركة الوطنية والمتتبع للنشاط النسائى فى العراق خلال هذه الشهور الأخيرة يجد ان الأخت العراقية قد تحولت الى شعلة من الثورة والغضب بعد العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية فقد القت بكل ثقلها فى المعركة من اجل تصفية آثار العدوان واستعادة الارض السليبة وصهرتها الازمة فى بوتقة العمل الجاد المخلص من اجل الحرية والكرامة والشرف زوجة وأما • ومفتشة بوزارة التربية والتعليم •• ورئيسة جمعية الاسر العربية وتعد للدكتوراه وكاتبة اديبة

والتقيت هذا الشهر بنموذج متكامل للاخت العراقية الوطنية الثائرة • فكانت فى زيارة قصيرة للقاهرة • انها السيدة جهادية القرغولى •

والسيدة جهادية تعتبر نموذجا رائعا للام الواعية الناضجة المثقفة المجاهدة التى لايعوقها عائق فى سبيل نشاطها الاجتماعى والقومى والتعليمى والفكرى •• تخرجت من كلية التربية بجامعة بغداد قسم التاريخ الاسلامى ••

وهي أم لثلاث بنات وولد واحد كلهم متخرجون وبناتها متزوجات .

تعمل مفتشة للمواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم بالمدارس الاعدادية والثانوية . حصلت في العام الماضي على الماجستير من جامعة القاهرة وكان موضوع الرسالة : (الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في مدينة سامراء في القرن ٣ هـ) . وكانت ابنتها في نفس الوقت تعد للدكتوراه في الاقتصاد السياسي بجامعة واشنطن بامريكا .

والسيدة جهادية تعد الآن للدكتوراه في (النظم الادارية والحربية في العصر العباسي الاول . وكان هذا هو سبب حضورها الى القاهرة هذا الشهر

كما انها عضو في اللجنة التحضيرية لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بالعراق على اساس انها ستتولى ادارة المكتب النسائي به .

وهي رئيسة جمعية الاسرة العربية .. والى جانب كل هذا فهي أديبة وكاتبة في صحف العراق ولها مقالات في جريدة (الحرية) باسم (نساء عربيات) تتناول فيها الحديث عن الشخصيات النسائية الاسلامية ودورها في مراحل الجهاد الاسلامي على مدى التاريخ كما تكتب عن المرأة العربية اليوم مالها وماعليها .. وفي جميع المناسبات القومية والوطنية تكتب في الصحف العراقية باسم جمعية الاسرة العربية تسجيلا لهذه المناسبات

جمعية الاسرة العربية :

تأسست هذه الجمعية بالعراق عام ١٩٦٣ ومقرها بغداد ولها فروع في المحافظات وتعتبر الجمعية الوحيدة المنصهرة بالاحداث القومية وكان لها دور كبير أثناء وبعد العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية .

وتضم سيدات أسر شهداء القومية العربية كعضوات شرف كما تضم طالبات مؤازرات ومن عضواتها حرم رئيس جمهورية العراق .

بقاء الرئيس عبد الناصر كسب للمعركة :

وسألت السيدة جهادية عن جهود المرأة العراقية لدعم المجهود الحربي . قالت : المرأة العراقية بصفة عامة ومنذ ان بدأت الحشود العسكرية جندت جهودها الفردية والجماعية لتدعيم المجهود الحربي وبذلت في هذا السبيل كل طاقاتها الممكنة لانها تدرك تماما ابعاد المؤامرة الاستعمارية التي تدبر ضد الامة العربية

أما بخصوص جمعية الاسرة العربية فقد تحولت الى خلية نحل منذ ان بدأت الاحداث الاخيرة وأصبحت كل عضو من عضواتها تعمل وتنتج في منتهى الحماس والايمان . فقبل العدوان واثناء الحشود العسكرية قامت الجمعية باعداد دورات تدريبية للاسعاف والتمريض وتدربت حوالي ١٢٠ طالبة على عمليات الاسعاف العاجلة واشتركت في هذا التدريب سيدات السلك الدبلوماسي العربي خاصة سيدات الجمهورية العربية المتحدة وقامت الجمعية بعمل اكتتاب للقوات العربية المسلحة وحصلت على مبلغ ٥٠٠٠ جنيه استرليني وانتهى بزيادة حوالي ٦٠٠ جنيه استرليني وقدمت الجمعية هذا الاكتتاب كله الى الجمهورية العربية المتحدة .

أما فرع الجمعية في مدينة البصرة فقد قدم اكتتاب بمبلغ ٤٠٠٠ جنيه استرليني واعطى ٣٠٠٠ جنيه استرليني للمجهود الحربي العراقي واشترى بالمبلغ الباقي أشياء تخص لاجئي سوريا ، أما بالنسبة للاردن فقد ارسلت ١٢٠ سيارة كبيرة محملة بالثياب والأغطية والأغذية والمعدات الطبية .. وكان شعب العراق شديد التحمس اثناء جمع التبرعات فكان يفد الى الجمعية يوميا آلاف المتبرعين حتى الطبقة الفقيرة ساهمت في التبرع بقدر ما تستطيع

وارسلت الجمعية برقية الى أوثانت احتجاجا على قتل النساء والاطفال بالجملة وأرسلت مذكرة الى كل الاتحادات النسائية والعالمية بينت بها أبعاد المعركة وحق العرب وطالبت اسناد هذا الحق بانسحاب المعتدين

واستقبلت الجمعيـــة (بودجورني) عندما زار العراق اخيرا وقدمت له مذكرة باسم المرأة العراقية تشكر فيها الدول الصديقة وتطالب بالوقوف مع العرب حتى النصر ٠

وتقول السيدة جهادية انهامن أول يوم لبدء المعركة دخلت مبنى الاذاعة باسم الجمعية واستمرت ثلاثة ايام متواصلة ليلا ونهارا توجه النداءات الى الجيش العربي والى نساء العالم وفى التلفزيون وجهت النداءات المصحوبة بصور العدوان والضحايا لتظهر مدى وحشية الاعتداء.

وسافرت وفود من الجمعيـة الى الاردن وسوريا مع المؤن التى كانت ترسلها الى اللائجين وهناك شاهد الوفود نتيجة العدوان على الطبيعة وصوروا كل شيء وعن طريق التليفزيون عرضوا صور القتلى والمصابين بالنابالم والمستشفيات المليئة بالضحايا ٠

وكانت كل النداءات الموجهة عن طريق الاذاعة والتليفـزيون والصحافة تحث الشعب على التبرع ماديا ومعنويا وتقـود حملة الكراهية ضد أمريكا وضد الاستعمار الجديد وعن الحرية والسـلام والتوعيـة بأبعاد قضية المصير العربي

واقيمت سوقا خيرية ٠٠٠ لصالح المجهود الحربى ٠٠ وشكلت لجنة الاغاثة بوزارة الشئـون الاجتماعية وتعاونت جميـع النقابات والجمعيات مع اللجنـة لجمع التبرعات وتوجيه نـداءات التوعية لكى يستمر التعـاون وتستمر الجهود لدعم المجهـود الحربى حتى تزول آثار العدوان

وارسلت الجمعية برقيـة الى الرئيس جمال عبد الناصر يوم ان قرر التنحى ونشرت البرقية فى صحف الجمهورية العربية المتحدة وقامت السيدة جهادية بتوجيـه نداء الى الرئيس جمال عبد الناصر عن طريق اذاعة بغداد طوال اليوم ٠٠ واشتركت نساء العـراق فى المظاهرات ليلا ونهارا وتجمعن فى سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى منزل السفير وظللن معتصمات بالمنزل والسفارة حتى سمعن خبر عودة الرئيس جمال عبد الناصر فى اليوم التالى ٠

وتقول السيدة جهادية ان بقاء الرئيس جمال عبد الناصر يعتبر كسبا للمعركة وعندما اعتقـلت قوات العدو الاسرائيـلى بعض السيدات الفلسطينيات الفدائيات عقدت سيدات السلك الدبلوماسى العربى مؤتمرا عاجلا وتكلمت كل زوجات السفراء العرب ووجهن نداء للافراج عن هؤلاء السيـدات المجاهدات

ومن مشروعات جمعية الاسرة العربية التى تعمل على تحقيقها بناء دار للوافدات على العـراق واصدار مجلة نسائية واستمرار حملات التوعية والاغاثة للنازحين وتوجيه النداءات بشتى الطرق وكافة السبل الممكنة الى كل المحافل الدولية ٠

والسيدة جهادية باعتبارهـا مفتشة للمواد الاجتماعيـة فى المدارس الاعدادية والثانوية قالت لى ان فى بغداد حوالى مائة مدرسة ثانوية واعدادية للبنات وعندما تذهب لزيارة كل مدرسة تجتمع بالمدرسات وتطلب منهن اعداد نشرة للتراث العربى يعلن فيها احداث الامة العربية خاصة ما يتعلق بقضية فلسطين وتتبع أهدافها والتحضير لمعرض عـام لانتاج الصور والخرائط وعمـل جناح خاص عن فلسطين يتضمن نشرات وتقارير وصورا للاجئين وكل مايخص قضيـة فلسطين بصفة عامة ٠

وفى ختام حديثها معى قالت لى اننى ادعو الله دائما ان يحفظ شعب الجمهورية العربية المتحدة من المكاره فقد تحمل اعباء العرب وقضايا تحررهم ويتحمل الآن نتائج ذلك من الاستعمار ٠ وأسأل الله ليل نهار ان يهب القوة رائد القومية والانسانية الرئيس جمال عبد الناصر ٠

وقريبا ان شاء الله سـوف يتخلص العرب من محنتهم هـذه وتزول آثار العدوان عن الارض العربية ٠

خلق الإسلام يجنب الرياضيين كثيرا من المشاكل

الأستاذ ناصف سليم

فى مرحلة النهوض من العثرة، لابد أن نأخذ من الماضى العبرة ، وأن نستفيد من كل تجربة مررنا بها ، مهما كانت نتائجها . فالطريق الناجح نكرر السير فيه والطريق المنحرف نعبده ونسويه ليستقيم السير فيه أو نتجنبه اذا كان من المحال اصلاحه .

وتجارب ، أمتنا - والحمد لله، كثيرة فى مجال الرياضة والشباب .. نحن - ولا فخر - أمة يرجع تاريخها فى الرياضة الحديثة الى اكثر من تسعين عاما ، وهى فى أصول الرياضة الصحيحة لها باع وحضارة .

واذا كانت المعابد القديمة قد سجلت نقوشا معبرة عن اهتمام المصريين القدماء بالرياضة منذ أربعة آلاف سنة . فان القرآن يسجل ان المجتمع العربى كان يعتبر الرياضة واللعب المباح امرا هاما فى حياة الانسان .. وسيظل مسجلا هذه الصورة الى أبد الآبدين

وفى قصة يوسف عليه السلام ما يؤكد ذلك ويثبته ، فهؤلاء اخوته يقولون فى تبرير غياب يوسف انهم ذهبوا ليتسابقوا .. **(قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب)**

وهم حين أرادوا ان يأخذوه معهم قالوا لأبيهم .

(ارسله معنا غدا يرتع ويلعب)

وفى القرآن كثير ، مالا اجد مجال هذا المقال مناسبا لسرده والافاضة فيه .

ولكن ما أردت ان أجعله موضوع حديثى ، هو أن تجاربنا اكدت أن كثيرا من المشاكل التى اصطدمت بها نهضة الرياضة ، ومحاولات التقدم ، نتجت عن عقد نفسية وأغراض شخصية ، وسوء فهم أحيانا .

فكثيرا ماوجدنا الصراع يشتد بين ادارى وزميله ولاعب وزميله مما يعوق التقدم ، وحين نبحث عن السبب المباشر لذلك أو السبب الظاهر ، نجد كلا منهم يحاول ان يثبت أمام الآخرين انه (شخصية) فاذا تجاوز اختصاصه واعتدى على اختصاص غيره ، كان ذلك بدعوى انه صاحب (شخصية) .. واذا تجنب أحد الاداريين فى ساحات الرياضة المشاكل ، وأخذ بمبدأ التسامح ، اتهم بعد ذلك بانه (ضعيف الشخصية) .. وهكذا صار الجهد المبذول فى الصراعات على المراكز والسلطة فى الاندية والاتحادات اكثر مما يبذل فى تخريج الشباب القوى واعداده لذلك رأيت أن اتحدث عن (الشخصية) وكيف استخدمت عند الرياضيين وما يجب ان يكون عليه فهمها ، ولا اشك فى ان هذه المشكلة موجودة فى كثير من القطاعات .. بأسبابها ونتائجها

شخصية المسلم

من المعروف أن الاسلام غنى بتكوين شخصية المسلم ، يجعله مستقلا فى رأيه وتفكيره واطلق حريته فى التصرف لخدمة نفسه وخدمة الجماعة ، ونهاه ان يكون ذيلا فى أى أمر من أموره ،وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(لايكن أحدكم امعة)

بل يجب أن يتخذ القدوة الحسنة مرشدا ودليلا فى كل أعماله ويتجنب المسىء مهما بلغت المنفعة التى ستعود عليه من وراء اتباعه .

وكانت عناية المسلمين الاوائل بتربية ابنائهم تقوم على هذا النهج

وهذا الأسلوب من التربية الذى يعود الأولاد كل الخصال الحميدة منذ نعومة أظفارهم ، والاعتداد بالنفس فى كل أمورهم ، مما يحملهم على الشجاعة والاقدام وكان الأب اذا صار ابنه غلاما ألبسه السلاح وغامر به فى الغارات والحروب .

ومن هنا تصبح شخصية المسلم الحق مستقلة قوية ،ولابد والتربية هكذا من ان تضيف اليه التجارب كل الصفات المكونة للشخصية وهى من جملة نواح معروفة فى علم النفس .

١ - الناحية الجسمية : حيث ان هناك نوعا من الارتباط بين مظهر الجسم وصحته وبين نوع الشخصية

٢ ــ الناحية الفكرية : وهى الذكاء والقدرات الخاصة ، وكل ذلك انما يكتسب من التجارب ومن القدرة على التعلم

٣ ــ الناحية الوجدانية :

ومما لاشك فيه ان الشخصية تتأثر بسلوك الانسان وتصرفه فى هذه الناحية ٠

(ولان كثيرين من الرياضيين وضعوا فى غير مكانهم الصحيح المناسب ، تولدت الصراعات ، فالذى يعتقد ان اداريه والمسئول عن فريقه وجماعته ، لاتتوفر له الصفات المكونة للشخصية المذكورة يطمع فى منافسته على مركـزه ، واحتلال مكانه ، خاصة حين يجد فى نفسه القدرة على ذلك ، ويلمس بنفسه ، أو يلمس فيه غيره انه أقوى شخصية من الذى وضـع فى مركز قيادى فى ساحـات الملاعب ، وهنا نجد المتاعب ، لامن المقود وحده ٠)

ولكن ربما أحس الادارى الذى لم تتوافر له الصفـات المكونة للشخصية بذلك فيحاول تعويض النقص ، عن طريق الاهتمـام بالمظهر لا بالجوهـر وعن طريق الاعتداء على اختصـاص غيره ، ومحاولة وضع كل شىء فى يده ، مع انها يد تنقصها الخبرة والدراية

المعالم واضحة

ومع ان العمل فى مجال الرياضة بالذات واضح المعالم ٠٠ بحيث يستطيع كل من الادارى ٠ واللاعب والمدرب والحكم والطبيب ان يعرف حدود اختصاصه ، كما هى محددة فى لوائح رسمية فان الخلط بين ماللمدرب والادارى بالذات اصبح عقدة ، من عقد الرياضة ٠ لاشىء الا لأن كلا منهما يريد ان يثبت أنه صاحب الفضل فى الانتصار اذا تحقق ، وصاحب السبق فى احراز الكسب الأدبى ، أمـا فى الحالات الأخرى فغيره هو المسئول وشجع على الطمع ، فيما فى يـد الغير ان الرياضة والكرة بالذات أصبحت تستحوذ على عقـول الملايين ، وتزدحم مدرجاتها بطاقات بشرية هائلة ، تصفق لمن ترى عمله ظاهرا ، وان كان هذا العمل غير ذى قيمة فى احراز البطولات ولا تدرك الجماهير حقيقة ما يفعـله جنود مجهولون فى ساحـات الرياضة

لمن يكون العمل ؟

ولكى نقضى على هذه المشـاكل وكلها تولدت من (عقد نفسية) وحب ظهوروحب فى مظاهر الحياة فلابد أن يكون منهج الرياضـة غير الفنى ـــ قائما على اخلاقيات الاسلام ، وهى ليست لغزا ٠ بل واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار ٠

*** خلق الاسلام يحث المسلم على ان يكون عمله ، ليس مجلب التصفيق من المتفرجين ، بل لمصلحة عامة للامة ، ومصلحة خاصـة للشخص نفسه ، باعتباره لبنة من لبنات المجتمع ٠**

*** خلق الاسلام يحث المسلم عن أن يسعى لأخذ منصب يتربع على كرسيه ، بل يكون مطلوبا له لاطالبا وان ينأى بنفسه عن الدنايا**

*** خلق الاسلام ، يأمر الانسان بان يهتم بالجوهر ولا ينظر الى ما فى يد غيره ، سواء أكان عملا ، أم كسبا ٠**

*** خلق الاسلام :**

يحث على التواضع فى المقام المناسب للتواضع وينهى عن الذلة ويتبرأ رسول الله صلى الله عليـه وسلم ممن يعطى الذلة من نفسه ولو كان فى سبيل جلب منفعـة لذاته ٠

*** خلق الاسلام :**

يأمر بأن يكتسب المسلم كـل الاسباب المؤدية الى قوة الشخصية وحين تقوى هذه الشخصية بكل مظاهرها من ذكاء ، وعلم ومعرفة وخبرة وتجربة ، وكياسة ولباقة فان صاحبها وهو المسلم الحق ، يكون جديرا بان ينتج فى المجال الذى تخصص فيه ، ويكون أهلا للموضع الذى تضعه الدولة فيه

ومن هنا ندرك أهمية عنـاية الاسلام بتربية الشباب فى البيت والمدرسة ، لأن البيت وهو مرتع الطفولة الطاهرة الصافية ، قادر اذا صلح ــ ان يخلق فيه كل صور الخير ، ويجنبه كل صور الشر ، والمدرسة وهى منزل الصبا ومنزه الشباب الغض فى أطوار نزواته الجامحة ونزعـاته العاصفـة قادرة على ان تكسب الشباب خبرات ليست من صميـم منهـج الدراسة ولكنها لازمة لزوم الدرس نفسه ، بحيث لاتصبح وسـيلة لتلقين العلوم وحشو الادمغـة بالقواعد والنظريات فقط ، بـل توضح للشباب منذ صغره طريق الحياة العملية فى الأندية والمجتمعات والمنظمات التى يعهد اليه بالانتاج فيها لخير الأمة

ويوم تكون التربية قائمة عـلى **منهج الاسلام الصحيح فان كثيرا من المشاكل سوف تختفى ، ولن نجد صراعا اداريا وآخر ، ولاخلطا بين عمل هذا وذاك ٠٠ بل سنجد حوافز العمل اكثر ، مادام العمل فى اصله لله والوطن ٠٠ قبل ان يكون لنفع دنيوى وكفى ٠**

مع القراء

اعداد فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

مع مطلع العام الهجرى الجديد تستيقظ الآمال ، وتتبدد ظلمات التواكل ، وتنشط القوى المجاهدة، وتنحسر جحافل الطغيان ، وتتنسم الانسانية عبير الحرية فى ذكرى روادها الأول الذين استعذبوا العذاب ، فانهارت أمام عزائمهم الفتية قلاع الشرك والوثنية ، ودانت لهم ربوع الجزيرة العربية، وارتفع صوت بلال بن رباح بالأذان معلنا انتصار الحق مصداقا لقوله تبارك وتعالى « ونصرناهم فكانوا هم الغالبين »

وهكذا قامت دولة الحق ، ودالت دولة الباطل بفضل اخلاص صديق الغار ، وشجاعة الفاروق ، ومصابرة بلال ، واستشهاد سمية وياسر ، وغيرهم من أصحاب السيرة العطرة فى صدر الدعوة المحمدية الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه حتى استسلمت لرماحهم البدائية الصنع تيجان كسرى وامبراطورية قيصر ،وشهد ببأسهم ومراسهم وتسابقهم الى ساحة الوغى كل من لاقاهم ، فحققوا بذلك الصورة الصادقة للامة المحمدية كخير أمة اخرجت للناس ، والتى ستظل كذلك مادمنا قد أخذنا بالأسباب وعقدنا العزم على مواصلة الجهاد مترسمين خطا السلف الصالح معتصمين بحبل الله ملبين النداء الالهى – ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة –

رسالة غانا .. والكتب الاسلامية

السيد – محمد رشيد – سالبتوند – غانا

يقول فى رسالته – اننى أريد معرفة المزيد عن الاسلام وتعاليمه وعن حياة وتاريخ النبى عليه الصلاة والسلام ، كما يسعدنى أن أعرف كيف أقرأ وأكتب العربية ، لذا أرجو أن ترسلوا الى كتابا بالعربية والانجليزية .. –

والمجلة اذ ترسل لسيادتك الكتب التى ذكرتها فى رسالتك تمجد فيك روح الجهاد والمجاهدة والصبر والمصابرة التى هى دعامات خالدة ومثل صادقة فى كيان الأمة الاسلامية

الرئيس جمال .. ورسالة ليبيا

السيد – أحمد بأكير – مصراته ليبيا

يحدثنا فى رسالته قائلا « سلام أطول من الدهر : وتحية أطيب من رائحة الزهر .. الى أسرة « مجلة منبر الاسلام » الغراء .. وبعد التحية والسلام الحار من أعماق فؤادى ، أرجو التقدم والنجاح من أجل الاسلام وبعد : لقد أعجبت كثيرا بما نشرته مجلة « منبر الاسلام » فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ يناير ١٩٦٧ عن تاريخ وحياة رائدنا جمال البطل العربى الثائر ، ولما كانت النسخة التى أطلعت عليها هى لصديق لى من طرابلس لذا أرجو أن ترسلوا لى نسخة من هذا العدد »

والمجلة اذ ترسل لك هذا العدد تكرم فيك نبل التحية وصادق الاعجاب .

محمد رضا .. العلامة المجاهد

السيد عبد المنعم البحقيرى – مدرس بنوسا الغيط – دقهلية

يحدثنا فى رسالته عن رجل من رجالات العلم والمعرفة المؤمنين بقوميتهم وعروبتهم المرحوم محمد رضا الشبيبى الشاعر الباحث والمحقق العلامة رئيس المجمع العراقى وعضو المجمع اللغوى المصرى ، بدأ كفاحه الوطنى منذ الحرب العالمية الثانية .. له الفضل فى عقد أول مؤتمر لغوى موحد بين مجمعى بغداد والقاهرة ، منحته جامعة القاهرة درجة الدكتوراه

ووسائل تعريبها وترجمتها وتوحيدها بين البلاد العربية ، فهو كما قال عنه العقاد يوم استقباله فى المجمع اللغوى المصرى « انه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد لأنه شاعر وناقد وباحث لغوى وناشر للعلم والمعرفة ومعنى بآثار اللغة العربية قديمها وحديثها » تحية الى روحه الطاهرة والى كل من سار على دربه وحذا حذوه ..

قسم الجهاد .. وتحرير البلاد

السيد – محمد يونس يبعث الينا قصيدة له بعنوان « نقسم أننا سنسترد أرضنا شبرا شبرا »

وهى العبارة التى جاءت بخطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٣ مارس بحلوان ومضمون القسم الذى ردده سيادة الرئيس مع ألوف المصلين بالمسجد الحسينى فى ٩ مارس الماضى :

أو لم أقل لك ما أبيت سماعه
لابد يوما أن تقوم الساعه
لنحق حقا ضيعته خيانة
وأبى الأباة الثائرون ضياعه
حتى بدا لك كيف يعصف هادرا
بحر التحرر منشدا ايقاعه

***

وأنا سهوت فرمت منى طعنة
ردت اليك بثورة شلت يدك
وأعادت الحق المضيع وحدة
كبرى يضيق بها سوان وسع – الفلك

تحية اجلال .. وحسن مقال

السيد – عبد السميع محمد ابو على – السيدة زينب – الدرب الجديد

يثنى فى رسالته على المجهودات المتزايدة التى تبذلها مجلة منبر الاسلام فى مجال نشر الثقافة الاسلامية قائلا : « لقد أعجبت كثيرا بحسن العرض وقوة اخراج العدد الصادر فى غرة هذا الشهر ، وما تتضمنه المجلة من مقالات دينيه جليلة يحررها نخبة ممتازة من علمائنا المتخصصين ، ثم

https://t.me/megallat

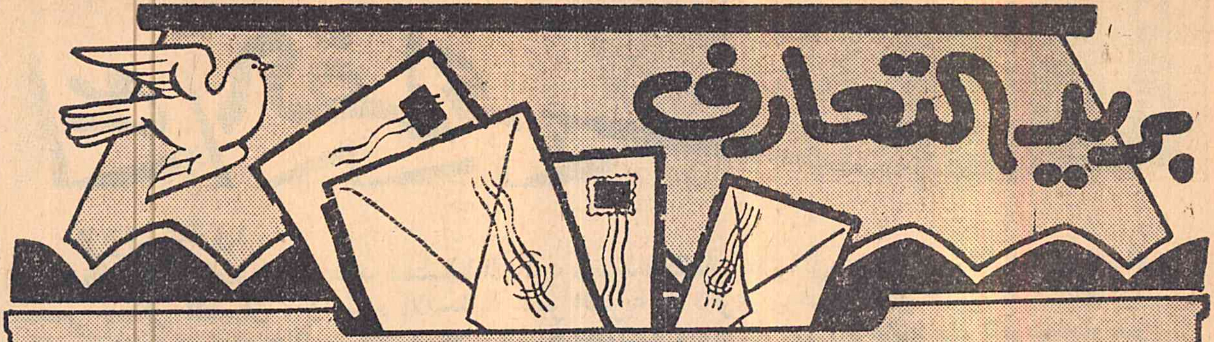

الاسم : عدنان عبد النبى

البلد : الجمهورية العراقية

السن : ٢٠ سنة

المهنة : طالب بكلية التربية جامعة بغداد

الهواية: القراءة والاطلاع وجمـــع الكتب الادبية

العنوان: جامعة بغــداد ـ كلية التربية

الاسم : عيسى بلحاج

البلد : المغرب

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب

الهواية: تبادل المجـلات والمراسلة

العنوان: ٦ زنقة غازية الرباط المغرب

الاسم : عدنان اسماعيل

البلد : الجمهورية السورية

السن : ٢٣ سنة

المهنة : موظف بريد

الهواية: المراسلة ـ تبادل المجلدات والطوابع والهدايا

العنوان: ص . ب ٣٠٤٦ دمشق سورية

الاسم : أمجد اسـماعيل عبد المجيد

البلد : الجمهورية العراقية

السن : ٣٤ سنة

المهنة : معـلم

الهواية: المراسلة والقراءة

العنوان: الجمهورية العراقية ـ الحبانية

الاسم : عبدالحميد احمد محمد

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية: جمــع الطوابع والصور

الاسم : على محمد فريـد عـلى

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

المهنة : بكالوريـوس فى العلوم القطنية

الهواية: قـراءة الـكتب

اقرأ فى هذا العدد

صفحة

يا أمة القرآن ـ للسيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الاوقاف ٤

السيد بوبكار كاسى سفير مالى بالقاهرة يتحدث عن زيارة وفد الجمهورية العربية المتحدة الاسلامى برئاسة السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الى مالى ٧

تفسير القرآن الكريم

تابع سورة البقرة من أول الآية ٥٠ الى آخر الآية ٨٤ ... ... ١٢

السنة النبوية الشريفة

مقام السنة وأقسامها ٢٠

التشريع ـ الفقه ـ الأبحاث الدراسات الصوفية فى الاسلام

التخطيط الاسلامى الكامل لتربية الشباب فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٢٤

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٢٧

من توجيهات النبوة ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٣٢

وقفة بروضة الفاروق ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٣٧

سورة العلق ... ... الاستاذ أحمد حسين ٣٩

أوائل الشهور القمرية ... ... المستشار على على منصور ٤٣

القصد الجنائى فى جريمة القتل العمد ... المستشار أحمد موافى ٤٦

بنو اسرائيل فى ميزان القرآن ... ... الاستاذ البهى الخولى ٥٠

الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ... ٥٤

أولياء الله بين الموالين والجافين ... ... فضيلة الشيخ كمال عون ٥٩

تجارة لن تبور ... ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ٦٢

اباء الضيم خلق المؤمن ... ... فضيلة الشيخ عطية صقر ٦٥

موقف الاسلام من الاسراف وأثره فى التعاون الاستاذ عبد المنعم حماده ٦٧

الشريعة الاسلامية والاخلاق ... ... المستشار محمد خاطر ٧٠

الوصايا العشر الخالدة ... ... فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ٧٣

صحبة عن سيرة الرسول الاعظم ... ... سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى ٧٥

أربعة عشر قرنا تحت راية القرآن الكريم ... الاستاذ أحمد وافى ٧٩

أهداف الاسلام ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ٨٤

أمثلة من الاقضية فى الاسلام ... ... المستشار عبد الستار آدم ٨٦

من أخلاق القرآن « العدل » ... ... فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى ... ٨٩

القرآن حياة وعصمة ... ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ٩٢

عيدان ... ... الاستاذ عبد الحميد البسيونى ٩٥

لحظات مع الاسلام ... ... الاستاذ محمد فاوى عسر ٩٨

القرآن ومشاكل الحياة ... ... فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت ١٠٠

فضائل حب الله والتشوق اليه ... ... الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ... ١٠٤

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... ... الدكتورة عنايات الطحاوى ١٠٨

أضواء على التاريخ الاسلامى ... ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ١١٤

قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها ... الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ... ١١٦

اغتصاب فلسطين ... ... الاستاذ محمد تقى الدين قنديل ١١٨

صفحة

	عود الى مفتريات اليهود	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز ...	١٢١
	سياسة الخليفة المعتمد على الله	الاستاذ عبد العال شعيب	١٢٤
	لمحات من تاريخنا الحديث	الدكتور أحمد شلبي	١٢٦
	مثال	الاستاذ محمود كمال	١٢٩
فكر وفن أدب ـ شعر ـ القصة المسرحية ـ الفن الاسلامى	ماقيمة الهيئات والمواثيق الدولية	الدكتور محمد ضياء الدين الريس ...	١٣٥
	ما أخذ بالقوة لايرد الا بالقوة	الدكتور عبد العال سالم مكرم	١٣٨
	تصرفاتنا بين الدين والعادات	فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى ...	١٤٢
	القرآن حجر الاساس فى بناء الفكر الاسلامى	الاستاذ أنور الجندى	١٤٤
	عودة الازهر	الاستاذ عبد العليم المهدى	١٤٦
	عبد الناصر صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١٤٨
	التأمين التعاونى والاجتماعى فى الميزان ...	فضيلة الشيخ عبد المنصف محمود ...	١٥٣
	قطوف	الاستاذ على الجندى	١٥٦
	من التراث الفنى الاسلامى	الدكتور حسن الباشا	١٦١
	أعظم من يوم الزينة	للكاتب الشعبى زكريا الحجاوى	١٦٦
	ضراعة	الشاعرة روحية القليني	١٦٩
	الى الاقدام الثابتة فوق الارض الصلبة ...	الشاعر أحمد عثمان المراغى	١٧٠
	من وحى خطاب حلوان	الشاعر محمد حليم غالى	١٧١
	الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٧٢
	مختارات من قصص المثنوى	فضيلة الشيخ الصاوى شعلان	١٧٥
	العقل وشرفه وحقيقة أقسامه	الدكتور أحمد غلوش	١٧٧
	الضمير بين نوازع الخير والشر	الاستاذ منصور تسيم	١٨٠
باب العلم	دلائل الحق فى عظمة الوجود	الدكتور عزت محمد خيرى	١٨٢
	سفن الاسطول العربى	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ..	١٨٥
الخلفاء الراشدون وأعلام الاسلام	عمر بن الخطاب	الاستاذ محمد عبد العزيز حسن	١٩٠
	أسد الله حمزة بن عبد المطلب	الاستاذ حسين السكرى	١٩٣
	عباده بن الصامت	الاستاذة عائشة حسنى	١٩٥
	عمير بن سعد	الاستاذ صلاح عزام	١٩٧
	ابن خلدون	فضيلة الشيخ محمد سيد جادالحق	١٩٩
	الامام محمد عبده	الاستاذ عبد السميع البطل	٢٠٠
	الحومانى شاعر لبنان	الاستاذ على الجمبلاطى	٢٠٤
المكتبة الاسلامية	الاسلام انطلاق لا جمود	عرض وتقديم رياض خليفة	٢٠٨
	حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عرض وتلخيص محمد بهى الدين سالم	٢١١
	الاسلام دين الفطرة	عرض وتلخيص ابراهيم الفحام	٢١٤
	العقد النفيس	عرض وتلخيص محمد بدرالدين سالم	٢١٧
الافتاء ـ المرأة المسلمة ـ الرياضة بريد القراء ـ بريد التعارف	أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلةالامام الاكبرالشيخ حسن مأمون	٢٢٠
	المرأة المسلمة	اعداد : نجاه الزنيرى	٢٢٤
	خلق الاسلام يجنب الرياضيين كثيرا من المشاكل	الاستاذ ناصف سليم	٢٢٧
	مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٢٩
	بريد التعارف	... ...	٢٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الاسلامية فى قارتى افريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن :

بيع

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة

سرعة ٣٣ ١/٣ لفة فى الدقيقة

وترتيل الشيخ محمود خليل الحص[ري]

	ملليم
بالغلاف الفاخر	٧٩٦
بالغلاف العادى	٣٢٢

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة

سرعة ٣٣ ١/٣ لفة فى الدقيقة

وترتيل الشيخ محمود خليل الحص[ري]

الثمن : ١٥٠ ملليم

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

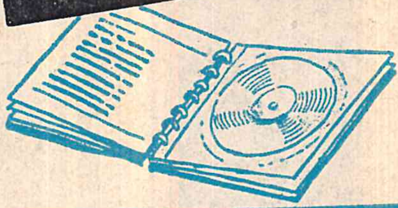

الاسطوانة الأولى
شاملة للأذان
الاسطوانة الثانية
تشمل كيفية الوضوء
والخمس الاسطوانات الأخرى
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخ[مس]
وأمام كل اسطوانة
كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصو[رة]

الثمن ٥٠ خمسون قر[شا]

مواعيد البيع

من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مسا[ء]
ومن الساعة ٥ مساء إلى الساعة ٩ مسا[ء]
ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

العنوان

القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ شارع الجمهورية ت ٩١١٧٠٨

الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)